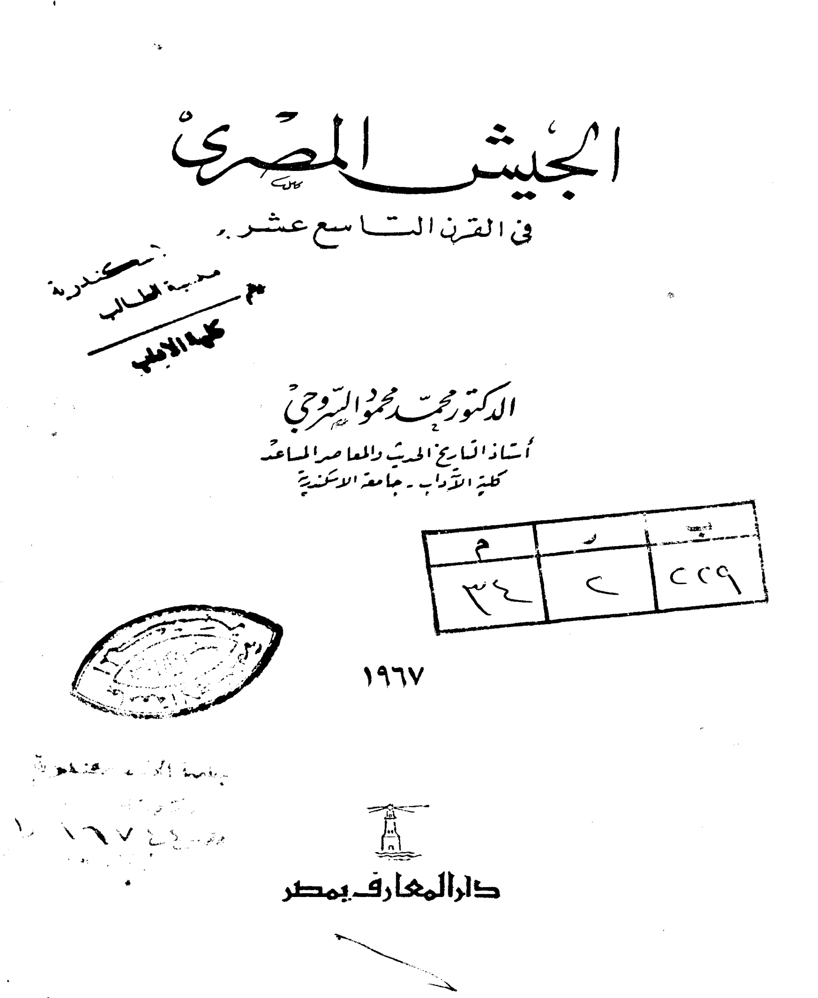


الجيش المصري

في القرن التاسع عشر

الدكتور محمد محمود السروجي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٦٧

دار المعارف بمصر

إهـــــداء

إلى جنودنا البواسل الذين جادوا بأرواحهم فداء لهذا الوطن وإعلاء لكلمة الحق ...

إلى شهدائنا الذين بذلوا فكانوا مثلا فى السخاء ...

إلى أبطـالنـا المغمورين ...

إلى الجندى المجهول أهدى هذه الدراسة ...

المؤلف

تصـــدير

ظهرت الكثير من الكتب التي تعالج النواحي المختلفة من تاريخ مصر في القرن التاسع عشر كالأزمة الماليـة ، وتدخل النفوذ الأجنبي ، والمحاكم المختلطة ، وقنـاة السويس ، والتعليم ... ولم تلق الناحية الحربية من العناية ما تستحقه . ولهذا عزمت على أن أتناول هذا الموضوع بالبحث لأجلو صفحة من صفحات الجيش المصري في ذلك الوقت ، ولأسد ثغرة من ثغرات تاريخ مصر الحديث .

وركزت اهتمامي بصفة خاصة على الجيش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وان كنت قد تعرضت لأوضاعه في النصف الأول استكمالا للصورة .

واعتمدت في بحثي هـذا على ما أتيح لي الإطلاع عليه من وثائق عربية وتركية وفرنسية وأمريكية من دار الوثائق التاريخية القومية . ووضعت نصب عيني ما كتبه المؤرخ الكبير الأستاذ محمد شفيق غربال عن الجيش المصري حيث يقول « إن دفتراً من دفاتر المحفوظات يدلنـا على أرزاق الجند وطعامهم ولباسهم ، لهو وثيقة لها خطرها . ولا يستطاع كتابة تاريخ الجيش المصري إلا بها وبمثيلاتها » .

ويعترض الباحث في دار الوثائق التاريخية بعابدين صعوبات جمـة . فمثلا نجد بالدار مجموعة ضخمة من دفاتر ومحافظ المعية تركي ، ودفاتر عابدين تضم مقداراً كبيراً من الوثائق يتفاوت في العدد من دفتر إلى آخر . فبعضها يشتمل على المئات والآخر يتجاوز الألف ، وتجمع شتات المراسلات التي تتناول النواحي المختلفة من الحياة المصرية في ذلك العصر من نظم حكم ، وإدارة ، وزراعة ، وتجارة ، وتعليم وحرب ... وعلى الباحث أن يطلع على جميع هذه الوثائق ليستخلص منها ما يتعلق بموضوع بحثـه . وقد يخرج من

الدفتر الذى يضم المئات منها بعدد قليل من الوثائق قد لا يتجاوز العشرة ، وفى بعض الأحيان قد لا يخرج منه بشىء . وعلى ذلك فكل وثيقة فى هذا البحث تخفى وراءها مجهوداً كبيراً لا يحس به إلا كل من أتاحت له الظروف البحث فى تلك الوثائق .

ومن هذه الصعاب أيضاً البحث فى دفاتر « أوامر الجهادية » أى السجلات التى كان يدون فيها الكتاب العسكريون المراسلات المختلفة المتبادلة بين ديوان الجهادية وفروعه ووحدات الجيش . وهذه الدفاتر ما زالت على حالتها الأصلية ، لم تمتد إليها حركة النقل التى يقوم بها موظفو قلم الترجمة بقسم المحفوظات ، والتى يبذلون فى سبيلها جهوداً مشكورة تستحق الثناء . وقد دونت فى هذه الدفاتر جميع المراسلات الصادرة والواردة لديوان الجهادية باللغة العربية وبخط ردىء جداً تكثر به الأخطاء النحوية واللغوية ، كما أن تركيب الجمل غير سليم ، وتشتمل على الكثير من العبارات التركية . فلغة هذه الوثائق ليست عربية صحيحة ، ولا تركية سليمة ، بل هى تمثل فترة انتقال بين التركية والعربية . وتدل دلالة واضحة على روح العصر . ولهذا فانى آثرت نقلها كما هى فى هذا الكتاب بما تشتمل عليه من أخطاء فى التركيب واللغة والنحو حرصا منى على إظهار روح العصر إلى جانب الحقائق العلمية التى تتضمنها تلك الوثائق .

وقد رأيت أن يقتصر بحثى على الجيش المصرى البرى فقط ، ولم أتعرض للبحرية لأن هذا موضوع كتاب آخر . وكذلك لم أتناول الحروب التى قام بها الجيش فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، لأن هذا أيضاً يعتبر موضوع بحث آخر ، تناولتها فى كتاب « مصر والمسألة الشرقية » . ولم أذكر

إلا العمليات الحربية التى اتصلت بمقاومة تجارة الرقيق التى أخذ الجيش المصرى على عاتقه القضاء عليها فى السودان . وكذلك مقاومة العرابيين للتدخل الأجنبى . فالبحث إذا فى مجموعة ينصب على كيان الجيش .

وقسمت الموضوع إلى مقدمة يتبعها خمسة عشر فصلا . بدأت فى المقدمة بعرض عام للجيش المصرى الحديث فى عصر محمد على من حيث نشأته ونظام التجنيد ، إلى انشاء المدارس الحربية ، والاستعانة بالخبراء الأجانب ، وارسال البعوث العسكرية إلى أوروبا ، وعدد قوات الجيش ، ومصانعه الحربية ، وموجز لما قام به من حروب . وانتهيت عند تسوية سنة ١٨٤١ التى حددت عدد قوات الجيش المصرى بثمانية عشر ألف رجل فى أوقات السلم ، وتحديد مدة الخدمة وملابس الجنود ورتبهم وأعلام الجيش ...

ثم انتقلت إلى الفصل الأول ، فعرضت لحالة مصر فى عهد عباس وسعيد ، وبينت الأسباب التى حالت بين كل منهما وبين التخلص من القيود الحربية التى فرضها فرمان سنة ١٨٤١ . ثم انتقلت إلى اسماعيل وقسمت علاقته بالباب العالى إلى أربع مراحل . وهذه النقطة — ولو أنها بحثت من قبل — إلا أننى قد عالجتها من زاوية الجيش . فبحثت كل مرحلة من هذه المراحل ، مبينا ما ناله فيها الخديو من امتيازات تطلق يده فى الجيش ، إلى أن وصلت إلى الفرمان الشامل سنة ١٨٧٣ ، الذى منح اسماعيل السلطة المطلقة فى زيادة عدد قوات الجيش إلى الحد الذى يريده .. ثم تطرقت إلى استحكام الأزمة المالية فى أواخر عصر اسماعيل ، وتدخل الدول الأوربية فى شئون مصر ، وعجز اسماعيل عن الوقوف فى وجه هذا التدخل ، وتستره وراء الحركة الوطنية ، مما دفع هذه الدول إلى الضغط على الباب العالى لعزله ،

ورضوخه لهذا الضغط ، وعزله للخديو اسماعيل فى يونيه سنة ١٨٧٩ ، وتعيين ابنه الخديو محمد توفيق خلفا له . وقد نص فرمان توليـة الخديو الجديد على الرجوع بقوة الجيش المصرى إلى ١٨ ألف جندى كما نص بذلك فرمان سنة ١٨٤١ . وبتوليـة توفيـق أمر بخفض قـوة الجيش إلى ١٢ ألف جنـدى ، فاضمحلت قوته . وكان لهذا التخفيض أثره السيء فى حوادث سنة ١٨٨٢ .

وفى الفصل الثانى (التجنيد) تعرضت لمحاولة محمد على تجنيد المصريين ونجاح تلك المحاولة . ثم بينت طريقة جمع الجنود فى ذلك العصر ، وكل ما يتعلق بالتجنيد بصفة عامة فى عصر محمد على وعباس وسعيـد . وانتقلت بعد ذلك إلى عصر اسماعيل وتتبعت تطور نظام التجنيد فى عهده ، وحددت الفئات التى كان يقع على كاهلها عبء الجندية ، ومن له حق الاعفاء ، والشروط الواجب توافرها . ثم أثبت تطور نظام البـدل « البدلية » من بدل شخصى قبل إلغاء الرق إلى بدل نقدى بعده . وتناولت مدة الخدمة بأسلحة الجيش المختلفة ، ومدة الامدادية (الرديف) ، وما يقوم به الجنود فى كلتا المدتين ، ويعتبر هذا أول بحث من نوعه فى تلك الناحية .

أما الفصل الثالث فخاص بالاستعانة بالخبراء العسكريين من الأجانب فى الجيش المصرى . فبدأت باستقدام البعثة العسكرية الفرنسية تحت رياسة ميرشير بك سنة ١٨٦٤ ، وكتبت نبـذة عن تاريخ حياة كل ضابط من ضباطها ، وعن المدة التى قضاها فى مصر ، والمهام التى أسندت اليـه . ثم تعرضت لاستعانة اسماعيل بالضباط الأمريكيين فى الجيش المصرى منـذ أواخر سنة ١٨٦٩ وأتيت بأنموذج من عقد أحد هؤلاء الضباط . ثم أشرت

إلى عدم ارتياح انجلترا للاستعانة بضباط أمريكيين واعتراضها على ذلك . وحرص الحكومة الأمريكية على إعتبار هؤلاء الضباط أفراداً من الرعايا الأمريكيين انضموا بمحض إرادتهم إلى الجيش المصرى ، وليست لهم أية صفة رسمية ، خشية إغضاب الباب العالى . ثم ذكرت نبذة عن كل منهم تتضمن ثقافته العسكرية ، وخدمته السابقة ، وما أداه من خدمات للجيش المصرى ، وماكان يتقاضاه من مرتب . وهذا أول ثبت شامل باللغة العربية لهؤلاء الضباط ، ثم ذكرت الضباط الآخرين الذين استخدموا فى الجيش وتطرقت إلى الأزمة المالية والاستغناء عن خدماتهم .

أما عن البعوث العسكرية فقد اطلعت على ما كتبه الأمير السابق عمر طوسون وأمين سامى (باشا) فيما يختص بهذا الموضوع وعلى أحدث ما كتب عنه فى كتاب « تاريخ التعليم فى مصر » للاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم . بالاضافة إلى ما أمكننى جمعه من وثائق .

وفى الفصل الخامس الخاص (المدارس الحربية) استعنت فى كتابته بالبحث القيم الذى كتبه حضرة الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عن المدارس الحربية فى كتابه «تاريخ التعليم فى مصر» فيما يتعلق بالناحية التعليمية ، وبما كتبه اسماعيل سرهنك (باشا) فى حقائق الأخبار بالاضافة إلى الوثائق المختلفة التى تتعلق بالناحيتين العسكرية والتعليمية . فتعرضت لما وضع لهذه المدارس من لوائح ، وما وجه إليها من نقد ، وما أدخل عليها من إصلاحات مختلفة .

ثم تطرقت إلى الكلام عن المجلات العسكرية فى الفصل السادس فتتبعت نشأتها بمصر ، وبدأت بـ « الجريدة العسكرية المصرية » فذكرت أبوابها وما تناولته من موضوعات ، وعن الغرض من إنشائها وإدارة تحريرها .

ثم تكلمت عن « مجلة أركان حرب » التى قامت بإصدارها هيئة أركان حرب الجيش المصرى بعد تكوينها ، والغرض من انشاء هذه الجريدة ، ومن يقومون بالاشراف على إدارة تحريرها ، والموضوعات التى تتناولها ، وصبغتها العسكرية البحتة » وقارنت بينها وبين الجريدة العسكرية . ثم تناولت جريدة الوقائع المصرية ، وأثبت بأنها قد ساهمت أيضاً فى نشر المعلومات التى تتعلق بالجيش ، مثل مباريات السباق التى كانت تقام أسبوعياً لسلاح الفرسان ، وكذلك أخبار تنقلات الجيش ، والبعوث الكشفية . وما توصلت اليــه من نتائج .

وفى الفصل السابع من البحث تناولت المصانع الحربية بشىء غير قليل من التفصيل ، ويكاد يعتمد هذا الفصل كلية على الوثائق التى لم تنشر من قبل ، ففيه تفصيل للمصانع الحربية المختلفة ، وأسمائها وعدد الصناع العساكر المشتغلين بها ، وما ينتجه كل مصنع من الأسلحة . ثم أوضحت بأن هذه المصانع كانت تنتج أنواعاً من الأسلحة تقل جودة واتقانا ، وأغلى ثمنا من نظيرتها المستوردة من الخارج . ولهذا فقد اقتصر عملها فى أواخر أيامها على اصلاح المعدات الحربية ، وعمل قطع الغيار . واعتمد الخديو اعتماداً يكاد يكون كلياً على ما يستورده من الخارج من أسلحة ، وبيان أنواعها . وما كان يستخدم من الوسائل لاستيرادها سراً دون علم البساب العالى . والدول التى كانت تمد مصر بالسلاح ، وبيان ببعض المبالغ التى صرفت على التسليح ... وأخيراً أوضحت أثر الأزمة الماليــة فى تعطيل معظم تلك المصانع إن لم يكن جميعها نظراً لحاجتها إلى المــال .

ويشتمل الفصل الثامن على ديوان الجهادية وفروعه المختلفة ، وإدارة

الجيش المصري ، ومدى تعاون كل منها مع الأخرى ، ثم تطرقت إلى الكلام عن ميزانية ديوان الجهادية ، وهل كانت الميزانية كافية لسد مطالب الجيش المتزايدة فى السنوات المختلفة ؟ ثم انتقلت منها إلى أرزاق الجند ، وبدأت بها من عصر محمد على ، وتتبعت تطورها إلى أوائل عصر اسماعيل ، وما طرأ عليها من تعديل بعد ذلك ، وقارنت هذه المرتبات بمرتبات رجال الجيش فى البلاد الأجنبية . وأوضحت المرتبات فى أثناء السفر ، وفى الاجازات المرضية والاعتيادية ، وفى حالة الاستيداع . ثم تعرضت للضمانات التى منحت لرجال الجيش ، كالمعاشات والقواعد التى سارت عليها ، ونسبة المعاش للمرتب ،وعدد سنى الخدمة . وبعد أن فرغت من هذ النقطة ، تكلمت عن تعيينات الجنود ، ومقدار تعيين كل فرد والأنواع المختلفة من الأطعمة التى كان يتناولها الضباط والجنود . ويكاد يكون كل ما نشر عن هذا الموضوع جديدا فى نوعه .

أما الفصل التاسع فيتناول هيئة أركان حرب الجيش المصرى بالبحث فتكلمت عن دخول هذه الهيئة الجيش لأول مرة فى عصر محمد على ، ثم استمرارها بعد وفاته فى عصر عباس والنصف الأول من عصر سعيد ، ثم إلغاؤها وبعثها مرة أخرى فى عصر اسماعيل فى سنة ١٨٧٠ على يدى الجنرال استون Stone الذى عين رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصرى . وذكرت الأقسام المختلفة التى أنشئت فى بداية تكوين الهيئة ، ثم ازديادها إلى أن أصبح عددها سبعة أقسام ، وأوضحت اختصاص كل قسم منها وعدد أفراده ، ومدى تعاون هذه الأقسام بعضها مع بعض . ثم تكلمت عن هيئة أركان حرب سلاح المدفعية واختصاصاتها ، ومدى تعاونها مع

عموم هيئة أركان حرب . ثم أثبت بأن الهيئة لم تمارس اختصاصاتها ، إلا فيما ليست له صلة مباشرة بالجيش كحركة الكشوف الجغرافية ، وذلك لوقوف كبار رجال الجيش القدامى فى وجه الهيئة ، ووضعهم العراقيل المختلفة فى سبيلها . واستخلصت من هذا كله بأن هذه العقبات قد وجهت جهود الهيئة إلى ناحية أخرى ، لا تقل خطراً عن الناحية الحربية ، ألا وهى حركة الكشوف الجغرافية التى تعد مفخرة من مفاخر الجيش المصرى ، وخصوصاً هيئة أركان حرب التى قامت بها وأشرفت عليها .

وخصص الفصل العاشر لقوات الجيش المصري ، فبدأت بذكر عدد قوات الجيش منذ تولية اسماعيل سنة ١٨٦٣ إلى قيام الثورة العرابية فى سنة ١٨٨٢ . واخترت سنوات معينة لإبراز تطور هذه القوات وزيادتها ، فأوضحت عدد قواته فى السنوات ١٨٦٣ و ١٨٦٦ و ١٨٧٠ و ١٨٧٤ و ١٨٧٦ و ١٨٧٨ و ١٨٧٩ . وفى كل سنة من هذه السنوات ذكرت عدد قوات الأسلحة المختلفة ، وما تضمه من ضباط وجنود وعتاد حربى . ثم أتيت بثبت لعدد قوات الجيش جميعها من برية وبحرية من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٢ .

وانتقلت من هذه النقطة إلى الكلام عن القوات غير النظامية . ويعتبر كل ما كتب عنها جديد وفريد فى نوعه . وإذا كانت القوات النظامية لم تلق العناية التى تستحقها ، فلا غرابة إذا ما أهملت القوات غير النظامية إهمالا يكاد يكون تاما . فأتيت بذكر عدد هذه القوات ، والشروط الواجب توافرها فى أفرادها ، والمهام التى كانت تسند إليها ، وتوزيعها وعدد أفراد (أوردى) الباشبوزق (الجنود غير النظامية) ، وتعيين الجندى النفر ...

ثم تعرضت لإدارة القوات غير النظامية (ديوان السرجشمة) بمصر والسوادن .

ثم تناولت بالبحث عدد قوات الجيش المصرى بالسودان من جنود نظامية وغير نظامية ، وتوزيعها على المديريات المختلفة بنسب معينة . وانتقلت بعد ذلك إلى التعاليم العسكرية ، وتطورها ، وأسلحة الجيش ومعداته وأعلامه ، وملابسه .

وفى الفصل الحادى عشر تطرقت إلى حالة القوات المصرية بمصر والسودان ، وأوجه القوة والضعف فيها . وتناولت الفلاح المصرى ، ومدى صلاحيته للجندية ، وقارنت بينه وبين ضباطه من الأتراك ، وبينه وبين الجنود الأخرى من أتراك وسودانيين وعرب.

وفى الفصلين الثانى عشر والثالث عشر أبرزت المهام التى قام بها الجيش المصرى بالسودان ، فتناولت فى الفصل الثانى عشر الدور الذى لعبه الجيش المصرى فى القضاء على تجارة الرقيق : وقد سبقنى الكثيرون فى بحث هذا الموضوع ، ولكننى عالجته من زاوية خاصة ، فأظهرت بوضوح أثر الجيش فى القضاء على تلك التجارة الشائنة : فتكلمت عن حملة السير صمويل بيكر لأعالى النيل والغرض منها ، وما أنشأته من محطات عسكرية ، وذكرت كل محطة من تلك المحطات ، وأهميتها بالنسبة للاقليم الواقعة فيه . وعدد حاميتها من جنود مصريين وغير مصريين . ثم انتقلت إلى الكلام عن تعيين الجنرال غردون حاكماً عاما لمديريات خط الاستواء بإيعاز من انجلترا لإتمام ما بدأه بيكر وللقضاء على تجارة الرقيق ، وفتح منطقة البحيرات للتجارة المشروعة . وأبرزت المحطات العسكرية التى أنشأها غردون فى هذه المناطق النائية ، وموقع كل محطة من الناحية الاستراتيجية ، وعدد حامياتها

من مصريين وغير مصريين ، ومن جنود نظامية وغير نظامية . ورسمت لكل هذه المحطات خرائط عدة ، تحدد موقعها وتبين للقارىء أن تلك المحطات كانت تكون شبكة من النقط العسكرية التى ربطت أجزاء السودان بعضها ببعض ، ويفصل بين كل محطة وأخرى ، مسيرة يوم أو بعض يوم. فهذه السلسلة المتشابكة الحلقات ، كانت من دعائم النظام والاستقرار فى تلك البقاع . ثم تطرقت للحديث عن تعيين غردون حكمدار عاما للسودان ، والسياسة التعسفية التى سار عليها فى القضاء على تجارة الرقيق ، والتى أدت إلى اشتعال نيران الثورة فى أنحاء السودان ، وذلك تنفيذاً لمعاهدة إلغاء الرق التى أبرمتها انجلترا مع الخديو اسماعيل . وأوضحت أن حركة التوسع فى السودان كانت تمليها اعتبارات خاصة تتعلق بالقضاء على تلك التجارة الشائنة . ثم تكلمت عن تدخل انجلترا لوقف التقدم المصرى على الساحل الشرقى لافريقيا ، وعن إخلاء غردون لبعض المحطات العسكرية فى الجنوب فى أواخر حكمداريته ، بحجة الاقتصاد فى النفقات ، ولعدم وجود جنود كافية لحمايتها ، وأثر ذلك فى اتساع الحركة المهدية .

وفى الفصل الثالث عشر تكلمت عن غزو الأقاليم السودانية غزوا علمياً من ضباط وجنود هيئة أركان حرب الجيش المصرى . إذ تبع حركة التوسع فى السودان ، حركة كشوف جغرافية واسعة النطاق ، امتدت من شمال الوادى إلى جنوبه . وأشرف على هذه الحركة هيئة أركان حرب الجيش . وذكرت البعوث الكشفية المختلفة ، وغرض كل بعثة ، وخط سيرها وما قامت به من أعمال مع رسم صور من الخرائط التى قام بوضعها رجال الهيئة. وأبرزت بصفة خاصة ما قام به الضباط المصريون من أعمال جليلة ،

وما خلفوه من آثار . وقد اعتمدت كثيراً على ما نشرته هيئة أركان حرب في ذلك الوقت من نشرات عن تلك البعوث .

وانتقل إلى الفصل الرابع عشر وهو الخاص بالأزمة المالية وأثرها في الجيش المصرى . وهنا تبرز للقارىء صفحة قاتمة من صفحات الجيش المصرى . فالمراقبة الثنائية على مالية البلاد جعلت كل همها الإستيلاء على الجزء الأكبر من الميزانية لمصلحة الدائنين ، ولم تترك إلا جزءا ضئيلا لمرافق البلاد العامة ، ومنها الجيش . فكان من أثر هذه السياسة أن تأخرت مرتبات الضباط والجنود ما يقرب من ثلاث سنوات . فساءت حالتهم ، وانحطت روحهم المعنوية . ولم يقتصر الخطب على المرتبات فحسب ، بل شمل تعيينات (غذاء) الجنود ، وملابسهم وأسلحتهم . وأخيراً اضطرت نظارة نوبار (باشا) إلى الاستغناء عن عدد كبير من الضباط دون أن تصرف لهم متأخر استحقاقهم. فثار هؤلاء الضباط ثورتهم المعروفة ضد الوزارة ، ولم ينجل الموقف إلا بعد حضور الخديو اسماعيل . ثم يعقب ذلك تدخل الدول الأوربية لدى الباب العالى لعزل اسماعيل ونجاحها في هذا المسعى ، وتولية الخديو توفيق ، وتحديد عدد قوات الجيش المصرى بثمانية عشر ألف جندى في أوقات السلم . أى الرجوع مرة ثانية إلى أحكام فرمان سنة ١٨٤١ فيما يتعلق بتحديد قوة الجيش . وبذلك تذهب جميع الجهود التى بذلت فى سبيل ترقية الجيش ورفع شأنه ، أدراج الرياح .

وفى ختام الكتاب بينت حالة الجيش المصرى عند قيام الثورة العرابية ، ومدى قوته العسكرية ، ودوره فى قيام الثورة ، وكيف انتزع زمام المبادرة من العناصر الرجعية التى كانت تريد أن توجه الثورة إلى غير وجهتها

الصحيحة . ووضحت كيف تم الصدام بين الجيش المصرى والقوات الانجليزية ، وكيف صفيت الثورة ، وحوكم زعماؤها ، وسرحت قوات الجيش المصرى ، وأصبحت مصر تحت رحمة قوات الاحتلال .

وبعد هذا العرض الشامل للجوانب المختلفة للجيش فى القرن التاسع عشر ، ولاسيما النصف الثانى منه ، أرجو أن أكون قد وفقت فى إبراز الصورة الحقيقية التى كان عليها ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

مقدمة

نشأة الجيش المصرى الحديث

نشأة الجيش المصرى الحديث

استبد بكوات المماليك بأمور مصر فى العصر العثمانى ، فخضعت البلاد لسيطرتهم العسكرية ، وأخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عنها وحمايتها من أى إعتداء خارجى . واستمر الحال على هذا النحو إلى مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر فى سنة ١٧٩٨ . فقاومها الأهالى والمماليك مقاومة شديدة ، ولكنها استطاعت التغلب عليهم بعد معارك عنيفة . فاعتصم بعض المماليك بالصعيد ، يناوئون الفرنسيين طوال مدة إقامتهم بمصر إلى خروجهم منها فى سنة ١٨٠١ . فظهرت قوة المماليك من جديد بجانب الحامية العثمانية . وحينما استتب لمحمد على الأمر فى ولاية مصر سنة ١٨٠٥ ، وجد أن قوة مصر الحربية تتكون من شرذمة من الرجال جمعوا من أماكن متفرقة ، لا تربطهم بمصر صلة ، فهم مزيج من الترك والألبانيين والمغاربة والدلاة ، ولم يكن لدى هؤلاء الجنود وطنية أو مثل عليا يعتزون بها ، بل كان يجمعهم حب السلب واقتسام الغنائم ، أكثر مما تجمعهم راية واحدة.

فلم يكن لمصر إذاً فى ذلك الوقت جيش بالمعنى الصحيح . ورغم ما أحرزه هؤلاء الجنود من انتصارات ، فلم يكن محمد على راضياً عنهم لأنهم كانوا كثيرى التمرد والعصيان . فحدث أن تأخر محمد على مرة فى صرف مرتباتهم. فما كان منهم إلا أن اصطفوا أمام قصره وأطلقوا النار عليه ، فأمر محمد على حاميته ، ألا تقابل عملهم هذا بالمثل ، وحذى حذوهم

الدلاة ، وساد الرعب والهرج والمرج أنحاء القاهرة مدة ثمانية أيام . ولم يستتب الأمن إلا بعد أن دفع محمد على رواتبهم المتأخرة .

ولذلك وطد محمد على العزم على التخلص من هؤلاء الجنود وتكوين جيش آخر من السود على النظام الأوربى الحديث . وكانت الحرب الوهابية التى استمرت من سنة ١٨١١ إلى ١٨١٩ فرصة نادرة انتهزها محمد على للقضاء على هذه العناصر المشاغبة ، فسيرها إلى الحجاز ، حيث قضى على معظمها فى صحراء بلاد العرب .

واتجه محمد على إلى الفرنسيين للاستعانة بهم فى تزويده بالضباط اللازمين لتدريب جيشه الجديد . فوفد إلى مصر ضباط عديدون ، أقدرهم وأعظمهم شأنا الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى فيما بعد) الذى يعتبر بحق مؤسس جيش مصر الحديث .

وقد خشى والى مصر من إثارة شكوك تركيا ، فبعث بالجنرال سيف إلى أسوان ، وزوده بألف من مماليكه ليتولى تدريبهم هناك على النظم الحربية الحديثة بعيداً عن أعين البـاب العالى ورجاله . وقد خضع هؤلاء للنظام الجديد لأنهم كانوا ملكاً خاصاً لمحمد على . ولكنه عندما حاول تطبيقه على المماليك الآخرين ثاروا ضده ، ولم يستقر لهم حال إلا بعد أن وعدهم محمد على بعدم التعرض لنظمهم الحربية التى نشأوا عليها . ومن ثم فكر والى مصر فى استخدام الجنود السود فى الجيش ، وكانت هذه الفكرة من الدوافع الأساسية لفتح السودان . ونتيجة لحركة التوسع فى السودان ، أن تدفقت أعداد كبيرة من الزنوج على اسوان فى جماعات ضخمة ، حيث أقيمت لهم المعسكرات ، واتخذت

الطبية اللازمة لوقايتهم . ولكنهم رغم ذلك قد خيبوا الآمال التى عقدها عليهم ، فمع كونهم على جانب عظيم من الشجاعة والاستعداد لتقبل النظام الجديد ، وخضوعهم التام للنظام والتدريب العسكرى ، فان طبيعتهم لم تستطع مقاومة المرض مهما كان تافها . ولهذا كانوا يموتون بالعشرات ولم تحل جميع الاحتياطات التى اتخذها والى مصر دون وقوعهم فى براثن المرض وموتهم فى النهاية . فاضطر أمام هذه النتيجة السيئة إلى الإلتجاء لتجنيد الفلاحين المصريين فى الجيش . ولقد صادفته عقبات جمة فى سبيل تحقيق هذا الغرض ، منها أن المصريين لم يستخدموا للدفاع عن أراضيهم منذ عهد الفراعنة ، ولهذا لجأ البعض إلى تشويه أجسادهم هربا من الخدمة . فاضطر محمد على إلى قبول المشوهين بالجيش وإسناد أعمال الحفر ، ومد الخطوط الحديدية اليهم ليكونوا عبرة لغيرهم . ولشدة كراهية الفلاحين للجندية كانت تلجأ الحكومة إلى أخذهم بالقوة مكبلين بالحديد ، ولهذا كثرت حوادث الفرار من الجندية فى السنوات الأولى من استخدامهم فى الجيش . وقد سلك والى مصر مختلف الطرق لترغيب الفلاحين فى الجندية عن طريق الوعاظ ورجال الدين والمرتبات .

وقد وجد الجنرال سيف فى بادىء الأمر صعوبات جمة أقامها هؤلاء المماليك فى وجهه ، لأنهم جبلوا على عدم الخضوع لنظم عسكرية دقيقة . فحاولوا اغتياله ، ولولا شجاعته ومقدرته ، وحسن سياسته ، لما نجح فى مهمته ، حتى أنه أضطر إلى اعتناق الأسلام تسهيلا لهذه المهمة . ونظرا لشدة الحرارة بأسوان وبعدها عن العاصمة ، وصعوبة المواصلات بينها وبين القاهرة ، وتعرض معظم الجنود للمرض ، أن نقلت المدرسة الحربية إلى اسنا ، واستمرت

بها بعض الوقت ، ثم نقلت مرة ثانية إلى إخميم ومنها إلى الدخيلة بجوار أسيوط ، ثم استقرت فى الخانقاة قرب القاهرة .

وفى سنتى ١٨٢١ — ١٨٢٢ أنشأ محمد على ديوان الجهادية للنظر فى أمور الجيش والإشراف على تدريبه وتزويده بالأسلحة والمهات وبناء الثكنات العسكرية .

كما استعان والى مصر بالبعثة الفرنسية برياسة البارون بوابيه Boyer لتنظيم الجيش المصرى على النمط الفرنسى . ومعظم رجال البعثة كانوا ممن خدموا تحت إمرة نابليون . كما استخدم بعثة عسكرية بولندية من ضباط الجيش البولندى بعد استيلاء روسيا على بولندا بمقتضى قرارات مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ فى تنظيم الجيش وتدريبه .

انشاء المدارس الحربية

أنشأ والى مصر فى قرية جهاد أباد (قرب القاهرة) فى سنة ١٨٢٥ مدرسة أركان حرب ، وقام بتأسيسها الضابط الفرنسى بلانا Planat ثم انشئت مدرسة البيادة فى سبتمبر سنة ١٨٣٢ لتخريج ضباط لفرق المشاة . وتأسست مدرسة السوارى فى أبريل سنة ١٨٣١ لتخريج ضباط لسلاح الفرسان . ومدرسة الطوبجية (المدفعية) بطرة فى سنة ١٨٣١ لإعداد ضباط مدفعيين . كما انشئت فى سنة ١٨٢٧ مدرسة للموسيقى العسكرية لامداد آلايات (لواءات) الجيش بالفرق الموسيقية .

البعثات العسكرية

واهتم والى مصر بايفاد البعوث العسكرية إلى مختلف الأقطار الأوربية

مثل الدويلات الايطالية ودول فرنسا والنمسا وانجلترا ، ليتلقى هؤلاء المبعوثون مختلف الفنون العسكرية ، ليحلوا محل الضباط الأجانب بعد عودتهم إلى مصر حيث يقومون بتدريب بنى وطنهم على ما أكتسبوه من علم ومعرفة . وقد بلغ عدد مبعوثى البعثات العلمية المختلفة التى ارسلت إلى الدول الأوربية ٣٣٩ تليمذا فى الفترة ما بين ١٨١٣ وسنة ١٨٤٨ . ومعظم هؤلاء ارسلوا للتخصص فى الفنون الحربية والعلوم التى لها صلة بالجيش .

عدد قوات الجيش

أراد الوالى أن يكون لمصر جيش كبير يعتمد عليه فى تحقيق أطماعه الواسعة ، ولهذا لم يدخر وسعا فى زيادته زيادة كبيرة . وقد ذكر دوهاميل Duhamel قنصل روسيا العام بمصر(من يناير ١٨٣٤ إلى نوفمبر ١٨٣٧) بأن عدد قوات الجيش المصرى فى سنة ١٨٣٧ كانت تتكون من « ثلاثة آلايات (لواءات) من المشاة — منها آلايان كاملان من السود أرسلا من سنار إلى اليمن عن طريق مصوع ، كما يتألف من آلايين من فرسان الحرس ، وأربعة عشر آلايا من الفرسان المقاتلة ، وآلايين من المدفعية المشاة ، ومثلها من المدفعية الراكبة ، وأروطتين (كتيبتين) من المهندسين ، وعدد كبير من البلطجية (حملة البلط) يظلون فى المدن للقيام بشئون الحراسة»(١) وبلغت عدد قوات الأسلحة الثلاثة ما يلى :

---

(١) تقرير دوهاميل المترجم فى كتاب بناء دولة مصر محمد على لمحمد فؤاد شكرى وآخرين ص ٣٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤١ .

المشاة	٢٩ آلايا	٩٢ر٨٠٠	رجل
الفرسان	١٦ «	١٣ر٤٤٠	«
المدفعية	٣٦ «	٦ر٩١٢	«
المهندسون	(اورطتان)	١ر٦٠٠	«
	المجموع	١١٤ر٧٥٢	«

وقدر المستر جون بورنج John Bowering مبعوث انجلترا إلى مصر عدد قوات الجيش فيما بين سنة ١٨٣٧ و ١٨٣٨ بحوالى ١٢٧ر١٥٠ رجلا (١) وقد نشرت مجلة (٢) Revue Britannique مقالا عن قوات الجيش المصرى فى عصر محمد على . واعتمدت المجلة على الوثائق الرسمية فى إحصاء عدد جنود الجيش ، جاء به ما يلى :

قوات المشاة : وتتكون من :

١٠٨ر٠٠٠	رجل	٣٤ آلايا (اواء)
٣ر٤٠٠	«	أركان حرب (بمعدل ١٠٠ رجل لكل الآى مشاة)
٢٠٠	«	قائد الجيش (ابراهيم باشا) ومعاونيه
١١١ر٦٠٠	«	مجموع قوات المشاة

(١) تقرير بورنج الذى رفعه إلى حكومته فى مارس سنة ١٨٣٩ عن مصر وكريت ص ٤٧٦ معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على لفؤاد شكرى وآخرين .

(٢) هذه المقالة مستخرجة من عدد المجلة المذكورة . ومسجلة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٠٠ . ولم يذكر فى هذا المستخرج رقم العدد الذى نشر فيه ولا سنة الطبع . كما لم تشر المجلة فيــه إلى سنة الاحصاء .

قوات الفرسان : وتشتمل على :

١٢٫٩٠٠	رجل	١٥ آلايا (ويتألف كل الآى من ٨٦٠ رجلا)
٢٨٠	رجل	بلوكين (ضابط القيادة)
١٣٫١٨٠	رجل	تقريبا
١٢٤٫٧٨٠		(مجموع قوات المشاة والفرسان)

قوات المدفعية : وتتألف من :

		عدد	
٢٥٫٨٩٠	رجل	٦	آلايات مشاة (مدفعية مشاة)
		٢	آلاى مدفعية فرسان
		٣	أورط (كتيبة) حرس
		١٨	بطارية
		٤	أورط (كتيبة) محاربين قدامى
		٩	أورط « لسلاح خدمة الجيش
			أورطه « بلطجية
		٢	بلوك (فرقة) بلطجية
٥٠٠٠	رجل		من البدو
١٠٠٠	رجل		من الالبانيين
١٥٠٠	رجل		من المغاربة
١٥٨٫٩٧٠	رجل		المجموع الكلى لقوات الأسلحة الثلاثة

المرتبات

أما من حيث المرتبات فكان يصرف للعسكرى النفر مبلغ ١٥ قرشا شهريا . ثم تتدرج المرتبات فى الزيادة إلى أن تصل إلى ٢٥٠ كيسة فى السنة لمرتب المير لواء (١) .

ملابس الجيش

وكان زى الجنود وسطا بين الزى الشرقى والزى الأوربى ، ويتكون من سترة تحتها صديرى وسروال فضفاض مشدود إلى ما تحت الركبتين (٢) .

حروبه

خاض جيش مصر فى عهد محمد على معارك كبيرة ، فحارب الوهابيين من سنة ١٨١١ — ١٨١٩ وتغلب عليهم . ثم وجه والى مصر اهتمامه إلى السودان ، فأرسل ابنه اسماعيل على رأس قوة حربية فى سنة ١٨٢٠ لفتح تلك البلاد ، فتمكن بمساعدة صهره الدفتردار (بك) من فتح الأراضى السودانية وإلحاقها بمصر . ثم ظهرت قوة مصر الحربية مرة أخرى فى حرب المورة سنة ١٨٢٤ حيث استعان السلطان بمحمد على فى إخضاع ثوار شبه الجزيرة بعد أن فشلت أربع حملات تركية فى إخضاعهم . وتمكنت الحملة من النزول إلى شواطىء اليونان والاستيلاء على مدنها الرئيسية مثل تريبولتزا وبتراس ومسولونجى وأثينا .... ولم يعق تقدم القوات المصرية سوى تدخل الدول الأوربية لوضع تسوية للنزاع القائم بعد موقعة نوارين . وبذلك جلت القوات المصرية عن اليونان فى أكتوبر سنة ١٨٢٨ .

---

(١) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٧

(٢) المصدر السابق .

ثم ساءت العلاقات بعد ذلك بين محمد على والباب العالى لتولى خورشيد (باشا) عدو محمد على اللدود مقاليد السياسة فى تركيا ، ولعدم مكافأة محمد على مكافأة طيبة نظير مساعداته الحربية للسلطان ، فاضطر محمد على إلى الزحف على الشام فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨١٣ بجيش كبير يتراوح عدده بين ٣٠ و ٤٠ ألف جندى تحت قيادة ابنه ابراهيم (باشا) . فاستولى على غزة ويافا وعكا ، ثم تقدم إلى دمشق فاستولى عليها ، وهزم الجيش التركى فى موقعة بيلان فى ٢٩ يوليه سنة ١٨٣٢ . ثم فى موقعة قونيه فى ٢١ ديسمبر حيث قضى على الجيش العثمانى . وعقدت معاهدة كوتاهية فى مايو ١٨٣٢ ، فمنح محمد على ولاية مصر والشام ، وعين ابنه ابراهيم باشا واليا على ادنه . ولم يكن صلح كوتاهية إلا هدنة لاستئناف القتال من جديد . فهزم الجيش العثمانى أمام محمد على فى موقعة نصيبين فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ .

وعندئذ تدخلت الدول الأوربية لفض النزاع بين مصر والباب العالى خشية تدخل روسيا فى أمور تركيا ، خصوصا بعد أن عقدت معها معاهدة أنكيار اسكلسى فى ٨ يوليه سنة ١٨٣٣ . فأرسلت كل من بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا وفرنسا مذكرة مشتركة إلى الباب العالى فى ٢٧ يوليه سنه ١٨٣٩ تنص على أن أى اتفاق بين محمد على وبينه مباشرة دون علم الدول الموقعة على المذكرة يعد لاغيا . ثم تعارضت السياستين الفرنسية والانجليزية بشأن الممتلكات التى تمنح لمحمد على ، وأدى هذا التعارض إلى اتفاق الدول الأربع الأخرى وهى النمسا وبروسيا والروسيا وانجلترا دون إشراك فرنسا فى معاهدة لنــدن ١٥ يولية ١٨٤٠ . ثم تلا ذلك تدخل الدول الموقعة على المعاهدة بالقوة لإجلاء جيش مصر عن الشام . فاضطر محمد

على نتيجة للهزائم التى منيت بها جيوشه إلى سحبها . وحينئذ توسطت هذه الدول لدى الباب العالى لفض النزاع ، فأصدر إلى محمد على فرمانين أحدهما فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ، والثانى فى غرة يونيه من نفس السنة . وقد وضع هذان الفرمانان الأساس الذى قامت عليه العلاقة التركية المصرية .

وينص فرمان يونيه سنة ١٨٤١ فيما يختص بالجيش المصرى على ما يلى :

« حيث أن ثمانية عشر ألفا من الرجال يكفون لإدارة ولاية مصر الداخلية ، فلا يسوغ أن تتعدوا هذا المقدار من العساكر بأى سبب كان . ولكن لما كانت قوات مصر البرية والبحرية معدة بنوع خاص لخدمة الباب العالى ، فلا بأس من ازدياد هذا العدد فى أوقات أخرى بما تراه حكومتنا مناسبا ، وبمقتضى أحكام احدى النظامات الجارى العمل بموجبه تستخدم العساكر المجموعة جديدا فى سائر ممالكنا المحروسة خمس سنوات . فاذا مضت يستبدلون بسواهم . بناء على ذلك صار من اللازم أن يتبع نفس هذا النظام فى ولاية مصر ، مع مراعاة عوايد المصريين فيما كان متعلقاً بمدة الخدمة العسكرية ، واستعمال قصارى العدل فى معاملة الجنود . ومن الواجب أن ترسل ولاية مصر ٤٠٠ رجل سنويا إلى الآستانة ، على أنه يقتضى أن لا يكون فرق بين النشانات والرايات المستعملة فى جندية مصر وبين ما تستعمله عساكرنا فى سائر الممالك العثمانية . وأن يلبس ضابطان (ضباط) البحرية المصرية نفس العلامات التى يلبسها ضابطان البحرية الأتراك ، وأن تكون رايات السفن المصرية مماثلة لنفس السفن التركية . ومن ثم لوالى مصر أن يرقى ضباطه البرية والبحرية حتى رتبة اميرالاى (عميد) . أما الترقى لما فوق هذه الرتبة كرتبة الميرلواء والفريق فمن اللازم ضرورة أن تطلبوا رضانا الملوكى ، وتحصلوا على

أوامرنا الشاهانيه بشأنه . وليس لولاة مصر فى المستقبل أن ينشئوا ولا سفينة واحدة قبل حصولهم على رضاء الباب العالى ، وعلى رخصة صريحة منه فى ذلك . وهذه الشروط جميعها مرتبطة كل الأرتباط بالامتياز الوراثى . فاذا لم ينفذ منها شرط واحد يبطل حينئذ الامتياز الوراثى المذكور ويزول للحال (١) ... »

قيد هذا الفرمان خلفاء محمد على بقيود ثقيلة فلم يستطع كل من عباس وسعيد التخلص من هذه القيود ، رغم ما بذلاه من جهود ضخمة فى هذا السبيل ، إلى أن ولى اسماعيل الحكم فأخذ فى تحطيم هذه القيود قيدا قيدا كما سنرى فى الفصول القادمة .

ويمكننا القول أنه رغم الانتصارات التى أحرزها جيش مصر فى عصر محمد على ، يذكر القنصل الانجليزى العام بمصر وقتئذ المستر باتريك كامبل Patrick Campbell فى رسالة (٢) بعث بها إلى اللورد بلمرستون فى ٦ يونية سنة ١٨٤٠ حيث يقول « ومع أن الجيش المصرى ليس فى مركز يمكنه من أن يوازن بينه وبين الجيوش الأوربية التى نظمت تنظيما راقيا إلا أنه يخيل إلى بأنه يفوق أى جيش آخر كونته حكومية شرقية . كما أنه فى حالة تجعله قادرا على أن يقهر أية قوة عسكرية يواجهه بها الباب العالى أو أية دولة اسلامية أخرى .» .

---

(١) قاموس الادارة والقضاء ص ٦٧٥ .

(٢) تقرير المستر باتريك كامبل معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٦٧٠ .

من هذا القول نستدل على أن تجربة استخدام المصريين فى الجيش المصرى فى العصر الحديث قد أثبتت نجاحها ، وقضت على الادعاء الذى ظل يردده الكثيرون بأن المصرى لا يصلح للجندية . وبأن بعده عن الجيش مئات السنين جعلته مرتبطا بأرضه وبحقله، لا يود مفارقته أو الابتعاد عنه . ومن ثم فهو غير صالح لأعمال الحرب . وإذا كانت قوة الجيش المصرى قد أصبحت — حسب تقدير — قنصل انجلترا الجنرال بمصر قادرة على قهر أى عدوان يقع عليها من الدولة العثمانية أو أية دولة اسلامية ، وذلك بعد سنوات قليلة من التدريب والإعداد ، فان دل ذلك على شىء فانما يدل على قدرة الفلاح المصرى الذى كان عماد الجيش فى ذلك الوقت واستعداده لأن يكون جنديا ممتازا إذا ما اتيحت له الظروف لتلقى تدريبا عسكريا راقيا (١) .

---

(١) وخير مثل على ذلك ما وصل اليه الجيش المصرى من قوة ومنعة فى عهد الثورة ، وذلك بفضل الجهود الصادقة التى يبذلها المسئولون عنه للارتفاع بمستواه عسكرياً وثقافياً قومياً .

الفصــل الأول

علاقات مصر بالباب العالى والخطوات التى اتبعتها
فى سبيل استقلالها واطلاق يدها فى الجيش

علاقة مصر بالباب العالى والخطوات
التى اتبعتها فى سبيل استقلالها واطلاق
يدها فى الجيش

لتتبع الخطوات التى مرت بالعلاقة بين الخديو اسماعيل والباب العالى ، لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلا لمعرفة مابذله كل من عباس وسعيد من جهود فى هذا السبيل . فبالنسبة لعباس فقد ورث حكم مصر طبقا لنصوص فرمان يونيه سنة ١٨٤١ وما اشتمل عليه من قيود ، اهمها ما يتعلق بالجيش وتحديد عدده بثمانية عشر ألف جندى فى أوقات السلم . على أن يزاد هذا العدد فى أوقات الحرب طبقاً لما يراه الباب العالى . كذلك حدد الفرمان مدة الخدمة بخمس سنوات ، على أن ترسل مصر أربعمائة جندى سنويا إلى الاستانة على سبيل العون العسكرى ، وكذلك نص الفرمان على وجوب مطابقة زى الضباط والجنود ونياشينهم ورايات السفن لما هو مستعمل بالدولة العثمانية . ومنح الوالى حق الترقية إلى رتبة أميرالاى (عميد) وأما ما فوقها من الرتب فلا بد من أخذ موافقة الباب العالى عليها . كما حظر الفرمان على الوالى بناء سفن حربية من أى نوع . وجعل حق الوراثة مرهون بتنفيذ تلك الشروط .

فعباس الأول كان إذاً مقيدا بهذه الشروط التى وردت بالفرمان المذكور ، ولم يكن فى استطاعته خرق هذه النصوص ، لأن وراثة حكم مصر كانت مرهونة بضمان تنفيذ تلك النصوص . وفى نفس الوقت نجد أن الباب العالى كان يعمل جاهدا على الانتقاص من حقوق وامتيازات عباس التى حددها الفرمان السابق ، فاستغل الشرط الوارد بفرمان سنة ١٨٤١ الذى

يحتم على والى مصر قبول جميع المعاهدات والاتفاقيات التى يعقدها السلطان مع الدول الأوربية ، وتنفيذ القوانين والتنظيمات السائدة فى الدولة العثمانية وممتلكاتها فى إرغام الوالى على قبول « التنظيمات الخيرية العثمانية » وتطبيقها فى مصر . فقبول هذا الطلب معناه تخلى مصر عن مركزها الممتاز الذى كفلته لها الفرمانات ، واعتبارها مجرد ولاية عثمانية تتبع تركيا فى أنظمتها وقوانينها . ولكن والى مصر لم يرضخ لطلب الباب العالى الذى كانت تؤيده فرنسا ، ورأى بعد تجربة محمد على الفاشلة فى الاعتماد على تأييد فرنسا فى صراعه مع السلطان أن مصلحته تحتم عليه الانضمام إلى جانب انجلترا . وقد رحبت انجلترا بهذه الخطوة ، وكانت على استعداد لتأييد عباس للاحتفاظ بكامل حقوقه وامتيازاته فى مقابل تدعيم نفوذها فى مصر على حساب النفوذ الفرنسى . وبفضل تأييدها له ، تمكن عباس من الخروج من هذا الصراع محتفظا بحقوقه من الناحية النظرية ، بينما بإتاحته لانجلترا فرصة التدخل فى شئون مصر قد قضى من الناحية الفعلية على سلطانه ، ومهد السبيل لمزيد من التدخل مما سيكون له أوخم العواقب .

وفى نفس الوقت كان أقارب عباس بالاستانة يوقعون بينه وبين الباب العالى لإبعادة عن الحكم ، وقد شغلت تلك المشاكل وقت عباس .

فكان عباس إذاً يعيش فى خوف دائم من السلطان ومن أعدائه ، فلا عجب إذا ما احتفظ بقوة حربية كبيرة تبلغ ٨٠٫٠٠٠ جندى نظامى و ٢٠٫٠٠٠ من جنود الباشبوزق (١) . أى أن قوته الحربية بلغت فى وقت معين ما يقرب من المائة ألف جندى (٢) . وهذا العدد يخالف بطبيعة الحال — ماهو

1. Malortie, Native Rulers & Foreign Interference P.

2. Leon; The Khedive's Egypt. P. 374.

منصوص عليه فى فرمان يونيه سنة ١٨٤١ .

وقد دفعه خوفه هذا إلى العناية الفائقة بتحصين السواحل المصرية ، فأمر « بترميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارسمه رئيس هندسة الاستحكامات جليس بك ... وأضاف اليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن ذلك قلعة مقابر اليهود ، وقلعة أبى قير ، وقلعة العجمى . ولم يزل ملتفتا إلى الاستحكامات والقلاع والحصون ، عازما على إتمامها ، فكان يلحق بها ما يلزم من الورش ، والبطاريات الطوبجية ، وقشلاقات العساكر الحافظين ، والاسبتاليات وغير ذلك ، حتى انتظم أكثر القلاع التى كان جده وعمه مهتمين بها ، وبنيت ورشة للطوبجية فى وسط المدينة (الاسكندرية) فى شرقى المحل المعروف بكوم الناضورة .. مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحداده والبرادة والسبك وغير ذلك »(١) .

كذلك اهتم اهتماما بالغا بالدفاع عن الاسكندرية فى حالة مهاجمتها « فكشف سواحل البحر الأحمر من الاسكندرية إلى العريش ومنها إلى مطروح ، وكشف بحيرة مريوط إلى حدود المزارع من مديرية البحيرة إلى حدود الأرض المرتفعة من جهة وادى النطرون وسيوه وجميع الجزائر التى بالبحيرة . وعمل الكل ذلك رسوم وظهرت الآبار والسواقى القديمة المكشوفة وغيرها ... والطرق التى كانت تصل إلى الاسكندرية من كل جهة . واهتم أيضا بكشف الصهاريج التى بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل عليه وقدر ما تسعه من الماء »(٢) . وذلك لمعرفة مدى ما تحتمله المدينة من حصار . كما

(١) على مبارك باشا . الخطط التوفيقية ج ٧ ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) البحر المتوسط [الأبيض] [illegible]

أصدر أمره فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠ « بانشاء ثمانية أبراج و٢٧ متراسا بين أدكو وبوغاز رشيد ... بشرط ألايتجاوز عدد الشغالة اليومى ثلاث آلاف » (١) .

وانقضت مدة حكم عباس دون أن يحدث تغيير ما فى نصوص فرمان سنة ١٨٤١ ، وبخاصة ما يتعلق منها بالجيش . ومع أن عباس احتفظ بعدد من الجنود أكبر مما نص عليه الفرمان المذكور ، إلا أن هذا الإجراء لم يكن خروجا على الباب العالى ونصوص الفرمان . بل إن عباس قد استغل حالة الحرب القائمة بين الباب العالى وروسيا فى الاحتفاظ بهذا العدد الكبير . ويرجع السبب فى عدم حدوث تغيير فى نصوص فرمان يونيه سنة ١٨٤١ إلى أن عباسا « لم يكن يرضى وجهة جده الغربية ، ولا نزعته الاستقلالية الامبراطورية » (٢) .

ثانيا أن عباس اعتقد « أنه يستطيع أن يحقق أغراضه بمساعدة انجلترا وحدها ، دون أن يحسب للباب العالى أى حساب . ولهذا لم ينجح فى تحقيقها (٣) .

---

(١) مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس (باشا) الأول . جمعها الأمير السابق محمد على . (إدارة إلى الكتخدا فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠) .

(٢) اسماعيل (باشا) بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الأستاذ الدكتور محمد مصطفى صفوت « موقف مصر السياسى » ص ٩٢ .

3. Sammarco, Le Règne du Khedive Ismail T. III p. 129.

علاقة سعيد بالباب العالي (فيما يتعلق بالجيش)

واجهت سعيد عند ولايته لمصر مشاكل متعددة نشأت فى الفترة السابقة لحكمه ، لا سيما ما يتعلق منها بالضرائب ، ومقاومة الرق ، وإعادة تقسيم النظام الادارى بالسودان ، والغاء الاحتكار .... وقد حاول سعيد أن يظهر اهتمامه بالجيش ، ولكنه كان اهتماماً سطحياً لم يمس جوهر النظام ، وإنما اقتصر على تغيير ملابس الجيش بأخرى روعى فيها الترف والإسراف أكثر مما روعى فيها ملاءمتها لظروف مصر وطبيعة مناخها .

فنجده يشترى ٢٠,٠٠٠ سترة عسكرية بأزرار من الفضة الكبيرة الحجم حتى ستر الأنفار (١) . وغير لباس العساكر الأستانبولى أو الفرانك Frank الذى اختاره عباس بلباس شرقى . فألبس المشاة سراويل منتفخة وفوقها جاكتات بيضاء بأزرار معدنية ، كما ألبس عادة بلوكات من السوارى لباساً غير مألوف . كذلك كان للأورطة السودانية ملابس خاصة ، فكان يرتدى الجندى السودانى سترة من الزرد تكسو جسده من رأسه إلى قدميه — مثل الصليبيين الأوائل — وكانت لهم لحى سوداء ونظرات مخيفة وعيون شديدة البياض غير مستقرة . وكانوا مسلحين تسليحاً (٢) كاملا . فهذه النفقات الباهظة التى صرفت على الملابس أربكت مالية البلاد حتى اضطر فى أواخر أيامه إلى الاستدانة . وما ذلك إلا لإرضاء غروره وحبه للابهة والعظمة . والتعديل الوحيد الذى أدخل على نظام الجيش هو تقصير مدة الخدمة إلى سنة ، وجعلها اجبارية .

(١) Abdin Amr. Vol. 3 despt. No. 28 in June, 27, 1863.

(٢) Edwine de Leon; Khedive's Egypt P. 69.

وبلغ عدد الجنود فى أوائل حكمه ٣٥,٧٤٢ رجلا . وفى سنة ١٢٧٧ هـ (٦٠–١٨٦١) بلغ عددهم ٦٤,٠٠٠ رجل . ولكن سعيد لم يكن يستقر عند رأى معين « فهو دائب التغير ففى يوم نجد عدد الجنود ٥٠,٠٠٠ ، وفى يوم آخر ربما نجد نصف هذا العدد فقط . وكان يتبع فى ذلك وحى ساعته »(١) . وفى أواخر أيامه انخفض عدد الجيش المصرى إلى ٣,٠٠٠ جندى وقت السلم و ١٥,٠٠٠ جندى وقت الحرب . فحاكم هذه صفاته لا يستطيع أن يعتنق سياسة معينة يسير عليها لتحقيق أغراضه .

وفى عهد سعيد يتفوق النفوذ الفرنسى على النفوذ الانجليزى فى مصر بحكم ميله إلى فرنسا ، وصداقته لبعض الشخصيات الفرنسية ، فمنح فرنسا امتياز القناة بشروط مجحفة بمصر ، إذ اعتقد أن بمساعدة فرنسا وحدها يستطيع تحقيق مآربه دون أن يجعل للباب العالى فى تقديره أى حساب . وفى نفس الوقت كانت انجلترا تسعى لدى السلطان محاولة إساءة العلاقات بينه وبين سعيد لميوله الفرنسية .

ويذكر الأستاذ محمد شفيق غربال بهذا الخصوص قوله : « بأن خلفاء محمد على لم يكونوا مطلقى اليد ليختطوا لهم فى حكم مصر وسياستها خطة جديدة ، ولكنهم كانوا مقيدين — سواء أشعروا بذلك أم لم يشعروا به . وسواء رغبوا فى ذلك أم لم يرغبوا فيه — بالتسوية التى انتهى اليها محمد على فى

(١) Malortie : Native Rulers & Forcign Interference P. 96

(٢) Mc. Coan : Egypt as it is. p. 99

تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية وتوضيح صلاتها بأمم الغرب » (١) . ولكنى أضيف إلى ذلك أن هؤلاء الولاة كانوا يعلمون علم اليقين أن بقاءهم فى حكم مصر مرهون أولا وقبل كل شىء برضاء الدول الأوروبية عليهم ، لا سيما انجلترا وفرنسا . وأن هذه الدول قد حفظت لهم حكم مصر ، وكان فى مقدورها — لو أرادت — بعد هزيمة قوات محمد على فى الشام أمام القوات الانجليزية فى سنة ١٨٤٠ أن تعزل محمد على من ولاية مصر وأن تعيدها لحكم الباب العالى المباشر .

علاقة اسماعيل بالباب العالى (فيما يختص بالجيش)

لم تكن المهمة التى ألقيت على عاتق الخديو اسماعيل عندما ولى حكم مصر هينة ، فقد كانت البلاد فى أشد الحاجة إلى الاصلاح الداخلى من جهة والى تنظيم علاقتها بالباب العالى على أساس التخلص من قيود فرمان يونيه سنة ١٨٤١ من جهة أخرى . فوضع اسماعيل برنامجاً يتفق ونزعته الاستقلالية ويتلخص فى ثلاث نقط أساسية هى (٢) :

أولا — العمل على أن تساير مصر ركب الحضارة الأوروبية وذلك بتنمية مواردها الاقتصادية . وترقية مستوى السكان بها عن طريق نشر التعليم ، وإن كان اسماعيل قد اهتم بالمظاهر التى كلفت مصر أموالا طائلة ، والتى لا تحقق أى عائد تفيد منه البلاد . مما أربك مصر فى الديون .

---

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . شفيق غربال بك « نظام الحكم » ص ٢٨٨ .

(٢) Sammarco, Le Règne du Khedive Ismail. p. 28.

ثانياً — تخليص البلاد من قيود التبعية والسير بها خطوات واسعة لنيل استقلالها : وقد اعترض طريقه عقبات ثلاث هي : الامتيازات التي منحت لشركة قناة السويس ، وتبعية الباب العالى مع ما تنطوى عليه من قيود ، والامتيازات الأجنبية .

ثالثاً — جعل مصر القوة الحربية الأولى فى القارة الأفريقية . ويتوقف تحقيق هذه النقطة على تحقيق النقطتين السالفتين .

أما عن علاقته بالباب العالى وخاصة فيما يتعلق بالجيش ، فيمكننا القول بأنها مرت بأربع مراحل متميزة هى :

المرحلة الاولى

مرحلة العلاقات الودية مع الباب العالى ، وقد حصلت مصر فى خلالها على فرمانى ١٨٦٦ و ١٨٦٧ .

المرحلة الثانية

وتتميز بعلاقات متوترة فى خلال سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ .

المرحلة الثالثة

وهى المرحلة التى عادت فيها العلاقات الطيبة إلى مجراها الطبيعى مرة أخرى ، وحصل فيها الخديو على الفرمان الشامل سنة ١٨٧٣ .

المرحلة الرابعة

وفى خلالها لم يكن الخديو حراً فى علاقاته مع الباب العالى لأنها خضعت للتدخل والضغط الأوربى ، لا سيما من دولتى انجلترا

وفرنسا (١) وليس معنى ذلك أن المراحل السابقة قد خلت من تدخلهما ، بل كانت كلتا الدولتين « تتدخل من حين لآخر لدى الباب العالى للزيادة من حقوق مصر أو الانتقاص منها حسبما تسمح مصالحها»(٢) ولكن سياسة فرنسا وانجلترا حينئذ كانت ترمى إلى عدم تمكين مصر من الاستقلال استقلالاً تاماً عن تركيا . وفى نفس الوقت لا توافقان على خضوعها خضوعاً كلياً للسيادة العثمانية .

بدأ اسماعيل بتوجيه جهوده إلى تغيير نظام الوراثة الوارد بالفرمان المذكور ، وذلك بحصرها فى ذريته ، لأنه رأى أن استقلال مصر لا يكون مؤكداً إلا إذا قامت على حكمها أسرة تسير على النمط الأوربى (٣) . وكان يقاوم هذه الفكرة الخطيرة الأمير مصطفى فاضل أخوه من غير أمه ، والذى كان ولياً للعهد بحكم فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ، وعمه (الأمير) حليم الذى كان يطمع فى الولاية كذلك .

أراد والى مصر إذاً أن يكمل سياسة جده بعد سنة ١٨٤١ ، لكنه لم يعمد إلى طريق الحرب كوسيلة للوصول إلى أغراضه ، لأن التجربة القاسية التى مرت بمحمد على كانت لا تزال ماثلة أمامه . ولذا فضل أن يشترى — إن صح هذا التعبير — من الباب العالى الاستقلال الذى فشل

(١) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail T. 3 p. 128.

(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الدكتور صفوت «موقف مصر السياسى» ص ٩٣ .

(٣) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail. T. 3 p. 128.

محمد على فى الحصول عليه بقوة السلاح ، مستغلا حب السلطان للمال ، وسوء الحالة المالية فى الامبراطورية العثمانية ، واشتباك المصالح الأوربية وقتئذ.

بدأ والى مصر فى تنفيذ خطته بالسفر إلى الأستانة فى ١٩ فبراير سنة ١٨٦٣ لجس نبض الباب العالى ، فلم يجد الطريق أمامه ممهداً فرجع إلى مصر . ثم تبع ذلك زيارة السلطان عبد العزيز لمصر فى ٧ أبريل من نفس السنة ، تلك الزيارة التى أتاحت لاسماعيل فرصة التحدث مع السلطان مباشرة فيما يهم مصر والدولة العثمانية . وفى نفس الوقت استأجر الوالى عدداً غير قليل من الجرائد التركية مثل جريدة الحوادث ، وقد اشترك فى مائة نسخة (١)، وجريدة تركيا « La Turquie » ، وتشير إحدى الوثائق إلى صرف مبلغ ثلاثة آلاف فرنك إلى هذه الجريدة فى سنة ١٨٦٦ (٢). ومن هذه الجرائد أيضاً جريدة « ولد الجوائب » وعدد النسخ المشترك فيها خمس عشرة نسخة (٣)، وجرائد أخرى مثل «الجوائب» ، «والخبر» ، و«تصوير أفكار» ، و«أبنية الوطن» (٤)، وجريدة « فاردى بوسفور»(٥)، وجريدة « استانبول

---

(١) دفتر ٣٢ عابدين وثيقة رقم ١٦٦ فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦)

(٢) دفتر ٣٢ عابدين وثيقة رقم ٢٠٤ من الديوان الخديو إلى القبوكتخدا فى ١٦ شعبان سنة ١٢٨٣ (دنسمبر ١٨٦٦) .

(٣) دفتر ٣٢ عابدين وثيقة رقم ٣٠٤ من الديوان الخديو إلى القبوكتخدا فى ٨ رجب سنة ١٢٨٤ (نوفمبر ١٨٦٧) .

(٤) دفتر ٣٢ عابدين وثيقة رقم ٢٣٣ من الديوان الخديو إلى القبوكتخدا فى ٢٨ شوال سنة ١٢٨٣ .

(٥) دفتر ٣٢ عابدين وثيقة رقم ٥٥٦ من الديوان الخديو إلى رياض باشا بالاستانة فى ١٨ رمضان سنة ١٢٨٧ (أواخر سنة ١٨٧٠) .

المصورة» (١)، وجريدة «بصيرت»(٢)، وجريدة «كوريبه دوريان» (٣). وقد منح اسماعيل جميع هذه الجرائد مكافآت مالية سخية ، وذلك لما تقوم به من تهيئة الرأى العام التركى لقبول مطالبه . وفى بعض الأحيان كانت تقوم بنشر مقالات من وضع والى مصر نفسه للرد على الجرائد المعارضة (٤) التى يمدها بالمال كل من أخيه وعمه .

المساعدات الحربية للسلطان

كان اسماعيل ينتهز كل مناسبة لإظهار ولائه للسلطـــان العـثمانى لنيل أغراضه ، فعندما ذهب إلى الآستانة عقب توليه الحكم مباشرة لتسلم فرمان الولاية ، طلب منه السلطان ان يعزز جيوش الامبراطورية العثمانية فى الروملى بجنود من مصر ، وذلك للاضطرابات السائدة فى تلك المنطقة . فأسرع اسماعيل إلى اجابة طلبه « فأرسل فرقة مركبة من آلايين تحت قيادة اللواء المرحوم على غالب (باشا) .. وكان على الآلاى الأول حسين (بك) عاصم

---

(١) دفتر ٣٣ عابدين وثيقة رقم ٤٠٢ من الديوان الخديو إلى القبوكتخدا فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٥ .

(٢) دفتر ٥٢ عابدين وثيقة رقم (بدون) من الجناب الخديو إلى حسن راسم باشا بالاستانة فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ (١٨٧١)

(٣) دفتر ٥٢ عابدين وثيقة رقم ٢٧٥ من الديوان الخديو إلى القبوكتخدا فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .

(٤) دفتر ٣٢ وعابدين وثيقة رقم ٢٢٩ من الديوان الخديو إلى حسن راسم باشا فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٨٣ (مارس سنة ١٨٦٧) .

وعلى الثانى خورشيد (بك) عاكف(١). وعند وصولها الآستانة استعرضها السلطان ثم ارسلت إلى جهات مناستير .

كذلك عندما قام أمـــير عسير محمد بن عائض بشق عصا الطاعة على الباب العالى ، ارسل اسماعيل اليه كتاباً يحضه على طاعة ولى نعمته ، ويتوعده بارسال الجيوش المصرية لاخضاعه إذا لم يرجع عن غيه(٢) ، ثم ارسل إليه قوة عسكرية على رأسها الأمير الاى (العميد) صادق (بك) لارهابه (٣). فأذعن الأمير ودخل فى طاعة السلطان . وقد سر الباب العالى لموقف اسماعيل فأرسل اليه فى شعبان سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) خطا همايونيا ، يعرب له فيه عن رضائه التام عنه . (٤) .

وعندما شعرت الدولة العثمانية بأن قواتها المقيمة فى ولايات الدانوب لا تكفى للدفاع عنها وذلك لاشتداد حركة الثوار بجزيرة كريت والرغبة فى التخلص من السيادة العثمانية . طلب السلطان من اسماعيل أن يمده ببعض الفرق لاخماد الثورة . فوافق اسماعيل على ارسال نحو أربع عشرة (٥) اورطة

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٢) دفتر ٢٢ عابدين وثيقة رقم ٩٠ ص ٢٥ من الخديو الأعظم إلى محمد بن عائض أسير عسير فى ١٤ ربيع ثانى سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) .

(٣) دفتر ١٢ عابدين وثيقة رقم ٥٣٧ من الجناب العالى إلى الأمير الاى اسماعيل صادق بك قائد العساكر المصرية المرسلة إلى الحجاز فى ١٣ صفر سنة ١٢٨١ (١٨٦٤)

(٤) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٧٨ .

(٥) تقويم النيـــل . المجلد الثانى ح ٣ ص ٦٤٤ ارادة إلى ناظر الداخلية فى غرة المحرم سنة ١٢٨٣ (١٦ مايو ١٨٦٦) .

لتعزيز القوات العثمانية فى الجزيرة . ولم يكن يمتلك فى ذلك الوقت سوى الإذعان(١) لهذا الطلب ، خصوصاً وأن فرمان تعديل الوراثة وزيادة عدد الجيش كان على وشك الصدور . فبعث إلى جزيرة كريت بأربعة آلايات (لواءات) وهى : الآلاى الحادى عشر ويقوده خالد (بك) ، والآلاى الثالث ويقوده اسماعيل (بك) ، والآلاى السابع ويقوده راشد حسنى (بك) ، والآلاى السادس ويقوده راشد راقب (بك) ، واربع بطاريات جبلية بذخائرها ، وكان يقود هذه القوة الفريق شاهين (باشا) ويعاونه اللواء اسماعيل صادق (باشا) . وكان على فرقة اركان الحرب القائمقام (عقيد) على (بك) المجرى ، والبكباشى (مقدم) عبد القادر (افندى) والملازمين عمر (أفندى) رشدى ، وصالح طاهر (أفندى) . (٢) وأبحرت على عشر بواخر فوصلت الجزيرة فى ٢٥ يوليه سنة ١٨٦٦ (٣) وقد أحاط قنصل اليونان الجنرال بمصر المسيو زيجومالاس Zygomalas حكومته فى ٢٤ يوليه سنة ١٨٦٦ (٤) بنبأ ارسال هذه القوات المصرية إلى كريت ، وتعرض فى خطابه إلى مقابلته للخديو اسماعيل لمعرفة أسباب ارسال تلك القوات . فأقنعه اسماعيل بأنه لا يستطيع منع مساعداته للسلطان . ولكنه أصدر أوامره إلى شاهين كنج قائد الحامية المصرية بالجزيرة ، باحترام الكنائس المسيحية ،

---

(١) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail R. III p. 150.

(٢) حقائق الأخبار حـ ٢ ص ٢٩٦

(٣) Sammarco; Le Règne du Khedive Ismail T. III P. 153.

(٤) Politis A.G.; Un projet d'alliance entre l'Egypte et le Grece en 1867 p. 20.

وعدم التعرض لسكان الجزيرة بسوء . وبالفعل فما أن هبط شاهين أرض الجزيرة إلا وقام بتوزيع هبات مالية على الكنائس والمؤسسات الدينية بها (١) كما أصدر اليه اسماعيل أمراً بمساعدة حكومة الجزيرة على جباية الضرائب : إذ لا تستطيع أية حكومة أن تؤدى واجبها ، دون أن يكون لديها المال اللازم لهذا الغرض . وبهذه التعليمات التى أصدرها والى مصر إلى قائده حاول أن يخفف الأثر السيء الذى أحدثه إرسال القوات المصرية فى نفوس اليونانيين وسكان الجزيرة (٢) . ومما يدل على سياسة اسماعيل تجاه مسألة كريت ، الخطاب الذى أرسله إلى شاهين فى ٢٨ يوليه سنة ١٨٦٦ حيث يوجه إليه الحديث قائلا : « لا تنس أنه بالرغم من ارتباط سياستنا بالسياسة العثمانية نجد أنفسنا فى بعض الأوقات مضطرين إلى التوفيق بين سياستنا وبين الموقف الحالى . وأن جدارتك وذكاءك لخير دليل على أنك ستوفق بين الحالتين بهمة وعزم وحذر » (٣) . فلم يكن إذاً من مصلحة مصر الدخول فى حرب ضد كريت ولكنها أرغمت على دخولها إرغاماً . ولذا نجد والى مصر يحاول التخلص من هذه المساعدة بعد حصوله على فرمان ٨ يونيه ١٨٦٧ .

استطاع اسماعيل إذاً بمساعداته الحربية ، وبمنحه وهداياه أن يحصل من السلطان على فرمان (٤) ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ (١٢ المحرم سنة ١٢٨٣) الذى

Sammarco; Le Règne du .... P. 153.

Politis; Un projet d'alliance ... p. 21

Politis ; Un projet d'alliance .. p. 21.

(٤) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٧٩ .

نص على انتقال حكم ولاية مصر إلى أكبر أولاد الخديو الذكور بطريق التوارث . والسماح لاسماعيل بسك عملة مصرية مع إبقاء اسم السلطان عليها. والبند الهام فى هذا الفرمان هو رفع عدد قوات الجيش المصرى من ١٨ ألف جندى إلى ٣٠ ألف جندى فى وقت السلم — ولو أنه فى الواقع كان يزيد عن هذا العدد من قبل ، (١) إذ بلغ فى سنة ١٨٦٥ حوالى ٣٥,١٨٤ جندياً (٢) — مع إعطاء الخديو الحق فى منح الرتب إلى الرتبة الثانية نظير رفع الجزية من ٨٠ ألف كيسة إلى ١٥٠ ألف كيسة .

ويعتبر صدور هذا الفرمان نصراً عظيما بالنسبة لمصر ، إذ سمح السلطان العثمانى لأول مرة بعد فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بزيادة عدد قوات الجيش المصرى فى وقت السلم إلى ما يزيد عن ١٨ ألف جندى . أى أنه يعتبر نقطة البداية فى اطلاق يد مصر فى الجيش .

وفى ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ (٥ صفر سنة ١٢٨٤) أصدر السلطان فرماناً آخر يمنح اسماعيل لقب خديو مع إعطائه الحق فى عقد اتفاقات جمركية . ولم يتعرض هذا الفرمان لشئون الجيش . لذلك عزم الخديو اسماعيل على مواصلة جهوده للتخلص من حظر بناء السفن الحربية . فانتهز فرصة وجوده مع السلطان عبد العزيز بمعرض باريس الذى اشتركت فيه مصر عام ١٨٦٧ ،

---

(١) عبد الرحمن الرافعى بك . تاريخ الحركة القومية (عصر اسماعيل) ج ١ ص ٨٠ .

(٢) محفظة ٣٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣٧ إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٢ (أغسطس ١٨٦٥) .

وأوصى المصانع الفرنسية بعمل ثلاث بوارج مدرعة من الطراز الحديث وبرر هذا العمل أمام السلطان بأنه تقوية للقوات العثمانية، فما الجيش المصرى فى حقيقة الأمر إلا جزء من جيش الامبراطورية العثمانية . ولكن هذا التبرير لم يرق فى عين السلطان إلا بعد أن بذل اسماعيل المال الوفير ، فصدر فرمان سبتمبر سنة ١٨٦٧ يفسر ما غمض والتبس فيه من عبارات فرمان ٨ يونية السالف الذكر (١) .

ومن الرجال الذين اعتمد عليهم الخديو اسماعيل فى تنفيذ سياسته لدى الباب العالى فى تلك الفترة ابراهام بك ، وكان رجلا واسع الحيلة ، عظيم الدهاء ، اتخذ من القسطنطينية مقاما له . وقد حشد الخديو فى خدمته المال والصحافة « فكانت له سلطة عظيمة الشأن فى الآستانة فى السنوات التى تلت سنة ١٨٦٦(٢) » إذ كان مسيطراً على سياسة الباب العالى سيطرة تكاد تكون تامة .

ورغم ما ناله اسماعيل من امتيازات لم يكن يأمن جانب السلطان ، ففى أواخر سنة ١٨٦٦ أصدر أوامره بتسليح الطوابى الساحلية بالمدافع على أن توضع فى كل طابية من طوابى بوغاز دمياط الشرقية والغربية ، وكذلك طابيتى الأزاريطة والعجمية فى غرب الاسكندرية خمسة مدافع ،

(١) الياس الأيوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٣٩٠ .

(٢) Crabités : Ismail the Maligned Khedive P. 161.

وأن يوضع فى قلعة أبى قير ثمانية عشر مدفعاً (١). كذلك أصدر الخديو أمره (٢) إلى ناظر الجهادية فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٣ (ابريل ١٨٦٧) بالإسراع فى شراء ما يقرب من خمسين ألف إلى ستين ألف بندقيـة حديثة من البنادق التى تعبأ من الخلف . وحذره من ضياع الوقت الطويل فى تجربة البنادق المختلفة لاختيار أصلحها فى الوقت الذى يفتقر فيه الجيش المصرى إلى السلاح وأوصاه أيضاً بأنه فى حالة عدم توفر هذا العدد فى الوقت الحاضر بأوربا يوفد افلاطون (باشا) — الذى كان يقوم بعمليات شراء الأسلحة للجيش المصرى بأوربا — إلى أمريكا لشراء بنادق من النوع المطلوب ، على أن يراعى فيها السرعة ، وبعد المرمى ، وقوة الاحتمال فى الحرب .

المرحلة الثانية

ذكرنا من قبل أن الخديو اسماعيل أرسل قواته إلى جزيرة كريت مكرها وذلك قبل صدور فرمان ٨ يونية ١٨٦٧ الخاص بالوراثة وزيادة عدد الجيش. فلما حصل الخديو على الفرمان المذكور حاول أن يضع حدا للحرب الناشبة فى الجزيرة . فاستغل خصومه هذه المحاولة لإساءة العلاقة بينـه وبين السلطان ، وخصوصاً بعد أن عين الأمير مصطفى فاضل — أخو الخديو — الذى كان وليـاً للعهد بحكم فرمان سنة ١٨٤١ ، ناظرا للعدل بالحكومة

---

(١) محفظة ٤٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٥ من داود فهمى وكيل الجهادية إلى المعية السنية فى ٣ رجب سنة ١٢٨٣ (نوفمبر ١٨٦٦) .

(٢) دفتر ٥٥٨ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٣٧ أمر إلى شاهين باشا فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٣ .

العثمانية . فتعقدت الأمور بين البلدين تعقيدا شديدا . ويذكر محمود فهمى (١) أن من أسباب توتر العلاقة بين الخديو والباب العالى أن الخديو اسماعيل طلب من السلطان « أن يكون لمصر سفراء ونواب فى جميع دواوين الممالك الأجنبية ، فرأى الباب العالى أن مقصده الأصلى هو الاستقلال عن الممالك التركية العثمانية ، فرفض طلبه هذا ولم يقبله ، فأوغر اسماعيل باشا فى صدره الغضب ، وهدد ديوان الأستانة بأخذ عساكره من كريت ، أو يستحوذ على جزيرة كريت إن لم تمنح طلباته » . وأوعز الخديو إلى شاهين باشا قائد الحامية المصرية بكريت بالعمل على ترغيب الأهالى على الانضمام إلى مصر (٢) . ولكن نوبار ناظر الخارجية المصرية لم يكن من رأيه منذ البداية ارسال قوات مصرية إلى جزيرة كريت ، كما أنه كان يرى أن إعطاء مصر جزيرة كريت كهبة لها نظير ما قدمته من خدمات « سيكون من سوء حظ مصر إذ سيبعدها أكثر مما هو مرغوب فيه »(٣). أى أنه سيقحم مصر فى مشاكل أوربا دون أن يكون لها مصلحة فى ذلك . وفعلا فقد كان الخديو اسماعيل يحاول استغلال رضاء الدول الأوربية عليه ، وخصوصاً فرنسا فى أن يعلن استقلاله عن تركيا فى حفل افتتاح قناة السويس . وقد اتخذ اسماعيل لهذا اليوم عدته ، « فشرع فى إجراء الاستعدادات الحربية ، فأنشأ على السواحل من اسكندرية إلى بور سعيد عدة طوابى وقلاع ، ورمم القديم

---

(١) محمود فهمى باشا . البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ج ١ ص ١٩٩ وحقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٤١ .

(٢) د. محمد محمود السروجى : مصر والمسألة الشرقية ص ٥٣ .

(٣) Polites ; Un projet d'alliance P. 30

منها . وابتاع نحو مائتى مدفع ضخم من معمل أرمسترنغ وسلح بها تلك القلاع .
استخدم عدة من الضباط الأمريكانيين لقيادة الجيش المصرى عند اللزوم .
وابتاع أيضاً نحو مائتى مدفع من معمل كروب . كل ذلك كان يأتى إلى مصر سراً . وعين بعض الضباط لتعيين نقط حصون تقام على ساحل خليج السويس »(١) وأمر أيضاً بترميم قلعة العريش أو بناء غيرها من جديد (٢) .

وأوصى أحد المصانع الفرنسية بصنع بضع سفن حربية مدرعة ومائتى ألف من البنادق ذات الابرة . فلما علم الباب العالى بهذا النبأ أبلغ الخديو بما فى هذا العمل من مخالفة صريحة لأحكام الفرمان الأخير ، وطالبه بعرض ميزانية البلاد عليه لمعرفة أوجه الايرادات والمصروفات . فأجاب الخديو على هذا الطلب بأنه أوصى على صنع المدرعات الحربية لخدمة الدولة العلية ، وأوضح بأنه لم يشترى سوى مئة ألف بندقية فقط » وأنه مستعد لتسليم السفن وما زاد عن حاجة الثلاثين ألف جندى من الأسلحة (٣) » . واعترض على عرض ميزانية مصر على الباب العالى ، بحجة ان فى هذ العمل استرداد لبعض الامتيازات الممنوحة لمصر بموجب الفرمان الأخير . ولكن الاستعداد

---

(١) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٤١ .

(٢) دفتر ١٩٢٧ أمر جهادية وثيقة رقم ١٢٦ ص ١٢٧ امر إلى المالية فى ١٢ ربيع أول سنة ١٢٦٨ (يونيو ١٨٦٩) .

(٣) دفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٥١٢ من الجناب العالى إلى الباب العالى فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦ (١٨٩٦) ودفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٢٢٥ من الجناب العالى إلى كامل بك فى ١٣ ذى القعدة طسنة ١٢٨٦ (فبراير سنة ١٨٧٠) .

الذى أبداه الخديو فى تسليم السفن وما يزيد من البنادق قد أرضى الباب العالى بعض الشىء . واستند السلطان (١) فى طلبه عرض الميزانية المصرية عليه أن مصر جزء من الامبراطورية العثمانية يهمه معرفة حالتها المالية ، وليس فى هذا افتئات على امتيازات الخديو .

وقد وصلت حالة التوتر فى العلاقات بين الباب العالى والخديو درجة كبيرة ، جعلت السلطان يفكر جدياً فى استرداد ما منحه للخديو من امتيازات بمقتضى الفرمانات السابقة . ولكن الدول الأوربية — جريا على سياستها فى ألا تخضع مصر خضوعاً كلياً للسيادة العثمانية — نصحوا الباب العالى بألا يقدم على أى عمل يسىء إلى مركز الخديو ، فكتب لورد (كلارندون) وزير خارجية انجلترا إلى سفيره فى القسطنطينية يقول « إن حكومة الملكة تنصح السلطان بألا يفكر فى إلغاء فرمان سنة ١٨٦٧ ، لأن مثل هذا العمل الجرىء سيعرض السلطان إلى غضب الدولة وعدائها »(٢) .

وقد بدا غضب الباب العالى فى عدم حضور حفل افتتاح القناة ، فأناب عنه السير اليوت سفير بريطانيا العظمى . وما أن انتهى الحفل حتى أصدرت الدولة العثمانية فرماناً (٣) فى ٢٤ شعبان سنة ١٢٨٦ (نوفمبر سنة ١٨٦٩) أنذرت فيه والى مصر وأمرته بأن يعمل على « تخفيض الجيش المصرى إلى

---

(١) دفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ١٠٦ من كامل بك إلى الجناب العالى فى ٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩) .

(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقاله الاستاذ محمد رفعت « مكانة مصر الدولية » ص ١٠٣ .

(٣) حقائق الاخبار حـ ٢ ص ٣٤١ .

٣٠٫٠٠٠ عسكرى ، وأن يبطل التجهيزات الحربية والطوابى والاستحكامات ، ويكف عن مشترى الأسلحة ، ويلغى الشروط التى عقدها مع إنجلترا وأمريكا ، ويهمل صناعة المدرعات الحربية التى كان أوصى عليها بدور صناعات أوربا » . وطلب منه السلطان أيضا تسليم المدرعات التى أوصى عليها من فرنسا ، وكذلك المائتى ألف بندقية .

وفكر الخديو فى عدم الإستجابة لماورد بهذا الفرمان ، ولكن سفراء كل من فرنسا وإنجلترا والنمسا أشاروا عليه بالخضوع والامتثال مؤقتا لإرادة السلطان [١]. فأذعن الخديو لمشورتهم وأرسل نوبار إلى الآستانة لإزالة أسباب الخلاف الناشب بينه وبين الباب العالى ، وتمكن من تصفية جو العلاقات بينهما .

ولكن الخديو إسماعيل لم يأمن جانب الباب العالى ، فأخذ يوالى إستعداده الحربى ، منتهزا أية فرصة مناسبة لإعلان الاستقلال الذى أخذ يمهد له السبيل . فأصدر فى ٦ شوال سنة ١٢٨٦ (٩ يناير ١٨٧٠) أمرا [٢] بجعل اللغة العربية اللغة المتداولة فى جميع المكاتبات المتبادلة بين كافة الدواوين والمصالح الحكومية . ولكن ناظر الجهادية والبحرية وقتئذ ـ شاهين كنج ـ وجد صعوبة كبيرة فى تنفيذ هذا الأمر بالنسبة لنظارته ، نظراً لأن جميع قومندانات الآلوية وميرالاياتها وأكثر ضباطها لا يعرفون العربية لأنهم من الاتراك والشراكسة. فطلب [٣] من الخديو أن يسمح له بتنفيذ أمره السابق فيما يتعلق بالمراسلات المتبادلة بين نظارة الجهادية وجميع دواوين الحكومة ، أما فيما يختص بالخطابات

(١) الياس الإيوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل ج ١ ص ٤٤٥ .

(٢) دفتر ١٩٢ أوامر عربى إلى ناظر الجهادية وثيقة بدون رقم فى ٦ شوال سنة ١٢٨٦ (٩ يناير سنة ١٨٧٠) .

(٣) محفظة ٤٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٤١١ من شاهين كنج ناظر الجهادية والبحرية إلى المعية فى ٢١ شوال سنة ١٢٨٦ (يناير سنة ١٨٧٠).

والتقارير التى ترسل إلى القواد والضباط فتكتب باللغة التركية . فوافق [١] الخديو على هذا الطلب . وفى تلك الفترة ترجمت القوانين العسكرية إلى اللغة العربية [٢] .

وقد أثارت الاستعدادات الحربية التى كانت قائمة على قدم وساق بمصر شكوك الباب العالى ، خصوصا وأن الخديو إسماعيل كان على إتصال مستمر برجال السلك السياسى اليونانى . هذا فضلا عن قدوم الأميرالاى قورنيوس ـ زعيم الثورة الكريتية ـ إلى مصر فى ذلك الوقت . فظن الباب العالى أن هناك إتفاقا سابقا بين مصر واليونان ، فأرسل [٣] إلى الخديو يستفسر منه عن السر فى هذه الاستعدادات . فأبلغه الخديو بأنها اتخذت لخدمة الدولة العثمانية وتقويتها ، ولم يقصد بها شىء غير ذلك [٤] .

المرحلة الثالثة

كان لإنتهاء الحرب الفرنسية البروسية بهزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ، أعمق الأثر فى نفس إسماعيل ، فبدأ يتراجع عن سياسته العدائية ، ويحسن علاقته

(١) محفظة ١٩ جهادية وثيقة تركية رقم ٢٠٠ من الجناب العالى إلى ناظر الجهاديه فى ٢٨ شوال سنة ١٢٨٦ . وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٨٤٩ .

(٢) محفظة ٤٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٤١١ من شاهين كنج إلى المعية فى ٢١ شوال سنة ١٢٨٦ (يناير سنة ١٨٧٠)

(٣) دفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ١٧٢ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ٧ شوال ١٢٨٥ ودفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٢٥٦ من الجناب العالى إلى إبراهام بك فى ٢٨ شوال ١٢٨٦ ودفتر ٤١ عابدين وثيقة تركية رقم ٢٤٣ من إبراهام إلى الجناب العالى فى ٢٥ شوال سنة ١٢٨٦ .

(٤) المصدر الأخيرة .

بالباب العالى ، ويميل إلى جانب إنجلترا ، فخص شركاتها بمشروع توسيع ميناء الاسكندرية . وذكر المستر جورج بتلر - قنصل أمريكا الجنرال بمصر حينئذ - أن جميع أعمال التحصينات قد أوقفت وشحنت المدافع الساحلية إلى القسطنطينية بناء على أمر السلطان . ولكنها لم تكن فى الواقع من المدافع الحديثة ، بل كانت من المدافع القديمة من عهد محمد على[1] . وذكر أيضا بأن أعمال التحصينات ستستأنف ثانية عندما يصفو الجو وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعى .

كذلك صدرت الأوامر إلى المستر كناب Ch. Knap مدير المصانع الأمريكية The American Rodman Gun بمغادرة الديار المصرية ، لأن وجوده بها وقتئذ غير مرغوب فيه ، ويدعوا إلى إثارة الشبهات[2] .

تمت إذاً حركة التراجع من جانب الخديو إسماعيل بسرعة كبيرة لأن سياسة فرنسا إزاء مصر بعد هزيمتها فى سنة ١٨٧٠ كانت ترمى إلى إستتباب الأمن فى داخلية البلاد مع إبداء النصح للخديو بالتعقل والاعتدال ، وعدم إثارة مشاكل بينه وبين الباب العالى ، لأن فرنسا لاتستطيع تأييده إلا فى حدود الفرمانات الممنوحة له[3] . كما أنها ستتحاشى تشجيع كل حركة ترمى إلى التسلح غير المجدى والذى يسبب الذعر للباب العالى[4] .

---

1 - Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 60. Alex. in May 7, 1871

(٢) المصدر السابق .

3 - Documents Diplomatipues Française (1871 - 1914) . 1er serie (1870 - 1900). T. Premier (10 Mai 1871 - 30 Juin 1875) . P · 32

(٤) المصدر السابق .

فسياسة فرنسا إذاً بعد سنة ١٨٧٠ كانت ترمى إلى المحافظة على حقوق الخديو مع إقناعه بمراعاة حدود الفرمانات دون إثارة منازعات جديدة. فلم يجد الخديو إسماعيل بدأ من الخضوع السلطان والعودة إلى سياسته الأولى بعد أن تخلت الدول الأوربية عن مناصرته [١] . فقبل سنة ١٨٧٠ كانت العلاقة وطيدة بين نابليون الثالث والملكة فيكتوريا « وتعاونت حكومتاهما فى حماية الدولةالعثمانية فلم تسمحا لإسماعيل باستقلال تام عن تركيا [٢] » . وبعد سنة ١٨٧٠ لم يصبح لفرنسا من النفوذ مايستطيع إسماعيل الاعتماد عليه [٣]. ولهذا نجد الخديو يلجأ إلى سياسة المال والهدايا . فيرسل (٤) إلى الباب العالى فى ١٨ ربيع ثانى ١٢٨٨ (١٨٧١) مجموعة كبيرة من الحيوانات والطيور الغريبة التى كان السلطان مغرما بها إلى حد كبير . وفى شهر يونيه سنة ١٨٧٢ غادر الخديو إسماعيل الاسكندرية قاصدا الاستانة وبصحبته والدته ، ليقوم كل منهما بدوره فى تحطيم مابقى من قيود التبعية العثمانية . وفى رحلته هذه أنفق عن سعة لإرضاء السلطان ورجال حكومته، كما أهدت والدته إلى حريم السلطان وكبار رجال حكومته الكثير من الهدايا الثمينة ، وكان من نتيجة هذه الزيارة صدور فرمانين فى سنة ١٨٧٢. الاول فى ٧ رجب سنة ١٢٨٩ (٥) (١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢) وقد ألغى هذا الفرمان قيود

---

1 - Sammarco; Le Règne du Khedive .... T. 3. P. 128.

(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . « مقالة الدكتور صفوت » ص ٩٤

3 - Documents Diplomatiques Française ler serie T.1 P.32

(٤) دفتر ٢٥ عابدين وثيقة تركية رقم ٧٨ من الجناب الخديو إلى سعادة نورس باشا كبير الأمناء فى ١٨ ربيع ثانى سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) .

(٥) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٣ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٨٤ .

فرمان ٢٤ شعبان سنة ١٢٧٦ (١٨٦٩) . ([1]) والثانى فى ٢٢ رجب سنة ١٢٧٩ (٢٥ سبتمبر ١٨٧٢) وقد خول الخديو الحق فى عقد قروض من الدول الأجنبية دون موافقة السلطان . وكان لهذا الفرمان أوخم العواقب على مصر ؛ إذ أطلق يد الخديو فى الاستدانه من الدول الاوروبيه دونما قيد أو حدود .

رأى الخديو إسماعيل جمع هذه الفرمانات المختلفة فى فرمان واحد تتولى الدول الأوربية التصديق عليه ، حتى لايعود السلطان مرة أخرى إلى محاولة سحبه. فسافر فى مايو سنة ١٨٧٣ إلى الآستانة بعد أن جمع مايقرب من أربعة ملايين من الجنيهات ، كانت عدته وسلاحه فى الحصول على مايريد . وبعد أن مهد السبيل فى الآستانة رجع إلى مصر حيث لحق به الفرمان الشامل ([2]) فى غرة جمـــادى الأولى سنة ١٢٩٠ (٨ يونيه سنة ١٨٧٣) الذى أطلق يد إسماعيل فى الادارة الداخلية ، وفى عقد المعاهدات التجارية بين مصر والبلاد الخارجية «وكـــذا فى تكثير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشاهانية بلا تحديد على حسب الإيجاب واللزوم » وكذلك إحتفظ لوالى مصر « بالامتياز فى حق إعطاء رتبة اميرالاى من الرتب العسكرية وإعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية ... وأن تكون أعلام وسناجق العساكر البرية والبحرية الموجودة فى الخطة المصرية كأعلام وسناجق سائر العساكر البرية والبحرية ، بلا فرق وبشرط عدم إنشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون إستئذان ، وأن تراعوا إجراء الشروط المقررة فى هـــذا الفرمان الجديد ، وأداء المالية وخمسين ألف كيسة التى هى ويركو مصر المقطوع سنويا ([3]) ».

---

(١) المصدر السابق ص ٦٨٤ .

(٢) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٤ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق .

أطلق هذا الفرمان يد الخديو إسماعيل فى الجيش ، وأعطاه الحق فى زيادة قوات مصر العسكرية إلى أى عدد يشاء . ولذا يعتبر هذا الفرمان بحق أهم تطور حدث فى العلاقات المصرية العثمانية منذ معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ . وبمقتضاه أصبح لا يربط مصر بالباب العالى سوى الجزية التى تدفع سنويا ، بل كان والى مصر يمنى نفسه باليوم الذى يستطيع فيه قطع هذا المال الذى يعتبر آخر رباط يشده بالدولة العثمانيه . ولكنه لم يستطيع ذلك نتيجة إندفاعه وتهوره فى الاستدانة من الاجانب مما أدى إلى الارتباك المالى الشديد ، وتدخل النفوذ الأجنبى فى إدارة البلاد . فى نفس الوقت الذى ألقى على كاهل الحكومة المصرية عبء مساعدة الباب العالى حربيا رغم الضيق المالى الشديد . ففى سنة ١٨٧٦ أرسل الخديو إلى الباب العالى قوة حربية تتراوح بين سبعة وثمانية آلاف جندى لمساعدته فى حرب الصرب (١) . كذلك عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا فى سنة ١٨٧٧ شدد الباب العالى فى طلب مساعدة أخرى رغم إعتذار الخديو عن تقديمها بسبب الأزمة المالية التى تعانيها البلاد (٢) . ولكن الباب العالى لم يقتنع بهذا ، فاضطر الخديو إسماعيل إلى جمع مجلس شورى النواب للتشاور معه فى فرض ضريبة جديدة على الأراضى الزراعية ، لتدبير الأموال اللازمة للقوة العسكرية المزمع إرسالها لمساعدة الباب العالى » ، فقرر المجلس فرض ضريبة خاصة على الأراضى قيمتها ٤٨٠٫٠٠٠ جنيها بمعدل نصف دولار على الفدان الواحد الصالح للزراعة فى مصر ويعادل ١/٢٠ من الدخل السنوى (٣)» . وبذلك تمكن الخديو

---

1 - . Abdin. Amr. Vol. 13 Desp. No. in May 30, 1877
وأمين سامى باشا . تقويم النيل . المجلد الثالث ج ٣ ص ١٣٦١ .

(٢) بعض وثائق تاريخية من عهدى إسماعيل (باشا) وتوفيق (باشا) انتقاها وأمر بترجمتها وطبعها الأمير السابق محمد على من مجموعتين بخط المرحوم محمود شكرى (باشا) ص ٢١ .

3 - Abdin' Amr. Vol. 13 in despt. No. in May 30,1877 .

إسماعيل من زيادة عدد الجنود المصريين المخصصين لمساعدة الدولة العثمانية إلى ١٢٫٠٠٠ جندى .

المرحلة الرابعة

تدخلت الدول الأوربية الدائنة ، وخصوصا إنجلترا وفرنسا فى شئون مصر الداخلية نتيجة عجز الحكومة المصرية عن سداد الديون . وحينما أراد الخديو أن يقف فى سبيل تدخلها فى إدارة البلاد طلبا من الباب العالى عزله وتعيين إبنه توفيق بدلا منه . فما كان منه إلا أن لبى طلبها منتهزا هذه الفرصة لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر بمقتضى الفرمانات السابقة . ولكن الدول الأوربية أصرت على ألا تمس هذه الامتيازات بسوء تحقيقا لمصالحها فى مصر . فصدر فرمان تعيين الخديو توفيق واليا على مصر وبه بعض القيود ، فقد نص على « ألا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألف لأن هذا القدر كاف لمحافظة أمنية إيالة مصر الداخلية فى وقت الصلح . وإنما حيث أن قوة مصر البرية والبحرية هى مرتبة من أجل دولتنا العلية ، يجوز أن يزداد مقدار العساكر بالصورة التى تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة ، وتكون رايات العساكر البحرية والبرية ، والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم . ويباح لخديو مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية إلى غاية رتبة أميرالاى «عميد» .. ولا يرخص لخديو مصر أن ينشىء سفنا مدرعة إلا بعد الإذن وحصوله على رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية . »

وبصدور هذا الفرمان تذهب جهود الخديو إسماعيل التى بذلها لرفع القيد عن قوة مصر الحربية أدراج الرياح ، ويعود الجيش المصرى إلى ما كان عليه بعد صدور فرمان سنة ١٨٤١ مباشرة .

الفصل الثاني

التجنيد

التجنيـــد

– عرف المصريون فى القرن الماضى نظام التجنيد حينما شرع محمدعلى فى تكوين جيش مصر الجديد على النظام الأوربى الحديث . وكانت قوة مصر الحربية عند توليه الحكم عبارة عن شرذمة من الرجال استجلبوا من أماكن متفرقة من تركيا وألبانيا وسوريا وبلاد المغرب ، يجمعهم حب السلب والنهب أكثر مما يجمعهم نظام حربى واحد . فقوة حربية تضم هذه المجموعة المتنافرة لا يمكن الاعتماد عليها بحال من الأحوال . ولذا فقد استقر رأى محمد على - من أول الأمر - على تجنيد السودانيين . فأرسل البعوث إلى السودان لجلبهم إلى مصر ، ليتولى تدريبهم الكولونيل سيف على النظم الحربية الحديثة . ولكن فشلت هذه التجربة لأن معظمهم مات إما أثناء الطريق نتيجة للجهد والتعب أو بعد وصوله لعدم احتماله جو مصر . فحاول محمد على تطبيق النظم الاوربيـــة على مماليكه وأتباعه من الأرناؤوط والألبانيين فلم يفلح لمقاومتهم لها . ففكر أخيرا فى أن يجند المصريين ، إلا أن هؤلاء لم يرغبوا فى الجنـــدية فى أول الأمر ، وذلك لتعلقهم بأرضهم وقراهم ، ذلك التعلق القوى الذى يقارب العبادة قد دفعهم من ناحية إلى مقاومة التجنيد لأنه يباعد بينهم وبين الأمكنة التى نشأوا فيها(١).

وظهرت آثار المقاومة التى أبداها الأهالى فى تشويه أعضائهم . وكانت الآلام التى يلاقونها فرارا من الجندية كبيرة إلى درجة لايكاد يصدقها العقـــل (٢) .

---

(١) تقرير بورنج ، معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٤ .

(٢) المصدر السابق .

واجه محمد على هذه المقاومة بقبول المشوهين بالجيش ، وأنشأ آلايا كاملا يتألف «من مجندين مشوهين فقد كل منهم عينة أو أصبعه أو أسنانه الأمامية (١)» . على أن محمد على قد اتخذ سبيلا آخر غير الشدة فى ترغيب الأهالى فى التجنيد ، وهو الاستعانة بالوعاظ فى «تلقين الفلاحين وملء آذانهم واستدراك أذهانهم(٢)» . كما أوعز إلى إبنه إبراهيم أن يذكرهم بالأقبـاط الذين لبوا نداء الفرنسيين إبان الاحتلال الفرنسى، فاستخدموهم فى الجيش لغيرتهم على دينهم. فالأولى «بالفلاحين الذين شرفوا بنور الايمان (أن) تأخذهم الغيرة على ذلك(٣)».

وقد صادفت محمد على صعوبات أخرى غير المقاومة من جانب الأهـالى ، فالزراعة قـد تحول بينـه وبين مشروعاته فى التجنيد ، وخصوصا فى المواسم التى تحتـاج إلى أياد عاملة كثيرة . ولذا فقد حاول محمد على فى خطـابه لابنه ابراهيم أن يوفق بين ما تستلزمه الزراعة من أيد عاملة وبين ما يتطلبـه التجنيد فيقول: «ومن البديهى أنه لايستطاع والحالة هذه تجنيد العساكر وفقا لأصول الجهـادية المقررة . وعليه فان من الجلى الواضح أن الواجب يقضى علينا أن نجند العساكر

---

(١) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٤

(٢) المصدر السابق

(٣) دفتر ١٠ (معية تركى) وثيقة رقم ١٦٨ من محمد على إلى إبنه ابراهيم فى ٦ رجب سنة ١٢٣٧ عن كتاب ذكرى البطل ابراهيم باشا ص ١٣٧

(٤) المصدر السابق

(٥) دفتر ١٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٠ ص ١٩ من محمـد على إلى ابراهيم باشا فى ٨ شوال سنة ١٢٣٨

حينما يتيسر لنا ، وأن نستخدمهم على نحو ما يستوجبه الموقف وأن نوفق بين مصالحنا وحالتنا(١)».

– طريقة جمع الجنود

كانت إذا اقتضت الضرورة تجنيد عدد من الجنود ، كلف محمد على مدير كل مديرية بجمع العدد المطلوب ، وهذا يوزع العدد بدوره على القرى الكائنة فى دائرة اختصاصه ، فيقوم العمد والمشايخ بمعاونة الجنود بالانقضاض « على القرى فجأة فلا يلبث أهلها أن يروا أبناء هذه القرى المذكورة جميعاً قد سيقوا وهم مصفدون فى الأغلال إلى عاصمة المديرية(٢) » ، مراعين فى ذلك أن يكون العدد أكبر من المطلوب دون تمييز بين من تقدمت بهم السن ومن لم يشبوا بعد عن الطوق ، أو من الأصحاء المعافين وغيرهم من المرضى وذوى العاهات . وكان هذا الحشد يجمع وتوضع فى أيدى أفراده الأغلال حتى لا يتمكنوا من الهرب تتبعهم أقاربهم من النساء والأطفال إلى المكان المعد لفرزهم ، ويكون هذا فى أغلب الأحيان بعيدا عن قراهم . أى أن التجنيد لم يكن يسير على نظام معين أو ترتيب أو تسجيل للأسماء أو اقتراع(٣) . «بل القوة الغشوم التى هى أشد عمى من الحظوظ والمصادفات هى وحدها التى تلقى بالجنود فى أحضان الجيش. وهى فى مصر من أشد ما عرف عسفاً ووحشية(٤)». بل كان يؤخذ المجندية فى

(١) دفتر ١٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٣٠ ص ١٩ من محمد على إلى ابراهيم (باشا) فى ٨ شوال سنة ١٢٣٨ .

(٢) عمر طوسون ، صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على ص ١١٩

(٣) تقرير بورنج فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٨

(٤) صفحة من تاريخ مصر فى عصر محمد على « الجيش المصرى البرى والبحرى » ص ١١٩ .

بعض الأحيان ـ وذلك نتيجة لعدم التمييز ـ المسيحيون المعفون منها . وفى سنة ١٨٣٠ بعد أن نظم كلوت «بك» الخدمة الطبية ، أصبح الكشف الطبى يوقع على المطلوبين المجندية حيث يجمعون ، وبذلك تخلصوا من المشاق التى كانوا يلاقونها فى سيرهم الطويل إلى مقر الفرز .

وقد أمر محمد على مشايخ القرى بتدوين أسماء الشبان من سن ١٨ إلى ٢٢ عاما ، ثم يأخذ منهم مايحتاج اليه بطريق الاقتراع . ولكن بالرغم من ذلك كان يفر جزء كبير من هؤلاء الشبان تاركين قراهم عندما يعلمون بنبأ التجنيد . ولذا استمرت طريقة الجمع بالقوة سائدة إلى نهاية عصر محمد على .

وعندما ولى عباس الحكم احتفظ بعدد كبير من الجنود أكثر مما حدده فرمان سنة ١٨٤١ ، وذلك لمحاولة الباب العالى سحب الإمتيازات التى حصل عليها محمد على بمقتضى الفرمان المذكور . فلا غرو إذاً أن نجده يأمر بتجنيد كل من بلغ سن الجندية من الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٢ عاما «بطريقة تشبه القرعة النظامية (١)» .

وكان ينتخب من بين هؤلاء العدد الذى يحتاج اليه فى الخدمة ، ثم يطلق سراح الباقين . وذلك لكى يواجه الخطر الذى يتهدده من قبل السلطان. فعباس إذاً قد هذب عملية التجنيد بعض الشيء عما كانت عليه فى أيام محمد على.

وفى أوائل عصر سعيد « لم تكن لطريقة جمع الجنود نظام وقوانين مرعية (٢) » بل كان يلجأ سعيد إلى جمع الجنود كلما أريد زيادة عدد الجيش أو

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٦٠
(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٣

لاستكمال النقص الذى يحدث فى صفوف الفرق دون التقيد بمدة معينـة . وكان المختصون يستخدمون طرقاً « وقتية كما يتراءى لهم (١) ، فيفرض الوالى على كل مديرية عدد معين لاستحضاره . ويتولى هذه العملية عمد ومشايخ البـلاد « الذين يستعملون طرقاً وأساليب يأباها العدل . فمن ذلك أنهم كانوا كثيرا ما يقبضون على المارة أو الزوار لادخالهم ضمن العدد المطلوب(٢). «إلى غير ذلك من أعمال الغش والاحتيال والرشوة والانتقام من الاعداء».

وظلت الجندية من الأمور المكروهة لدى أبناء البلادحتى قيام ثورتنا المباركة. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب غير ماذكرناه منها بقاء الجندى فى الخدمة طول حياته تقريباً وكثرة ماينالهمن المشاق والتسخير(٣). هذا فضلا عن أن الدول التى غزت مصر منذ عهد الفراعنة كانت تستبقى فيها حامية من أبنائها ليس فيها أحد من أبناء البلاد «ولهذا بعد عهدهم بالعسكرية» (٤) .

وإذا نظرنا إلى المجندين فى ذلك العصر وجدناهم جميعاً من الطبقات الفقيرة المستضعفة . وقـد استرعت هذه الظاهرة نظر الحكومة المصرية فأمرت « بجمع أولاد العمد والمشايخ وأقاربهم سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦/٥٥) ليتساوى الكل فى الخدمة العسكرية والاحتياجات (٥) » . وسمى هذا الإجراء « بلدة العمد » . وتلا هذا الأمر أوامر أخرى لجمـــع الجنود فى السنوات ١٢٧٤ (١٨٥٨/٥٧) و ١٢٧٥

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٤

(١٨٥٩/٥٨) و ١٢٧٦ (١٨٦٠/٥٩) . أى أن نظام التجنيد لم يكن محددا بفترة معينة ، واستمر الحال على هذا المنوال إلى عصر اسماعيل . على أن هذه الفترة لم تخل مما كان متبعاً فى عصر محمد على من تشويه الأجسام بغية التخلص من الجندية . ولهذا نجد الحكومة المصرية تصدر أوامرها المشددة إلى المديرين بأن يتفقدوا الأفراد الذين ينقصهم أصابع أو فاقدى العين والتحقق من قدم هذه العاهة أو حداثتها . فاذا لاحظوا أنها حديثة متعمدة « يجب محاكمة هؤلاء ومجازاتهم بأقصى العقوبات (١)».

ومن الاصلاحات التى أدخلتها الحكومة وقتئذ على نظام التجنيد قصر مدة الخدمة على سنة واحدة ليستطيع جميع الشبان الذين يصلحون للجندية من خدمة بلادهم .

كذلك أصدرت فى آخر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ (مارس سنة ١٨٥٣) قانونا جديدا للقرعة العسكرية . تنص المادة الخامسة منه على ما يأتى :

« كل من اقتضى الحال أخذه العسكرية بحسب أوراق القرعة التى يحسن إجراؤها ، ثم يشترى بدلا عنه من العبيد السود أو من المولدين يكون معافى من القرعة العسكرية (٢) » . أى أن أى فرد يطلب للجندية يستطيع أن يقدم

---

(١) تقوم النيل . المجلد الأول ج ٣ « إرادة لابراهيم بك مدير أسيوط » فى ١٦ رجب سنة ١٢٨٤ .

(٢) دفتر ٦٨٦ قيد اللوائح والأوامر المستديمة بديوان الخديو من (٢٦ ذى الحجة ١٢٦٨ إلى ٢٥ جماد أول سنة ١٢٧١) وثيقة عربية ص ٨٣ أمر إلى وكيل أمور الخارجية فى ٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٠ . ودفتر ٧٢١ قيدا للوائح والأوامر المستديمة بديوان الخديو وثيقة عربية رقم ١ ص فى ٢٩ شوال سنة ١٢٧

بدله من العبيد أو الأرقام لاستيفاء مدة خدمته بالجيش . وإذا التحق الفرد بالصفوف ثم رغب فى تقديم بدل عنه يصرح له بذلك ، على شرط ألا يكون قد مضى على التحاقه بالجيش أكثر من ١٥ يوما .

وقد شددت الحكومة على المديرين بألا يقوم المشايخ بتجنيد من لهم حق فى الإعفاء من الجندية . فاذا حدث أن قدم أحد المشايخ فردا للجندية ممن ينطبق عليهم قانون الاعفاء ، فعلى المديرية إطلاق سراحه بعد الاطلاع على ما لديها من سجلات ، « ويطلب بدله من أولاد الشيخ الذى يكون ضبط النفر أو من أقاربه . وإن لم يكن له أولاد أو أقارب فيضبط البدل من الناحية كالأصول . ويجرى مجازاة الشيخ بتطبيق البند رقم ٣٠ من لائحة العسكرية، أى بالإرسال إلى الليمان لمدة سنة واحدة فقط » (١) .

التجنيد فى عصر اسماعيل

وقع عبء التجنيد على طبقة الفلاحين الفقيرة الكادحة ، لأن الطبقة الغنية تستطيع الخلاص من الجندية عن طريق إدخال أبنائها المدارس الحربية المختلفة أو تقديم البدل اللازم عنهم . كما أن لها من قوتها ومالها ونفوذها ما يعفيها من هذا الواجب . وكذلك تستطيع الطبقة المتوسطة أن تدفع البدل النقدى لأولادها، أما الطبقة الفقيرة التى لا تملك غير قوت يومها ، فلا تستطيع الفرار منه . مع أنه من المفروض أن التجنيد كان يشمل جميع المصريين على السواء دون تفرقة بين طبقة أو دين (٢). وفى ذلك الوقت أصدرت الحكومة أمرا بأخذ جنود من

(١) المصدران السابقان :

2 - Mc Coan : Egpyt as it is. P. 101

المسيحيين ، وذلك فى ١٦ رجب سنـة ١٢٧٤ (١٨٥٨) [1] . وبالرغم ممـا فى هذا الاجراء من مساواة بين الأقباط والمسلمين فى خدمة بلادهم ؛ فان الاقباط لم يرحبوا به لأنهم قوم ميالون بطبيعتهم إلى أعمال السلم ولا يرغبون فى الحرب. هـذا بالاضـافة إلى أن عدم تجنيد المسيحيين فى مصر منذ الفتح العربى لهـــا ـ باستثناء المحاولة التى قام بها نابليون فى مصر أثناء الحملة الفرنسية ـ قـد أبعدت بينهم وبين الحرب . واستمر تجنيد المسلمين والمسيحيين على قدم المساواة فى عصر إسماعيل كذلك. بل نجد أن الجيش المصرى ضم المسلمين والمسيحيين (أرثوذكس وكاثوليك وبرتستنت) واليهود تحت لواء واحد . وبذلك إستطاعت مصر أن تحل مشكلة تعدد الديانات فى مصر حلا عمليا . هذه المشكلة التى طالمـــا حيرت الباب العالى [3] . وكان غرض الحكومة المصرية من ذلك هو ألا يبقى على إمتياز يوجد الحسد والبغضاء بين رعاياها [4].

المعفون من الجندية

ولقد أعفى من الخدمة فى الجيش كثيرون من ســـكان مصر ؛ فالعربان المقيمون على حدود مصر الشرقية والغربية فى الوجهـــين البحرى والقبلى كانوا معفين .وصدر هـــذا الاعفاء فى عهد محمد على مصحوبا بتمليكهم الاراضى الزراعية التى يقومون على فلاحتها بأنفسهم ؛ مع إعفائهـم من الضريبـة المقررة

(١) تقويم النيل ، المجلد الأول جـ ٣ (ارادة الى إبراهيم بك مدير أسيوط فى ١٦ رجب ١٣٨٤)

2 - Edwin de Leon : The Khedive's Egypt P. 70 .

3 - Mc Coan : Egypt as it is. P. 101

(٤) قاموس الادارة والقضاء جـ ١ ص ٢٩

عليها: وكذلك كانوا معفين من السخرة . وكانت الحكومة المصرية تبغى من وراء ذلك « تحبيب الحضارة لأقوام عاشوا حتى ذلك الوقت فى النهب والسلب والسرقات (١) » : فهؤلاء العربان كانوا مصدر قلاقل لا يستقرون على حال ؛ يقومون بشن الغارات على الأراضى الزراعية من حين لآخر طوال تاريخ مصر الطويل منذ عهد الفراعنة ، فربط هؤلاء بالأرض يحد من نشاطهم فى التجول — ولا نقول يمنعهم تماما — لان هؤلاء القوم لم يقوموا بزراعة هذه الاراضى بأنفسهم كما أمرت الحكومة . بل كانوا يؤجرونها إلى الفلاحين ليستطيعوا التنقل. وقد أصدر محمد على ومن خلفه من الولاة عدة تهديدات ينذرونهم فيها بنزع ملكية هذه الأراضى منهم إذا لم يقوموا على زراعتها بأنفسهم . ولكن هذه التهديدات لم تأت بنتيجة ما ؛ واستمر الحال على هذا النحو حتى أواخر عصر سعيد . إذ أصدرت الحكومة أمرا بتجنيدهم (٢) . بل فرض على العربان المقيمين بمديريتى قنا واسنا « إعطاء أنفار للجهادية فى مقابل إعطائهم أطيانا للزراعة (٣) » : ولكن الخديو إسماعيل كان يحرص على ألا يمس الإمتيازات التى سبق أن منحها جده محمد على لطائفة من الطوائف. فأمر بمراعاة أحكام الإمتياز المعطى لهؤلاء العربان، وعدم أخذ أفراد منهم للتجنيد ، وذلك فى ٩ شعبان سنة ١٢٧٩ (٤) (أوائل سنة ١٨٦٣) .

ومن المعفين من الخدمة كذلك طلبة الازهر ، فاذا أصابت القرعة العسكرية بعض هؤلاء ، يجرى لهم إمتحان فى مواد الدراسة التى يدرسونها ، على أن تشكل

1 - Edwin de Leon : The Khedive's Egypt . P . 370 .

(٢) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٣٠ أمر إلى راغب باشا مفتش عام وجه بحرى فى ٩ شعبان سنة ١٣٧٩ .

(٣ و ٤) المصدر السابق :

لجنة الامتحان « من قاضى مصر ومفتيها وأفندية الدرس العام (١) »: وتختلف درجة الإمتحان باختلاف السن (٢) :

فالطلبة من سن ٢٠ و ٢١ عاما يمتحنون فى الإظهار
والذين من سن ٢٢ و ٢٣ عاما يمتحنون فى الكافيه
والذين من سن ٢٤ و ٢٥ عاما فى الملاجامى والفنارى

فاذا أجاب الطالب ممتحنية إجابه مرضية أعفى من الخدمة ، وإلا أخذ للعسكرية . وإذا ألقينا نظرة عامة على عدد طلبة الازهر والمعاهد الدينية فى سنتى ١٨٧٥ و ١٨٧٧ ؛ وجدناه يبلغ ١٧١ر١٥ طالبا و ٧٤٩ر١١ طالبا على التوالى (٣) . ومنه يتضح العدد الكبير المعفى من الجندية من طلبة المعاهد الدينية . كذلك أعفى تلاميذ المدارس من الإلتحاق بالجيش كجنود ، وقد بلغ عدد هؤلاء فى سنة ١٨٧٨ بنحو ٥٤٥ر١٣٧ (٤) تلميذا . نفس الوقت الذى قدر فيه عدد سكان مصر من الوطنيين فى نهاية سنة ١٨٧٨ بنحو ٢٨٣ر١٠٥ر٥ نسمة (٥) .

---

(١) دفتر ٥٥٣ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ١٨٦ ص ٩٣ من المعية إلى محافظ مصر فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) .

(٢) المصدر السابق (الاظهار والملاجامى والفنارى عبارة عن كتب دراسية)

3 - Ministère de L ' enterieure - Bureau De La statistique . Essai de statistique Generale de L.Egypt .Deuxième Vol. Imprimerie de L , Etat Major Generale Egyptien P . 226 . Le Caire 1879 .

(٤) المصدر السابق ص ٢٢٦ . وليس معنى ذلك أنهم حرموا من الخدمة بالجيش بل التحقوا به كضباط بعد تخرجهم من المدارس الحربية .

(٥) المصدر السابق .

ذكرنا من قبل أن الحكومة المصرية في عهد ولاية سعيد قد أصدرت أمرا في سنة ١٢٧٢ هـ (٥٥ - ١٨٥٦) بتجنيد أولاد العمد والمشايخ . واستمر هذا الأمر قائما حتى ولي إسماعيل الحكم ، فأمر (١) في غرة شعبان سنة ١٢٧٩ (أوائل ١٨٦٣) - أي بعد توليته بأيام - بأن يقبل البدل من أولاد العمد الذين ألحقوا بخدمة الجيش ويطلق سراحهم على أن « يجرى ذلك بصورة دائمة » . أي صرح لأولاد العمد بدفع البدل المالي أسوة بغيرهم .

كذلك أصدرت الحكومة أمرا في غرة شعبان سنة ١٢٧٩ (أوائل ١٨٥٣) « بألا يؤخذ للجهادية أحد من أهل مصر وبولاق ومصر القديمة والإسكندرية (٢) » . وشمل هذا الأمر كذلك اطلاق سبيل كل من أخذ من أهالي هاتين المدينتين في الجيش أسوة بسكان القسطنطينية . ويذكر ماكون Mc Coon بأن هذا الامتياز قديم ولكنه لم يستطع « الكشف عن السبب الذي من أجله منح هذا الإستثناء ، ولكن في بلد كهذا وبين أناس اتخذت العادات والتقاليد قوة القانون ؛ فان قدم هذا العرف يكفي لإستمراره حتى تحت حكم الخديو المطلق (٣) » . فلا غرابة اذاً أن نشاهد في القاهرة والاسكندرية أفرادا من مختلف الاجناس والأديان ، من السوريين ، والقبط ، والأرمن ، واليهود ، والنوبيين ، والاحباش واليونانيين ، والاتراك « يبلغ عددهم ١٥٠ ألف نسمة معفين من الخدمة

(١) محفظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٢١٤ أمر من اسماعيل باشا إلى ناظر الجهادية في غرة شعبان سنة ١٢٧٩ .

(٢) المصدر السابق .

3 - Leon : The Kbedive's Egypt P. 371.

العسكرية (١) » ، الى غير ذلك من الاوربيين الذين لايخضعون لنظام التجنيد ، نتيجة تمتعهم بالامتيازات الأجنبية . وقد بلغ عدد سكان مدينتى القاهرة والاسكندريه من الاجانب حتى آخر ديسمبر سنة ١٨٧٨ نحو ٥٨٦٤٢ (٢) نسمة وهكذا « أصبح عشر السكان نتيجة لهذا الامتياز الغريب معفين من الخدمة (٣) » :

كذلك أعفى من الجنديه الافراد الموجودون بالخدمة فى الجيش نتيجة فقد من يعول أسرهم « دون أن يكون لهم من يحل مقامهم فى ادارة معايش العائلة (٤) » وذلك فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) . وكان أيضا اذا اتضح أن أحد أنفار الجهادية قد أصبح وحيد والديه بسبب وفاة أخوته ، وثبت لنظارة الجهادية ذلك وأراد هذا النفر دفع البدل فيقبل منه ، ويعفى من الخدمة العسكرية (٥) » . وقد كانت الحكومة تصرف معاشا لاهالى الجندى الذى يعول أسرته ، ولكنه ألغى فى بدء حكم اسماعيل (٥) .

---

1 - Leon : The Khedive , s Egypt . P . 371 .

2 - Essai de **Statistique** Generale de l' Egypte .

3 - Leon : The Khedive's Egypt . p . 371 .

(٤) دفتر ٧ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٧٩ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٤ ذى القعدة لسنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

(٥) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٦٩ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٥ رمضان سنة ١٢٨٤ (١٨٦٨) .

(٦) دفتر ٢٥٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٩ ص ٧٧ أمر الى نظارة المالية فى ٩ ربيع ثان ١٢٨١ .

طريقة جمع الجنود

يصف المستر جورج بتلر قنصل أمريكا الجنرال بمصر سنة ١٨٧٠ - طريقة جمع الجنود بالبساطة ، وقلة التكاليف . فتتلخص فى أن يصدر الوالى أوامره إلى المدير أو المحافظ فى كل مديرية أو محافظة بطلب أنفار للجهادية ، فيقوم هؤلاء بتكليف العمد والمشايخ « بجمعهم من الحقول، ويصبحون جنودا بأسرع مايمكن دون مراعاة لميولهم أو مصلحتهم (١) » . ولم يكن التجنيد يجرى طبقاً لاقتراع سنوى « ولكنه تجنيد غير منظم يحدث كل سنتين أو ثلاث سنوات إذا دعت الحاجة إليه (٢) . » ويحدث عادة بأمر عال « سواء أكان الدافع اليه رغبة الخديو أو الضرورة إلى زيادة عدد الجيش (٣) » . وكان العمد والمشايخ يجمعون أكثر من العدد المطلوب بحجة ما قد يسفر عنه الكشف من وجود مرضى أو من لا يصلحون للخدمة . ويمكن لأى فرد من هؤلاء الذين يراد تجنيدهم الخلاص من الجندية نظير دفع مبلغ معين للشيخ أو العمدة (٤) . وكان هؤلاء العمد يعمدون « الى جمع الفقراء والضعفاء ويلتزمون جانب الأغنياء ، وبالأخص أقاربهم وذوى تعلقاتهم (٥) » . ونتيجة لهـذه التصرفات كثرت الشكاوى للمديرين

1 - Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 32 Butler to Hamilton Fish. 30, Dec. 1870.

2 - Mc Coan : Egypt as it is. P. 101.

3 - Leon : The Khedive's Egypt. P. 373.

4 - Dye : Moslem Egypt ... P. 87.

(٥) محفظة رقم ٣٥ (معية تركى) وثيقة رقم ٩٢ من اسماعيل صديق مفتش اقاليم الوجه البحرى الى المعية فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

والمحافظين، فقد أرسل اسماعيل صديق مفتش أقاليم الوجه البحرى إلى الخديو فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (اكتوبر ١٨٦٥) خطابا يوضح له هذه الإجراءات ، ويرجو سموه الموافقة « على جمع العسكر حسب الأرقام أو على حسب الأسم والسن والقرية[١] » من واقع دفاتر الأرقام الموجودة فى نظارة الجهادية ، وذلك لتستقيم الأمور. وقد استعملت هذه الطريقة الجديدة ، ولكن نظرا لإسناد تنفيذها إلى العمد والمشايخ فقد ساروا سيرتهم الأولى .

كذلك كان يجمع المشردون « الذين لا صناعة لهم خلاف التجول فى الطرقات لإحداث الغوغاء والعربدة[٢] » ، ثم يجرى فرزهم وارسال من يليق منهم للخدمة «ضمن العساكر التى سترسل إلى جهة السودان[٣] ». وكانت هذه السياسة تفتقر إلى الحكمة وبعد النظر ، فتخلص الحكومة المصرية من المشردين بارسالهم إلى السودان ، واعتبار تلك البلاد كمنفى لذوى السلوك السيء قد أضر بمصلحة مصر ضررا بليغا .

ورغم أن القانون (قانون القرعة العسكرية) ينص على وجوب تجنيد الشبان الذين فى سن ١٨ إلى ٢٢ عاما ، إلا أنه قد دخل فى صفوف الجيش من يقلون سنا عن ذلك . فاستخدم فى حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ جنود لا تزيد سن أحدهم عن خمس عشر سنة[٤] .

---

(١) محفظة رقم ٣٥ (معية تركى) وثيقة رقم ٩٢ فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٥٣٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٧٥ ص ١١٤ الى محافظ مصر بتاريخ ١٩ شوال ١٢٧٩ .

(٣) دفتر ٥٣٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٣ ص ١٥٨ الى ديوان الجهادية فى ٣ ذى الحجة ١٢٧٩ .

(٤) كشف الستار عن سر الاسرار ج ١ ص ٣٧ .

كذلك كان يجمع لآلايات الجرخجية شبان من سن ١٥ – ١٦ سنة[١] .

أما فى السودان ، فنظرا لقسوة المناخ فى بعض أجزائه ، وعدم ملاءمته للجنود المصريين لكثرة مايلحقهم من أمراض المناطق الحارة التى تذهب بالكثير منهم ، رؤى استخدام جنود من السودانيين أنفسهم . فكانوا يجمعون من السودان، ثم يدربون على التمرينات العسكرية الأولية ، وبعدها يرسلون إلى مصر لاستكمال تدريبهم وتعليمهم ، على أن يعودوا ثانية إلى بلادهم بعد إتمام التدريب . وطريقة جمع هؤلاء السودانيين متعددة، منها أن الحكومة المصرية تلجأ إلى «التنازل لكل شيخ من مشايخ جبال فنج وجهات شلك ودينكه عن مبلغ خمسمائة قرش نظير كل نفر يرسلونه للجهادية[٢] » وذلك من قيمة الضرائب المفروضة عليهم سنويا . أى أن الحكومة المصرية لم تلجأ إلى تجنيد هؤلاء بالقوة ، بل نظير تنازلها عن جزء من اراداتها برضاء مشايخ القبائل أنفسهم .

كذلك وافقت الحكومة المصرية على ما اتخذه حكمدار السودان من إجراءات فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣) بشأن تجنيـــد من يرغب من أهالى مديرية البحر الأبيض، «وباطلاع كبار المشايخ المشهورين فى تلك الجهة[٣] »، على أن يمنح لأسرهم مبلغ مائتان وخمسون قرشا » على سبيـل الترغيب

---

(١) دفتر ٥٤٨ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ٢٤٣ ص ٣٣ من المعية الى ديوان الجهادية فى ١٩ ربيع أول سنة ١٢٨١ (أغسطس ١٨٦٤) .

(٢) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٩٨ قسم ثانى أمر الى موسى باشا حكمدار السودان فى ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٧٩ .

(٣) تقويم النيل المجلد الثانى جـ ٣ ص ٥٦٤ من حكمدار السودان لى المعية السنية فى جماد آخر سنة ١٢٨٠ .

وذلك لصرفها فى إصلاح شئونهم[١] .

وقد استخدمت الحكومة ألفا من العربان المقيمين بحكمدارية هرر كعساكر على « ألا تعطى لهم أسلحة نارية من الحكومة ، بل يكونوا بآلاتهم المعتادين عليها مثل الحرب والنبال[٢] » ، وترتب لهم ماهيات وتصرف لهم أقمشة ، بالإضافة الى التعيينات المخصصة لهم . وكذلك يصرف لمشايخهم مرتبات شهرية . وكان الغرض من هذا الإجراء اقناعهم بأن الحكومة لا تبغى إلا « منفعتهم بواسطة إدخالهم فى خدامتها وبذلك يحصل تأليفهم وإصلاح حالهم وتهذب أخلاقهم[٣] » .

كذلك كانت تحصل حكمدارية السودان على ما يلزمها من جنود لتزويد الجيش المصرى بالسودان من « أسرى المصادمات التى حصلت بين قبايل العربان ، أو من الرقيق الذى يجرى ضبطه عند وجوده عرضة للبيع[٤] » . على أن تدرب هذه العناصر بالسودان تدريبا أوليا ، ثم ترسل الى مصر لإتمام تعاليمها العسكرية على أن تقوم الحكومة المصرية بارسال بدلهم من العساكر السودانيين الذين تم تدريبهم . وفكرة تجنيد الأرقاء فى الجيش فكرة سليمة ، فهى الى جانب تزويدها الحكومة بطاقات جديدة ، فهى تهىء لهم حياة جديدة منظمة ، يتمتعون فى ظلها بحياة شريفة تهيئهم لمستقبل حر .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) دفتر ١٠ (معية تركى) امر كريم رقم ٥ ص ٣٣ من المعية السنية الى حكمدارية هرر وملحقاتها فى ٩ ربيع أول سنة ١٢٩٣ « ٤ ابريل سنة ١٨٧٦ » .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق . والوقائع المصرية العدد ٥٧٢ فى ١٣ رجب سنة ١٢٩١ « ٢٥ أغسطس سنة ١٨٧٤ » . والسودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٢٧ .

فرز الجنود

تجرى عملية جمع الجنود على النحو الذى أشرنا اليه سابقا ، ثم يسير هؤلاء المجندون الى مكان الفرز يحف بهم النساء والأطفال من كل جانب حيث يعرضون على لجنة الفرز التى تتكون من أطباء عسكريين ، فمن وجد منهم ملائما ضم الى الجيش إذا لم يقدم بدلا عنه . أما الذين لا يقوون على حمل السلاح فيلحقون «فى الخدمات الخارجة عن حمل السلاح كسقايين وطباخين[1]» . ويبقى المقبولون تحت الطلب ولا يسمح لهم بمغادرة الديار المصرية إلا لأداء فريضة الحج » ، بشرط أن تؤخذ ضمانات قوية من الأفراد المفروزين الجهادية لأجل عودتهم[2] » . ويمر هؤلاء المفروزون بأياد كثيرة من باشوات وبكوات قبل أن يعرضوا على ناظر الجهادية الذى يوقع عليهم الاختبار النهائى ، وله الحق فى إعفاء أى فرد يرى عدم صلاحيته للجندية[3] .

بدل الجندية (البدلية)

الأصل فى البدل أن يقدم الفرد المطلوب تجنيده بدلا شخصيا عنه . وعندما أعفى الخديو اسماعيل أولاد العمد والمشايخ من الخدمة نظير بدل شخصى ، ذكر السيد احمد الشريف عضو مجلس شورى النواب فى جلسته المنعقدة فى ٢٨ ذى القعدة

---

(١) دفتر ١٧٨٦ ج ١ أوامر وثيقة رقم ٦ ص ١١٦ من ديوان عموم الجهادية الى وجاق الموزيقات فى ٢٣ ربيع أول سنة ١٢٩٢ .

(٢) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٦٣ أمر الى مفتش وجه قبلى فى ١٣ شوال سنة ١٢٧٩ ، ووثيقه بدون رقم ص ٧١ امر الى شاكر باشا مفتش وجه بحرى فى ١٣ شوال سنة ١٢٧٩ .

3 - Dye, Moslem Egypt. P. 57.

سنة ١٢٨٤ (مارس سنة ١٨٦٨) بأن هـذا الإجراء ميسور بالنسبة لاولاد المشايخ ووجوه القـوم . أما بالنسبة للأهالى « فليس فى وسعهم ترغيب بعضهم بعضا فى مثل ذلك [١] » وطالب الحكومة بقبول بدل نقـدى تقرره « وهى بمعرفتها تستحصل على من يرغب [٢] » . فأجل هـذا الاقتراح لجلسة أخرى لسماع رأى الحكومة فيه . وقد وافقت الحكومة على المبدأ [٣] ، ولـكنها لم تحدد البدل المطلوب . وأحيل الموضوع الى قومسيون التعداد للاسترشاد ببعض البيانات الخاصة بما يدفع من البدل فى البلدان الآخرى .

وقبل أن توافق الحكومة على البدل النقدى كان تقديم البدل الشخصى ميسورا بالنسبة للأغنياء « وأهل الصنعة والتجارة » عندما كان الرق مباحا . فاذا طلب أحد من الطبقة الغنية أو المتوسطة للجندية بادر بتقديم عبد بدلا منه قد بلغ السن القانونية . ومن طريف ماروته الوثائق شكوى قدمها أحد أهالى المحلة الـكبرى ويدعى « على بن احمد الصائغ » فقد طلب للتجنيد فقدم عبدا بدلا منه ، واستمر هـذا العبد تحت السلاح حتى مات . ثم طلب الشاكى للامدادية (الرديف) ، فأخبر ديوان الجهادية بأنه سبق أن قدم عبدا بدلا منه ، فلم يأخذ الديوان بأقواله . فقدم عبدا آخر ، إلا أنها لم تقبله أيضا . ثم قبضت على والد هذا الشخص وعمره ٩٥ عاما وحبسته كرهينة

---

(١) الوقائع المصرية العدد ١٩٣ فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ (١٧ ابريل سنة ١٨٦٨) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوقائع المصرية العدد ١٩٤ فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ (٢٠ ابريل سنة ١٨٦٨) .

الى أن يحضر صاحب الدعوى(١) . فالبدل اذاً لا يعفى الشخص المطلوب من الإمدادية (الرديف)، ولو أنه يعفيه من الخدمة فى الجيش عندما يطلب للجهادية عند بلوغه السن القانونية .

ولكن بعد الغاء الرق أصبح موضوع البدل أكثر تعقيدا عن ذى قبل . فقد رفضت الحكومة قبول الأرقاء بدلا من أولاد الاغنياء والتجار وأهل الصنعة ؛ «لأن الرق أصبح منهيا عنه فى هذه البلاد(٢) (مصر) ». فلتذليل هذه العقبة رفع ناظر الجهادية مذكرة الى الخديو اسماعيل يوضح له فيها ماتتخذه الدول الاوربية — خصوصا فرنسا — « من قبول بدل نقدى لتعسر إحضار بدلات شخصية(٣)» ، فتأخذ عن كل فرد يريد إعفاء من الخدمة ٢٣٠٠٠ فرنك . كما تأخذ من كل فرد يرغب الخروج من الخدمة ٥٠٠ فرنك عن كل سنة بقيت له(٤) . وبناء عليه ووفق على أخذ بدل نقدى . فجاء فى (لائحة الاجراءات المتعلقة بالعسكرية) بالبند الثالث والعشرين بأن الشبان الذين يطلبون للخدمة العسكرية « يجوز أن ينالوا عدم الحاقهم بالعسكرية بواسطة دفع قيمة البدلية الى صندوق العسكرية(٥)». وقد فسر الغرض من أخذ البدل النقدى بأنه «استبدال الشبان المذكورين بجهاديين

(١) محفظة ٤٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٦٩ من كاتب ديوان الخديو الى وكيل الجهادية فى ٢٩ رمضان سنة ١٢٨٣ .

(٢) محفظة ٣٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٣٠٧ من اسماعيل سليم باشا ناظر الجهادية الى باشمعاون الخديو فى غرة ذى الحجة سنة ١٢٧٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) تقويم النيل . المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٥١ .

من الذين أوفوا مددهم بالخدامة (الخدمة) ثم يصير إلحاقهم ثانيا بالعسكرية برسم البدليه اذا أرادوا ، أو من الإشخاص المعـــافين من الدخول بالعسكريه"(١) » .

ولم تسمح الحكومه للدينين من دفع البدل خشيه « أن يلجأوا الى اقتراض المبلغ بالأرباح أو بيع أى شيء من أطيـانهم(٢) » . وبعرض هذا الموضوع على مجلس شورى النواب نص على « أن المدينين الذين تداينوا بحسب مقتضيات مصلحتهم ، وعند تسويتها واظبوا على تسديد التقسيط، واذا أرادوا تقديم البدليه لم يتكلفوا أخذها بالدين ؛ ولا بمبيع أطيانهم لايكونوا كالذين صار استثناؤهم من البدلية(٣) ».

فالبدل كما رأينا قد تطور طبقا لمقتضيات الظروف من بدل شخصى الى بدل نقدى ، وهو ما يسمى (بالبدلية) ، وكانت تدفع عند أول طلب قبل أن يلتحق المقترع بالجيش . ولم يقتصر دفع البدلية على الذين تقع عليهم القرعة فحسب ، بل شمل هـذا النظام الذين التحقوا بالجيش وامضوا فيه مـدة قصيرة كانت أم طويلة ، من رتبه النفر الى الصف ضابط ، سواء منهم من كان موجـودا تحت السلاح أو من كان منهم بالامداديه(٤) (الرديف) . فكان على كل راغب فى الخروج من الخدمه أن يدفع مبلغا معينا عن كل سنه بقيت له فى الخدمه .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الوقائع المصرية العدد ١٩٧ فى ٧ محرم سنة ١٢٨٥ (٣ ابريل سنة ١٨٦٨) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) دفتر ٢٨٣٢ أوامر وثيقة رقم ١٨ من المعية الى ديوان الجهـادية فى ٤ صفر ١٢٨٥ .

وتتفاوت هذه المبالغ بتفاوت الرتب العسكريه؛ فالمبلغ الذى يدفعه النفر غير الذى يدفعه الانباشى غير ما يدفعه الجاويش . وهكذا فكلما ارتفعت الرتبه كلما كبر البدل والعكس صحيح .

وكانت الدولة العثمانيه تتبع نظاما مشابها لهذا النظام فتقوم بجمع العساكر بالقرعه ثم تأخذ البدل ممن يقدرون على دفعه ، ثم يخلى سبيلهم ويؤخذ من جديد عساكر آخرون بالقرعه من مناطق أخرى بقدر عدد العساكر الذين دفعوا البدل[1] » . وخصصت المبالغ المتحصلة من البدل فى شراء الاسلحه اللازمه للجيش[2] .

وفى ٢٣ شعبان سنه ١٢٩٧ (٣١ يوليه سنه ١٨٨٠) صدر قانون آخر للقرعه العسكريه المصريه اشتمل على ٣٧ بنداً[3] . ثم صدر قانون القرعه العسكريه فى ١٣ مايو سنه ١٨٨٥ بتعديل مادتى ١٥ و ٢٣ من قانون القرعه العسكريه السابق ؛ وينص على أنه يجوز لمن تصيبه القرعه العسكريه أن يتخلص منها بدفع بدل نقدى قدره ١٠٠ جنيها مصريا فى ميعاد ١٥ يوما من تاريخ الطلب . ثم عدلت مرة أخرى فى ١٢ يونيه سنه ١٨٨٦ بأن يدفع مبلغ ٤٠ جنيها مصريا للمقترع قبل حضور طلب المعافاة أمام مجلس القرعه و ٥٠ جنيها

---

(١) دفتر ٢١ عابدين وثيقة رقم ٤٠٦ من الباشمعاون الى خورشيد باشا بالاستانة فى آخر محرم سنة ١٢٨١ .

(٢) محفظة ٤٣ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٣٨٠ من شاهين كنج الى مهردار الخديو فى ١٧ صفر سنة ١٢٨٥ (يونيه ١٨٦٨) .

(٣) ديوان الجهادية المصرية . قانون القرعة العسكرية المصرية . مطبعة أركان حرب الجهادية سنة ١٢٩٧ (ص ٣ — ٣٩) .

مصريا بعد أن تصيبه القرعه- و ١٠٠ جنيها مصريا بعد طالبه للانتظام فى سلك الجيش وفى أى وقت من مدة الخدمه- العسكريه-[١] .

ومن هذا نرى أن نظام البدل النقدى الذى ساد فى مصر ، قد أخذت به بعض الدول الاوربيه- مثل فرنسا ، كما سبق الاشارة اليه . وعلى أى حال فقد كان هذا النظام بغيضا لدى المصريين ، لا سيما الطبقه- الكادحه- التى كانت تشعر فى ظله بتلك التفرقه- فى خدمه- الوطن بين القادرين وغير القادرين ؛ بين الذين يملكون والذين لا يملكون .

التهرب من الجندية

لما كان عبء الخدمه- العسكريه- يقع فى الواقع على كاهل الطبقات الفقيرة من الفلاحين دون سواهم ؛ ونظرا لكراهيه- هؤلاء لها لطول مدة الخدمه- ، ولتعارضها مع مصالحهم الخاصه- ، لجأوا الى ما كان يلجأ اليه آباؤهم من قبل فى عصر محمد على من بتر أصابع أرجلهم وأيديهم وتشويه وجوههم للتخلص منها ، وازاء هذه المشكله- اضطر محمد على الى مقاومه- هذه الظاهرة بانشاء فرقه- من المشوهين ، استخدمها فى غير الاغراض الحربيه- . وقد عالجت الحكومه- فى عهد الخديو اسماعيل هذا الموضوع بنفس الطريقه- ، فاصدرت أمراً الى ناظر الجهاديه- بأن كل فرد تسبب فى إتلاف عضو من أعضاء جسده ؛ بغيه- التخلص من الخدمة العسكريه « يؤخذ للجنديه- بالحالة التى وجد عليها ، سواء كان مقطوع الاصبع ، تالف العين ، ويؤخذ المعمل بالسكة الحديد[٢] » . وقد يضم للجيش

(١) مجموعة القوانين والقرارات بدار المحفوظات التاريخية لسراى عابدين العامرة .

(٢) محفظة ٧ جهادية وثيقة عربية رقم ٢٧١ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية فى ٨ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ .

أيضا . فكما يذكر الضابط الأمريكى داى Dye - من هيئة أركان حرب - بأن من الأشياء العادية أن يرى المرء جنودا فاقدى الابهام أو أحد الأصابع بين صفوف الجيش[1]».

وكان العمد والمشايخ يعمدون بطرق الغش والاحتيال إلى تخليص أبنائهم من الجهادية أو الإمدادية . ولذا فقد أصدر الخديو اسماعيل منشورا إلى جميع المديرين فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٠ (أواخر ١٨٦٣) يبلغهم فيه بأن كل من يحاول من المشايخ أو العمد تخليص ابنه من الجهادية أو الإمدادية « يؤخذ هو رأسا إلى الجهادية [2] » . ولكن نظرا لعدم إجراء عملية جمع الجنود طبقا لقواعد دقيقة منظمة كانت هناك فرص كثيرة التهرب من الجندية ، وذلك برشوة المشايخ والعمد[3] .

مدة الخدمة بالجيش

لم تكن مدة الخدمة واحدة فى جميع أسلحة الجيش ، ففى سلاح المشاة يبقى الجندى فى الخدمة خمس سنوات ، وفى سلاح الفرسان ست سنوات ،

---

1 - Dye ; Moslem Egypt .... p. 57

(٢) دفتر ٣٣ه (معية تركى) وثيقة رقم ٣٦ ص ١٩ من المعية إلى مدير المنوفية فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٠ . ودفتر ٣٣ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ١٦ من المعية الى مدير أسيوط فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٠

3 - Dye, Moslem Egypt.... p. 57.

وفى سلاح المدفعيـة سبع سنوات [١] . أما مدة الإمدادية (الرديف) فهى سبع سنين . «وفى خلالها لايدعون مطلقا للتمرين ، ولكن للتعبئة والتجنيد فقط [٢]».
وقد عثرت على وثيقة تحدد مدة الخـدمة تحت السـلاح بست سنوات دون تمييز بين سلاح وآخر . وكـذلك مدة الإمدادية بست سنوات كـذلك [٣] ، إذا لم يرتـكب الجندى « سابقة فرار أو جناية» [٤] . وتحسب مدة الخدمة بالزمن الذى يقضيه الجندى تحت السلاح . ففى عصر سعيد مثلا ، نظرا لعـدم وضعه نظـاما معينا لذلك كان يقوم بجمع الجنود ، ثم لايلبث أن يسرحهم ، ثم يعيدهم من جديد وهكذا . فكانت تحسب مدة هؤلاء بمجموع المـــدد التى قضوها بالجيش أو الإمدادية مع حذف مدة تسريحهم منها . فمن أوفى المدتين تحت السلاح «يربط له يومية على مقدار اكتسابه بمماثلة لأقرانه من أولاد البلد [٥] ».

وفى سنة ١٨٦٦ صدر فرمان من البـاب العـالى يمنح الخديو الحق فى زيادة عددقوات الجيش المصرى إلى ثلاثين ألفا فى وقت السلم . فلـكى يصل الخديو بالجيش

---

1 — Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/1 Article de Hans Wachenhusen en 1870.
Mc Coan : Egypt as it is p. 100.

(٢) المصدران السابقان .

(٣) دفتر ٩٨٧ جـ ٢ أوامر جهـــادية وثيقة رقم ٩٩٦ من ناظر الجهادية الى مهمات عسكرية فى ٢٢ جمادى الاخرة ١٢٨٢

(٤) المصدر السابق

(٥) دفتر ٩٨٧ جـ ٢ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ٩٩٦ من ناظر الجهادية إلى مهمات عسكرية فى ٢٣ جمادى الاخرة ١٢٨٢ .

إلى هذا العـدد اتبع نظام الخـدمة القصيرة الأمد التى بمقتضاها أصبح ما يزيد عن نصف عـدد رجال الجيش ـ بعد استكمال تمرينهم ـ يرسلون إلى ديارهم فى أجازات غير محدودة الأجل ليحل محلهم جنود جدد . وهؤلاء بعد تمضيـة مدة تتراوح بين سنة وثمانية عشر شهرا يسرحون ليحل محلهم آخرون وهكذا [١] . وهذه الطريقة مكنت الخديو من الاحتفاظ بقوة فعـالة تبلغ الثلاثين ألفا . وفى نفس الوقت أتاحت الفرصـة أمام الجنود المتفـرغ إلى مزارعهم والاهتمام بها بعض الوقت .

إلا أنه بالرغم من ذلك يمكننا القول أن الجندى كان يمكث أكثر مما حدد له دون أن يكون له رغبة فى ذلك . وهذه المدة الطويلة كانت فى بعض الأحيان تفقده ورحه المعنوى وطموحه كذلك [٢] . وقد غالى بعض الذين تنـاولوا هذه الناحية بالـكتابة ، فذكر الضابط الأمريكى داى بأنه «عندما يقبل أحد فى الخدمة يصبح جنديا عاملا إلى الأبد أو من الجنود المتقاعدين[٣]» .

الفرار من الخدمة

كره المصريون الخدمة العسكرية لما ذكرناه سابقا ، فلجأ البعض إلى التهرب من الخدمة بطريق الرشوة أو التشويه . أما الفريق الآخر فقـد دخـل الخدمة مكرها . إلا أننا نجد أن أغلبهم حينما ينخرطون فى الجيش ينسجمون مع حياتهم

---

(1) Mc Coan ; Egypt as it .... p, 99
(2) « « « p. 57
(3) Dye ; Moslem Egypt .... p, 57

الجـديدة . أما البعض الآخر فقـد ينتهزون أية فرصة للفرار . ولفرار الجندى أسباب عديدة منهـا : ارتـكابه أمرا يخـالف التعليمات العسكرية فيخشى عقـابه فيهرب ، أو يمنح أجازة لقضائهـا بين أهله وعشيرته فتسول له نفسه التخلف فيختفى عن الأنظـار ، أو لطول المدة التى قضاهـا فى العسكرية، وكثرة ما ناله من تعب .

عقوبـة الفـرار

لذلك فقد لجأت الحـكومة ـ أو ديوان الجهـادية بصفة خاصة ـ إلى تشديد العقوبة على هؤلاء الفـارين . واختلفت العقوبة من وقت لآخر ، ففى عهد سعيد كان يطبق على الفارين أقسى العقوبات . فبالإضافة إلى ما ينالهم من عقاب بنـاء على أحكام المجلس العسكرى ينقلون «إلى السودان مع بيع ممتلكاتهم وتوريد أثمانها للديوان (١) » . ولـكن الحـكومة المصـرية عدلت عن هـذا الأسلوب القـاسى ولم توافق على هذه الاجراءات التى « لا تقبلها الطبيعة البشرية » (٢) ، واكتفى بمعاقبتهم طبقا للائحة العسكرية : ثم أمرت باحصاء الأطيان والمواشى التى بيعت للسبب المذكور مع بيان أثمانها وأسماء البائعين والمشترين لارجاعها إلى أصحابها (٣)

---

(١) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) وثيقة تركية بدون رقم ص ٢٣ أمرا إلى على شكرى باشـا مدير البحيرة فى آخر رجب سنة ١٢٧٩

(٢) المصدر السابق ، والوقائع المصرية العـدد رقم ٥ فى ٢ شعبان سنة ١٢٨٢ (٢١ ديسمبر ١٨٦٥) وقاموس الادارة والقضاء ج ١ ص ١٥٧

(٣) المصدر السابق

وفى ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) أصدرت الحكومة أمرا [١] بالموافقة على ما حدده المجلس العسكرى فيما يتعلق بعقوبة الفارين من الجندية . وتنص هذه العقوبة على « تقييدهم بالأغلال فى أرجلهم لمدة ستة شهور واستخدامهم بالخدمات السفلية [٢] » ، وعدم صرف مرتبات أو ملابس لهم ، بل يعطون خبزا فقط . وبعد إنقضاء مدة العقوبة يقيدون من جديد على أنهم مستجدون مع عدم احتساب مدة الخدمة السابقة المعقوبة .

كذلك كان كل من يتأخر عن نهاية أجازته من الصف ضباط والعساكر يحرم من أجازته مدة سنة ، ثم خففت هذه العقوبة إلى ستة أشهر فقط [٣].

ولم تقتصر العقوبة على الفارين فحسب ، بل شملت ذوى قرباهم وكل من عاونهم على الفرار . فنجد مثلا أحد الجنود قد فر من الجيش بعد إرتكاب جريمة سرقة ، فقبض عليه وعلى « الرجل الذى أخفاه عنده ، وكذلك شيخ الحصة التى وجد فيها الهارب [٤] » ، وألحقوا جميعا بالعسكرية « ضمن جماعة

---

(١) محفظة ٧ جهادية وثيقة تركية رقم ٢٧٧ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٨٧٩ . ودفتر ٥٢٦ (معية تركى) وثيقة تركية بدون رقم س ٨٥ قسم ثان أمر إلى الباشا قائد البحرية فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ . ودفتر ٥٢٥ معية تركى وثيقة تركية رقم ٥٦ ص ٨٣ أمر إلى ناظر الجهادية الفريق اسماعيل باشا فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ .

(٢) المصادر السابقة

(٣) دفتر ١٥١٣ أوامر جهادية (وثيقة رقم ١١٦) ص ١٠٦ من ديوان عموم الجهادية إلى ٣ بيادة ٢جى فرقة فى ٢١ شوال سنة١٢٨٨.

(٤) محفظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٣٦٨ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٦ جمادى الاخرة ١٢٨٠.

الحفارين بحسب لياقتهم (١) » .

وفى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٨٧ (أوائل سنة ١٨٧١) صدر أمر لنظارة الجهادية بشأن سد النقص الذى حدث فى صفوف الجيش من جراء فرار الجنود « بأخذ بدل هؤلاء الانفار من أخص أقاربهم وإلحاقهم بالعسكرية لاستكمال الآلايات (٢) » ، مع تشديد البحث عن الفارين . وأصدرت الحكومة أمرا كذلك بأن كل جندى من الوجه البحرى يمنح أجازة ثم يتخلف عن الحضور « مدة شهر من الاجازة يصير أخذ بدله من أحد أقاربه ويلحق بالعسكرية (٣) » . أى أن الاسرة متضامنة تعتبر مسئولة عن كل فرد من أفرادها تسول له نفسه الهروب من الخدمة (٤) . ولبيان عدد الذين ارتكبوا هذه الجريمة نذكر على سبيل المثال أن عددهم بلغ ، بعد استنزال الذين مسكوا وأتى بهم بلغ لغاية جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ (أواخر ١٨٦٥) ألف وثمانية وأربعين جندى (٣) . كما بلغ عدد الفارين والمتأخرين بالاجازة فى سنة ١٢٨٧ (أوائل ١٨٧١) ٢٠٧١ نفر (٦) جهادية من الوجهين القبلى والبحرى .

---

(١) المصدر السابق

(٢) أمين سامى باشا . تقويم النيل ، المجلد الثانى ج ٣ ص ٩٠٠ (أمر كريم للجهادية فى ٥ ذى القعدة ١٢٨٧).

(٣) المصدر السابق .

(4) Dye, Moslem Egypt .... p. 57

(٥) محفظة ٣٥ (معيه تركى) وثيقة رقم ٢٣٤ من اسماعيل سليم ناظر الجهادية الى حضرة صاحب السعادة كاتب ديوان جناب الخديو فى ٢١ جمادى الاخرة ١٢٨٢

(٦) أمين سامى باشا . تقويم النيل . المجلد الثانى ج ٣ ص ٩٠٠ [أمر كريم للجهادية فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٧٨ .

فاذا نظرنا إلى هـــذا العدد الكبير من الفارين لا نعجب للقسوة التى عوقب بها الهارب .

كذلك تنص اللائحة العسكرية على ألا يقوم الجندى طوال مدة خدمته بأى عمل يوقعه تحت طائلة العقاب ، فالجنود الذين يرتكبون جرائم خفيفة « يصير معاقبتهم بتنزيل الرتب والحبس البسيط فى محـل خدمتهم(١) » . أما الذين يأتون جرائم كبيرة « كالرشوة والسرقة والتطاول على رؤسائهم(٢) » ، فيلحقون بأورطة الاصلاحية ، حيث يمضون فيهـا مدتهم الجزائية . وفى ٢٩ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) أصدرت الحكومة أمرا بالغـاء أورطة الاصلاحية على أن يرسل الذين لم تنته مدتهم « إلى ليمان اسكندرية لاستيفائها(٣) » .

أعمال الجنود فى مدة الخدمة والامدادية

كانت المهمة الأولى للجيش هى الدفاع عن كيان البلاد ضد أى عدوان يقع عليها ، وشن الحمـلات التأديبية ضد أعدائها . فاذا نظرنا إلى الجيش المصرى وجدناه دائب السهر على حماية حـدود مصر ضد الغـارات التى يقوم بها بدو الصحراء من جهة ، وضد إغارات الأحبـاش من جهة أخرى » ، وكلاهما يميل ميلا شديدا إلى الإغارة ويحتاج إلى مداومة صده والاستعداد له(٤) » ،

---

(١) محفظة ٨ « جهادية » وثيقة رقم ٨٧ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ٩٧١ « أوامر جهادية » أمر إلى ديوان عموم الجهادية فى ٢٩ شوال سنة ١٢٨١ .

4 - Leon : The Khedive's Egypt P. 377.

إلى جانب هذه الناحية الحربية كان يساهم الجنود فى النواحى العمرانية والإنشائية . وهذه الأعمال كان يؤديها الأهالى عن طريق السخرة منذ عهد محمد على . فلما ولى اسماعيل الحكم عزم على محو السخرة لخشيته من ازدياد سخط الأهالى عليها نتيجة إعداد ستين ألف(١) رجل شهريا لأعمال الحفر فى قناة السويس . فقال فى حديث له « إنى أنوى أن أستبدل السخرة بفرق الجيش ، إذ يمكننى المحافظة على الأمن بجزء منه وأستخدم باقيه فى الأعمال العامة (٢) » . أى أن اسماعيل عندما أراد أن يرفع السخرة عن كاهل الأهالى ألقاها على عاتق الجنود .

وعلى هذه السياسة سار اسماعيل طوال مدة حكمه ، فحفر الترع وتطهيرها ، وإقامة القصور الملكية ، وتجميل العاصمة وتنسيقها ، كل هذه الأعمال قام بها رجال الجيش سواء كانوا فى الخدمة أم فى الإمدادية . فمثلا استلزم حفر ترعة الاسماعيلية آلافا من الجنود ، ففرض اسماعيل على مديرى الوجه القبلى ارسال إثنى عشر ألف نفر ، والوجه البحرى ستة آلاف نفر مع « تقسيمهم على أشغال الترعة ، وصرف المؤونه اللازمة لهم ، وتعيين الضباط لإدارتهم فى الأعمال(٣) » . ونظرا لما يبذله هؤلاء الجنود من جهد كبير رأت نظارة الجهادية أن يعطى لهم « شوربة أرز أو عدس صباحا ، وعدس أو فول وقت الظهر ،

---

(١) جورج جندى بك وجاك تاجر . اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ٥٣٩ « معيه تركى » وثيقه رقم ٨٢ أمر الى ناظر الجهاديه فى ٢٤ محرم سنه ١٢٨٢ .

ولحم أو أرز بدفينه مساء[١] » . مع صرف تعيين إضافى لهم[٢] .

كذلك استخدم أنفار الامدادية فى أشغال الكراكات التى تقوم بتطهير الترع، فكان يقدر عدد الانفار الذين سيقومون بهذا العمل ، ثم يجرى تقسيمهم على المديريات، وتتولى كل مديرية تقديم العدد المطلوب منها إلى ديوان الجهادية[٣] .

وفى السودان كذلك تولى الجنود بناء دار الحكومة وأربع ثكنات لإقامتهم ، وعدة منازل للموظفين ، «ولم يسخر أحد من الأهلين فى إقامة هذه المبانى[٤]». واستخدم الجنود أيضا فى بناء مساكن الاهالى ببندر سواكن نظرا لأن «الحدادين والنجارين والبنائين وما اليهم موجودون بكثرة بين العساكر[٥] » المقيمة بتلك المنطقة ، وذلك لتجميل البلدة والعمل على تنسيقها وتنظيمها .

وفى عهد حكمدارية جعفر مظهر (باشا) « أنشئت بلوكات عمارة من العساكر السودانية المتقدمين فى السن بالخرطوم والتاكة وكردفان ومصوع[٦] » ، على أن يقوم بتعليمهم فن العمارة بناءون ونجارون وحدادون من مصر ، وذلك ليكون لهم نصيب فى ترقية بلادهم .

---

(١) دفتر ٣٥٩ « معيه تركى » وثيقه رقم ٣٨ ص ٤١ أمر الى ناظر الجهادية فى غاية رجب سنه ١٢٨١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ٥٤٠ « معيه تركى » وثيقه رقم ٣٠ ص ٥٩ أمر كريم الى مدير المنوفية فى ٢٩ شوال سنه ١٢٨٠ .

(٤) الحركة القوميه « عصر اسماعيل » ج ١ ص ١٤٤ .

(٥) دفتر ٥٥٨ « معيه تركى » وثيقة رقم ٢٧ ص ٥٩ ارادة سنيه الى حكمدار السودان « جعفر مظهر باشا » فى ٢٨ صفر ١٢٨٣ « ١٢ يوليه ١٨٦٦ » نقلا عن الحكم المصرى فى السودان ص ٣٦٠ .

(٦) دفتر ١٨٣٦ « معيه تركى » وثيقه رقم ٤ من حكمداريه السودان الى المعيه السنيه فى ٤ محرم سنه ١٢٨٧ نقلا عن الحكم المصرى فى السودان ص ٣٦٠ .

كذلك نجد فى محافظة مصوع أن العساكر كانوا يقومون « بغرس الأشجار وزرع الخضر وما اليها فى أطراف الجهة التى يقيمون فيها (١) » ليتخذ منهم الأهالى أنموذجا يعملون على منواله . كما وافقت الحكومة المصرية على الإجراءات التى وضعها حكمدار السودان فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٠ بشأن تكليف العساكر المصريين المقيمين بمديرية البحر الأبيض بتعليم وإرشاد الاهالى فنون الزراعة والمعمار والتجارة ... حيث أن الهدف « هو تأسيس وتمكين عمارية تلك الجهة وتكسب أهاليها ودخولهم تحت تناول المنافع والتمدن شيئا فشيئا (٢) . »

ولكن هذه الحالة لم ترض الجنود فأخذوا يتذمرون من قلة الطعام ورداءته وشدة التعب « فيما كان يحملون عليه من العمل فى إقامة القصور الخديوية وتحسين العاصمة وتنظيمها ، وفى الشئون المدنية المحضة الأخرى (٣) » . ويذكر ماكون بأن الخديو إسماعيل خشى أن يستفحل الأمر فقبض على رؤوس الحركة وأعدمهم رميا بالرصاص (٤) .

---

(١) دفتر ٥٥٨ (معية تركى) وثيقة رقم ٣ ص ٣ قسم ثانى أمر إلى محافظ مصوع فى ١٣ شوال سنة ١٢٨٣ (٢٨ فبراير سنة ١٨٦٧) .

(٢) دفتر ٥٥٨ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٢٧ ص ٥٩ إرادة سنية إلى حكمدار السودان مظهر باشا فى ٢٨ صفر سنة ١٢٨٣ (١٢ يوليه سنة ١٨٦٦) نقلا عن الحكم المصرى فى السودان ص ٦٣٠ .

3 - Mc Coan : Egypt under the Khedive Ismail P. 90 & 91

والياس الايوبى فى تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل ص ٤٠٥ .

(٤) المصدران السابقان.

أجازات الجنود

كان الجندى يمنح خلال مدة خدمته أجازات كثيرة ، ولمدد طويلة فى نفس الوقت . ففى أواخر سنة ١٨٦٥ أصدر الخديو أمره إلى ناظر الجهادية بـأن « يعطى لثلث العسكر من كل آلاى بصورة دور دائم شهران يذهبون فيه لقراهم وبلادهم ويقضون حاجاتهم [١] » . وبناء على هذا الأمر كان يمنح الجنود أربعة أشهر فى السنة أجازة . إلا أن هذا الإجراء قد أفاد العساكر المتوطنين بالوجه البحرى نظرا لقصر أسفارهم وسهولة مواصلاتهم. أما زملاؤهم من سكان مديرية أسيوط إلى أقاصى الصعيد فلم يستفيدوا من هذه الأجازة الفائدة المطلوبة لبعد الشقة ، حيث يقضون فى الطريق ٢٠ يوما أو أكثر ذهابا ومثلهم إيابا [٢] . » ولذا فقد منح هؤلاء الجنود أجازاتهم السنوية ومدتها أربعة شهور دفعة واحدة.

إلا أن هذا النظام قد عدل بعد ذلك ، فأصبحت الأجازات دورية تمنح للجنود من رتبة النفر إلى رتبة الصف ضابط لمدة ثلاثة أو ستة أشهر كل سنة [٣] . على أن يسمح لهم كذلك بأجازة قصيرة لمدة عشرة أيام إلى ثلاثين يوما ، علاوة على الأجازة السابقة ، بناء على طلبهم (٤) . على ألا يصرف لهم إستحقاق عن هذه الأجازات ماعدا الأجازات القصيرة (من عشرة إلى خمسة عشرة يوما) .

---

(١) محفظة رقم ٣٥ [معية تركى] وثيقه رقم ١٦٦ من إسماعيل سايم ناظر الجهادية إلى مهردار الخديو فى ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٨٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ١٠١٣ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ١٢٢ ص ١١٤ من ديوان عموم الجهادية إلى ٣ بياده ٢ جى فرقة فى ٢٤ شوال سنة ١٢٨٨ .

(٤) المصدر السابق .

بعكس ما كان متبعا مع ضباط الجيش إلى رتبة الأسبران (حامل العلم وهى رتبة أعلى من الصول)، فكان يصرف لهم نصف المرتب « أسوة بخدمة الدواوين الملكية(١) ».

وكان الغرض من منح هذه الأجازات الطويلة للجنود هو التوفيق بين الخدمة العسكرية ومصالحهم الخاصة. أى التوفيق بين الجندية وبين فلاحة الارض، لاسيما وأن معظمهم من الفلاحين . وبهذه الطريقة عالجت الحكومة مشكلة فرار الجنود من الجيش ، والتى يرجع سببها الأساسى إلى حيلولة الخدمة العسكرية بينهم وبين أراضيهم التى أحبوها وبذلوا جهودهم فى سبيلها .

الضمانات والمكافآت التى تمنح للجنود

نظرا لما يقوم به الجندى من خدمات جليلة للدولة مضحيا فى ذلك بمصالحه الخاصة ، رأت الحكومة أن من واجبها نحوه أن تحبوه ببعض الضمانات الخاصة صيانة لمصالحه ، وإعترافا منها بخدماته . فسمحت للجنود الموجودين بالخدمة بالتصرف فى أطيانهم سواء « بالايجار أو المشاركة أو بزراعتها بمعرفة أقاربهم بحيث يبقى التكليف باسمهم عند عودتهم إلى بلدهم يستولون عليها بلا مزاحم(٢) ».

كذلك إذا فر أحد الجنود قبل وفاء مدة الخدمة « فلا يعد فراره تسحبا بل تبقى أطيانه باسمه تحت يد من أعطاها له بمعرفته قبل فراره إلى حين

(١) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٨٣ أمرا إلى ناظر الجهادية فى ٨ صفر سنة ١٢٧٥ .

(٢) الوقائع المصرية العدد رقم ٥ فى ٣ شعبان سنة ١٢٨٢ (٢١ ديسمبر سنة ١٨٦٥) وقاموس الادارة والقضاء جـ ١ ص ١٥٧ .

عودته [1] » . وإذا حاول المستأجر فى أثناء غياب الجنـدى وضع يـده عليهـا مهما بلغت المدة « لايسقط حق العسكرى فيهـا أبدا (٢) » . هــذا فضلا عن تخصيص معاشات وتعويضات لهؤلاء الجنود ، أوضحناهـا فى الفصل الخـاص بمرتبـات رجال الجيش .

ولتخفيف الأعبـاء المالية عن كاهل رجال الجهادية الذين ليست لديهـم القدرة على تعليم أبنائهم أصدرت الحكومة أمرا فى ١٠ محرم سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) بقبول أولاد كل من لايستطيع تحمل نفقات تعليمهم ، والحاقهم بالمدارس الملكية للتعليم ومصاريفهم تكون على طرف الديوان (٣) ».

ملاحظات عامة عن التجنيد والخدمة العسكرية

ممـا يؤخذ على نظام التجنيد فى ذلك الوقت أن القائمين على أمره لم يعتمدوا فى طلب المرشحين للخدمة على السجلات الرسمية بل ترك الأمر للعمد والمشايخ يجمعون الشبان تبعا لأهوائهم وميولهم، فأخذوا الضعفاء وتجنبوا الأقوياء، فعمت الرشوة وطرق الغش والاحتيال، وكثرت الشكاوى إلى المديرين والمحافظين (٤).

---

(١) المصدران السابقان ودفتر ٢٥٦ (معية تركى) وثيقة بدون رقـم أمر إلى على شكرى باشا مدير البحيرة فى آخر رجب سنة ١٢٧٩ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) تقويم النيل . المجلد الثالث جـ ٣ ص ١٠٥١ (أمر كريم لديوان المدارس فى ١٠ محرم سنة ١٢٩ .

(٤) محفظة ٣٥ (معية تركى) وثيقة رقم ٩٢ من إسماعيل صديق مفتش أقاليم الوجه البحرى إلى المعية فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

وقـد إستمر العمد والمشايخ يتمتعون بهذه السلطة المطلقة منـذ ذلك الوقت إلى زمن قريب .

والعيب الثانى أن الخدمة العسكرية اقتصرت على الطبقات الفقيرة والمستضعفة التى لاتملك بدلاشخصيا أونقديا. وكذلك اقتصرت أيضاً على طبقة الإرقاء الذين كان يقدمهم الأغنياء بدلا من أبنائهم. فأصبح عبء الدفاع عن البلاد يقع على كاهل هذه العناصر المستضعفة التى لايصيبها من خير البلاد إلا النذر اليسير . وإلى جـانب هذه الفئة فئـات أخرى أعفيت من الخدمة ، لا لسبب معقول سوى أنهـــا من سكان مدينتى القاهرة والاسكندرية . فاذا كان هناك سبب لهذا الاعفاء فلا يخرج عن كونه تقليدا لما يتمتع به أهالى القسطنطينية . وإذا علمنا أن عدد سكان هاتين المدينتين يـكون عشر [1] عدد السكان إزدادت دهشتنا لهذا الإجراء .

كذلك كانت طريقة جمع الجنود قاسية عنيفة ، ولا تتفق مع الغرض السامى الذى جمع من أجله الجنود . فقيدهم بالسلاسل ، وسير النساء فى ركابهم يصرخن ويولون أثارت اشمئزاز الأجانب حتى قال عنها أدوين دى ليون Edwin de Leon (قنصل أمريكا الجنرال بمصر) بأنهـا « مناظر مؤذية لن تنمحى من أرض مصر طالما وجد التجنيد أو وجدت السخرة [2] » .

كما أدى طول مدة الخدمة بالجيش ، واستخدام الجنود فى حفر قناة السويس وفى الأعمال المدنية إلى إثقال كاهلهم . فقد أخذوا على عاتقهم حمـاية البـــلاد ، ورفع السخرة عن أهلها . وفى نفس الوقت الذى أعفى من الخدمـــة العسكرية

1 - Leon : The Khedive's Egypt . . . . P . 371

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٣ .

سكان القاهرة والاسكندرية ، وأيضا الأجانب المتمتعون بالإمتيازات الأجنبية.

كذلك لم تعرف مصر فى ذلك الوقت نظام التجنيد الاجبارى الذى لايقبل البدل . ولانستطيع أن نلوم الحكومة المصرية وقتئذ لعدم تطبيقه ، وذلك لأن نظام البدل كان موجودا بفرنسا [١] التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت ـ قبل سنة ١٨٧٠ ـ من أرقى دول العالم فى النظم الحربية ، وعنها أخذت مصر هذا النظام. بل إن الدولة العثمانية فى ذلك الحين لم تكن تستخدم نظاما أفضل مما تتبعه مصر [٢] .

والتجنيد بالنسبة للسودانيين حسناته العديدة . فقد أخرج الكثير من أفراد القبائل الضاربة بدارفور وكردفان ومديرية خط الاستواء من حالتهم البدائية الأولى، حياة التوحش والهمجية، إلى حياة الاستقرار والنظام. فمثلا كان يسودبين أهالى نيام نيام عادة أكل لحوم البشر ، فبادخال هؤلاء فى صفوف الجيش المصرى وتعيينهم بالمحطات العسكرية المختلفة مع الجنود المصريين وجنود الباشبوزق، جعلهم يقلعون عن هذه العادة الذميمة بالقوة، وأخذوا يقلدون زملاءهم من الجنود المصريين وغيرهم فى عاداتهم وطباعهم ونظمهم. وكانت مدة خدمتهم الطويلة كافية لاستئصال الكثير من العادات الخبيثة التى تعودوها فى حياتهم الأولى. فاذا عاد هؤلاء إلى أقوامهم بعد قضاء خدمتهم فى الجندية كانوا رسل نور ومدنية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فالجندية قد قامت باستغلال طبيعتهم الحربية وهذبتها وأخضعتها للنظم العسكرية

(١) دفتر ٥٣٤ (معية تركى) وثيقه رقم ٥٢ س ٨٨ من إسماعيل باشا ناظر الجهاديه إلى المعية السنية فى أول ذى الحجه سنه ١٢٧٩ .

(٢) دفتر ٣١ عابدين وثيقه رقم ٤٥٦ من الباشا الباشمعاون إلى خورشيد باشا بالاستانة فى آخر محرم سنه ١٣٧١ .

الحديثة . فأصبح هؤلاء من خيرة الجنود فى ميدان القتال .

كذلك نجد أن تجنيد السودانيين كان لإشراكهم فى الدفاع عن بلادهم ، بل لقد وجدنا أن أغلب القوات الموجودة بالسودان كانت من الجنود السودانيين أنفسهم . وقد نبغ منهم ضباط عديدون مثل آدم باشا وغيره ... واستخدم هؤلاء فى مصر والسودان على السواء أسوة بالجنود المصريين .

ولم يقم الجنود السودانيون بمهمة الدفاع فقط ، بل إستخدموا فى بناء المرافق العامة بالسودان ، من بناء الاستحكامات ، ومد الخطوط الحديدية ، وإصلاح الأراضى البور ، واستغلال الأراضى الزراعية الموجودة فى حدود مراكزهم العسكرية . فكان يلحق بكل محطة عسكرية أرض زراعية يتولى الجنود السود فلاحتها وإستثمارها . أى أن الجندية قد علمت هؤلاء فن العمارة والصناعة والزراعة . وكل هذه الصناعات جلبت لهم ثروة عن طريق كان مجهولا لديهم . بل لقد كان لهم فخر الاشتراك مع الجنود المصريين فى تعمير السودان وإصلاح أحواله .

كذلك قام الجيش بمجهود كبير فى محاولة القضاء على الرق بالسودان ، ولجأت حكمدارية السودان إلى إلحاق كل مايضبط من الرقيق بصفوف الجيش ، ليستطيع هؤلاء أن يحيوا حياة شريفة ، وليكونوا حربا على تجار الرقيق الذين ساموهم وأهليهم سوء العذاب .

كما اعتنت حكمدارية السودان بتعليم هؤلاء القراءة والكتابة فى مدارس الآلايات.

الفصل الثالث

الاستعانة بالضباط الاجانب

الاستعانة بالضباط الاجانب فى الجيش

سار الخديو اسماعيل على سياسة جده محمد على فى الاستعانة بالخبراء الأجانب فى الجيش المصرى . فولى وجهه شطر فرنسا كما فعل جده من قبل . فطلب منها فى سنة ١٨٦٤ إيفاد بعثة عسكرية فرنسية لترتيب المدارس الحربية المصرية وفقا للنظام الفرنسى . فأوفدت اليه بعض ضباط تحت رياسة الكولونيل ميرشير Mircher ومعه ثلاثة ضباط آخرون هم رباتيل Rabatel ولارمى Larmèe وبولار Polard ؛ وألحق بهم دى برناردى بك De Bernardi ، وكان مستخدماً بمصر من عهد سعيد باشا[1].

البعثة العسكرية الفرنسية

تولى ميرشير بك نظارة المدارس الحربية فى فبراير سنة ١٨٦٥ ، فأظهر نشاطاً ملحوظاً فى تنظيم المدارس الحربية ، ووضع الكتب اللازمة لها ؛ وترتيب مكتبتها (كتبخانة المدارس الحربية) . ومن أعماله أيضاً إصدار « الجريدة العسكرية المصرية » La Revue Militaire Egyptienne لتثقيف عقول الضباط وإطلاعهم على أحدث ما وصل اليه فن الحرب والقتال. وقد شغلت ميرشير بك بعض الوقت وظائف أخرى إلى جانب وظيفته الأصلية، فكان ناظراً لمدرسة أركان الحرب فى أوائل سنة ١٨٦٦ ، وقومنداناً لآلاى

---

(١) سرهنك باشا «حقائق الاخبار» ج ٢ ص ٣٠٧

الخديو فى سنة ١٨٦٨ . وفى سنة ١٨٦٩ عاد ميرشير بك إلى وطنه ، ولكنه ظل فى خدمة الحكومة المصرية إذ تولى إدارة البعثة المدرسية بفرنسا[١]».

أما البكباشى (المقدم) لارمى فقد عين فى سنة ١٨٦٤ رئيسا للهيئة التعليمية بمدرسة المدفعية . ثم أصبح قومنداناً للمدرسة ثم ناظرا لها ، ومنح رتبة الأميرالاى (عميد) فى أواخر سنة ١٨٦٨ . وقد تولى فى فترات مختلفة إدارة مدرسة السوارى ، وإدارة مدرسة أركان حرب ، ورقى إلى رتبة اللواء فى يناير سنة ١٨٧٩ . واستمر لارمى فى خدمة الحكومة المصرية إلى أن ألغيت المدارس الحربية ، وأنشئت بدلها مدرسة حربية واحدة جديدة فى أوائل حكم الخديو توفيق وعين ناظرا عليها[٢] .

وقد اختص بولار بادارة مدرسة الفرسان ، وتولى نظارتها من سنة ١٨٦٤ إلى سنة ١٨٦٨[٣] ، ثم رحل إلى فرنسا .

وعين دى برناردى ناظرا لمدرسة المشاة فى مارس سنة ١٨٦٥ واستمر بها حتى أكتوبر سنة ١٨٦٧ . واستخدم الخديو اسماعيل البكباشى (المقدم) المدفعى رباتيل فى أعمال الاستحكامات ، ثم عينه ناظرا على مدرسة أركان حرب فى يوليه سنة ١٨٦٨ . «وفى مايو سنة ١٨٦٩ منح رباتيل أجازة مرضية وسافر إلى فرنسا . ويظهر أنه لم يعد بعد ذلك إلى مصر فقد عين فى مارس سنة ١٨٧٠ وكيلا للمدرسة المصرية بباريس[٤]» .

---

(١) تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) جـ ص ٦٢٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٤٢ .
(٣) حقائق الأخبار جـ ص ٣٠٨ .
(٤) تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) جـ ٢ ص ٦٦٢ .

وقد استقدم الخديو إسماعيل كثيراً غير هؤلاء المدريس بالمدارس الحربية مثل المسيو فيدال والمسيو ليونار .....

وفى سنة ١٨٦٩ عهد الخديو إسماعيـــل إلى الســـير صمويل بيـكر (١) « باكتشاف الجهات الكائنة قرب منابـع النيل الأبيض وضمها إلى الحـكومـة المصرية » والقضاء على تجارة الرقيق بهذه المناطق . فاستطاع بمـــا كان لديه من قوات تأسيس محطات عسكرية بالجهات التى فتحها . وقد ذكرت تفصيلات الحملة فى الفصل الخاص بالقضاء على تجـارة الرقيق .

ثم خلفه الأميرالاى (العميد) غوردون فى منصب مأمور جهات خط الاستواء بأمر عال فى ٢ محرم سنة ١٢٩١ (١٩ فبراير سنة ١٨٦٤) (٢) . وفى خـلال حـكمداريته هذه التى استمرت من سنة ١٨٧٤ - ١٨٧٦ أسس محطات عسكرية تمتد من فاشودة حتى بحيرة فيـكتوريا لإتمام ما بدأه السير صمويل بيـكر من قبل. ثم عاد غوردون إلى السودان مرة أخرى كحاكم عام له من سنة ١٨٧٧ إلى سنة ١٨٧٩ . وأهم ماقام به فى تلك الفترة إخماد الثورات التى انتشرت فى أنحـاء السودان المختلفة واستعمال الشدة فى منع تجارة الرقيق .

البعثة الامريكية العسكرية

عندما توترت العلاقة بين مصر والباب العالى فى الفترة مابين أواخر سنة ١٨٦٨ و ١٨٧٠ توقع الخديو اسماعيل أن يؤدى هذا التوتر إلى احتمال وقوع

(١) حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٣١٥ .

(٢) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء جـ ١ ص ١٠٨ .

حرب بين مصر والدولة العثمانية فى أى وقت من الأوقات . ففكر فى الاستعانة بخبراء من الضباط الأجانب لتدريب الجيش المصرى وتنظيمه ، حتى يستطيع القيام بدوره فى الحرب المتوقعة . وقد خشيت الحكومة المصرية الاستعانة باحدى الدول الأوربية الكبرى لأداء هذه المهمة خشية أن يمتد نفوذها إلى الشئون الداخلية للبلاد . فارتماء سعيد مثلا فى أحضان فرنسا كان من نتيجته منح فرنسا إمتياز قناة السويس بشروط مجحفة بمصر كل الاجحاف . ولهذا استقر رأى الحكومة على الاستعانة باحدى الدول الأجنبية التى ليست لها مطامع فى مصر ، والتى لا يربطها بالدول الأخرى محالفات متشابكة (١) . فاتجه صوب أمريكا لاستخدام الضباط الأمريكيين فى تنظيم جيشه ، لأن أمريكا ـ فى ذلك الوقت ـ لم يكن لها أى مطمع فى مصر . هذا فضلا عن تبوأها مركزا ممتازا من الناحية الحربية لتغلبها على الفرنسيين وطردهم من المكسيك(٢) .

ونظرا لأن الولايات المتحدة الامريكية كانت تربطها بالدولة العثمانية علاقة طيبة فلم تتمكن الحكومة المصرية من أن تطلب بصفة رسمية من الولايات المتحدة أن تمدها بضباط من جيشها للقيام بمهمة التنظيم والتدريب ، فى نفس الوقت الذى يسود فيه التوتر جو العلاقات المصرية التركية ولذا لجأت إلى إستخدام هؤلاء الضباط بصفتهم الشخصية وبعقود فردية . وقد حرصت حكومة الولايات المتحدة على إعتبار هؤلاء الامريكيين من المواطنين الأمريكيين فقط . ولم تعتبرهم ضباطا من الجيش الامريكى حتى لا تسىء إلى العلاقات الودية التى تربطها بالباب

---

(١) Dye : Moslem Egypt. P.1

(٢) Crabités : Americans in the Egyptian Army. P.5

العالى . وحدث أن ذكر المستر بيردزلى Beardsley قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتئذ (سنة ١٨٧٥) فى إحدى مكاتباته إلى وزارة الخارجية الأمريكية اسم « الضباط الأمريكيين » . فرد عليه وزير الشئون الخارجية الأمريكية المستر هاملتون بخطاب آخر جاء فيه « بهذه المناسبة ألفت نظركم إلى الجزء الخاص من كتابكم الذى تشيرون فيه إلى (الضباط الأمريكيين) بمصر الآن ، فأصرح لكم بأنه لا يوجد ضباط أمريكيون فى مصر ، وأظن بأنكم تقصدون الإشارة إلى بعض المواطنين الأمريكيين الذين قبلوا الخدمة كضباط بالجيش المصرى . ولكن هؤلاء السادة لا يعتبرون ضباطا أمريكيين ، ولا يجب تسميتهم بهذا الإسم فى مكاتبات رسمية [١] » .

وفى أوائل سنة ١٨٦٩ ألحقت الحكومة المصرية الأميرالاى (العميد) موط (وكان ضابطا بالجيش الأمريكى الاتحادى) بخدمة الجيش المصرى ، ثم أوفدته إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإختيار من يراه صالحا من الضباط الامريكيين لتعيينه بالجيش المصرى . وفوضه الخديو إسماعيل فى توقيع عقودهم نيابة عن الحكومة المصرية . وقد استخدم موط ضباطا من كلا الفريقين المتحاربين : الاتحاديين Union Soldiers والائتلافيين Confederate Soldiers. وأغلب هؤلاء ممن تعلموا باحدى مدرستى وست بوينت West point وأنا بوليس AnnaPolis [٢] . وعند حضور هؤلاء الضباط الامريكيين إلى مصر عين كل منهم فى رتبة أقل مما اتفق عليه فى عقد استخدامه برتبة واحدة . ولما

---

1 - Abdin. Amr. Vol. 16 Instr. No. 237 Fish to Beardsley Washington in Nov. 29,1875.

2 - Crapités : Ismail ,The Maligned Khedive P. 95

رفع هؤلاء الضباط عقيرتهم بالشكوى إلى الخديو إسماعيل اعتذر عن إجابة مطالبهم بحجة « أن وكيله موط قد تعدى إختصاصه الى أبعد حد ، واجترأ على تحديد رتبهم . وخيرهم بين قبول الرتب الجديدة وبين الاستغناء عن خدماتهم، ومنحهم مرتب ستة شهور ونفقات العودة الى الولايات المتحدة . وقد قبل جميعهم البقاء فى الخدمة » (١).

ثم قدم هؤلاء الضباط الى الخديو اسماعيل فأبدى ارتياحه لالتحاقهم بالجيش، ثم وجه اليهم الحديث التالى الذى يشف عن أغراضه الأساسية من استخدامهم فقال . « أيها السادة انى أرحب بقدومكم الى بلادى وأود أن أعبر لكم عن تقديرى لتلبيتكم العاجلة لدعوتى . وانى أقول لكم بكل ثقة بأنكم ستباشرون أعمالا عظيمة فى القريب العاجل ، وأن خبرتكم التى تجلت فى الحرب الامريكية الأخيرة ، وعدم وجود أى مطمع لبلادكم فى مصر كانا من الدوافع التى أوحت الى باستخدام الأمريكيين فى هذه الخدمات المقترحة . إنكم ستقاسون الشىء الكثير من غيرة الضباط الوطنيين وحسدهم ، وإنى أطلب اليكم أن تتحملوا هذا بصبر وثبات ، وإذا وجدتم - برغم ذلك - أن غيرتهم قد أصبحت غير محتملة فلا تترددوا فى المجىء الى لأنصفكم . وإنى أعتمد على إخلاصكم وكتمانكم فى معاونتى على تحقيق إستقلال مصر . ومتى تم ذلك - وسيتم باذن الله - فسأجازيكم أحسن الجزاء (٢) » .

---

(١) Abdin. Amr. Vol.7 Despt. No.95 **Beardsley** to Fish in May 12. 1873.

(٢) Chaillé - **Long**, A Confedrate Soldier in Egypt . P.32.

وحينما علمت كل من انجلترا وفرنسا بالتحاق هؤلاء الضباط الأمريكيين بالجيش المصرى قدمتا احتجاجات واعتراضات على هذا الإجراء عن طريق قنصليها الجنرالين بمصر ، وقد قوبلت هذه الاحتجاجات بالسخرية وعدم الاكتراث من جانب الخديو اسماعيل[١] . لأن كلا من هاتين الدولتين كانت تطمع فى أن يكون هؤلاء الضباط من رجالها ليتسنى لها عن هذا الطريق بسط نفوذها على مصر .

أنموذج لعقد أحد الضباط الأمريكيين

رأيت لاستكمال البحث أن أعرض لأحد هذه العقود التى تمت بين ضابط أمريكى يدعى كورنليوس هنت Cornelius E. Hunt من ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهو صورة للعقود الأخرى التى أبرمت بين الحكومة المصرية وبين زملائه الأمريكيين . وفيما يلى ترجمة لهذا العقد[٢] :

---

(1) Abdin Amr. Vol. 6 Despt. No. 30 Buttler toFish, Gairo in Dec . 30, 1870

(2) Abdin, Amr. Vol. 7 enclosure in despt. No. 112 Babbitt to Fish, Cairo in July 10, 1873.

أعلام بصورة عقد

فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ألف وثمانمائة وسبعين تم الإتفاق بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية بين حكومة سمو خديو مصر ممثلة فى الجنرال (الفريق) موط ممثل الطرف الاول ، وبين كورنليوس هنت من ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية ممثل الطرف الثانى .

بما أن ممثل الطرف الثانى راغب فى الإلتحاق بخدمة ممثل الطرف الأول فى وظيفة حربية برتبة قائمقام (عقيد) فى سلاح مدفعية السواحل . فانه يتعهد ويقر مع ممثل الطرف الأول على ما يلى :

أولا : على ممثل الطرف الثانى أن يقوم بالخدمة العسكرية للطرف الأول بصدق وإخلاص خلال فترة خمس سنوات ابتداء من هذا التاريخ قابلة للامتداد خمس سنوات أخرى، بناء على رغبة ممثل الطرف الاول بنفس الشروط المبينة فى هذا العقد .

ثانياً : فى خلال مدة الخدمة يتنازل ممثل الطرف الثانى عن جميع حقوقه فى الحماية الممنوحة إلى الرعايا الامريكيين عن طريق قناصل ووكلاء الولايات المتحدة الأمريكية . وأن يخضع بكل أمانة وشرف لأوامر الطرف الاول . وأن يشن الحرب بكل قوة وعزيمة ضد أى عدو أو أعداء الطرف الأول أينما كانوا . وأن يتبع الأوامر التى يصدرها سعادة ناظر الجهادية أو فروع الجهادية التابعة لممثل الطرف الاول بكل دقة .

ثالثاً : على ممثل الطرف الثانى ألا يخضع لأى أمر أو قانون أو بلاغ تصدره حكومة الولايات المتحدة الامريكية تمنع ممثل الطرف الثانى من خدمة ممثل الطرف الاول .

ومهما يكن من شيء فمن الواضح أن هذه الشروط لا تنص على إلزام ممثل الطرف الثانى على حمل السلاح أو شن حرب ضد الولايات المتحدة الامريكية .

وبناء على ما تقدم يقبل ممثل الطرف الأول خدمة ممثل الطرف الثانى برتبة قائمقام (عقيد) فى سلاح مدفعية السواحل والمدفعية الثقيلة طبقاً للشروط المشار اليها آنفاً .

وعلى ذلك يتعهد لممثل الطرف الثانى بما يلى :

أولا : لممثل الطرف الثانى الحرية فى الاستقالة وترك الخدمة والعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى حالة الإصابة بمرض خطير بسبب الظروف المناخية . على أن يقوم ممثل الطرف الأول بدفع نفقات السفر ومرتب شهرين مقدما على سبيل المنحة .

ثانياً : لممثل الطرف الاول الحق فى الاستغناء عن خدمات ممثل الطرف الثانى فى أى وقت شاء . على أن يقدم لممثل الطرف الثانى مرتب ستة شهور ونفقات السفر إلى الولايات المتحدة كما هو منصوص عليه بالعقد .

ثالثاً : إذا طلب ممثل الطرف الاول من ممثل الطرف الثانى شن حرب أو طلب اليه أداء مهمة ما فى أية جهة من ملحقات مصر أو أى مكان

آخر فعلى ممثل الطرف الثانى الطاعة التامة . على أن يقوم ممثل الطرف الأول بصرف مبلغ إضافى علاوة على المرتب يقدر بخمس المرتب مع صرف جميع النفقات اللازمة للرحلة .

رابعاً : يتعهد ممثل الطرف الأول بتقديم الخيول والتعيينات اللازمة إلى ممثل الطرف الثانى ، وبصرف مرتب أو مكافأة تعادل ما يصرف لزميله برتبة القائمقام (العقيد) بمدفعية السواحل والمدفعية الثقيلة بجيش الولايات المتحدة الأمريكية . وأن يؤثث له مسكناً لائقاً حسب رتبته .

خامساً : فى حالة التصريح لممثل الطرف الثانى بالتغيب يقوم ممثل الطرف الأول بصرف نصف المرتب لممثل الطرف الثانى عن هذه المدة .

سادساً : فى حالة وفاة ممثل الطرف الثانى أثناء قيامه بخدمة الطرف الأول أياً كان سبب الوفاة يعطى لورثته مرتب أو أجر سنة كاملة على سبيل التعويض . وفى حالة وفاته فى ميدان القتال أو حدثت الوفاة بسبب جرح أو عدة جروح أصيب بها أثناء القتال . فعلى ممثل الطرف الأول أن يدفع لورثته معاشاً يعادل نصف مرتب المتوفى من تاريخ وفاته وتوزع على النحو الآتى :

يصرف المعاش لأرملته إن كانت على قيد الحياة حتى زواجها أو وفاتها . ويصرف لأولاده القصر إذا لم تكن الأرملة على قيد الحياة أو تكون قد تزوجت أو عند وفاتها . ويصرف المعاش للذكور حتى يبلغوا سن الرشد ، والفتيات إلى أن يتزوجن . على أن يقسم المعاش بينهم بالتساوى.

ومن المسائل الواضحة والمتفق عليهـــا أن كل الموضوعات القانونية والخلافات من أى نوع التى تنشأ بين ممثل الطرف الثانى والمواطنين المصريين تتولى المحاكم المصرية الفصل فيها . وان يسمح لحكومة الولايات المتحـــدة أو لقناصلها التدخل فى هذه الموضوعات بأى شكل من الأشكال . وكذلك أى مشكلة تقوم بين ممثـــل الطارف الثانى وبين مواطنى الدول الأخـــرى غير مصر تنظر بالطاريقة المعتادة عن طريق القنصل أو المحاكم الوطنية للمدعى عليه .

وقد وقع الطرفان بختميهما هذا العقد لإقراره فى اليوم والسنة المشار اليها بعاليه .

إمضاء
تادیوس موط
Thaddeus P. Mott Gen. Division
P. Henry A. Mott (Seal)
Atty .

وبحضور المستر بيند T. W. Bind
الولايات المتحدة الأمريكية
حكومة نيويورك — مقاطعة نيويورك

أنا الموقع على هذا العقد كورنليوس هنت Cornelius E. Hunt أقسم بكل خضوع وإخلاص ، وأعاهد نفسى أمام الله أن أراعى مهمتى بكل دقة ، وأقوم بكل الالتزامات والتعهدات التى مر بيانها بروحها وحرفيتها بكل أمانة

وإخلاص . وأن أؤدى واجبى كقائمقام (عقيـد) بمدفعية السواحل والمدفعيـة الثقيلة بكل ما أوتيت من قوة وجهد . وأن أحقق آمال ورغبات حكومة خديو مصر فى كل ماله صلة برخائها وصيانة عرشها .

إمضـاء

كورنليوس هنت

وبالرغم من وضوح البنـود الواردة بالعقــد المذكـور الذى يعتبر صورة طبق الأصل لسائر العقود الأخرى ، فقد طـالب هؤلاء الضباط قنصلهم الجنرال بمصر - المستر جورج بتلر - بأن يتدخل لدى الحكومة المصرية لاقناعهـا بمنحهم الحماية القنصليـة التى يتمتع بهـا سائر الرعايـا الأمريـكيين . مع أن البنـــد الثانى من العقـد قد نص صراحـة على تنـازل هؤلاء الضباط عن هـذا الحق تنـازلا تاماً طوال مـدة خدمتهم بالجيش المصرى . وقد رفـع مستر جورج بتلر هذا الطلب [1] إلى وزارة الخارجية الأمريـكية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧١ لإستشارتها فى الأمر . وفى هذا الخطاب يذكر القنصل مقابلته للخديو إسماعيل ومناقشتـــه فى هذا الموضوع، ويشير إلى أن الخديو إسماعيل أجابه بقوله «مادام هؤلاء الضباط قد قبلوا الرتب والمرتبات التى منحتها إياهم فلابد أيضـا من قبولهم حـكمى قبولا تاما [1] » .

---

1 - **American Documents Vol. 6 Despt. No. 86 Butler to Fish, Cairo in Sept. 15, 1871.**

(١) المصدر السابق .

فتدارك القنصل الأمر وأبلغ الخديو بأن تدخله هذا بصفة شخصية وأن حكومة الولايات المتحدة لاترغب مطلقا التدخل فى سلطته . وفى الحقيقة كانت حكومة الولايات المتحدة قد أصدرت تعليماتها إلى قنصلها الجنرال بمصر بضرورة مراعاة هؤلاء الضباط لشروط العقود التى أبرموها مع حكومة الخديو إسماعيل دون أى تعديل (١) . وقد عاود المستر بابت H.A. Babbitt قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتئذ (سنة ١٨٧٢) الكتابة (٢) فى هذا الموضوع فى ١٠ يوليه سنة ١٨٧٣ ، ولكن الحكومة المصرية لم تتنازل عن حقها فى معاملة هؤلاء الجنود معاملة سائر ضباط جيشها.

عدد الضباط الأمريكيين بالجيش المصرى

بلغ عدد الضباط الأمريكيين الذين التحقوا بخدمة الجيش المصرى ٤٨ ضابطا حسب الاحصاء الذى أورده الجنرال الفريق الأمريكى داى Dye (٣) (ضابط أركان حرب بالجيش المصرى) . ولكن المستر كرابيتس Crabitès أثبت أن عدد هؤلاء الضباط بلغ الخمسين(٤) . وليس معنى هذا أن جميع هؤلاء الضباط كانوا فى خدمة الخديو اسماعيل فى وقت واحد ، فربما كان ثلاثون منهم أو أقل

---

(١) Abdin. Amr. Vol.7 Desp. No. 112 Babbitt to Fish. Cairo in July 10. 1873 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Dye : Moslem Egypt .. ·· P·495 - 500 .

(٤) Crabitès, Americans in the Egyptian Army P. 16.

مجتمعين فى وقت واحد(١) .

وفيما يلى بيان بأسماء هؤلاء الضباط الذين التحقوا بخدمة الجيش فيما بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٨ ، ونبذة عن تاريخ حياة كل منهم لبيان ثقافته ، والمناصب التى تولاها قبل مجيئه إلى مصر وبعد التحاقه بالجيش المصرى . وجميع هؤلاء الضباط قد استغنى عن خدماتهم فى سنة ١٨٧٨ فيما عدا الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى .

١ ـ اللواء ثاديوس موط Thadduis B,Mott وهو من مدينة نيويورك وأول من التحق بخدمة الحكومة المصرية بعقد لمدة خمس سنوات ، وكان ذلك فى النصف الثانى من سنة ١٨٦٩ . وعمل فى صفوف القوات الائتلافية ، ثم عينه الخديو اسماعيل ياورا خاصا له ، وأصدر مرسوما فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٦٩ بمنحه رتبة الفريق(٢) . وكان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ١٠٠ ج م(٣) . وهو الذى تولى اختيار الضباط الآخرين ، والتوقيع على عقودهم نيابة عن الحكومة المصرية . ثم حدث بينه وبين الجنرال (الفريق) استون رئيس هيئة أركان حرب احتكاك أدى إلى ترك موط الخدمة بعد أن أنعم عليه الخديو بوسام تقديرا لجهوده .

٢ ـ الأميرلواء تشارلز استون Charles B. Stone من مقاطعة مساشوستس

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(2) Crabités, Amerians in the Egyptian Army P.8.

(3) Abdin. American, Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish Cairo in June, 4, 1870.

Massachusetts التحق بخدمة الحكومة المصرية فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٧٠ جنيها فيما عدا التعيين والسكن (١) . وعين رئيساً لعموم أركان حرب الجيش المصرى ، ورقى إلى رتبة فريق . وكانت هيئة أركان حرب فى عهده مركزا لنشاط لا ينقطع سواء فى مصر أو السودان ، حيث أشرف على حركة الكشوف الجغرافية التى تعتبر من مآثر مصر . واستمر فى خدمة الحكومة المصرية مدة طويلة حتى بعد أن أعفى جميع زملائه من الخدمة فى ٣٠ يونيه سنة ١٨٧٨ (٢) . ولم تنته مهمته بمصر إلا بدخول الانجليز فى سنة ١٨٨٢ (٣) . وقد أنعم عليه بوسامين أثناء خدمته .

٣ - الأمير لواء لورنج W. W. Loring من مقاطعة فلوريدا التحق بخدمة الحكومة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٦٩ (٤) بمرتب قدره ٧٠ جنيهاً مصرياً - وهو وزميله سبلى H. C. Sibley قد سبقا الجنرال استون فى الخدمة - وقد أسندت اليه تحصينات منطقة الاسكندرية . وكان تحت قيادته فيلق عسكرى يطلق عليه اسم فيلق لورنج . ورقى إلى رتبة (٥) فريق وأنعم عليه فى أثناء الخدمة بوسامين .

---

(١) المصدر السابق .

2 - Abdin. Amr. Vol. 16 Despt. No. 245 Farman to Evarts Cairo in July 3,1878

3 - Crabités : Americans ...... p. 20.

4 - Abdin. Amr. Vol. 6. enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish. Cairo June 4, 1870

5 - Amr. Vol. 8 despt. No. 151 Beardsley to Fish Nov. 16, 1870.

٤ ـ الأمير لواء هنرى سبلى H. Sibley من سلاح المدفعيـــة بمقاطعة بنسلفانيا ومن خريجى الأكاديميـة الحربية الأمريكية U. S. Mil. Academy خدم فى جيش الولايات المتحدة ، ثم حارب فى صفوف القوات الائتلافيـة ، وهزم أمام الجنرال كانبى (١) Canby ،والتحق مع زميله لورنج فى وقت واحد (١٧ ديسمبر سنة ١٨٦٩) وبنفس المرتب وقدره ٧٠ (٢) جنيهاً مصريا . وقد رقى إلى رتبة فريق .

٥ ـ الأمـير لواء كارول تيفس Carrol Tevis من مقاطعة بنسلفانيا تخرج من مدرسة وست بوينت West Point الحربية فى سنة ١٨٤٩ (٣) . وخدم فى الجيش الأمريكى ، واشترك فى حرب القرم إلى أن أصبح أميرالايا فى سلاح الفرسان الثـالث لميريلاند Third Maryland Cavalery قبل التحاقه بخدمة الحكومة المصرية . وقد استقال (٤) من خدمة الحكومة المصرية قبـل فصل زملائه سنة ١٨٧٨ . وقد أنعم عليه بوسام أثناء خدمته .

٦ ـ الأميرالاى (العميد) رينولد Alexander Reynold من مقاطعـة فرجينيا ، وهو من خريجى أكاديمية وست بوينت . خدم عدة سنوات فى

---

1 — Dye, Moslem Egypt....P.495

2 — Abdin, Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Buttler to Fish. Cairo June 4, 1870.

3 — Dye, Moslem Egypt....P.495

4 — Abdin. American Vol.7 enclosure No. 2 in despt.No. 112 Babbitt to Fish, Cairo, June 4, 1870.

الجيش الأمريكى وحارب فى صفوف القوات الائتلافية برتبة أمير لواء (١) . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٤٦(٢) جنيها مصريا . وقد توفى بمدينة الاسكندرية أثناء وجوده بالخدمة (٣) .

٧ - الأميرالاى (العميد) رت T. G. Rhett من جنوب كارولينا وتخرج مع الجنرال استون سنة ١٨٤٥ من مدرسة وست بوينت ، واشترك فى حرب المكسيك برتبة ضابط مدفعية ، ثم حارب فى صفوف القوات الاتحادية . وبعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية التحق بخدمة الحكومة المصرية فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب قـــدره ٤٦ (٤) جنيها . وفى أثناء خدمته أصيب بمرض الفالج (٥) وفصل فى أواخر سنة ١٨٧٣ (٦) . ثم مات بعد عودته إلى الولايات المتحدة .

٨ - الأميرالاى (العميد) ولتر چنيفر Walter H. Jenifer من ولاية ماريلاند Maryland ، وكان ضابطا بالفرقة الثانيـة للفرسان . وحارب فى صفوف القوات الائتلافية فى جيش شمال فرجينيا برتبة أميرالاى (عميد) ،

---

1 - Dye : Moslem Egypt .... P. 495.

2 - Abdin Amr. Vol.6 enclosure in despt No. 3 Butler to Fish Cairo June, 4, 1870.

3 - Dye : Moslem Egypt .... P. 496.

4 - Abdin Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish Cairo June, 4, 1870.

5 - Dye ; Moslem Egypt .... P. 496.

6 - Abdin. Amr. Vol. 8 despt. No. 151 Beardsley to Fish, Cairo Nov. 16, 1873.

ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة أميرالاى (عميد) بسلاح الفرسان فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٤٦ جنيها مصريا (١) . واستقال من خدمة الحكومة المصرية فى ربيع سنة ١٨٧٠ (٢).

٩ - الأميرالاى (العميد) فرانك رينولد Frank Renolds تخرج من مدرسة وست بوينت سنة ١٨٦١ ، وحارب فى صفوف الائتلافيين برتبة أميرالاى (عميد) (٣) . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية كأميرالاى بسلاح المدفعية فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب قدره ٤٦ جنيها مصريا(٤) . وقد مات فجأة فى مدينة نيويورك أثناء خدمته بالحكومة المصرية .

١٠ - الأميرالاى (العميد) بيفرلى كينون Beverly Kennon من ولاية فرجينيا . وكان أبوه كينون قائدا لأسطول الولايات المتحدة الأمريكية (٥) . وهو من خريجى مدرسة آنا بوليس البحرية Naval Academy at Anna-Polis حارب فى صفوف الائتلافيين ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية فى فبراير سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٤٦ جنيها (٦) . واستقال مع زميله الجنرال كارول

---

1 - Abdin. Amr. Vol. 6. enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish. Cairo June 4, 1870.

2 - Abdin Amr. Vol. 8 despt. No. 179 Beardsley to Fish, Cairo March 10, 1874.

3 - Dye : Moslem Egypt .... P. 497

4 - Abdin. Amr. Vol. No. 6 enclosure in desgt No. 3 Cairo in June 4, 1870.

5 - Crabités; Americans in the Egyptian Army P.39

6 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3. Cairo in June, 4, 1870.

تيفس فى وقت واحد . وقـد أنعم عليه بوسام أثناء خدمته .

١١ - الأميرالاى (العميد) فاندربلت آلن Vanderbilt Allen من نيويورك ، ولانعرف تاريخ التحاقه بخدمة الحكومة المصرية بالضبط . ولكنه خدم برتبة أميرالاى بسلاح المهندسين بمرتب شهرى قدره ٤٦ جنيها(١).

١٢ - القائمقام (العقيد) بردى S. Purdy من ولاية كاليفورنيا . خدم مع الجنرال استون فى صفوف القوات الشمالية إبان الحرب الأهلية ، والتحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة قائمقام (عقيد) بسلاح المهندسين فى ٨ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قـدره ٤١ جنيها مصريا (٢) . وقـد بذل بردى نشاطا ملحوظا فى رحلتيه اللتين قام بهما : الأولى إلى الصحراء الشرقية سنة ١٨٧٣ ، والثانية إلى درافورسنة ١٨٧٥ . وفى مدة خدمته رقى إلى رتبة الأميرالاى (عميد) ثم إلى رتبة أمير لواء ، ومنح وسامان تقديرا لجهوده.

١٣ - الأميرالاى (العميد) ادوارد وارن Edward Warren وكان طبيبا بالجيش وموطنه شمال كارولينا . وشغل مناصب عسكرية بسلاح الخدمات الطبية تحت قيادة الجنرال لى Lee وجون استون Johnstone . وبعد انتهاء الحرب شغل منصب أستاذ فى جامعة وشنجتون الطبية ببلتيمور

Washington Medical University of Baltimore

وقد التحق بخدمة الحكومة المصرية كطبيب وجراح بأركان حرب الجيش

---

(١) المصدر السابق

(٢) Abdin. Amr, Vol,7 enclosure No.2 in despt. No, 112 Babbitt to Fish in June 4, 1870

(٣) المصدر السابق

المصرى برتبة أميرالاى(عميد) . وعمل أيضا كأستاذ للكيمياء بالمدرسة الحربية بالقاهرة (١) .

١٤ - الأميرالاى (العميد) كولستون R. E. Colston من ولاية فرجينيا تخرج من معهد Lexington Virginia Military Institute والتحق بجيش شمال فرجينيا برتبة أميرالاى (عميد) ، ثم رقى إلى رتبة أمير لواء واشترك فى معارك عديدة . ثم التحق بخدمة الجيش المصرى برتبة أميرالاى أركان حرب ومدرس مادة الكيمياء بالمدارس الحربية (٢) . وقد بذل نشاطاً مشكورا فى رحلتيه إلى سواحل البحر الأحمر وإقليم دارفور، ونال شهرة واسعة لما وصل اليه من نتائج فى رحلته إلى دارفور. وقد أنعم عليه بوسام تقديرا له على خدماته.

١٥ - الأميرالاى (العميد) داى Wm. Mc. E. Dye من خريجى مدرسة وست بوينت الحربية . حارب فى صفوف القوات الاتحادية برتبة أمير لواء بفرقة المتطوعين (٣) . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة أميرالاى أركان حرب ، واشترك فى الحملة الحبشية بقيادة راتب باشا سنة ١٨٧٥ كمساعد لرئيس هيئة أركان حرب الحملة . وبعد ترك خدمة الحكومة المصرية ألف فى سنة ١٨٨٠ كتابا بعنوان Moslem Egypt and Christian Abyssinia ، وهو

1- Abdin. Amr. Vol. 7 enclosure No. 2 in despt No 112 Babbitt to Fish in June 4, 1870.

(٢) المصدر السابق .

3 - Abdin. Amr. Vol.8 despt. No 179 Beardsley to Fish Cairo in March 10,1874 ,.

سجل حافل بما قام به الضباط الأمريكيون بالجيش المصرى من أعمال، وخصوصا فى ملحقات مصر . وقد فصل الحرب الحبشية التى اشترك فيها تفصيلا دقيقا .

١٦ - الأميرالاى (العميد) روبرت روجرز Robert M. Kogers من مقاطعة بنسلفانيا ومن خريجى مدرسة وست بوينت (١) . وقد خدم فترة طويلة بصفته متطوعا فى صفوف سلاح المدفعية للجيش الاتحادى ، والتحق بعد ذلك بخدمة الحكومة المصرية برتبة أميرالاى (عميد) بسلاح المهندسين (٢) .

١٧ - القائمقام (العقيد) لونج C. C. Long من ولاية ماريلاند . خدم فى صغره فى صفوف الجيش الشمالى خلال الحرب الأهلية الأمريكية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية فى مارس سنة ١٨٧٠ برتبة قائمقام (عقيد) وبمرتب شهرى قدره ٤٢ جنيها مصريا (٣) . وقد بزغ نجمه فى خدمة الحكومة المصرية ، وخصوصا بعد نجاحه فى مأموريته إلى ملك أوغندة سنة ١٨٧٤ ، وسياحته فوق بحيرة فكتوريا ، وقيادته لتجريدة مكراكا (نيام نيام) سنة ١٨٧٥ . ونظرا لنجاحه فيما أسند اليه من مهام أنعم عليه فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤ برتبة أميرالاى، وبالنيشان المجيدى من الدرجة الثالثة مكافأة له على خدماته الجليلة (٤) .

١٨ - القائمقام (العقيد) وارد W. H. Ward من ولاية فرجينيا ومن

---

1 - Dye : Moslem Egypt .... P. 498.

2 - Abdin. Amr. Vol.8 despt. No. 179 Beardsley to Fish Cairo in March 10,1874 .

3 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3, Cairo in June 4, 1870

(٤) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢١٦ .

خريجى أكاديمية آنابوليس البحرية . خدم فى الأسطول الأمريكى ، ثم تركه وانضم إلى صفوف الائتلافيين حيث أسندت اليه قيادة أحد الطرادات . ثم دخل فى خدمة الحكومة المصرية برتبة قائمقام بسلاح البحرية فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٠ وبمرتب شهرى قدره ٤١ جنيها مصريا(١). ثم رقى إلى رتبة أميرالاى (عميد) أثناء الخدمة(٢) .

١٩ - الأميرالاى (العميد) تشارلز فيلد Charles B. Field من ولاية فرجينيا ، ولا نعلم تاريخ التحاقه بخدمة الحكومة المصرية بالضبط . وقد حاز نيشانا فى أثناء خدمته(٣).

٢٠ - الاميرالاى (العميد) لوكت Samuel H. Lockett من ولاية ألباما ومن خريجى الأكاديمية الحربية الأمريكية U.S Military Academy التحق بصفوف القوات الائتلافية برتبة أميرالاى (عميد) بسلاح المهندسين . ثم دخل فى خدمة الحكومة المصرية ، واشترك فى الحملة الحبشية بقيادة راتب باشا وكانت مهمته إقامة التحصينات والاستحكامات اللازمة للحملة (٤).

٢١ - البكباشى (المقدم) بروت H. G. Prout من ولاية مساشوستس الأمريكية . خدم فى صغره فى صفوف الجيش الشمالى خلال الحرب الأهلية

---

1 - Abdin. Àmr. Doc. Vol. 6 enclosuie in despt. No. 3, Cairo in June, 4, 1870

2 - Dye : Moslem Egypt .... p. 498

(٣) المصدر السابق

4 - Crabités; Americans in the Egyptian Army p. 194.

الأمريكية . ثم تخرج بعد ذلك من جامعة متشجان وأصبح مهندسا (١) مدنيا . وبعد ذلك التحق بخدمة الحكومة المصرية ورقى الى رتبة القائمقام (عقيد) ثم الى رتبة الأميرالاى (عميد) .

٢٢ – البكباشى (المقدم) ماكومب ماسون Macomb Mason من ولاية فرجينيا ومن خريجى أكاديمية أنابوليس الحربية . دخل فى صفوف الائتلافيين بعد تركه الخدمة فى البحرية(٢) الأمريكية . ثم التحق بخدمة الجيش المصرى برتبة بكباشى (مقدم) بسلاح البحرية فى ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٣٧ (٣) جنيها مصريا . وقد شارك بنصيب فى حركة الكشوف الجغرافية ، إذ استطاع كشف نهر السمليكسى فى سنة ١٨٧٧ . وفى أثناء خدمته رقى الى رتبة القائمقام (عقيد) ثم الى رتبة الأميرالاى (عميد) .

٢٣ – القائمقام (العقيد) وليم دنلوب Wm. W. Dunlop خدم فى صفوف الائتلافيين فى الحرب الأهلية الأمريكية ، ثم التحق بخدمة الجيش المصرى برتبة قائمقام (عقيد) بسلاح المدفعية فى ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٤١ جنيها مصريا (٤).

---

1 - Abdin. Amr. Vol. 8 despt. No 179, Beardsley to Fish Cairo, March 10, 1874.

2 - Dye : Moslem Egypt .... p. 498.

3 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in desp. No. 3 Cairo, June, 4. 1870

(٤) المصدر السابق

٢٤ ـ القائمقام (العقيد) جيمس باسل James Bassel من ولاية فرجينيا ومن خريجى أكاديمية وست بوينت . التحق بسلاح المدفعية بالجيش الأمريكى ثم ترك الخدمة وعمل كمهندس مدنى الى أن دخل فى خدمة الحكومة المصرية برتبة قائمقام (عقيد) بسلاح المهندسين (١) .

٢٥ ـ القائمقام (العقيد) ريد H. B. Reed من مدينة نيويورك . خدم فى صفوف القوات الاتحادية فكان أميرالايا لفرقة (٢) المتطوعين . ثم استقال من الخدمة قبل التحاقه بخدمة الحكومة المصرية بعدة سنوات، وشغل منصب قائمقام (عقيد) أركان حرب فى الجيش المصرى .

٢٦ ـ القائمقام (العقيد) جريڤس C. J Graves من ولاية جورجيا ، ومن خريجى مدرسة أنابوليس البحرية . خدم فى صفوف القوات الائتلافية بعد تركه الخدمة بالبحرية الأمريكية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية . وقد رأس البعثة العسكرية التى أرسلت الى ساحل افريقيا الشرقى على المحيط الهندى فى سنة ١٨٧٨ لاختيار أنسب مكان لإقامة منار لإهداء السفن الآتية من المحيط الهندى والبحر الأحمر . وقد كشف رأس جوردفوى وحدد مكان إقامة المنار .

٢٧ ـ القائمقام (العقيد) دريك H. C. Derrick من ولاية فرجينيا . لانعرف تاريخ دخوله الخدمة بالجيش المصرى . اشترك فى الحرب الحبشية تحت قيادة راتب باشا ونال نيشانا أثناء خدمته .

---

1 - Abdin. Amr. Vol. 8 Despt. No. 179 Beardsley to Fish in March 10, 1874

(٢) المصدر السابق .

٢٨ - البكباشي (المقدم) كامبل W.B. Campbell من تنيسي Tennessee ومن خريجي الأكاديمية البحرية الامريكية . خدم في صفوف الائتلافيين ثم التحق بخدمة الجيش المصري برتبة بكباشي (مقدم) بحري في ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهري قدره ٣٧ جنيها مصريا(١). ومات بأواسط أفريقيا أثناء خدمته(٢).

٢٩ - البكباشي (المقدم) إدوارد بيريز Edward Parrys بالجيش المصري برتبة بكباشي (مقدم) بسلاح الإشارة في ٢١ أبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهري قدره ٢٧ جنيها مصريا(٣) . ومات إثر ضربة شمس أثناء وجوده بالخدمة(٤).

٣٠ - البكباشي (المقدم) كرنيليوس هنت Cornelius Hunt خدم في صفوف القوات الائتلافية أثناء الحرب الأهلية الأمريكية . ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة بكباشي (مقدم) بحري في ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب شهري قدره ٣٧ جنيها مصرياً (٥) . وكان فارساً جريئاً وقتل إثر كبوة من جواده برمل الأسكندرية في ٢٨ يونيه ١٨٧٣(٦) .

---

1 - Abdin Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3, Cairo June 4, 1870.

2 - Dye : Moslem Egypt.... P. 499,

3 - Amr. Vol. 6. enclosure in despt. No. 3 Cairo in June 4, 1870

4 - Dye : Moslem Egypt.... p. 499.

5 - Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 Cairo in June, 4, 1870.

6 - Abdin. Amr. Vol. 7 enclosure No. 2 in despt. No. 112 June 4, 1870

٣١ - البكباشي (المقدم) يوجين فشت Eugen Fechet من ولاية متشجن، ويعتبر من خيرة رجال القوات الإئتلافية فى ميادين القتال. التحق بمدرسة وست بوينت ، وبعد تخرجه عمل فى سلاح المدفعية بجيش الولايات المتحدة الأمريكية، واستمر قائما بعمله إلى أن التحق بخدمة الجيش المصرى [١] .

٣٢ - البكباشى المقدم مارتن Chancellor Martin من ولاية الينوى Illinois وهو من خريجى وست بوينت . استقال من خدمة الجيش الأمريكى لدراسة الطب ، ثم تركها للإلتحاق بخدمة الجيش المصرى [٢] .

٣٣ - البكباشى المقدم هول W. H.Hall من ولاية جورجيا ومن الخريجين الممتازين للأكاديمية البحرية. ترك الخدمة للإنضمام إلى صفوف القوات الائتلافية، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية .

٣٤ - البكباشى (المقدم) هوايت White (٣) (Whyte) من جنوب كارولينا ومن خريجى وست بوينت . حارب فى صفوف القوات الائتلافية حتى نهاية الحرب الأهلية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية بعد ذلك.

٣٥ - البكباشى (المقدم) دينسون J،D. Dennison من نيويورك ، أعفى من القتال إبان الحرب الأهلية ، وأدخل مدرسة وست بوينت . وبعد تخرجه خدم

---

(١) Dye : Moslem Egypt .... P. 499 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يذكره داى باسم White فى كتابه Moslem Egypt ولكن كرابتس يذكره باسم Wpyte ص ١٣ .

بعض الوقت على الحدود ، ثم مارس القانون (١) وبعد ذلك دخل فى خدمة الجيش المصرى، واشترك فى حملة أرندروب سنة ١٨٧٥ على الحبشة .

٣٦ - البكباشى (المقدم) شارلز لوش Charles F. Loshe إستقال من عمله بجيش الولايات المتحدة عندما طلب للإلتحاق بالجيش المصرى (٢) ، واشترك فى حرب الحبشة بقيادة راتب باشا . ومات فجأة أثناء الخدمة .

٣٧ - البكباشى (المقدم) روبرت لامبسون Robert Schuyler Lam. لانعرف عنه سوى أنه التحق بخدمة الحكومة المصرية ، واشترك فى حملة راتب باشا على الحبشة ومات بدارفور .

٣٨ - البكباشى (المقدم) الطبيب جونسون Johnson من تنسى Tennessee خدم فى صفوف القوات الائتلافية ، وكان يعمل صيدليا فى كلاركسفيل عندما وصله نبأ تعيينه فى الجيش المصرى . وقد حاز نيشانا أثناء خدمته (٣) .

٣٩ - البكباشى (المقدم) الطبيب ويلسون W.H. Wilson اشتغل فى وظيفة جراح مساعد بصفوف القوات الاتحادية . وكذلك باشر نفس المهنة فى الجيش الأمريكى ، ثم عين فى الحكومة المصرية ونال وساما أثناء خدمته .

٤٠ - اليوزباشى (النقيب) جون سافاج John Savage من ولاية فرجينيا

(١) Dye : Moslem Egypt .... P. 499 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

ومن خريجى الأكاديمية الحربية الأمريكية . ولانعرف تاريخ التحـــاقه بالجيش المصرى .

٤١ ـ اليوزباشى (النقيب) فريمان Hartwell W. Freeman من ولاية مساشوستس، التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة يوزباشى(نقيب)أركان حرب فى ٢١ إبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٢٩ جنيها مصريا (١) .

٤٢ ـ اليوزباشى (النقيب) جيمس مورجان James Morgan من ولاية لويزيانا. دخل فى خدمة الحكومة المصرية برتبة يوزباشى (نقيب) بحرى فى ٢٠ إبريل سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٢٩ جنيها مصريا (٢) .

٤٣ اليوزباسى (النقيب)داڤيد بورتر David Porter من منتانا Montana خدم فى جيش الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم ببحرية الولايات المتحدة قبل التحاقه بخدمة الحكومة المصرية . ولا نعرف تاريخ التحاقه بالجيش المصرى .

٤٤ ـ اليوباشى(النقيب)إرجنس Irgens منولاية منتانا . خدم فى صفوف القوات الاتحادية خلال الحرب الأهلية الأمريكية ، ثم التحق بفرقة المدفعيـــة السابعة للقوات النظامية بجيش الولايات المتحدة . وبعد ذلك إستقال منالخدمة والتحق بالجيش المصرى حيث اشترك فى حرب الحبشة بقيادة راتب باشا . ثم اعتزل الخدمة ، ولكنه مات فجأة بميناء ليفربول أثناء عودته إلى وطنه (٣) .

---

(١) Abdin, Amr. Vol.6 enclosure in despt. No. 3, Cairo In June 4,1870 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Dye ; Moslem Egypt P.500

٤٥ - البرفسور ميتشل L.H Mitchel مهندس تعدين، خدم فى الجيش الشمالى خلال الحرب الأهلية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية ، وألحق بهيئة أركان حرب لمهمة عملية ، وذهب على رأس بعثة فى سنة ١٨٧٤ لدراسة المنطقة المحصورة بين النيل والبحر الأحمر من الناحية الجيولوجية ، وكشف المنطقة بين مصوع وقرع فى سنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ . وكان ميتشل يتقاضى مرتبا شهريا يعادل مرتب القائمقام (العقيد) (١) .

٤٦ - المستر ميدلتون Middleton دخل خدمة الحكومة المصرية للبحث عن آبار الزيوت ، ولكنه مات بعد فصله من الخدمة مباشرة(٢).

٤٧ - المستر برنارد Bernard وكان يشغل وظيفة السكرتير الخاص للجنرال استون .

٤٨-القائمقام (العقيد) هنرى ماك إيفر Henry R.H. Mc. Ivor التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة قائمقام (عقيد) بسلاح الفرسان فى ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ بمرتب شهرى قدره ٤١ جنيها مصريا (٣) .

٤٩ - المستر كيلى M.C.Kiley وتشير اليه وثائق وزارة الخارجية المصرية على أنه أمريكى. ومات أثناء خدمة الحكومة المصرية فى ٢٠ يولية سنة ١٨٧٦ ،

---

(1) Dye ; Moslem Egypt .... P. 500

(٢) المصدر السابق .

(3) Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt No. 3 June, 4, 1870.

ولم يذكر شيئا عن وظيفته أو بلده (١).

٥٠ - البكباشى (المقدم) كميرون Cameron من ولاية فرجينيا . خدم فى صفوف القوات الائتلافية ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية بعد ذلك (٢) .

وهؤلاء الضباط الأمريكيون المذكورون قد أدوا خدمات لاتنكر لمصر ، ولكن هذه الخدمات كانت لاتمس الأمور الجوهرية للجيش . ويذكر الضابط الأمريكى داى هذا الموضوع بقوله « ولكن ثروة القطر المصرى والتفكير فى إنمائها وزيادتها أخذت معظم اهتمام الحكومة المباشر . وعلى ذلك فقد كان الهدف من إختيار الضباط الأمريكيين الذين ألحقوا بخدمة الجيش هو زيادة وتنمية ثروة الأقليم وملحقاته أكثر من إختيارهم لتحسين حالة الجيش (٣) » . وهذا يخالف بطبيعة الحال ماهدف اليه والى مصر عند تعيين هؤلاء بالجيش المصرى من تقوية قوة مصر الحربية لتحقيق الاستقلال .

وعندما عجزت مالية البلاد عن مواجهة المصروفات أعفى جميع الضباط الأمريكيون وغيرهم من الضباط الأجانب من الخدمة فى ٣٠ يونيه سنة ١٨٧٨ بعد صرف مرتباتهم حتى تاريخ الإعفاء، وصرف لهم أيضا مرتب ستة شهور لكل منهم بصفة مكافأة مع منحه مبلغ خمسة وسبعين جنيها لنفقات رجوعه إلى الولايات المتحدة (٤) .

---

(١) Crabités : Americans P.16

(٢) المصدر السابق .

(٣) Dye Moslem Egypt P.6

(٤) Abdin. Amr. Vol. 16 desp. No, 245 Farman to Evarts Cairo in July 3,1878 .

وقد استعانت الحكومة المصرية بغير هؤلاء من جنسيات مختلفة ، ففى سنة ١٨٧٢ إستحضر رجلا إنجليزيا يدعى اتكنسون Atkinson ليشغل « وظيفة أسطى باشه لتعليم وتوضيب وضع اللغم الكهربائى والميكانيكى بموجب عقد لمدة ستة شهور من تاريخ قيامه من انجلترا بماهية شهرية خمسة وثلاثين لـــيرة ، فيما عدا مصاريف رجوعه وعودته (١) » .

ومن هؤلاء أيضا رومولو جيسى Romolo Gessi الضابط الايطالى الذى ألحق بغردون عند تعيينه مديرا لمديرية خط الاستواء سنة ١٨٧٣ . وقـد أسند اليه غوردون مهمة إرتياد مناطق بحر الغزال وإقامة محطات عسكرية بها . وقد بدأ جيسى رحلته فى أوائل سنة ١٨٧٤ عن طريق سواكن ، حيث جمع ٢٥٠ جملا وعبر بها الصحراء إلى بربر ، ثم صعد فى النيل حتى وصل إلى الخرطوم . وبعد استراحة قصيرة سار عن طريق النيل الأبيض إلى أن وصل إلى الرجـاف وأنشأ نقطا عسكرية فى السوباط وشامبيه وبور ولادو ورجاف (٢) . وفى سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ساح فوق بحيرة ألبرت ، وطاف بشواطئها ، وأثبت أن النيـل الأبيض يخرج منها (٣) .

واستخدمت أيضا الضابط ميكلوب Mc. Killop للعمل تحت إمرة غوردون وكان ميكلوب هذا ضابطا برتبة يوزباشى (نقيب) فى البحرية الانكليزية ، وقد صحب ميكلوب شاييه لونج فى رحلته إلى نهر جوبا .

---

(١) دفتر ٢٨٦٨ أوامر كرام وارده لديوان الجهادية فى ٢١ ربيع أول سنة ١٢٨٩ .

(2) Gessi , Seven years in the Sudan P.V

(3) Crabités; Americans .... P.214.

كذلك التحق بخدمة الحكومة المصرية الأميرالاى (العميد) أرندروب ArendruP ،وكان ملازما سابقا بالمدفعية الدنمركية الملكية ، وحضر إلى مصر للعلاج.وفى أثنا إقامته بها توطدت بينه وبين الجنرال استون أواصر الصداقة، فأسندت اليه قيادة حملة على الحبشة سنة ١٨٧٥ وفيهـا قتل أرندروب ، وكان نصيبها الفشل التام .

وخدم أيضـأ فى صفوف الجيش المصـرى رجل سويسرى يسمى منزنجر Munzinger فى سنة ١٨٧٠ كمحافظ لمينـاء مصوع . وقام على رأس حمـلة صغيرة لتأديب الحبشة سنة ١٨٧٥ . ولكنه هزم وقتل هو ومعظم جنوده .

واستخدمت الحكومة المصرية أيضا الضابط الانكليزى مالكوم ليتولى إلغاء تجارة الرقيق فى البحر الاحمر بعد عقد إتفاقيـة إلغـاء الرق فى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ . واستعانت الحكومة المصرية كذلك بخـدمات فردريجو Frédérigo الذى اشترك فى حملة نهر جوبا وقسمايو . وغـير هؤلاء كثيرون ممن استخدموا كمدرسين بالمدارس الحربيـة وكأسطوات ببلوكات الصنايعية وفروع الجيش الأخرى يصعب على الباحث إحصاؤهم.

وممـا تجدر الإشارة اليه أن إفراط اسماعيـل فى الاعتماد عـلى الأجانب ، وفى إسناد المناصب الرئيسية اليهم فى البلاد ، لاسيما فى السودان وفى البحر الأحمر ، لم يكن فى صالح مصر على الإطلاق . كما أن بعض هؤلاء الأجانب – على الأقـل – لم يكن فوق مستوى الشبهات .

هذا بالاضافة إلى أن استخدام هؤلاء الأجانب ، خصوصا الأمريكيين منهم ، لم يؤد إلى الإرتفاع بمستوى الجيش ، فقد حيل بينهم وبين الجنود ، ونظر الضباط الاتراك الشراكسة اليهم كمنافسين لهم فى السلطة وفى السيطرة على الجيش. ولهذا عملوا على عرقلة أعمالهم ، والوقوف فى وجه مشروعاتهم . ومن ثم إتجه نشاطهم إلى أمور فرعية لاتمس الجيش فى الصميم، مثل الكشوف الجغرافية وغيرها .

الفصل الرابع

البعوث العسكرية

البعوث العسكرية

كان لا بد للنهوض بالجيش من الاستعانة بخبراء عسكريين من الأجانب ليقوموا على تدريبه على النظم الحربية الحديثة ، واختيار أصلح القوانين العسكرية التى تتناسب وطبيعة النظم الحربية فى مصر . وهذا ما لجأ اليه محمد على حينما استعان بخبراء عسكريين من فرنسا وإيطاليا وانجلترا وغيرها من الأقطـــار الأوربية . ولكنه كان يعتقد بأن هذا العلاج مؤقت ، فلا يمكن لأى جيش حديث أن يعتمد كلية على خبرات أجنبية ، وخصوصاً فى الناحية الحربية . فأوفدت البعوث العـــديدة إلى أوربا للتخصص فى النواحى العسكرية المختلفة ليستطيع هؤلاء المبعوثون أن يقوموا مقام الأجانب فى الجيش بعد إتمام دراستهم والعودة إلى مصر .

وقد اتبع كل من عباس وسعيد نفس الطريقة ، فأوفدا البعوث العسكرية وغير العسكرية إلى أوربا، ولكنها كانت فى حدود ضيقة إذا ماقيست بماكان عليه الحال فى عصر محمد على .

فلما جاء إسماعيل إلى حكم مصر نهج على منوال جده محمد على فى الاستعانة بالفرنسيين فى تزويده بالضباط لتنظيم مدارسة الحربيـة . فأوفدوا اليه فى أوائل سنة ١٨٦٤ البعثة الفرنسية برياسة ميرشير بك وعضوية رباتيل ولارمى وبولار.

وبعد ذلك بقليل أرسلت إلى فرنسا بعثة عسكرية تحت رآسة شاهين (باشا) وتتكون البعثة من خمسة عشر ضابطا ، من أمهر الضباط من كل الأسلحة صحبة

الجنرال برنينو ومعهم أحمد (بك) عبيد بصفة مترجم ، لدراسة التعليمات العسكرية الفرنسية ، والوقوف على استحكاماتها ومناوراتها العمومية التى أجراها الأوردى المقيم فى شالون تحت قيادة المارشال مكماهون (١) » . وهؤلاء الضباط هم شاهين (باشا) وابراهيم (باشا) السوارى وعلى (بك) رضا الطوبجى ، وعلى (بك) وهبى ، ويوسف (بك) صديق ، ومحمد (بك) رضا ومحمود (بك) سامى واسماعيل (بك) أيوب ، و عبد القادر (بك) حلمى ، ومصطفى (بك) فهمى وعثمان (بك) غالب ، وأحمد (أفندى) حمدى ، وحسن (أفندى) مظهر ، ومحمد (أفندى) (٢).

وقد قوبلوا فى فرنسا بحفاوة بالغة من قبل السلطات العسكرية الفرنسية . وعملت الحكومة المصرية على تيسير مهمة البعثة فأرسلت خطاباً (٣) . فى ١٩ محرم سنة ١٢٨١ (يونيه سنة ١٨٦٤) إلى سفير الدولة العثمانية بباريس تلتمس منه بذل ما يستطيع من جهد لتوفير سبل الراحة والعناية لهؤلاء المبعوثين أثناء إقامتهم بفرنسا . ولم تكن مهمة البعثة مقصورة على زيارة فرنسا فحسب ، بل وزيارة المدن الشهيرة بانجلترا وألمانيا والنمسا أيضا . وقد اتصلت الحكومة المصرية مرة أخرى بسفراء الدولة العثمانيـــة بلندن وبرلين وفينا لتسهيل مهمة البعثة ومساعدتها فى زيارة ما ترغب زيارته من الأماكن (٤) .

---

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣٠٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٧ حاشية .

(٣) دفتر ٢١ عابدين وثيقة رقم ٤٨٧ من اسماعيل باشا الى سفير الدولة العثمانية فى باريس فى ١٩ محرم سنة ١٢٨٠ (يونيه ١٨٦٤) .

(٤) دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٥٩١ الى سفراء الدولة العثمانية بلندن وبرلين وفينا فى غاية ربيع أول ١٢٨١

وقد مكثت هذه البعثة خارج مصر من شهر يونيه إلى أكتوبر سنة ١٨٦٤ [١]. ثم عادت اليها تحمل الكثير من المؤلفات العسكرية الفرنسية التى أمرت الحكومة بترجمتها . وكذلك أنواعا من الأسلحة والملابس [٢] .

وفى ديسمبر سنة ١٨٦٦ أرسلت الحكومة أربعة من متفوقى مدرسة أركان حرب إلى فرنسا لاستكمال دراستهم بها . وهؤلاء الأربعة هم[٣] :

١ - محمد مختار (ولم يستكمل دراسته لمرضه)
٢ - حسن مظهر لدراسة العلوم الصناعية
٣ - أحمد زكى
٤ - على وهبى } لدراسة الهندسة العسكرية بمدرسة المدفعية بمتز

وقد أرسلت هذه البعثة فى أيام نظارة شحاته (أفندى) عيسى لمدرسة أركان حرب ، وقبل انشاء هيئة أركان حرب الجيش المصرى .

وفى سنة ١٨٧٠ (٢٣ صفر سنة ١٢٨٧) وافقت الحكومة على إيفاد أربعة من طلبة مدرسة أركان حرب إلى إنجلترا وهم[٤] :

---

(١) اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ٢١٤
(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧
(٣) دفتر ٣٩٧ (مدارس عربى) وثيقة رقم ١٥٦ ص ١٥٧ من ناظر المدارس الحربية فى ٤ رجب سنة ١٢٨٣ .
(٤) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٢٤ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية فى ٢٣ صفر سنة ١٢٨٧ (١٨٧١) .

١ ـ الملازم ثانى لطيف سليم أفندى
٢ ـ « « عبد الرحمن ذهنى
٣ ـ الاسبران على جودت
٤ ـ الاسبران عبد الفتاح فتحى

وقد أرسل هؤلاء لاتمام دراستهم بانجلترا ، حيث أن لهم شغفا زائدا باتمام الدراسة هناك (١).

وفى أوائل سنة ١٨٧٠ أرسلت الحكومة إلى فرنسا ثلاثين طالبا منهم أربعة فقط من تلاميذ مدرسة الطب البيطرى (إحدى المدارس الحربية) للتخصص فى مهنة الطب البيطرى وهم(٢) :

١ ـ محمد فؤاد
٢ ـ محمد صفوت
٣ ـ حسن زكى
٤ ـ محمد كامى

وقد عاد هؤلاء ومن معهم من تلاميذ البعثات الأخرى عقب حرب السبعين إلى مصر قبل أن يتموا دراساتهم(٣).

وأثناء نشوب الحرب الفرنسية البروسية فى سنة ١٨٧٠ أرسل ناظر

---

(١) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة رقم ٢٢٤ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية فى ٢٣ صفر سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠).
(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) جـ ٢ ص ٧٢١
(٣) المصدر السابق.

الجهادية والبحرية شاهين كنج (١) كتابا إلى الخديو اسماعيل يستفسر منه عما إذا كان سموه يوافق على ندب بعض الضباط لألمانيا وفرنسا لمناسبة نشوب الحرب بينهما للاستفادة من مشاهدة حركات الجيوش أثناء القتال والقيام برسم خرائط تفصيلية لمواقع الجيوش وسير القتال .

وقد كان لهذه الحرب نتائج عظيمة المدى من الناحية الحربية فقد أثبتت للعالم تفوق النظم الحربية البروسية على النظم الفرنسية التى كانت تعتبر المثل الأعلى للنظم الحربية العالمية فى ذلك الوقت . فجذبت هذه الثورة الجديدة على الأوضاع والنظم الحربية المألوفة أنظار رجال الحرب من مختلف الدول ، فعكفوا على دراستها والإفادة منها . فلا عجب إذا ما اهتمت الحكومة المصرية والجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى بهذا التطور الجديد فى النظم العسكرية ، فتوافق الحكومة فى (٢) فى إبريل سنة ١٨٧٢ على إيفاد عدد من صغار الضباط فى هيئة أركان حرب تحت إشراف قائمقام (عقيد) يراعى فى إختياره الذكاء والخبرة الطويلة لمشاهدة النظم العسكرية لدول أوربا العظمى ، وذلك فى خلال صيف عام ١٨٧٢ .

وكان الغرض من هذه البعثة أن يقوم هؤلاء الضباط بدراسة النظم العسكرية للدول الأوربية المختلفة ، وخصوصا التى طبقت فى حرب سنة ١٨٧٠ التى تعتبر من أكبر المعارك فى ذلك الوقت . كذلك رأت الحكومة أن يقوم أعضاء البعثة فى المدة التى سيمكثونها خارج بلادهم وهى ستة شهور بالدراسات الآتيه (٣) :

---

(١) محفظة ٤٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٤٣ من شاهين كنج ناظر الجهادية والبحرية الى المعية مهردار الخديو فى ٢٦ ربيع ثانى سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) .

(2) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/10 Bureau du Chef d'Etat - Major . LE Caire en Avril . 1872.

(٣) المصدر السابق .

١ – التغييرات التى أدخلت على النظم الحربية بعد حرب سنة ١٨٧٠ نتيجة للخبرة التى اكتسبتها الدول المحاربة خلالها .

٢ – التناسب الموجود بين قوات الدول المختلفة . وكذلك الوقوف على الأسلحة والملابس العسكرية فى الجيوش المختلفة ، وأثر الحرب فى التعديلات التى أدخلت على المدافع والأسلحة النارية من مختلف الطرز وما تقوم به الدول من التجارب الوصول إلى أصلحها وأبعدها أثرا فى الحرب . وكذلك معرفة ماطرأ على التكتيكات الحربية ونظم تشكيل الجيوش وما طرأ عليها من تغيير نتيجة للخبرة المكتسبة فى الحرب .

٣ – معرفة نسبة مجموع مدافع الميدان إلى المجموع الكلى لقوات الجيش ، وكذلك طريقة جمع الجنود ، والإلمام بكادر الضباط والجنود ، وطرق تعليم الضباط وضباط الصف ، وخصوصا ضباط أركان حرب، والوقوف على الخدمات التى تؤديها الهيئة فى أيام السلم والحرب . كما يجب على أفراد البعثة الوقوف على تنظيم وإستخدام المواصلات المختلفة من سكك حديد وتلغرافات .

كذلك أوصى الجنرال استون رئيس البعثة بأن يرافق هو ومن معه أعضاء هيئة أركان حرب جيش ألمانيا الشمالى فى رحلة الربيع السنوية إلى اقليم الإلزاس الذى يعتبر مسرحا للوقائع المهمة من الناحية العسكرية . كما أشار عليه بدخول أوربا من جنوبها ، عن طريق البندقية ، حتى يتعود أفراد البعثة على مناخ أوربا قبل ذهابهم إلى شمالها . ثم زيارة ساحات القتال الشهيرة فى القرن الحالى (التاسع عشر) وخصوصا ساحات قتال الجنرال بونابرت والمارشال رادتزكى Radetzky قبل وصولهم إلى برلين . كذلك أمره بحضور المناورات الكبرى التى يجريها الجيش الروسى فى الخريف من كل عام نظرا لاهميتها . على أن يقوم كل ضابط

بتدوين مذكراته عن مشاهداته وملاحظاته ، ويرسل منهـا نسختين كل أسبوع إلى مصر ، أحداها إلى رئيس هيئة أركان حرب ، والأخرى إلى ناظر الجهادية. وعلى رئيس البعثة فى نهاية كل شهر أن يرسل تقريرا مفصلا عن ملاحظاته ، وكذا تقريرا من قبل كل ضابط ، بالإضافة إلى مذكراته اليومية . ولايعرف بالضبط المدة التى أقامتها هذه البعثة بأوربا .

كذلك طلب الجنرال استون (١) فى ٧ مايو سنة ١٨٧٣ انتداب القائمقام (العقيد) أرندروب السكرتير الحربى - وهو من ضباط المدفعية الأكفاء - السفر إلى إنجلترا وفرنسا لمشاهدة مدافع الميدان الجديدة التى أجريت تجربتها أخيرا ، والتى تفوق ماهو موجود لدى الجيش المصرى . على أن يقوم باختبارها ، وكتابة تقرير عنها ، وبيان أسعارها ، وطرق الحصول عليها . وإسغرقت مـدة إقامته بأوربا بين ثلاثة وأربعة شهور .

المدرسة المصرية بباريس

أسست هذه المدرسة بباريس فى عهد محمد على فى أكتوبر سنة ١٨٤٤ لتعليم التلاميذ المصريين الفنون الحربية ، وجعلها تحت إشراف وزير الحربية الفرنسية الذى قام بتعيين المسيو بوانسو Poinçot(٢) ناظرا لها . كما عين أساتذة المدرسة كذلك. وشكلت للمدرسة لجنة مكونة من ستة ضباط لتنظيم سير الدراسة بها. واتبعت المدرسة فى إدارتها النظم العسكرية البحتة. ولكن رغم ذلك فكان يعامل الأمراء

---

(1) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 05/10 Fabricaion en Egyp Bureau du Chef d'Etat - Major , Le Caire 7 Moi 1873

(٢) عمر طوسون . البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعيد ص ١٧٩ .

وأبناء الباشوات من التلاميذ معاملة خاصة ؛ إذ خصصت المدرسة لنومهم حجرات مؤثثة تأثيثا فاخرا ، وأعدوا لمأكلهم طعاما فاخرا ، مما يتنافى مع طبيعة الحياة العسكرية . وقد اعترض محمد على على هذه المعاملة فى خطاب بعث به إلى وزير الحربية الفرنسية فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٤٤ ، وطالب بمعاملة أولاده نفس معاملة سائر التلاميذ(١). وبلغ عدد تلاميذ المدرسة فى سنة ١٨٤٥ ، ٦٢ تلميذا، وكانت تتراوح أعمارهم بين ١٩ و ٢٠ عاما . وكان يتقاضى الطالب منهم (٢) ٧٥ سنتيم ٦٢ فرنك . وقد التحق والى مصر اسماعيل فى صغره بهذه المدرسة فى الفصل الثالث فى أول ابريل سنة ١٨٤٥ (٣). وكذلك على مبارك (باشا) حيث التحق بها فى فى سنة ١٨٤٤ (٤) .

وإستمرت هذه المدرسة قائمة إلى ولاية عباس سنة ١٢٦٥ (أواخر مايو سنة ١٨٤٩) ، حيث أمر باغلاقها وإستحضار تلاميذها. وإستعاض عنها بمدرسة المفروزة بالعباسية (٥) .

وفى عصر سعيد أرسلت بعثات مختلفة إلى فرنسا ، تخصص بعض أفرادها فى النواحى الحربية . وكان يشرف على هؤلاء الطلبة مجلس تعليم البعثة المصرية بفرنسا الذى تولى وضع لائحة (ترتيب نامه) لها (٦) وافق عليها الخديو فى ١٦

---

(١) عمر طوسون . البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعيد ص ١٨٣
(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٣١٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٣٦٧ .
(٥) المصدر السابق ص ٣٧١ .
(٦) دفتر مجموعة ترتيبات ووظائف . وثيقة رقم ٢١ ص ٤٣٦ و ٤٧٨ أمر عالى فى رجب سنة ١٢٧٤ .

رجب سنة ١٢٧٤ (أوائل مارس سنة ١٨٥٧) . وتشتمل على مقدمة و ١٤ بندا خاصا بنظام التلاميذ وحقوقهم وواجباتهم ولباسهم ومأكلهم .

واستمر إشراف مجلس تعليم البعثة على إنشاء المدرسة المصـــرية بباريس (الرسالة المصرية فى باريس) فى يولية سنة ١٦٨٩ حيث عين على نظارتها ميرشير بك؛ وكلف بوضع لائحة لها. وحازت هذه اللائحة(١)موافقة الحكومة المصرية. وتتكون اللائحة من خمس مواد :

المادة الأولى تنص على أن هذه المدرسة أسست على غرار المدرسة التىأنشأها محمد على من قبل ، وتضم تلاميذا من خريجى المدارس المصرية ، وتخضـــع للنظام العسكرى .

وبالمادة الثانية بيان بعدد أفراد هيئة المدرسةمن قومندانالمدرسة، ومدرسيها وأمين صندوقها ، ومسجلها ، وسكرتيرها ...

وتنص المادة الثالثة على نظام التعليم بالمدرسة ، وفرق الدراسة ، وكيفيـة أداء الإمتحان.

وبالمادة الرابعة بيان لمجالس المدرسة الثلاثة :

أولا ـ مجلس التعليم : ويقوم بوضع برامج الدراسة وتخير الطلاب وترتيبهم حسب قوتهم . ويتكون هذا المجلس من عشرة أساتذة تحت رئاسة قائد المدرسة .

ثانيا ـ مجلس الإدارة ويختص بـالشئون الادارية للمدرسة ، ويتكون من

(1) Abdin. Corrsp. fran. Doss No.35/4 Ecole Eqyptien de Paris Mircher à Nubar Pacha 16 Aut. 1869.

خمسة أعضاء فيما عدا الرئيس (قائد المدرسة).

ثالثا ـ مجلس التأديب : ويقوم بتقدير درجات سلوك التلاميذ ، والحكم على المخالفين منهم . ويتألف من قائد المدرسة رئيسا وخمسة أعضاء آخرين .

وتشتمل المادة الخامسة على قوانين النظام والمكافآت والعقوبات . وفرض نظـــام المدرسة على الطلبة الذين يتلقون دروسا كاملة بالمدرسة إرتداء الملابس المقررة للمدرسة . أما الطلبـة الذين يلقـون بعض الدروس بالمدرسة والبعض الآخر بالمدارس الفرنسية الأخرى فقد أعفوا من هذه الملابس . ويمنح الطلبـة أثناء دراستهم رتبا عسكرية تخول لهم السلطة على زملائهم فى حـدود اللائحـة الداخلية لنظام المدرسة. وخصص لكل ٥٠ طالبا باشجاويش (رقيب أول) ورائد، ولكل ٢٥ طالبا جاويش (رقيب)، ولـكل ١٢ طالبا أونباشى (عريف).

ويقوم قائد المدرسة بمنح هذه الرتب العسكرية ، ولايجوز تجريد الطالب من رتبته إلا بقرار من مجلس التأديب . أما عن العقوبات الـتى تفرض عـلى التلاميذ فتتراوح بين الحجز أو التحذير أو السجن أو الفصل ، طبقا لما يحـدده قـانون العقوبات .

وألحق باللائحة العامة للمدرسة لائحة أخرى لنظام الخدمة الداخلية (١) . ويتكون هذا النظام من ست مواد :

المادة الأولى :تذكر اختصصات الموظفين والأساتذة والوكلاء ؛ وتحـدد إختصاص قومندان المدرسة ، وتوضح الأعمال المكلف بها . وكذلك المدرسين وسائر الموظفين الإداريين .

(1) Abdin, Corrsp. fran. Doss. No.35/4 Ecoles Egyptiens de Paris .Deret Organique. Mircher à Nubar Pacha. I6 Aut I869 .

المادة الثانية : وتشتمل على شروط قبول التلاميذ بالمدرسة وطريقة توزيعهم على فرقها المختلفة ، وما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات نحو مدرستهم ومدرسيهم والموظفين الإداريين .

المادة الثالثة : وتوضح الزى المفروض على التلاميذ .

المادة الرابعة : وتضم تفصيلات دقيقة لنظام الأكل والوجبات المخصصة للتلاميذ . ونظرا لأن بعض التلاميذ يتناولون دروساً أخرى فى المعاهد الفرنسية المختلفة ، وهذه الدروس تضطرهم فى بعض الأحيان إلى تناول الطعام خارج المدرسة . لهذا رأت إدارة المدرسة صرف مبلغ فرنكين بدل غذاء عن الوجبة الواحدة . وبهذه المادة أيضا بيان بأنواع الأطعمة التى تتكون منها كل وجبة من الوجبات الثلاث .

المادة الخامسة : تشتمل على بيان العقوبات التى تفرض على التلاميذ المخالفين ، ومدى سلطة كل من المدرسين ، والمشرفين ، وناظر المدرسة فى فرض هذه العقوبات ، مع سرد أنواع المخالفات وعقوبة كل منها .

وكان الغرض من إنشاء هذه المدرسة إعداد التلاميذ المصريين للالتحاق بالمدارس الفرنسية المختلفة من حربية وغير حربية ، لأنه وجد أن التلاميذ المصريين الذين يرسلون فى بعوث علمية إلى فرنسا لايستطيعون مواصلة دروسهم لعجزهم التام عن مسايرة زملائهم ، نظرا لضعفهم فى اللغة الفرنسية . ولهذا رؤى إنشاء هذه المدرسة التى كانت تسير على النظم العسكرية فى إدارتها ، سواء أكان الطالب سيلتحق بالمدارس الحربية الفرنسية أم بالمدارس الملكية . وكان التلاميذ المبتدئون يتلقون دراستهم بها طوال اليوم . أما التلاميذ الآخرون الذين أمضوا مدة بالمدرسة تؤهلهم للالتحاق بالمدارس الحربية الفرنسية ، فكانوا يتلقون

بعض الدروس بالمدرسة المصرية ، والبعض الآخر بالمدارس الفرنسية التى تخصصوا فى موادها .

ولم تطل مدرسة نظارة ميرشير عليها ، إذ تركها فى منتصف سنة ١٨٧٠ للعمل بالجيش الفرنسى كرئيس لاركان حرب فرق المشاة بباريس (١) ، فخلفه رباتيل وكيل المدرسة . واستمرت المدرسة قائمة إلى سبتمبر سنة ١٨٧٠ ، حيث عاد طلبة البعثة المصرية إلى مصر ، فلم يعد هناك مبرر لبقائها (٢) . فأصدرت الحكومة المصرية أمرها بإلغائها ، وعهد إلى يوسف (بك) النبراوى فى مارس سنة ١٨٧٠ «بنهو حساباته (المكتب المصرى بباريس) ونقله إلى بروكسل»(٣).

ولكن مشروع نقل المدرسة المصرية إلى بروكسل لم يتحقق(٤). ومع ذلك لم ينقطع إرسال التلاميذ فى بعوث إلى فرنسا بعد غلق المدرسة المصرية. ومن ثم رأت الحكومة المصرية تعيين شارل مزمر **Charles Mismer** مديرا للبعثة المصرية بباريس فى سنة ١٨٧٥ للاشراف على شئون التلاميذ المتفرقين فى مدن فرنسا ، مثل اكس ومونبليه وباريس . واستمر بمنصبه هذا إلى سنة ١٨٨٥ .

وقدر أمين سامى أعضاء البعوث العلميـــة التى أرسلت إلى مختلف البلدان الاوربيه- بنحو ١٧٢ طالبا بلغ، ما صرف عليهم نحو ١٦٣٫٠٥٧ جنيها . ويتفق

---

(١) تاريخ التعليم . عصر اسماعيل جـ ٢ ص ٧٥٣

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ١٩٣٥ (أوامر مدارس) وثيقة رقم ١٧٨ ص ١٣٥ أمر كريم إلى المالية فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٨٧ (مارس سنة ١٨٧١).

(٤) تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) جـ ٢ ص ٧٥٩ .

معه فى ذلك الياس الأيوبى ، إذ يذكر أن من بين هؤلاء المبعوثين ١٢٠ طالبا أرسلوا إلى مدرسة الطب والمدرسة الحربية بباريس و ٥٠ طالبا إلى مدارس تورينو العسكرية والملكية .

وقد استطاع الدكتور أحمد عزت عبدالكريم الوصول بعدد هؤلاء المبعوثين إلى ١٩٥ طالبا ، موزعين على فرنسا وانجلترا وإيطاليا والمانيا وسويسرا (١) . وبعض هؤلاء تخصصوا فى الناحية الحربية . ولكن لا يستطيع الباحث تحديد عدد هؤلاء تحديدا دقيقا .

(١) تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) ج ص ٧٧٥ .

الفصل الخامس

المدارس الحربية

المدارس الحربية

لم يكن بمصر بعد انتهاء حكم محمد على سوى مدرسة حربية واحدة هى المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية (القناطر الخيرية) التى كانت تسمى باسم المهندسخانة السعيدية (١)، قبل أن يوضع لها ترتيب (تنظيم) جديد فى ١٨ صفر سنة ١٢٧٨ (يوليه سنة ١٨٦١) (٢) . وكان ناظرها دى برناردى De Bernardi ، وكانت حالتها « سيئة من حيث كيانها ونظامها والتعليم والتربية فيها (٣) » . فعزم الخديو اسماعيل على أن يتخذ من هذه المدرسة أساساً لإقامة المدارس الحربية الأخرى . ويبدو أن هذه السياسة كانت مرسومة فى ذهنه قبل توليه الحكم ، أى وقت أن كان يشغل منصب « صاحب الدولة القائمقام » أثناء استشفاء عمه سعيد بأوربا . فكانت هذه الفترة التى تولى فيها اسماعيل أمور الولاية بالنيابة عن سعيد هامة بالنسبة له ، إذ جعلته يلمس عن كثب مدى حاجة الجيش إلى الإصلاح .

وعندما ولى اسماعيل حكم مصر « أمر بنقل المدرسة الحربية التى كانت بقصر النيل إلى العباسية (٤) » ثم نقلت تبعيتها من ديوان الجهادية إلى ديوان المدارس

---

(١) سرهنك باشا : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٢.

(٣) الياس الأيوبى : تاريخ مصر عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٦٥٢.

(٤) سرهنك باشا : حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧ وأمين سامى باشا : تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٦١٠ (إرادة للباشا ناظر المدارس فى ٢٢ المحرم سنة ١٢٨١) .

بعد أشهر من إنشائه (١) فى ١٢ المحرم سنة ١٢٨٠ (١٨ يونيه سنة ١٨٦٣). ولم يكن لهذا النقل ما يبرره - فمع أن ديوان المدارس لم يدخر وسعا فى العمل على النهوض بها - إلا أن المدرسة لم تستطيع قطع صلتها القوية بديوان الجهادية. ولذا ظهرت الحاجة اليه عندما نمت المدرسة وزادت مطالبها. فلم يجد أولو الأمر مناصا من ضمها اليه فى ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ (فبراير سنة ١٨٦٤) (٢).

بدأ ديوان المدارس فى جمع التلاميذ لهذه المدرسة لمواجهة حركة التوسع المنشودة، فشغله هذا الهدف عن تخير التلاميذ الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة، فبعضهم «لم يكونوا يعرفون غير القراءة والكتابة، بل أكثرهم كانوا يجهلونها (٣)» فكان هذا التفاوت بين درجات المعرفة سببا فى تقسيم التلاميذ إلى ستة فصول «تبعا لدرجة معرفتهم الحساب». (٤) ثم قسمت المدرسة إلى أربعة أقسام تمثل أسلحة الجيش الأربعة وهى: الهندسة العسكرية، والمدفعية، والفرسان، والمشاة، وسميت وقتذاك بمدرسة المدفعية، وكان مقررا لها ٤٠٠ تلميذ. وسيتبلور كل قسم من هذه الأقسام ويأخذ شكل مدرسة قائمة بذاتها ومستقلة فى إدارتها عن غيرها من المدارس الحربية الأخرى.

---

(١) أمين سامى باشا: تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٣٩، وأحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٣.

(٢) دفتر ٥٣٩ (معيه تركى) ص ٥٦ أمر رقم ٢٣ إلى ناظر الجهادية اسماعيل باشا فى ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ وأمين سامى باشا: تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٣٩.

(٣) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦١٨

(٤) المصدر السابق.

وإذا كان ديوان المدارس قد جمع لهذه المدرسة - وقت تبعيتها اليه - تلاميذ لاتتوفر فيهم الشروط المطلوبة ، فان ديوان الجهادية كان أكثر دقة فى إختيارهم عندما آلت اليه المدرسة فى ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ (أوائل سنة ١٨٦٤)[١] ، كما ذكرنا من قبل ، فاختار ١٢٠ تلميذا من تلامذة المدرسة التجهيزية ، وذلك لرفع مستوى خريجى المدرسة من الضباط .

واستلزم التوسع فى المدرسة الحربية - أو مدرسة المدفعية كما كانت تسمى - إيجاد عدد كبير من المدرسين والمدربين الأكفاء . ولم يكن هذا العدد متوفرا بمصر وقتئذ ، فاستعان اسماعيل بالفرنسيين بحكم ثقافته وميوله. هذا بالاضافة إلى إيفاد البعوث العسكرية . فوفد إلى مصر فى سنة ١٨٦٤ بعض الضباط الفرنسيين تحت رياسة الكولونيل ميرشير Mircher ومعه ثلاث ضباط آخرين هم رباتيل Rabatel ولارمى Larmè وبولار Polard ، وألحق بهم دى برناردى De Bernardi (٣) . ويتفق اسماعيل مع جده محمد على فى أن كلا منهما قد استعان بالفرنسيين فى إعداد مدارسه الحربية ، فمحمد على لجأ اليها بعد هزيمة نابليون إذ كانت هذه الهزيمة « مدعاة للكثير من ضباطه إلى أن يجربوا حظهم فى مصر (٤) » . وكذلك لم يقتصر محمد على واسماعيل على الاستعانة بالفرنسيين وحدهم بل إستعان كل منهما بإيطاليين واسبانيين كذلك.

---

(١) محفظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٤٠٠ فى ٧ رمضان ١٢٨٠ (أمر عالى إلى ناظر الجهادية) .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم فى مصر (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢١

(٣) سرهنك باشا . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧

(٤) تقرير بورنج . معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على للدكتور محمد فؤاد شكرى ص ٤٧٤ .

وقد قسمت المدرسة الحربية (مدرسة المدفعية) « إلى أقسام بيادة، وسوارى، وطبجية ، ومهندسين حربيين ، وأركان حرب (١) » . وضمانا لحسن إدارة هذه المدارس ، « وكمال ضبطها وربطها ونجاح وتقدم تلاميذها (٢) » جعلت لهـا إدارة حربية خاصة فى ١٤ شعبان سنة ١٢٨١ ، وألحقت بديوان المدارس رغم تبعية المدرسة الحربية لديوان الجهادية .

مدرسة الطوبجية (المدفعية)

كانت أول مدرسة للمدفعية أنشئت بمصر الحديثة فى سنة ١٨٣١ (١٢٤٧هـ) حيث تكونت من « ٣٠٠ من تلاميذ مدرسة قصر العينى التجهيزية تحت إدارة (الدون أنطونيو) فى طره ، (٣) » وكان معظم تلاميذ المدرسة فى أول عهدها من المصريين والأتراك واليونانيين « ثم أخذ العنصر المصرى يزداد بها حتى أصبح تلاميذها جميعا من أهل البلاد (٤) » .

---

(١) سرهنك باشا . حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣٠٧ وعزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) جـ ٢ ص ٦٣٢ .

(٢) أمين سامى باشا . تقويم النيل المجلد الثانى جـ ٣ ص ٥٠٩ (ارادة للفريق اسماعيل باشا ناظر الجهاديه رقم ٦٢ بتاريخ ١٠ محرم سنة ١٢٨١) .

(٣) سرهنك باشا . حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٢٢٦ وعزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (بمصر محمد على) ص ٤٠٨ .

(٤) المصدر الأخير ص ٣٩٢

شروط الالتحاق

تتلخص هذه الشروط فيما يلى :

أولا : يقبل بهـا التلاميذ فيما بين الحادية عشرة والخامسة عشرة[١]، وبلغ بعضهم العشرين أو يزيد [٢] .

ثانياً : أن يكون لهم معرفة بالقرأة والكتابة .

وقد نمت هذه المدرسة وازدهرت ، واشتدت الحاجة اليها لتخريج ضبـاط عديدين فى فترة الصراع بين محمد على والباب العالى ، ويقدر أمين سامى(باشا) عدد تلاميذها فى سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) بـ ١٤٥ تلميذا ، وبلغت نفقـاتهـا ٥٦٩ مليم و ٢٨٦٦ جنيه [٣] . ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارهـــا وصدر فرمان يونيه سنة ١٨٤١ ، انخفض عدد قوات الجيش المصرى ، «ففقدت المدارس الحربية (ومنها مدرسة الطوبجية) مقومات وجودها وتوقفت - بصفة عملية - معونة محمد على واهتمامه بنظم التعليم السائدة فيها ، وظلت هذه المدارس مفتوحة، ولكن عوامل الضعف أخذت تدب فيها[٤]».

وفى سنة ١٨٤١، وضع للمدرسة ترتيب(تنظيم)جديد، نص على أن يكون قوام المدرسة «عددا من التلاميذ كافيا لإدارة بطاريتين اثنتين [٥]» . ولما كانت الحاجة

---

(١) أحمد عزت عبدالكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٤٠٨ .

(٢) القائمقام عبد الرحمن زكى . ذكرى البطل ابراهيم باشا ص ١٧٣ .

(٣) أمين سامى باشا . التعليم فى مصر ص ١٥ .

(4) Mc. Coan : Egypt as it is P. 210 .

(٥) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٤١٣ .

إلى الضباط غير ملحة بعد سنة ١٨٤١ ، فكان التلاميذ « يظلون بالمدرسة ، يعيدون دروسهم حتى يحتاج اليهم أو إلى بعضهم فى فرق الجيش (١) » .

وقد أدت هذه المدرسة خدمات جليلة ، خصوصا فى الحروب التى قامت بين محمد على والباب العالى .

وعندما ولى إبراهيم أمر البلاد أراد النهوض بالمدرسة ولكن المنية عاجلته.

ولقد أبقى عباس مدرسة المدفعية بعد ولايته ، وألحقها بديوان الجهادية فى ربيع ثانى سنة ١٢٦٥ (فبراير سنة ١٨٤٩) (٢) ، وكان عدد تلاميذها وقتئذ ١٨٦ تلميذا ،وميزانيتها ٦٤٠ مليم و ١٥٧٠ جنيه (٣).ولكن عباس لم تعجبه(٤) المدارس الحربية التى أنشئت فى عهد محمد على ، فأمر بإلغائها وطرد جميع معلميها (٥). « وكان عباس يبغى من وراء ذلك ، إيجاد مدرسه واحدة ، تخرج ضباطا لأسلحة الجيش الثلاثة حسب استعدادهم ، فاختار الوالى من بين تلامذة المدارس الملغاة ، « من اتصفوا بالنجاح واللياقة وأدخلهم مدرسة حربية وسماها بالمفروزة (٦) » وفضل من كان« من المماليك وأولاد الترك (٧)» فى الإلتحاق بها.

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٤١٣ .

(٢) يذكر أمين سامى باشا فى تاريخ التعليم ص ٥٢ القسم الخامس من الملحقات بأن مدرسة الطبجية بطره قد الغيت فى ابريل سنة ١٨٤٧ ،وهذا يخالف ما أثبته فى موضع آخر ص ١٣٨ .

(٣) أمين سامى باشا . التعليم فى مصر ص ١٥ .

(4) Malortie : Egypt, Native Rulers & Foreign Interference P. 68 .

(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ٦٩ .

(٦) سرهنك باشا : حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٢٦٢ .

(٧) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ مصر (عصر عباس وسعيد) ص ٧١ .

وهذا يدل على تعصب عباس لبنى جلدته، وبذلك أصبحت مدرسة المدفعية قسما من أقسام المدرسة الحربية المفروزة ، الى أن ألغيت في عهد سعيد (يوليه - سبتمبر سنة ١٨٦١) ٢ صفر سنة ١٢٧٨ . ويذكر أمين سامى بأن عدد تلامذة « مدرسة المفروزة والأبنية » ، بلغ فى سنه ١٨٤٩ (١٢٦٥) ، وهى السنة التالية لحكم عباس ١٦٩٦ تلميذا - وميزانيتها ١٣١٨٣ جنيه و٨٠٠ مليم لأقسامها الثلاثة الثانوى والخصوصى والعالى (١) .

ولما جاء سعيد ، نقل مدرسة المفروزة إلى الاسكندرية فى أواخر سنة ١٨٥٤ ، وكان عدد تلاميذها فى سنة ١٨٥٧ ، ٢١٢ تلميذا ، ومدة الدراسة بها أربع سنوات وجميع تلاميذها من الأتراك والشراكسة ، وليس لأبناء البلد فيها حظ كبير (٢) . كما دخلها أبناء الأوربيين (٣) ، وظلت المدرسة بالاسكندرية إلى أن ألغيت مدرسة القلعة الحربية - كما ذكرنا - فى (يوليه - سبتمبر سنة ١٨٦١) سنة ١٢٧٨ هـ .

كان لابد إذاً من إنشاء مدرسة حربية تحل محل المدرستين الملغاتين ، «فروى أن تحول مدرسة المهندسخانة السعيدية (بالقلعة السعيدية) إلى مدرسة حربية لمئة تلميذ » . (٤) واستمرت هذه المدرسة قائمة إلى ولاية اسماعيل فى يناير سنة ١٨٦٣ . ويذكر ماكون Mc. CoAN ، بأن سعيدا كان أكثر حرية من سلفه ، فأعاد فتح كثير من المدارس العليا الخاصة وعند وفاته سنة ١٨٦٣ لم يكن هناك سوى مدرسة الطب بمصر القديمة ، وهى التى بقيت من المدارس العالية (٤) .

وهذا يدلنا على مدى تذبذب آراء سعيد وعدم إستقرارها .

---

(١) أمين سامى باشا . التعليم فى مصر ص ١٠ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٦

(٣) أمين سامى باشا . تقويم النيل المجلد الأول ج ٣ ص ٣٠٧ .

(٤) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ٢١٢ .

(١) Mo. Coan : Egypt as it is P.210 وهذا يخالف القانون الواقع إذ المدرسة الحربية بالقلعة السعيديه كانت قائمة عند وفاته .

كانت المدرسة الحربية أو مدرسة المدفعية كما سيطلق عليها فيما بعد ، الميراث الحربى الذى ورثه اسماعيل عن جده محمد على ، فاتخذها نواة المدارس التى أنشأها فى حكمه الطويل .

وعند ولايته ، كانت المدرسة تحت نظارة « دى برناردى » ، ولكن بعد تقسيمها إلى مدارس للبيادة والسوارى والطبجية وأركان حرب ، ألحق بها البكباشى لارمى فى مايو سنة ١٨٦٤ ، « ليكون رئيسا للهيئة التعليمية لمدرسة المدفعية (١) » . أما الناظر وقتذاك ، فكان سليمان نجاتى (أفندى) ، ولم يمكث بها إلا بضع شهور ثم نقل منها، وأصبح لارمى يقوم بوظيفة قومندان المدرسة ، إلى أن عين ناظرا لها فى أواخر سنة ١٨٦٨ ، مع منحه رتبة الأميرالاى (٢). ويذكر أمين سامى ، بأن مسيو لارمى عين مأمورا للمدرسة من يناير سنة ١٨٦٥ إلى أكتوبر سنة ١٨٦٧ ، ثم ناظرا لها من أكتوبر سنة ١٨٦٧ إلى ديسمبر سنة ١٨٧٠ ، وكذلك من مايو سنة ١٨٧١ إلى فبراير سنة ١٨٧٩ (٣) .

عدد تلاميذها

كان عدد تلاميذها فى نظارة لارمى ١١٩ تلميذا (٤) ، وقد رأت نظارة الجهادية «بأن يكون فى مدرسة الطبجية بطارية واحدة (٥)» ولرغبتها فى زيادة عدد

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٤٢.

(٢) المصدر السابق .

(٣) أمين سامى باشا . التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧ وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٩٩ .

(٥) دفتر ٥٣٩ « معية تركى » مكاتبة رقم ٦٢ أمر الى اسماعيل باشا ناظر الجهادية فى ١٠ محرم ١٢٨١ .

تلاميذها ، أمرت فى سنة ١٨٦٦ بأن تشكل المدفعية «من بطاريتين ، إحداهما للبشاة والأخرى للفرسان ، وفصل المهندسين (١) » . وهذا يخالف ما ذكره سرهنك باشا من أن عدد تلاميذها «فى أول تأسيسها ٢٨٠ تلميذا ، كانوا ينتخبون من تلامذة مدرسة المهندسخانة (٢)» . ويذكر فى موضع آخر بأن عددهم فى سنة ١٨٧٣ بلغ مائة تلميذ (٣) ، وجاء بالوثائق الأمريكية أن عدد تلامذتها كان مائة تلميذ فى السنة الأولى من إنشائها (٤) ، بينما يذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بأن عدد تلاميذ المدفعية فى أول عهدها بلغ ٧٥ تلميذا ، وقسم المهندسين ٢٢ تلميذا (٥) . ويوضح مصدر آخر بأن عددهم كان ٦٠ تلميذا للمدفعية ، و٣٠ تلميذا للمهندسين (٦) ، وذلك فى بدء تكوينها ، وبلغ عددهم ٨٥ تلميذا فى سنة ١٨٧٣ (٧) .

---

(١) سرهنك باشا : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ والجيش المصرى فى عهد اسماعيل لمناسبة انقضاء ٥٠ عاما على وفاة الخديو اسماعيل (رسالة أصدرتها إدارة الجيش) .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٣٨ .

(٣) سرهنك باشا . حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١١ .

(4) Abdin. Amr, Documents Vol. 5 enclosure in despt. No. 145 Charles Hale to Fish in Feb. 13, 1869.

(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٣٨ .

(6) Notes sur l' Armée Egyptienne. Hist. de l' Armée «Bibliotheque du Cabinet Francais. paris 1913».

نقلها عن مكتبة رياسة مجلس الوزراء الفرنسى مصطفى ابراهيم ديكرتين أفندى . وهذه الوثيقة مودعة بأرشيف عابدين بدون رقم .

(٧) المصدر السابق .

وفيما يلى بيان بعدد تلامذتها منذ إنشائها سنة ١٨٦٤ ، إلى إلغائها سنة ١٨٧٩ عن أمين سامى باشا (١).

السنة	١٨٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
العدد	١١٩	١١٦	١٠٣	١٢٢	١٢٢	٩٠	٢٠٠	١٩٤	٩٦	٣١	٧٠	٩١	٥٦	١٠٥	٦٣	٧٨

(١) أمين سامى باشا . التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات س ١٠ .

ومن هذا البيان يتضح ، أن أقصى حد بلغه عدد التلاميذ كان فى سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١ . وبمقارنة عدد تلاميذها أيام محمد على ، بما كانوا عليه فى عهد إسماعيل نجد أن فى عصر محمد على بدأت المدرسة بـ ٣٠٠ تلميذ(١) ، بزيادة تبلغ الضعف تقريبا ، عن بدايتها فى عهد إسماعيل . ولكن مستواها كان أكثر إرتفاعا مما كانت عليه أيام محمد على ، حيث كان لايشترط فيمن يلتحق بها ، سوى معرفة القراءة والكتابة فقط .

شروط الالتحاق

وفى أول الأمر كان يشترط فيمن يلتحق بها ، أن يكون من تلامذة المدرسة التجهيزية ، ثم أصبحوا ينتخبون من مدرسة المهندسخانة كما أشرنا من قبل. ويبدو من هذا أن المدرسة كانت تتخير لنفسها أفضل العناصر ؛ وكانت ترمى من وراء ذلك إلى رفع مستواها عن سائر المدارس الحربية الأخرى . وكان يتقاضى التلميذ عشرين قرشا فى الشهر (٢) .

مدة الدراسة

مدة الدراسة بهذه المدرسة أربع سنوات (٣) ، وهى نفس المدة التى كانت عليها فى أيام محمد على (٤) .

---

(١) سرهنك : حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٢٣٩ وأحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٧٠٤ .

(٢) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة رقم ٥٦ من (عربى) أمر إلى السردار فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

1 Notes sur L, Armée Egyptienne . Hist . de l.Armée (Bibliothèque du Gabinet Français) .

(٤) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٤١٢ .

المنهج الدراسى وأسماء المدرسين

يذكر إسماعيل سرهنك بأن منهج مدرستى الطبجية والمهندسين فى سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥) كان كما يلى :

كيمياء	كستنيل (بك)
إستحكامات قوية وأبنية عسكرية	خفاجى (بك)
فن طبوغرافية	عبد الرحمن (بك)
فن عسكرية	سعيد (افندى) نصر
ميكانيكا	على (بك) سعد
مثلثات مستقيمة	على (بك) سعد
جغرافيا	رمضان (افندى)
طبيعة	يوسف (افندى) عياد
قوانين طوبجية	حسن (افندى) رأفت
قوانين بيادة	على (افندى) ذهنى
رسم طبوغرافية رسم عملى	على (افندى) رسمى
رسم منظور	محمود (افندى) زكى
إستحكامات خفيفة	أحمد (افندى) زكى
جبر	لطيف (افندى) سليم
فرنساوى	مسيو لويز وسعيد (افندى) نصر
إنكليزى	المسيو بورك
نمساوى (ألمانى)	مسيو إبليخ

وقد أضاف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم إلى هذه العلوم مواد أخرى هى [١].

الرياضة	بكباشى عبد الله حليم
خـط رقعـة	
وملاحظة أشغال	حسن (افندى) نجيب
المطبعة	
لغة عربية	الشيخ محمد الزناتى
لغة تركية	على (افندى) حلمى
قرآن	الشيخ أحمد جودة

وإذا أمعنا النظر فى هذه المواد ، وجدنا أن برنامج الدراسة كان قويا ، وحافلا بشتى العلوم العسكرية التى يحتاج اليها ضابط المدفعية ، بعكس الحال فى عهد محمد على ، حيث كان البرنامج «لايحتوى على مايحتاج اليه ضابط المدفعية من دروس منوعة فى الرياضة والكيمياء والفنون العسكرية النظرية [٢] » . هذا فى الوقت الذى كانت الحاجة فيه ملحة إلى تخريج ضباط أكفاء ، لقيادة الجيش فى حروبه مع السلطان . ولم يقو البرنامج إلا فى أواخر عصر محمد على ، حيث كانت الحاجة تكاد تكون معدومة إلى تخريج ضباط ، وذلك بعد تخفيض عدد الجيش . ولهذا نجد أن هذه التقوية لم تؤت أكلها .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) جـ ٢ ص ٦٤١

(٢) المصدر السابق . (عصر محمد على) ص ٤١١ .

الامتحان

يبدأ الامتحان العام للمدارس الحربية ـ بما فيها مدرسة المدفعية ـ فى اليوم الرابع من شهر شعبان (١) ، ثم أصبح يبدأ فى اليوم الخامس (٢) من نفس الشهر ويستمر قرابة ١٤ يوما(٣) ، أى إلى يوم ١٩ شعبان. ويشمل الامتحان مدارس أركان حرب، والطبجية، والمهندسين الحربية، والسوارى، والبيادة، والمحاسبة، والطب البيطرى ، والزراعة(٤) . ومن المراسيم المتبعة فى ذلك الوقت ، أن يقوم الخديو بدعوة جمع من حضرات العلماء الكرام والذوات الفخام والمعينين للإمتحان(٥). وكانت قائمة المدعوين تضم كبار رجال الحكومة ، ورجال الدين مثل : ناظر الداخلية ووكيلها ، وناظر الجهادية والبحرية ووكيلها ، وناظر المالية ، ورئيس مجلس الاحكام ، ومأمور الخارجية، ومحافظ مصر، وناظر الأوقاف، وأمين بيت المال، ورئيس مجلس شورى النواب، وشيخ الجامع الأزهر، ونقيب الأشراف، ومفتى الديار المصرية(٦). ويقتصر حضور هؤلاء المدعوين على اليوم الأول من الامتحان

---

(١) الوقائع المصرية (العدد ٣٣٧) فى ١٣ رمضان ١٢٨٦ (١٦ ديسمبر سنة ١٨٦٩)

(2) Abdin. Corrs. Fran. Doss. No. 50/5 Ecoles Militaires de Stone (Chef d ' Etat Major) à Ministre de la guerre en 17 Oct. 1871 .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الوقائع المصرية (العدد ٣٣٧) فى ١٣ رمضان سنة ١٢٨٦ (ديسمبر سنة ١٨٦٩) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الوقائع المصرية العددان ٣٣٧ و ٢٠٣ فى ١٣ رمضان سنة ١٢٨٦ (١٦ ديسمبر ١٦٨٩) و ١٥ شعبان سنة ١٢٨٥ (نوفمبر ١٨٦٨) .

وطريقة الامتحان هى أن يتقدم أحد تلامذة المدرسة أمام لجنة الامتحان ، فيسأل فى العلوم والفنون التى درسها ، فإذا كانت إجابته «موافقة للإصابة استحسنها كل من حضر وعاين حقيقة الخبر[١]». وكان الامتحان فى اليوم الأول شفوياً ، حتى يستطيع المدعوون سماع ما يتلى أمامهم ، ثم يستمر الامتحان إلى يوم ١٩ شعبان تقريباً . وترسل نتيجة الامتحان ، وكذلك العرائض الخاصة بترقية التلاميذ الناجحين ، إلى الخديو اسماعيل لاعتمادها . وعقب الامتحان ، يسافر التلاميذ إلى ذويهم فى أجازتهم السنوية ، على أن يعودوا إلى دراستهم عقب أجازة عيد الفطر» . ويرقى من يستحق منهم الترقية بعد العودة من الأجازة [٢]. وكان يمنح المتفوقون منهم مكافآت مالية [٣] .

العطلة الدراسية

وتبدأ العطلة السنوية ، من التاسع عشر من شهر شعبان تقريباً إلى نهاية الأسبوع الأول من شهر شوال[٤] .

وقد تمت مدرسة المدفعية (الطبجية) ، وكمل استعدادها بفضل توصيات الجنرال استون ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، الذى طالب فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧١ ناظر الحربية ، بضرورة إقامة معمل يلحق بمدرسة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محفظة ٥٥ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ١٤٧ من الأمير حسن كامل إلى المعية السنية فى ١٣ شعبان سنة ١٢٩٥ هـ .

(٣) أمين سامى . التعليم فى مصر ص ١٩

4 - Abdin. Corresp. fran. Doss. No. 50/5 Ecoles Militaires Stone à Ministre de la Guerre en 17 Oct. 1871

المدفعية ، حيث يستطيع التلاميذ من دراسة طريقة صنع طلقات البنادق والقرابينات ومدافع الميدان والصواريخ النارية دراسة عملية ، وذلك لأن الدراسة النظرية ، لا تغنى مطلقاً عن الدراسة العملية(١).

كما أنه أوصى كذلك بإنشاء بوليجون (ساحة تمرينات) Polygone ليستطيع التلاميذ القيام بتمريناتهم على المدافع الثقيلة ومدافع الميدان ، على أن تكون من المدافع الضخمة الحديثة الطراز، والمستعملة الآن فى الدفاع الساحلى(٢). ولا يقتصر فائدة البوليجون على التلاميذ فقط ، بل إنه يؤدى خدمات جليلة لمدرسة المدفعية ، إذ يعتبر المكان الملائم لتجربة أنواع البارود، والقذائف النارية المختلفة (٣) . وقد تم بالفعل انشاؤه فى عهد نظارة (الأمير) حسين للجهادية والبحرية ، إذ وضع لارمى (بك) تصميم البوليجون ، وشرعت أورطة المهندسين فى بنائه ، تحت مباشرة لارمى (بك) وخفاجى (بك) (٤) . وعندما تم تشييده ، وأوجدوا فيه عدة مدارس أخرى للتمرين، منها مدرسة لتعليم ضباط الطبجية بالمدافع ، ومدرسة لتعليم البيادة الرمى بالبنادق، ومدرسة للصف ضباط، ومدرسة لتعليم التلغرافات العسكرية ، ومدرسة للإشارة (٥) .

---

1 - Abdin. Corrsp, fran. Doss, 50/5 Bureau du Chef d'Etat Major. Le Caire en 16, Aut. 1871.

2 - Ibid.

(٣) المصدر السابق

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٢ وعبد الرحمن بك، تاريخ الحركة القومية (عصر اسماعيل) ج ١ ص ١٩٢ .

(٥) اسماعيل سرهنك . حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٢ .

نهاية مدرسة المدفعية

لما ارتبكت مالية البلاد نتيجة لسياسة الاسراف والاستدانة التى سار عليها اسماعيل ، تشكلت لجنة للنظر فى الحالة المالية بمقتضى الأمر العالى الصادر فى ٢٢ المحرم سنة ١٢٩٥ (٢٦ يناير سنة ١٨٧٨) ، ورأت اللجنة أنه لضمان « سير المالية على نظام ثابت يكفل أداء الديون ، وسير مصالح البلاد (١) » ، تخفيض قوات الجيش المصرى إلى مايقرب من ٣٦ ألف جندى، على أن يستمر هذا التخفيض، إلى أن تصل قواته ١٨ ألف جندى . وترتب على هذه النتيجة ، « إلغاء المدارس الحربية - ومنهم مدرسة المدفعية - فى ١٧ فبراير سنة ١٨٧٩ (٢) » . ويذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، بأن هذه المدارس ألغيت فى أبريل سنة ١٨٧٩ (٣) . وقد ساد التذمر وعدم الرضى صفوف رجال المدارس الحربية ، نتيجة فصل عدد كبير من ضباط وتلاميذ المدارس الحربية (٤) . ويغلب على الظن ، أن عددا من تلاميذها قد فصل قبل إلغائها نهائيا . وقد تظاهر تلاميذ المدارس الحربية الملغاة حول على مبارك بديوان المعارف ، «يلتمسون منه أخذ المتفوقين منهم ، لما يلزم للمدارس (٥) » ، فألحق المتفوقين

---

(١) أمين سامى . تقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٥١٩ والتعليم فى مصر ص ٣٣ .

(٢) المصدر الأخير ص ٣٤ . والنص هكذا فيه خطأ إذ الصواب أن يقال ومنها .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٢ .

(4) Abdin. Amr, Despt. Vol. 15 No. 281 E. E. Farman to Evarts dated Feb. 22, 1879.

(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٢ .

منهم بالمدارس والبعض الآخر فى أعمال فك الزمام[١].

وهكذا ألغيت مدرسة الطبجية ، بعد أن عمرت فى عهد اسماعيل أربع عشرة سنة وبضع شهور . ثم أنشئت مدرسة حربية واحـــدة ، تضم مختلف أسلحة الجيش ، « وفتحت فى ١٦ أبريل سنة ١٨٧٩ بنظارة لارمى باشا ، بحيث يكون بها ١٠٠ تلميذ [٢] » ، وألحق بهـا ثمـانون تلميذا من متفوقى المدارس الحربيـة الملغـاة [٣] .

مدرسة المشاة (البيادة)

أنشئت هذه المدرسة بالخانقاه (قرب القاهرة) ، فى سبتمبر[٤] سنة ١٨٣٢، ثم نقلت إلى دمياط فى مايو سنة ١٨٣٤ ، ومنها إلى أبى زعبـــل سنة ١٨٤١ . والغرض من إنشائها ، هو تخريج ضباط لفرق المشاة بالجيش ، وكان لا يشترط فيمن يلتحق بها من التلاميذ ، إلا الإلمـام بالقراءة والكتابة . وقد نص قانون المدرسة على احتساب عدد تلامذتها أروطة فى الجيش ، « وكانوا فى سنة ١٨٣٧ خمسة وستين وثلاثمائة[٥] » . وبلغوا فى سنـة ١٨٣٩ ، ٣٩٨٧ تلميذا[٦] ، وفى

---

(١) المصدر السابق

(٢) أمين سامى . التعليم فى مصر ص ٣٤.

(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٩٣

(٤) مرهنك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٢٦ وأحمد عزت عبـد الكريم . تاريخ التعليم عصر محمد على ص ٣٩٣ .

(٥) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٩٨

(٦) أمين سامى . التعليم فى مصر ص ١٠

سنة ١٨٤١ عندما تقرر خفض عـدد الجيش ، زاد عدد تلامذتهـا عن مقرر الأربعة بلوكات بمقدار مائة وعشرين تلميذا (١) ، وذلك لإلغاء معسكر النخيلة . وقد ذكر سرهنك ، أنه كان بمدرسة البيادة ٨٠٠ تلميذا (٢) . وبذلك أصبحت المدرسة الوحيدة التى زاد عدد تلامذتها بعد سنة ١٨٤١. ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، ومنهجها الدراسى يتلخص فى دراسة المواد الآتية (٣).

مبادىء التحصين الأولية .مهاجمة الحصون والدفاع عنها . الطبوغرافيا ورسم الخطط . نظريات وحركات البيادة والتمرين على استخدام السلاح . واجبـات الخدمة الداخلية . البوليس . نظام الحاميات والأورط والبلوكات .

وإذا أمعنا النظر فى جداول الدروس التى وضعت لهذه المدرسة ، وجدنـا أن التدريب العسكرى اليومى ، لايزيد عن ساعة ونصف سـاعة (٤) . كذلك درست مواد لاصلة لها بالناحية الحربية ، مثل ، النحو والصرف والخط ،وكانت تشغل وقتا ليس قصيرا من جدول الدراسة .

وفى عهد عباس ، صدر الأمر بالغائها ، وجميع المدارس الحربية الأخرى ، فى أواخر سنة ١٨٤٩ . وفى نفس الوقت ، إنشاء مدرسة المفروزة ،وتضم أسلحة

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٩٨

(٢) سرهنك . حقائق الاخبـار ج ٢ ص ٢٣٦ نقلا عن كاوت بك وفليكس منجـان .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٩٤ ذكرى البطل ابراهيم ص ١٦٩ .

(٤) لمصدر السابق ص ٣٩٥ .

الجيش الثلاثة . ومنها المشاة ، واستمرت هذه المدرسة قائمة إلى أن ألغيت فى عهد سعيد فى سبتمبر سنة ١٨٦١ [١] (٢ صفر سنة ١٢٧٨) . ثم حلت محلها المدرسة الحربية بالقلعـــة السعيدية ، التى ظلت الى ولاية اسماعيـل فى يناير سنة ١٨٦٣ .

أعيد فتح هـــذه المدرسة فى عصر اسماعيل ، فى جمادى الأخرة سنة ١٢٨١ (نوفمبر سنة ١٨٦٤ [٢]) ، وجعل المقرر لها ١٦٤ تلميذا [٣] ، وقد تولى نظارتها على التوالى كل من :

محمد أمين (بك)	من نوفمبر ١٨٦٤	الى مارس ١٨٦٥ [٤]
دى برناردى	من مارس ١٨٦٥	الى اكتوبر ١٨٦٧
منصور (أفندى) حسن	من نوفمبر ١٨٦٧	الى يناير ١٨٧٠
محمد رعنه (افندى)	من فبراير ١٨٧٠	الى مارس ١٨٧١

---

(١) أمين سامى . التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥ .

(٢) أمين سامى تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٨٠ والتعليم فى مصر ص ١٧ .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٤٧ . ويذكر أمين سامى فى تقويم النيـــل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٨٠ . أن عددهم كان ١٦٥ تلميـــذا ثم زادوا فيما بعد إلى أن بلغوا ٤٢٠ تلميذا وهذا يخالف ماجاء بحقائق الأخبار ج ٢ حاشية ص ٣٠٨ ونشرة ادارة الجيش المصرى عن الجيش المصرى فى عهد اسماعيل العظيم بمناسبة انقضاء ٥٠ عاما على وفاته . من أن تلامذة هذه المدرسة كانوا ٤٩٠ تلميذا عند تأسيسها .

(٤) بعد هذا التاريخ عين محمد أمين عضوا بالمجلس العسكرى . راجع تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٠٣ (إرادة لشريف باشا مدير ديوان المدارس فى ذى الحجة ١٢٨١) .

وعين لها ثلاثة ضباط ، هم : محمد كامل افندى من سنة ١٨٧١ الى مـــايو ١٨٧٤ ، وابراهيم عاصم افندى من مايو ١٨٧٤ الى يناير ١٨٧٧ ، ومحمد صالح افندى من يناير سنة ١٨٧٧ الى مارس سنة ١٨٧٩ (١) .

عدد التلاميذ

الجدول الآتى يبين عدد تلاميذ المدرسة منذ انشائها سنة ١٨٦٤ الى أن ألغيت سنة ١٨٧٩ (٢) :

---

(١) أمين سامى . التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقـــات س ١٠٤ وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٢ ص ١٤ . وعزت عبـــد الكريم تاريخ التعليم (عصر اسماعيـــل) ج ٢ ص ٦٥٣ . ويخالفهما سرهنـــك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية . اذ يذكر سنة ١٨٦٨ لنهاية نظارة دى برناردى .

(٢) أمين سامى : التعليم فى مصر من الملحقات ص ١٠ .

سنـــة	١٨٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
عـــدد	(١) ١٦٥	١٦٤	١٦٦	٤٢٠	٤٢٠	(٢) ٢١٠	٤٩٠	٤٣١	٢٣٢	٢٣٣	٨٥	٢٣٧	١٩١	٢٦٢	١٧٨	١٦٩

(١) يذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ﺟ ٢ ص٦٤٨ أن عدد التلاميذ فى السنه الأولى بلغ ١٧٣ تلميذا . وقد أشارت الوثيقة الفرنسية .Notes sur l'Armée Egyptienne الى عدد تلاميذ المدرسة فى السنة الأولى بـ ٢٠٠ تلميذ، وفى سنة ١٨٧٣ بـ ١٧٨ تلميذا .

(2) A bdin. Amr. Vol.5 enclosure in despt. No. 145 Charles Hale to Fish. cairo in Feb 13, 1869.

تشير هذه الوثيقة الى أن عدد تلاميذ المدرسة فى سنة ١٨٦٩ بلغ ٢١٧ تلميذا.

من هـذا الإحصاء السنوى ، نلاحظ أن جميع المصادر تقريبا قد اختلفت فى تقديرها لعدد التلاميذ فى السنوات المختلفة . ويدلنا هذا الاحصاء على أن أقصى حد بلغه عدد التلاميذ ، كان فى سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١ . ثم أخذ يتذبذب بين الارتفاع والانخفاض ، الى أن بلـغ فى سنة ١٨٧٩ ـ وهى السنة التى ألغيت فيها المدرسة ـ ١٦٩ تلميذا ، أى مايزيد قليلا عن عدد التلاميذ وقت انشائها .

شروط الالتحاق

تتلخص فيما يلى :

أولا : أن يكون للتلميذ معرفة بالقراءة والكتابة والخط والإمـــلاء ، وبعض كلمات من علم الحساب (١) .

ثانيا : ألا يقل سنه عن ١٥ سنة ، وأن يكون لائقا للخدمة العسكرية .

وقد توسعت المدرسة فى قبول التلاميذ ، تمشيـــا مع الرغبة فى زيادة فرق الجيش المصرى ، فاضطرها هذا الى قبول عدد من تلامذة مدرسة المبتديان ، مما أدى الى هبوط مستوى التلاميذ . ومدة الدراسة بالمدرسة سنتان (٢) .

المنهج الدراسى وأسماء المدرسين(٣)

هندسة وصفية مثلثات مستقيمة	سيد أحمد (افندى)
استحكامات خفيفة	محرم شوكت (افندى)

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٩ .

(2) Notes Sur l ' Armèe Egyptienne .

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٠ وتاريخ التعليم (عصر إسماعيل) جـ ٢ ص ٦٥٢ .

تركى	عبد الله (افندى) وطاهر (افندى)
فن اشارة	محمد (افندى) توفيق
قوانين عسكرية	ضباط المدرسة
طبوغرافيا	بكير شوقى (افندى)
حساب	عبد الرحمن (افندى) ومحمد حبيب (افندى)
جبر	وأحمد قدرى (افندى) ومحمد مختار (افندى)
جغرافيا تاريخ	أحمد حلمى (افندى) وأحمد حمدى (افندى) وسعيد نصر (افندى)
عربى	الشيخ محمد الفنيلى والشيخ محمد أبو السعود والشيخ عبد الحافظ والشيخ بدوى دسوقى
رسم عملى	على رسمى (افندى)
مبادىء الحساب	أحمد قدرى (افندى)
هندسة عادية	محمد ناصح (افندى)
رسم نظرى	محمود شوكت (افندى) ومسيو مليار
خط رقعة	محمد حسن (افندى) وعلى توفيق (افندى)
نمساوى (ألمانى)	المسيو ابليخ
انكليزى	مستر بورك ومحمود سليمان (افندى) وخليل زكى (افندى)
فرنساوى	رمضان (افندى) ومسيو جليو موا ومسيولويز ومسيو ادواردز وأحمد حلمى (افندى) وبطرس جرجيان
قرآن شريف	الشيخ ابراهيم الطهوبى
حبشى	ميخائيل (افندى)[1]

(١) سرهنك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٠ ودفتر ١٧٠٧ ج ٤ صادر من ديوان =

وإذا قارنا هـذا المنهج بنظيره فى عهد محمد على ، وجدنا أنــه فى عهد اسماعيل ، كان أتم وأكمل ، وحافل بشتى الدراسات العسكرية التى تتطلبها روح العصر .

نهاية المدرسة

واجهت المدرسة نفس المصير الذى لاقته سابقتها من قبل، إذ ألغيت مع مدارس المدفعية وأركان حرب والطب البيطرى والخيالة فى أوائل سنة ١٨٧٩. ثم أعيدت من جديد فى أوائل حكم الخديو توفيق ، كأحد أقسام المدرسة الحربية الجديدة .

مدرسة الفرسان (الخيالة)

أنشئت هذه المدرسة فى ذى القعدة سنة ١٢٤٦ هـ (ابريل سنة ١٨٣١ م) فى سراى مراد بك بالجيزة (١) . وقد تولى نظارتها القائد الفرنسى فارن Varin ، ومن بعده واسيل أغا إلى أواخر عصر محمد على ، وكان عدد تلامذتها فى أول عهدها نحو المائتين (٢) ، وقد زاد هذا العدد حتى بلغ ٦١٥(٣) تلميذا سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) ، وفى سنة ١٨٤١ ، روؤى أن تظل المدرسة مؤلفة من أربع أورط

= الجهادية الى آلايات السواحل والأورط وثيقة رقم ٥٤٨ من الجهادية إلى ١ ط و٢ سواحل فى جمادى الاخرة سنة ١٢٩١ . وهذه الوثيقة تؤيد ما ذكره سرهنك من تدريس اللغة الحبشية . الأمر الذى لم يقره الدكتور عزت لعدم عثوره على وثائق تثبت ذلك

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦ وتاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٤٠٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٥

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٣٦

على أن تكون الاورطة الأولى وحدها من التلاميذ ، ويمكنها أن تخرج أربعين ضابطا أو خمسين كل عام والثلاث الباقية من الجنود » . وقد زاد عدد الطلبة بها بعد سنة ١٨٤١ زيادة لم يكن الجيش فى حاجة اليها . وكان يشترط فى الالتحاق بها أن يكون التلميذ من الترك أو المماليك ، ثم سمح للعنصر المصرى بعد ذلك فى الدخول ، بشرط أن يكون من خريجى المدرسة التجهيزية ، وألا يقل سنه عن ثلاثين عاما (١) .

ومدة الدراسة بها سنتان أو ثلاث ، وكانت مهمة المدرسة تخريج ضباط ليكونوا معلمين لفرق الجيش ، وكذلك تخريج نافخى أبواق ، وترومبتجية . ويتلقى التلاميذ دروسا فى نظريات الخدمة العسكرية والحساب والهندسة والخط واللغات العربية والتركية والفارسية ، والتدريب العسكرى فى القفز وركوب الخيل واستخدام السلاح (٢) .

وفى أوائل عهد عباس ، ألغيت مع سائر المدارس الحربية فى سنة ١٨٤٩ ، وأصبحت قسما من أقسام المدرسة المفروزة ، ثم ألغيت هى الأخرى فى أواخر سنة ١٨٦١ . وظهرت من جديد كأحد أقسام مدرسة القلعة السعيدية التى استمرت إلى عصر اسماعيل .

---

(١) ذكرى البطل ابراهيم باشا ص ١٧١

(٢) أمين سامى . تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص . وقد أثبت المؤلف فى كتابه التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٤ أن المدرسة أنشئت سنة ١٨٦٥ رغم أنه أثبت فى نفس المرجع القسم الثانى من الملحقات ص ١٠ بأنها أنشئت سنة ١٨٦٤ .

المدرسة فى عهد اسماعيل

أنشئت المدرسة فى جمـادى الآخرة سنـة ١٢٨١ هـ (نوفمبر [١] ١٨٦٤) وأسندت نظارتهـا إلى المسيو بولار من سنة ١٨٦٤ إلى ١٨٦٨ [٢] . ثم خلفه ياور (بك) من سنة ١٨٦٨ إلى ١٨٧٦ [٣] . وبعد رحيل بولار أسندت إلى ميرشير (بك) ثم «ألحقت بإدارة عموم المدارس، وبقيت بلا ناظر. واستمرت كذلك حتى ألغيت[٤]».

أما تلامذة المدرسة ، فكان أغلبهم من المدرسة التجهيزية ؛ وتقرر لمدرسة الفرسان فى أول عهدها نصف أورطه [٥] من التلاميذ ، «ثم صدر الأمر فى سنة ١٨٦٦ بأن تتركب من أورطتين ، وكل أورطة تتركب من أربعة بلوكات ، وكل بلوك من ١٢ تلميذا [٦] » . وفيما يلى ثبت بعدد تلاميذها فى السنوات المختلفة ، ننقله عن أمين سامى [٧] .

(١) يوجد اختلاف بين ما ذكره أمين سامى فى المرجع السابق وبين ما كتبه سرهنك فى حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية فيما يتعلق بعدة خدمة النظار المذكورين .

(٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية .

(٣) المصدر السابق وتاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٦

(4) Notes sur l' Armée Egyptienne.

(٥) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٣

(٦) المصدر السابق

(٧) التعليم فى مصر . القسم الثانى من ملحقات ص ١٠

سنة	١٨٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
عدد	(١) ١١٧	٩٩	٩٥	١٠٨	١٠٨	(٢) ٦٥	١٦١	١٥٥	٧٥	(٣) ٨٤	٦٤	٨١	٧٨	٨٨	٧٤	٦٠

(١) يخالفه «مرهنك» فى كتابه حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية ٠ وكذلك رسالة ادارة الجيش المصرى عن «الجيش المصرى فى عهد اسماعيل لمناسبة انقضاء ٥٠ عاماً على وفاته» فى أن عدد التلاميذ فى السنه المذكورة، إذ ينص المصدر على أن عددهم فى أول تأسيسها كان ١٦١ تلميذا.

(2) Abdin· Amr. Vol.5 enclosure in despt. No. 145 Charles Hale to Fish. in Feb. 13, 1869.

تذكر الوثيقة أن عدد التلاميذ فى هذه السنة كان ٧٠ تلميذا .

(٣) جاء بهذه الوثيقة أن عدد التلاميذ فى تلك السنة كان ٦٤ تلميذا.

ونلاحظ على هذا البيان ـ أولا: أن عدد التلامذة قد نما نموا ملحوظا فى سنتى ١٨٧٠و١٨٧١ . وهذه الظاهرة مشتركة بين مدارس الأسلحة الثلاث كما ذكرنا، ففى هاتين السنتين ازداد نشاط المدارس الحربية ازديادا واضحا .

ثانيا : أن جميع المصادر قد اختلفت فى تحديد عدد التلاميذ فى السنوات المختلفة.

المنهج الدراسى وأسماء المعلمين(*)

المادة	المعلم
حساب طبوغرافيا مثلثات مستقيمة مستويات رقية	محمود (افندى) فهمى ، حسين (افندى) ابراهيم ، على (افندى) رشدى
إستحكامات خفيفة	محرم (افندى) شكرى
هيئة ظاهرة	محمد (افندى) سعيد
تركى	على (افندى) حلمى ، وسليمان (افندى) فهمى
فن اشارة	محمد (افندى) توفيق
قوانين سوارى	ضباط المدرسة
جبر هندسة وصفية هندسة عادية	على (افندى) رشدى

(*) سرهنك . حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٠

جغرافيا	محمود (افندى) حسنى
عربى	الشيخ محمود العالم
رسم نظرى وعملى	محمود (أفندى) شوكت ، وعلى (افندى) رسمى
نمساوى (المانى) إنكليزى فرنساوى	خوجات (معلمين) مدرسة البيادة
خط رقعة	محمود جلال الدين (افندى)

وقد شاركت مدرسة الفرسان المدارس الحربية الاخرى فى مصيرها ، فألغيت فى أوائـــل سنة ١٨٧٩ ، ثم أصبحت المدرسة قسما من أقسام المدرسة الحربية الجديدة ، التى أنشئت فى أوائل حكم الخديو توفيق .

مدرسة المحاسبة

مدرسة المحاسبة من المدارس التى أنشئت فى عهد محمد على وذلك فى ربيع الاول سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦)، وكان الغرض من إنشائها، «هو تخريج كتبه للخدمة فى فرق الجيش (١) » ، وكان الأقباط يحتكرون مهنة الكتابة فى ذلك العهد . وقد استقت تلامذتها من مدرسة الدرسخانة الملكية) الملغاة ، ومن المدرسة

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٢٥

التجهيزية ومن مدرسة المدفعية (١) .

عدد تلاميذها

وكان عدد تلاميذها فى أول إنشائها ،لايزيد على الثلاثين تلميذا ، وبعد بضع شهور أصبح عددهم ٣١٦ تلميذا (٢) . ولم يطل عمر هذه المدرسة ،فألغيت بعد سنتين من إنشائها .

وفى أوائل حكم عباس ، أمر بإنشاء قسم خاص المحاسبة بمدرسة الألسن فى جمادى الأولى سنة ١٢٦٥ (أوائل سنة ١٨٤٩) ، وكان الغرض من إنشائه ، هو نفس الغرض الذى أنشئت من أجله فى عصر محمد على . ويشترط فيمن يريد الالتحاق بها ، أن يكون (خطه مناسبا ويعرف بعضا من الحساب (٣)).

وكان عدد تلامذته فى أول عهده ، أربعين تلميذا ، وبعد عام كامل ، تخرج أول فريق من تلامذته ، وكانوا ستة وثلاثين تلميذا (٤) . ولم يدم قسم المحاسبة طويلا ، بل ألغى بعد عامين فى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢٦٧ (أغسطس ١٨٥١) .

المدرسة فى عصر إسماعيل

يسميها أمين سامى بمدرسة المحاسبة القبطية ، وقد أنشئت فى غرة رمضان سنة (١٨٦٧(٥)) ، وكان الغرض من إيجادها تخريج طبقة من الكتبة لفرق

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص٦٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٥) تقويم النيل . المجلد الثانى جـ ٢ ص ٧٥٤ و التعليم فى مصر ص ١٧ والقسم الثانى من الملحقات ص ١٠ والقسم الخامس من الملحقات ص ١٠٥ . وتاريخ التعليم (عصر إسماعيل) جـ ٢ ص ٦٤٦ .

الجيش فقط ، على أن تهيأ لهم دراسة خاصة « لإكتساب فن المحاسبة الافرنجية والقبطية والتحريرات العربية لأجل أن الكتاب التى تلزم للالايات تؤخذ ممن يتعلموا بها (١) » .

شروط الالتحاق

اشترط فيمن يريد الالتحاق بها ، أن يكون من تلامذة المدرسة التجهيزية الذين درسوا الحساب دراسة وافية والهندسة كذلك ، والإلمام بقواعد اللغة العربية ، والانشاء وحسن الخط (٢) . وبالرغم من ذلك يجد الباحث فى دفاتر وحدات الجيش المختلفة ، بدار الوثائق التاريخية بعابدين كثيرا من الأخطاء النحوية واللغوية مع رداءة فى الخط .

عدد التلاميذ

وفيما يلى بيان بعدد تلامذتها فى السنوات المختلفة ننقله عن أمين سامى (٣) :

سنة	١٨٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢
عدد	(٤) ٣٠	٣٠	٣٠	٥٠	٦١	٣٢

(١) دفتر ٢٨٣٢ أوامر جهادية (عربى) صادرة لديوان الجهادية فى سنة ١٢٨٤ .
(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٤٧ .
(٣) أمين سامى باشا . التعليم فى مصر . القسم الثانى من الملحقات ص ١٠ .
(٤) يتفق عدد التلاميذ فى السنة الأولى مع ما ذكر فى Notes sur l, Armée Egyptienne (المنقول من مكتبة رياسة الوزارة الفرنسية) والموجود بارشيف عابدين =

ونلاحظ على البيان السالف نفس الظاهرة التى اشتركت فيها المدارس الحربية جميعا ،وهى نمو عدد التلاميذ نموا كبيرا فى سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١ .

ونظرا لاضطراب مالية البلاد ، رؤى الغاء مدرسة المحاسبة، وتم ذلك فى سنة ١٨٧٢ (١٢٨٩) [١] . ولهذا تعتبر أولى المدارس الحربية التى ألغيت فى عهد اسماعيل . وقد عمرت حوالى ست سنوات ، وكانت أطول عمرا وأحسن حالا فى عهد اسماعيل منها فى عهدى محمد على وعباس .

مدرسة أركان حرب

أنشئت مدرسة أركان حرب فى قرية جهاد أباد فى سنة ١٨٢٥ ، وقام بتأسيسها الضابط الفرنسى بلانا Planat ، « وبدأت الدراسة بها فى ١٥ أكتوبر سنة ١٨٢٥ [٢]» ، وكان عدد تلاميذها فى أول عهدها ١٨ تلميذا [٣] . وفى سنة ١٨٢٦ بلغ عددهم ٨٨ [٤] تلميذا . ثم زاد إلى أن بلغ ٢٠٠ [٥] تلميذا . وكان لايقبل بها « الا الترك والمماليك ثم انضم اليهم أبناء العرب [٦] » .ومدة

= بدون رقم . ويضيف هذا المصدر أيضا أن تلامذة المدرسة كانوا على العموم من الأقباط. ومن المرجح أن هذا السبب هو ماحدا بأمين سامى إلى تسميتها بمدرسة المحاسبة القبطية .

وتذكر هذه الوثيقة بأن عدد التلاميذ كان ٣٢ تلميذا فى تلك السنة .

(١) تقويم النيل المجلد ٣ جـ ٣ ص ١٥١٩ والتعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٥ .

(٢) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٨٩ .

(٣) المصدر السابق . وذكرى البطل إبراهيم ص ١٧٠ .

(٤) عمر طوسون . البعثات العلمية فى عهد محمد على ص ٣١ .

(٥) رفاعة رافع . مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية ص ٢٤٧ .

(٦) المصدر السابق .

الدراسة بهذه المدرسة ثلاث سنوات(١)، كان يتلقى خلالها التلاميذ العلوم الآتية :

الحساب ، والرسم ، والطبوغرافية ، والمبادىء العامة فى المدفعيه والاستحكامات المؤقتة والدائمة ، ورسم الخرائط ، وحساب المثلثات ، واللغة الفرنسية ، واللغة التركية والفارسية (٢) ...

ويعين خريجو المدرسة بعد إتمام دراستهم ، فى الوحدات الهندسية فى الجيش أو فى المدفعية ، أو فى المناجم ، أو فى الادارة الحربية أو المدنية (٣) . ولم تعمر هذه المدرسة مدة طويلة إذا ألغيت قبل تنظيم التعليم . وقد أدت هذه المدرسة خدمات جليلة ، وجنى إبراهيم ثمار تعليمها فى أثناء حرب الموره ، وفى حملات الشام (٤) .

ولم تقم لهذه المدرسة قائمة فى عهد عباس . وفى ولاية سعيد ، عهد الى سليمان الفرنساوى رئيس هيئة أركان حرب الجيش « بأن ينشىء مدرسة يتموم فيها على تكوين ضباط لأركان حرب الجيش (٥) » ، فأنشئت المدرسة بالحوض المرصود ، فى أوائل سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥)، وجمع لها من تلاميذ المدارس الحربية الملغاة ، بل ألحق بها تلامذة صغار السن لم يصلوا الى السن

---

(١) البعثات العلمية فى عهد محمد على ص ٣١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٩٠ وذكرى البطل ابراهيم ص ١٧٠ .

(4) W. Mc. E. Dye ; Moslem Egypt & Christian Abyssinia p. 63.

(٥) تاريخ التعليم (عصر عباس وسعيد) ص ١٩١ .

القانونية (١) . ولما كان سعيد لا يستقر على رأى معين ، فقد ألغى هذه المدرسة قبل أن تستكمل عامها الأول (٢) .

وفى عهد اسماعيل ، إقتضت حالة التوسع فى تنظيم الجيش انشاء مدرسة أركان حرب . فقام ميرشير بك بوضع تنظيم وترتيب المدرسة المذكورة بموجبه (٣) ، وذلك فى ١٤ شعبان سنة ١٢٨١ . ثم افتتحت فى سنة ١٢٨٢ (يناير ١٨٦٥ (٤) . وعين ميرشير بك ناظر المدرسة الحربية ناظرا لها ، ويطلق عليه أمين سامى اسم (مأمور المدرسة) . وقد تعاقب على نظارتها النظار الآتية أسماؤهم بالترتيب (٥) :

ميرشير (بك) (٦)	من يناير سنة ١٨٦٥ الى سبتمبر ١٨٦٦
شحاته عيسى (بك)	من سبتمبر سنة ١٨٦٦ الى يوليو سنة ١٨٦٨
رباتيل (بك) (٧)	من سبتمبر سنة ١٨٦٨ الى مارس سنة ١٨٧٠

---

(١) المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر .

(٣) تقويم النيل . المجلد الثانى . ج ٣ ص ٥٩٣ (إرادة لناظر الخارجية فى ١٤ شعبان ١٢٨١) .

(٤) التعليم فى مصر ص ١٧ وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٤٢ .

(٥) المصدر السابق القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٣ .

(٦) يذكر سرهنك أن مدرسة أركان حرب وضعت تحت إدارة ميرشير بك من سنة ١٨٦٤ إلى سنة ١٨٦٥ ، أى منذ إصدار الخديو أمره بانشائها سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) — حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية .

(٧) ويخالفه فى ذلك سرهنك فى كتابه السابق ، إذ يبين أن نظارته كانت فى المدة ما بين=

ميرشير (بك) (١)	من مارس سنة ١٨٧٠ إلى ابريل سنة ١٨٧٠
لارمى (باشا)	من مايـو سنة ١٨٧١ إلى فبراير سنة ١٨٧٩

شروط الالتحاق

كان يشترط فيمن يلتحقون بهذه المدرسة ، أن يكونوا من الضباط من « ذوى رتبة الملازم الثانى (٢) » . و « من أمهر تلامذة المدارس الحربية والمهندسخانة ومدارس الحكومة الأخرى (٣) » .

= سنة ١٨٦٧ وسنة ١٨٦٨ . وجاء فى كتاب تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٢ للدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، أن رباتيل منح أجازة مرضية فى مايو سنة ١٨٦٩ وسافر إلى فرنسا ثم عين وكيلا للمدرسة المصرية بباريس سنة ١٨٧٠ .

(١) لم يشر الدكتور عزت عبد الكريم فى كتابه السابق،إلى عودة ميرشير بك إلى نظارة المدرسة خلفا لرباتيل ، لأنه ذكر فى نفس المصدر ص ٦٢٨ ، بأن ميرشير بك قد عاد إلى وطنه (فرنسا) فى سنة ١٨٦٩ ، ولم يعد إلى مصر رغم بقائه فى خدمة الحكومة، إذ تولى إدارة البعثة المدرسية المصرية بفرنسا . ويخالفه فى هذه النقطة اسماعيل سرهنك باشا فى حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ حاشية ، وأمين سامى فى كتابة التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ص ٣ ١ إذ يذكر كل منهما أن ميرشير قد خلف رباتيل فى نظارة المدرسة مع اختلاف بينهما فى التواريخ . ويشير سرهنك الى عودة ميرشير بك الى وطنه ، ابان حربها مع بروسيا ، ولكنه لايحدد تاريخ تلك العودة . ويبدو أن ميرشير قد قام بمهام النظارة فى أثناء مرض رباتيل الى أن أحيلت الى لارمى ناظر مدرسة المدفعية .

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٥ .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

عدد التلاميذ

جاء فى الترتيب الذى وضعه لها شريف (باشا) ناظر الخارجية ومدير ديوان المدارس ـ « أن تبدأ المدرسة فى السنة الأولى بخمسة عشر تلميذا ، وفى سنتها الثانية تبلغ بهم الى الثلاثين (١) » . وإليك بيان (٢) بعدد تلاميذ المدرسة ، منذ إنشائها سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٧٨ ، وهى السنة السابقة لالغائها:

---

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) جـ ٢ ص ٦٥٥ .
(٢) التعليم فى مصر . القسم الثانى من الملحقات ص ١٠ .

سنة	١٨٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨
عدد	١٩ [١]	١٩ [٢]	٩ [٣]	٩	٢٦ [٤]	٣٦	١٠٥ [٥]	٨١	٣ [٦]	٦٢	٥٠	٣٠	٥٩	٥٤

(١) تقويم النيل . المجلد الثانى جـ٣ ص ٦٤٢ . وجاء فيه أن عدد تلاميذها فى تلك السنة ٢٥ تلميذا وهذا العـــدد يخالف ما أثبته أحمد عزت عبد الكريم فى المصدر السابق ص ٦٥٥ بأن عددهم كان ١٥ تلميذا ويختلف أيضا مع ما ذكره سرهنك فى حقائق الاخبار جـ٢ ص ٣٠٨ حاشية .

(٢) بلغ عددهم ٣٠ تلميذاً طبقا لمـــا أورده أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) جـ٢ ص ٦٥٦ .

(٣) انخفض عددهم فى تلك السنة إلى ١٥ تلميذا كما ذكر فى المصدر السابق .

(4) Abdin. Amr. Vol. 5 enclosure in despt. No. 145 in 13 Feb. 1869.

(٥) ويتفق معه فى هذا سرهنك فى حقـــائق الأخبار جـ ٢ ص ٣٠٨ حاشية.

(٦) كان عددهم ٨٧ تلميذا طبقا لمـا ورد فى Notes Sur l'Armèe Egyptienne .

ومن البيان السابق ، يتضح لنا أن جميع المصادر تقريبا قد اختلفت فى إحصاء عدد التلاميذ إحصاء دقيقا ، كما حدث فى المدارس الحربية الأخرى .

ومدة الدراسة بالمدرسة المذكورة عام واحد ، أى إثنا عشر شهرا (١) ، وفى نهايتها يمنح الخريجون رتبة الملازم الأول (٢) ، ويشغلون منصب ضباط أركان حرب بفرق الجيش المختلفة .

المنهج الدراسى وأسماء المدرسين(٣)

قسمو غرافيا	اسماعيل (بك)
كيميا	كستنيل (بك) ، وأحمد ندا (بك)
استحكامات	خفاجى (بك)
أبنيـــة	خفاجى (بك)
طبوغرافيـــا	خفاجى (بك)
فن طوبجية	عبد الرحمن (بك) على
ميكانيكا	سعد عامر (بك)
فن عسكرية	سعيد (افندى) نصر
طبيعـــة	مصطفى (افندى) نصر
تطبيق الجبر على الهندسة	لطيف (افندى) سليم

(١) Dye, Moslem Egypt .... P.71 .

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٩ .

(٣) حقائق الأخبار ج٢ ص ٣٠٩ .

جغرافيا وتاريخ	رمضان (افندى) ومحمد (افندى) عبد الرازق
قوانين عسكرية	خليل (افندى) كامل
استحكامات خفيفه	احمد (افندى) كامل
هندسه وصفيه	احمد (افندى) نجيب
جبر مثلثات مستقيمه	لطيف (افندى) سليم
خط رقعه	حسن (افندى) نجيب
فرنساوى	مسيو لويز
انكليزى	محمد (افندى) سليمان ، مسيو بورك
نمساوى (ألمانى)	مسيو ابليخ
علم الهيئه	اسماعيل (بك) الفلكى
لغه تركيه	محمد حافظ (افندى)

ويتضح من أسماء المدرسين المذكورين، أن أغلبهم من المصريين وممن يقومون بالتدريس فى المدارس الحربيه الأخرى ، وانتدب للعمل بها .

وعمرت المدرسه ما يقرب من خمسة عشر عاما ، كانت خلالها مركزا للنشاط الدائم ، إلى أن ألغيت فى فبراير سنه ١٨٧٩ ، مع المدارس الحربيه الأخرى. ويذكر اسماعيل سرهنك، أن هذه المدرسه أفادت «فائدة عسكرية عظيمة فى الفتوحات التى قام بها الجيش المصرى فى وسط افريقيا فى اكتشافاته الجغرافية المهمة (١) ».

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

ونلاحظ أن تلاميذ هذه المدرسة ، كان يصيبهم شيء من الاجحاف بحقوقهم ، فمع كونهم يختارون من صفوة تلاميذ المدارس الحربية والمهندسخانة، ويمكثون بالمدرسة عاما كاملا لايتقاضون عنه أجرا يتناسب ومجهودهم ، كانوا يعينون بعد تخرجهم فى رتبة الملازم الثانى . بينما نجد زملاءهم الذين تخرجوا معهم فى المدارس الحربية الأخرى ، ولم يدخلوا مدرسة أركان حرب ، والذين كانوا أقل منهم حظا وتقدما فى العلوم يعينون فى الجيش فى نفس الرتبة . وفى نفس الوقت فقد حرموا من صرف مرتب الملازم الثانى وقدره ثلاثة جنيهات (١) ، مكافأة لهم أثناء دراستهم (٢) ، أسوة بزملائهم فى صفوف الجيش (٣) . وبعد محاولات متكررة ، تمكن هؤلاء من الفوز بهذا المرتب فترة من الزمن ،ولكن نفوذ رجال الجيش القدماء ، من أنصار (نظام الباشا) ، حال دون الاستمرار فى صرفه (٤).

هذا بالاضافة إلى أن هؤلاء التلاميذ ، كانوا يغادرون المدرسة وفى نفوسهم مرارة الألم ، لعلمهم بأن صفات الجد والاجتهاد ، جعلتهم يلتحقون بالجيش متأخرين عاما عن رفاقهم الذين أقل منهم مستوى وثقافة (٥) ، ويترتب

---

(١) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة رقم ٥٦ عربى أمر الى السردار فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

(2) Dye : Moslem Egypt .... P.72 .

(٣) المصدر السابق .

(4) Crabités ; Americans in the Egyptian Army, P. 48 .

(٥) المصدر رقم ٣ . ويذكر الدكتور عزت عبد الكريم فى تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٥٩ حاشية بأن خريجى مدرسة أركان حرب كانوا يمنحون رتبة الملازم الأول . وهذا القول يخالف ما ذكره داى . وربما ما ذكره الدكتور أحمد عزت ينطبق على الناحية النظرية دون العملية .

على هذا ، أن يصبح لزملائهم أقدمية من حيث الترقية والعلاوة . ويذكر الجنرال داى — من ضباط أركان حرب الجيش المصرى — أن هذا الاجراء ، كان من شأنه أن يحط من مستوى ضباط أركان حرب كما كان ينخفض بمستوى تلامذة المدرسة. ويوعز هذه التصرفات الشاذة ، إلى أعداء المدرسة ، فكانت « دسائس الباشوات ونفوذ الأمراء كثيرا ما لعبت دورا هاما فى حرمان هؤلاء من ترقياتهم المستحقة. كما كان يطلق عليهم الباشوات والبكوات اسم (النصارى) ، ولهذا فقد حرموا من المساعـــدة والعطف من رؤسائهم (١) » . ومرد هذا الى سببين . الأول وهو « نظام الباشا » الذى كان سائدا فى الجيش . والثانى ، غيرة الضباط الوطنيين من الأجانب الذين كانوا يكونون هيئة أركان حرب الجيش المصرى (٢) .

مدرسة الطب البيطرى

شعر محمد على بحاجته الى أطباء بيطريين ، فاستدعى من فرنسا الطبيبين البيطريين هامون Hamont وبريتو prétot وذلك فى سنة ١٨٢٨ . وأنشأ لهما مدرسة بيطرية برشيد قوامها عشرة تلاميذ ، ومترجم لترجمة الدروس من الفرنسية الى العربية ، وشيخ لتصحيح الترجمة . ولم تستقم أمورها أثناء وجودها برشيد لقيام المنازعات بين ناظرها المسيو هامون من جهة ، وبين التلاميذ والمترجم والشيخ من جهة أخرى . ثم نقلت الى أبى زعبل بجوار مدرسة الطب البشرى ، ودخلها من التلاميذ وقتذاك خمسون تلميذا ، وأعد لهم مستشفى بيطريا يسع ١٤٠ حصانا واشترك تلاميذ الفرقة الأولى بمدرستى الطب فى تلقى مواد طبية مشتركة (٣) .

---

(١) Dye ; Moslem .... p.72.

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣١٠

ولكن نظام المدرسة لم يستقر لتجدد المنازعات . وقــد سوى بين خريجيها وخريجى مدرسة الطب البشرى فى التعيين ، فمنح كل منهمــا رتبة الملازم الثانى . وطبقاً للائحة سنـة ١٨٣٦ أصبحت مدة الدراسة بهــا خمس أو ست سنوات .

بدأت المدرسة فى سنة ١٨٣٧ بعدد من التلاميذ بلغ ١٢٢ تلميـذا ، ثم أخذ عددهم يقل إلى أن وصل إلى ١١ تلميـذا فى سنة ١٨٤٣ . وقـد انحط مستوى التلاميذ انحطاطاً كبيرا جعل أولى الأمر يفكرون فى أنجع الوسائل لإصلاحها . وظلت المدرسة على حالتها من الضعف لاتستقر على حال ، إلى أن ألغيت فى عهد عباس الأول .

ولما ولى عبـاس أمر مصر ، أصدر أمرا بعقد امتحـان للأطباء البيطريين فمن حاز منهم قبولا ، ألحق بفرق الجيش ، ومن لم يجز فصل من الخدمة (١) . ولكن عباس كان ينوى إلغاء المدارس الحربية جميعاً . فأمر بنقلها من القاهرة توطئة لإلغائها ، فنقلت إلى اصطبل منوف مع ستة عشر تلميــذا وثلاثة مدرسين (٢) . ثم ألغاها بعد ذلك بشهرين ، ولم تظهر مرة أخرى فى عصر سعيد .

المدرسة فى عهد اسماعيل

أحست مدرسة الفرسان (السوارى) بالحـاجة إلى تدريس مواد الطب

---

(١) تاريخ التعليم «عصر عباس وسعيد» ص ٦٥ و٦٦

(٢) المصدر السابق ص ٦٧ .

البيطرى بها ، « فاستدعت الحكومة المصرية من فرنسا طبيباً بيطريا يدعى مسيو ليونار Leonard وأحضرت له من فرنسا ما يلزمه من الآلات والأدوات(١) » ، وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ١٢٨١ ، (١٨٦٤) وألحقت به بعض الجنود لتعليمهم العلوم الخاصة بالطب البيطرى ، لإمكان الاستفادة بهم فى الجيش . ولكن هؤلاء الجنود لم يستطيعوا متابعة دروسهم ، فأعيدوا إلى فرقهم مرة أخرى . ثم « أنشأت فصلا صغيرا من التلاميذ ، يسمى مدرسة بيطرية(٢) » ، فى جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (نوفمبر ١٨٦٥) . ثم نقلت هذه المدرسة إلى العباسية وألحقت بها مدرسة السوارى ، وشيدت بالعباسية كذلك مستشفى بيطرى . وكان بها من المدرسين ، المسيو ليونار ، وعبد الهادى (افندى) اسماعيل (المدرس السابق بمدرسة الطب القديمة) ؛ هذا فضلا عن ناظر المدرسة المسيو بؤلار . ولكن المدرسة بحالتها هذه لم تكن لترضى أولى الأمر ، فكلف ميرشير (بك) بوضع لائحة لها ، ترفع من شأنها وتضعها على أسس سليمة . فكتب تقريرا عن هذا الموضوع ، ورفعه للخديو فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) فوافق (٣) عليه . وفيما يلى أهم ما جاء به :

أن يكون عدد تلاميذ المدرسة أربعين تلميذا وأن يلحقوا بمدرسة الفرسان ،

---

(١) المصدر السابق « عصر اسماعيل » ج ٢ ص ٦٦٦

(٢) المصدر السابق ص ٦٦٧

(٣) تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٦٤ « إرادة لناظر ديوان المدارس فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٨٣ » .

« حيث أنه يجب اشتراك التلاميذ المذكورين فى تعلم ركوب الخيل مع تلاميذ مدرسة الخيالة (١) » . وأن يجرى انتخاب هؤلاء التلاميذ « وفرزهم من بين تلاميذ المدرسة التجهيزية (٢) » ، مع تخصيص خمسة مدرسين لها ، يقومون بتدريس العلوم والفنون المتعلقة بالطب البيطرى وتعيين ضابط برتبة الملازم الثانى « لضبطهم وربطهم (٣)» ، على أن يمنح الخريج رتبة الاسبران عند التحاقه ، ثم يرقى بعد سنة إلى رتبة الملازم الثانى(٤) . وكان يصرف لتلاميذ الفرقة الأولى (سنة رابعة) ١٢٠ قرشاً (٥).

وفى ترتيب رجب سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) ، تبعت المدرسة ديوان الجهادية ، وخصص للمدارس التابعة له مبلغ ١٧ ٢٨٢ ٦٢٠١ (قرشاً كيسة) أى ما يزيد قليلا عن ٣١٠٠٠ جنيها مصريا) فيما عدا ميزانية المدرسة البيطرية ؛ وقد بلغ مربوطها (٦) ٤٣١ قرشا ١٨٧ كيسة (أى ما يعادل ٩٣١٠م و٩٣٩ج) ، وبذلك انفصلت مدرسة الطب البيطرى عن مدرسة الفرسان (السوارى) .

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) انخفض مستوى خريجى هذه المدرسة عن زملائهم فى عصر محمد على لأنه كان يسوى بينهم وبين خريجى تلاميذ المدارس الحربية الأخرى .

(٥) دفتر ٥٥٧ «معيه تركى» أمر رقم ٢ ص ٦ إلى مدير المدارس بتاريخ ٢٠ جمادى الاخرة ١٢٨٣

(٦) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر الصادرة لديوان الجهادية سنة ١٢٨٤ مكاتبة =

وقد رغب ديوان الجهادية فى زيادة عدد تلامذة المدرسة ، فرؤى « تخصيص من يلزم من تلامذة المدارس الحربية البيادة والسوارى ، وإلحاقهم فى مدارس الحكما البيطرية علاوة على التلاميذ بها (١) ».

وفى أواخر سنة ١٨٦٧ « ألحقت بها مدرسة الزراعة ، وأصبح ناظرها يلقب بناظر مدرسة الطب والزراعة (٢) » . نشأت إذاً أول مدرسة للطب البيطرى بمدرسة الفرسان ، وذلك تلبية لرغبة المسيو بولار ناظر المدرسة ، وكان ذلك فى سنة ١٨٦٥ . وظلت تحتضنها مدرسة الفرسان ، إلى أن انفصلت عنها كما أسلفنا من قبل . وفيما يلى بيان بأسماء نظارها ومدة نظارتهم (٣):

المسيو ليونار ناظرا	من سبتمبر ١٨٦٨ إلى مايو ١٨٧٠
اسماعيل راجى (افندى) وكيلا	من سبتمبر ١٨٦٨ إلى نوفمبر ١٨٦٩
عثمان صادق (افندى) وكيلا	من يناير ١٨٧٠ إلى أغسطس ١٨٧٣

ومن ٢٢ ابريل سنة ١٨٧٠ إلى فبراير سنة ١٨٧٩ كانت نظارة المدرسة

= رقم ٣ فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ . ومحفظة ٩ « جهادية » وثيقة رقم ٥٦ عربى من الجناب العالى إلى سردار العساكر المصرية فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

(١) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر العربى الصادرة لديوان الجهادية فى سنة ١٢٨٤ وثيقة رقم ٣ إلى الجهادية فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤

(٢) تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٧١

(٣) التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ١٠٤

محالة على ناظر مدرسة السوارى (١) ، إلى أن ألغيت فى أوائـــل سنة ١٨٧٩ (٢) .

عدد التلاميذ

وفيما يلى بيان (٣) بعدد تلاميذ المدرسة منذ إنشائها إلى أن ألغيت فى سنة ١٨٧٩ .

---

(١) التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٤

(٢) تقويم النيل ، المجلد الثالث ج ٣ ص ١٥١٩

(٣) التعليم فى مصر . القسم الثانى من الملحقات ص ١٠

سنة	١٨٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
عدد	[1] ١٠	١٠	٢٠	٣٠	٥١	٣٦	٢٠	٣٠	٣٨	٦٤	٢٨	٢٢	١٢

(١) يذكر أمين سامى فى كتابه التعليم فى مصر ص ١٧ بأن عدد تلاميذ مدرسة الطب البيطرى كان سنة ١٨٦٤ عشرة تلاميذ أى أنها كانت موجودة فى نفس تلك السنة . و لواقع أن انشاء مدرسة الطب البيطرى لم يكن إلا فى سنة ١٨٦٧ . ولكن وجدت دراسة الطب البيطرى قبل ذاك التاريخ وكان ذلك بمدرسة السوارى .

من البيان السالف يتضح لنا زيادة عدد تلامذة المدرسة فى سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١ كسائر المدارس الحربية الأخرى ، كما يتبين أن المدرسة بدأت بداية متواضعة وانتهت كذلك .

ومدة الدراسة بهذه المدرسة أربع سنوات ، يتخرج بعدها التلميذ برتبة أنسبران (حامل العلم) .

المنهج الدراسى

لم نعثر على وثائق تشير إلى المواد التى كانت تدرس بهذه المدرسة . ولكن يمكننا القول بأن هذه المواد لا تبعد كثيرا عما كان يدرس بها فى عصر محمد على مثل دراسة العظام ، والعضلات والتشريح ، والفسيولوجيا ، وقانون الصحة ، والأمراض العامة ، والعمليات الجراحية (١) . ومما يرجح ما ذهبنا اليه ، الاستعانة برجال مدرسة الطب البيطرى فى عهد محمد على مثل محمد العشماوى وغيره .

ونتيجة للأزمة المالية التى عانتها مصر ، اضطرت الحكومة إلى إغلاقها مع سائر المدارس الحربية الأخرى فى فبراير سنة ١٨٧٩ (٢) ، بعد أن عمرت المدرسة ما يقرب من إثنى عشر عاماً . وإن نظرة واحدة نلقيها على البيان - الذى أوردته لجنة اصلاح التعليم التى شكلت فى سنة ١٨٨٠ فى تقريرها عن إحصاء ثروة مصر الحيوانية بين سنتى ١٨٧٣ و ١٨٧٧ - لكفيلة بإعطائنا

---

(١) تاريخ التعليم «عصر محمد على» ص

(٢) التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٤ .

فكرة واضحه عن مقدار الخسائر التى أصيبت بها هذه الثروة من خيول وإبل وحمير وبغال وجاموس بسبب الاوبئه التى أصابتها. ورغم تفشى هذه الامراض بدرجه مزعجة فيها يمتلكه الأهالى من ثروة حيوانية ، وقف خريجو مدرسة الطب البيطرى مكتوفى الأيدى لان اختصاصاتهم كانت قاصرة على ما يمتلكه الجيش فقط من حيوانات . ويمكننا القول بأن الجيش لم يستفد منها الاستفادة المرجوة ، نظرا لأن « وسائل التعليم العملى بها كانت ناقصة ، ولم يعد قائماً منها سوى أسمها[1] » .

مدرسة الزراعة

عنى محمد على بأمر الزراعة بمصر ، فأصدر أمره بإنشاء مدرسة للزراعة بقرية نبروه ، بمديرية الغربيـــة فى أواخر سنة ١٢٥٠ (١٨٣٦) ، وعين يوسف (افندى) الأرمنى ناظرا لها [2] . وكان تلاميذها يختارون من تلامذة مدرسة القصر العينى ، وقد ألحق بالمدرسة مزرعة لإجراء التجارب ، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات . وقد تدهورت حالة المدرسة فنقلت من نبروه إلى شبرا ، وألحقت بمدرسة الطب البيطرى ، تحت إدارة ناظرها المسيو هامون[3] فى صفر سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) . وكان لإلحاقها بمدرسة الطب البيطرى ، أثره فى التعليم وفى توحيد دراسه بعض المواد » ، وبذلك أتيح لتلاميذ مدرسة

---

(١) تقرير لجنة أصلاح التعليم التى شكلت فى سنة ١٨٨٠ منشور فى كتاب تاريخ التعليم ج ٣ . ملحقات ص ٢٥٣ للدكتور أحمد عزت عبد الكريم .

(٢) تاريخ «عصر محمد على» ص ٣٤٨

(٣) المصدر السابق ص ٣٥٥ و٣٥٦

الزراعة أن يدرسوا علوما لم يكونوا يعرفون عنهـا شيئاً (١) » . وفى سنة ١٨٤١ ألغيت هـذه المدرسة ، ولكن محمد على أعاد فتحهـا بعد ذلك بقليـل ، ثم نقلت إلى المنصورة فى سنة ١٨٤٤ ، وألغيت بعـد ذلك ببضعة شهور .

ولم تظهر هذه المدرسة لا فى عهد عباس ولا فى عهد سعيد إلى أن ولى اسماعيل الحكم ، فأمر بإعادتها فى سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) . رغبة « فى توسعه دائرة العلوم والمعارف العايد منافعها على العموم (٢) » . وأحيلت نظارتهـا على ناظر مدرسة الطب البيطـرى (٣) ، فجمع المسيو ليونار بين نظـارة مدرستى الطب البيطرى والزراعة ، وذلك فى أواخر سنة ١٨٦٧ ، وأوائل سنـة ١٨٦٨ . وبمـا أن كثـيرا من مواد الدراسـة وخصوصا « ما يتعلق بالحيوانات من قبيل الصحة والتربية وما يلزم من الأمور الكيماوية والطبيعية والمعادن » ستدرس للتلاميذ بمدرسة الطب البيطرى ، فلهذا رؤى « إيجاد تلك المدرسة بحيث تكون فرعـا متضمنا مدرسة الطب البيطـرى المحكى عنها ، وتسمى مدرسة الزراعة (٤) » . ولـكن إلحـاق مدرسة الزراعة

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٥ و ٣٠٦

(٢) دفتر ٢٨٣٢ قيـد الأوامر العربى الصادرة لديوان الجهادية . مكاتبة بتاريخ ٢ رمضان ١٢٨٤ .

(٣) التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٥

(٤) دفتر ٢٨٣٢ قيد الأوامر العربى الصادرة لديوان الجهادية . مكاتبة بتاريخ ٢ رمضان ١٢٨٤ .

بمدرسة الطب البيطرى فى صحراء العباسية ، جعل موقعها غير ملائم بالنسبة لمدرسة زراعية تعتمد اعتمادا كبيرا على الأراضى الزراعية لإجراء تجاربها .

عدد التلاميذ

أما عن عدد تلاميذ المدرسة فكما يلى(١) :

سنة	١٨٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣
عدد	٤٢	٤٢	(٢) ٣٦	٧٣	٧٥	٦٩	١٢٠

مواد الدراسة

وتشتمل مواد الدراسة على مايلى (١) :

التاريخ الطبيعى : النبات . الجيولوجيا . مبادىء المعادن .

---

(١) التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٤١
(٢) تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٧٤و٦٧٥
(٣) المصدر السابق

العلوم الطبيعية : مبادىء الطبيعة « المثيورولوجيا » . الكيمياء الزراعية وتطبيقها .

الهندسة الزراعية : الرياضيات . الرسم . الميكانيكا الزراعية . المنشآت الزراعية . آلات الرى وأدوات الزراعة .

الحيـــوان : مبادىء علم الحيوان . تربية الحيوان وتغذيتها وتحسين نسلها :

الزراعـــة : ويباشرها التلاميذ عمليا فى الحقول .

ونتيجة لسوء الحالة المالية فى أواخر عصر اسماعيل ، ألغيت هذه المدرسة فى سنة ١٨٧٥ (١٢٩٢)(١) . ولهذا ، فهى تعتبر ثانى مدرسة حربية ألغيت فى عهد اسماعيل . ويرجع إلغاؤها إلى عدة أسباب :

أولا : ـ إتجاه الحكومة نحو سياسة الاقتصاد فى مصروفات البلاد ، وذلك للأزمة المالية . فرأت الاستغناء عن هذه المدارس التى تعتبر فى المرتبة الثانية بالنسبة لبعض المدارس الحربية الأخرى .

ثانياً ـ صعوبة إيجاد عمل لخريجى المدرسة فى الدوائر الحكومية (٢) .

ثالثاً ـ إن طبيعة المدرسة ليست حربية ، بل هى مدرسة مدنية كان يجب أن تدخل تحت إشراف ديوان المدارس أو أية هيئة حكومية أخرى غير ديوان

---

(١) تقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٥١٩ .

(٢) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٣ ص ٦٧٦ .

الجهادية . فكان من الطبيعى أن يتلخص منها الديوان ، فى الأزمة المالية ، ليتفرغ للمدارس الحربية الرئيسية .

وإذا نظرنا إلى تاريخ حياة المدرسة ، وجدنا فيه أوجه شبه كثيرة بينها وبين مثيلتها فى عصر محمد على ، فكلاهما ألحق بمدرسة الطب البيطرى ، وكلاهما نظر اليه نظرة شك . فالقليل من أفراد الأمة من كان يؤمن فى جدوى العلوم ، وفى وسائل الزراعة الحديثة التى تدرس فيها . فكان معظم الأهالى يعتقدون، بأن طرق الزراعة المحلية أصلح من الطرق الأوربية ، التى لاتلائم طبيعة أرض مصر . ولذا نجد أن خريجى المدرسة فى عصر اسماعيل ، لاقوا صعوبة كبيرة فى كسب قوتهم ، إذ « لم تكن الدوائر الأهلية قد تنبهت بعد إلى الإفادة من خبرتهم (١) » . ولذا لم تؤد كل منها رسالتها كما ينبغى .

مدرسة الموسيقى العسكرية

رأى محمد على ، أن من مستلزمات الجيش إنشاء فرقة موسيقية عسكرية ، فاستعان لهذا الغرض بعازفين أوربيين . ثم أنشأ فى قرية جهاد أباد « مدرسة لتعليم الموسيقى لنفر من أهل البلاد ، ليكونوا موسيقيين فى فرق الجيش والأسطول (٢) » . ونقلت المدرسة بعد ذلك إلى الخانقاه فى سنة ١٨٢٧ (٣) ، واستمرت قائمة إلى أن ألغيت فى ترتيب سنه ١٨٤١ .

وكان عدد تلامذتها بعد انتقالها إلى الخانقاه ٢٠٠ تلميذا (٤)، وذكر اسماعيل

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ص ٤٢٠ (عصر محمد على)

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٣٦

(٤) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٤٢٠

سرهنـك أن عددهـــم ١٥٠ (١) تلميـذا . وفى سنة ١٨٣٩ ، بلغـوا ١٦٤ تلميـــذا ، وبلغت ميزانية المدرسـة ٧٩٣ جنيه و ٣٢٠ مليم . (٢) وكان يقـوم بالتدريس فيها معلمون من الأجانب ، وأشرف عـــلى إدارتها فى سنـة ١٨٣٨ المسيو كاريه Carré الفرنسى ، وعاونه أربعة من المعلمين (٣) .

ظهرت هذه المدرسة من جديد ـ تلبية لرغبة الخديو ـ وأطلق عليهـا اسم «دار الموسيقى» (مهتران أوجاغى)(٤) . والغرض من إنشائها ، إمداد فرق الجيش بجنود موسيقيين ، وكان ذلك فى أوائل حكمه سنة ١٨٦٣ ، وألحقت بـــديوان الجهادية .

شروط الالتحاق

اشترط فيمن يلتحق بها من التلاميذ ، أن يكون سليم الجسم ويتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة (٥) .

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) التعليم فى مصر ص ١٠ .

(٣) محمد فؤاد شكرى وآخرون . بناء دولة مصر محمد على ص ١٧٨ .

(٤) دفتر ٥٢٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٥٣ ص ٨٣ أمر الى ناظر الجهادية للفريق اسماعيل فى ٤ القعدة سنة ١٢٧٩ وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٤٧٥ (ارادة للفريق اسماعيل ناظر الجهادية فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩) .

(٥) دفتر ٥٢٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٥٣ ص ٨٣ الى ناظر الجهادية الفريق اسماعيـل فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ وتاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٥ . وذكر أمين سامى فى تقويم النيل ، المجلد الثانى ج ٣ ص ٤٧٥ أن تلامذة المدرسة كانوا يختارون من الشبان الذين فى سن بين العاشرة والسادسة عشر .

وكان منهج الدراسة يتلخص فى تعليم التلاميذ « الموسيقى والطرنبيطة والصفارة (١) » .

عدد التلاميذ

تكونت المدرسه فى أول عهدها من « ثلاثمائة وخمسة عشر شابا (٢) » . ويبدو أنها لم تقبل تلاميذ جدد إلا بعد مرور ثلاث سنوات ، وبذلك استطاعت تخريج « كل تلامذتها حتى لم يبق منهم أحد (٣) » ثم بدأت فى جمع ٤٠٠ تلميذ جدد وأعقبهم بـ ٢٥٨ آخرين .

ادارة المدرسة

كانت الادارة تتكون من ناظر برتبة صاغقول أغاسى (رائد)، ويشترط فيه أن يكون كبير السن ، وحسن السير والسلوك ، ويتوفر فيه النشاط ، وضابطين برتبة اليوزباشى (نقيب) ، وأربعة معلمين برتبة الملازم ، « من الممارسين لفن الموسيقى والمهتران (٤) » . و « مقدارا كافيا من صف الضباط ، لمحافظة الضبط والربط ولتعليم الفنون الموسيقية (٥) » . وقد ألحق خريجوها بالفرق الموسيقية

---

(١) تقويم النيل . المجلد الثانى جـ ٣ ص ٤٧٥ (ارادة للفريق اسماعيل فى ٤ ذى القعدة ١٢٧٩) .

(٢) أمين سامى تقويم النيل المجلد الثانى جـ ٣ ص ٤٧٥ (ارادة للفريق اسماعيل فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩) ودفتر ٥٢٠ (معية تركى) أمر رقم ٥٣ ص ٨٣ الى ناظر الجهادية فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ .

(٣) تاريخ التعليم «عصر اسماعيل» جـ ٢ ص ٦٦٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) دفتر ٥٢٠ (معية تركى) أمر رقم ٥٣ ص ٨٣ الى ناظر الجهادية اسماعيل فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ . وأمين سامى . تقويم النيل المجلد الثانى جـ ٣ ص ٤٧٥ (ارادة الى اسماعيل ناظر الجهادية) .

بوحدات الجيش المختلفة. وقد ألغيت هذه المدرسة مع المدارس الحربية الأخرى(١)

مدرسة الخطرية

أنشئت هذه المدرسة بالقلعة فى فبراير سنة ١٨٧٤ - بناء على اقتراح الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى - وعين لنظارتها القائمقام (العقيد) خليل عفت بك (٢). وهى من مدارس الدرجة الثانية العسكرية . وكان الغرض من إنشائها ، « جعل الأهالى يميلون من أنفسهم للإنخراط فى سلك العسكرية (٣) » .

شروط الالتحاق

يجب أن تتوافر فيمن يرغب الالتحاق بها الشروط الآتية :

أولا - أن يكون قوى البنية صحيح الجسم .

ثانياً - أن يكون من أبناء الضباط أو الصف ضباط أو الجنود بالجيش(٤).

وذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، بأنه لا يستطيع أن يجزم «بأن مدرسة الخطرية أو الأطفال العسكرية هـــذه هى التى أنشأها ديوان الجهادية بالقلعة

---

(١) المصدر السابق

(٢) التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٥ وتاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٤ ويخا فهما فى تاريخ الانشاء اسماعيل سرهنك فى كتابه حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١١ اذ يذكر فى بيان عن قوة الجيش المصرى قبل يوم ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٣ ان عدد تلاميذها ٣٠٠ تلميذا .

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) دفتر ١٧٨٦ ج ١ صادر من ديوان عموم الجهادية وثيقة رقم ١٣٨٤ من ص ١٩٨ إلى وجاق الوزيقات بتاريخ ٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ .

لتربية وتعليم أولاد ضباط وصف الضباط الجهادية من رتبة الملازم لغاية رتبة البكباشى (١) (المقدم) . ولكنى عثرت على وثيقتين تثبت أن مدرسة أطفال العسكرية هذه ، هى نفس المدرسة التى يتلقى فيها أولاد العساكر والضباط تعاليمهم العسكرية . فورد فى الوثيقة الأولى ، النص التالى : « من المرغوب فيه إلحاق الثلاثة غلمان أولاد وابن أخت يوزباشى (نقيب) سليمان (افندى) شكرى بمدرسة أطفال العسكرية . وبما أن من الاقتضى (هكذا) حضور الغلمان المذكورين للديوان للكشف عليهم بمعرفة حكيمباشى الديوان فلزم شرحه . يتنبه بإرسال المذكورين ومتى وجدوا موافقين لالحاقهم بمدرسه أطفال العسكرية يجرى اللازم نحوهم » . ومن مضمون الوثيقة يتضح لنا ، أنه كان يقبل بالمدرسة ـ ليس أولاد العساكر والضباط فقط ـ بل أولاد أقربائهم كذلك .

وجاء بالوثيقة الثانية أنه بخصوص إلحاق أولاد أخى ٥ جى يوزباشى (نقيب) جبه جى بمدرسة أطفال العسكرية ، وحيث الآن صدر أمر دولتلو أفندم الناظر عن الذين يصير قبولهم بمدرسة الأطفال ، هم أولاد الضابطان (الضباط) والعساكر فقط . وأولاد الاخوات غير جائز قبولهم الآن ... (٣) »

والوثيقة السابقة ، فضلا عما تؤكده من أن مدرسة الأطفال العسكرية هى نفس المدرسة المعدة لتعليم أولاد الضباط والصف ضباط ، يتبين لنا كذلك أنها

---

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٢) دفتر ١٣٨٦ ج ١ صادر من ديوان الجهادية وثيقة رقم ١٣٨٤ ص ١٩٨ الى الجبه خانات بتاريخ ٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ .

(٣) دفتر ١٧٨٧ صادر من ديوان عموم الجهادية مكاتبة رقم ١٧٨٦ ص ١٩٧ الى الجبه خانات بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٢٩٢ .

كانت تقبل أولاد العساكر . وأنها قصرت على أولاد الضباط والجنود فقط ، ولم يعد يصرح لغير أبنائهم بالالتحاق بها كما كان مسموحا من قبل . وقد ضم إلى هؤلاء بعض التلاميذ من مدارس أخرى ، وخاصة ذوى السلوك القبيح (١) .

وكان يدرس لهؤلاء التلاميذ الذين يتراوح سنهم بين ست سنوات وتسع عشرة سنة ، ما يحسن أن يتعلمه أمثالهم (٢) . وكان عدد تلاميذها يزيد عن الثلاثمائة تلميذ (٣) .

وتتكون إدارة المدرسة من بكباشى (مقدم) واحد ، وصاغ (رائد) وأربعة يوزباشية (نقباء) وأربعة ملازمين ثوانى (٤) .

ولم تعمر هذه المدرسة ، أكثر من خمس سنوات ، ففى سنة ١٨٧٩ ألغيت مع سائر المدارس الحربية .

كذلك أنشئت مدرسة أخرى بالسويس ، لتعليم أولاد القبودانات والعساكر (٥) . ومدرسة ثالثة أشار اليها سرهنك ، وتسمى المدرسة الخيرية أو مدرسة أولاد الجنود ، وكان عدد تلاميذها ٨٠٠ تلميذا . وتتكون إدارة هذ المدرسة من بكباشى (مقدم)، وصاغ (رائد)، وستة يوزباشية (نقباء)، وستة

---

(١) تاريخ التعلم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٢) الياس الايوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ج ٢ ص ٢٧ ولم يوضح ماهية العلوم التى كانت تدرس لهم . ويبدو انها كانت تنحصر فى تعليمهم القراءة والكتابة إلى جانب القيام ببعض التمرينات العسكرية .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣١١ .

(٥) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٦٤

ملازمين أوائل وستة ملازمين ثوانى . وعدد تلاميذها يتفق مع عدد تلاميذ المدرسة التى كانت بالقلعة لتعليم أولاد الحرس بها (١) .

مدرسة ضباط الصف

أنشئت مدرسة ضباط الصف فى سنة **١٢٩١** (فبراير سنة ١٨٧٤) بناء على طلب الجنرال استون ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، وكان الغرض من إنشائها ، وتنوير عقول صف ضباط الجيش بالمعلومات الابتدائية (٢) . وتولى الجنرال استون نفسه الإشراف عليها . ونظمت الدراسة بها ، على أساس تخريج عدد من الكتاب العسكريين لإمداد الجيش بما يلزمة .

شروط الالتحاق

واشترط الجنرال استون فيمن يلتحقون بهذه المدرسة، أن يختاروا من صغار الجنود الذين يقل سنهم عن إثنين وعشرين عاما ، وأن يكونوا غير متزوجين ، ويظهرون إستعدادا تاما لتعلم القراءة والكتابة ، وأن يكونو أمثلة صالحة للرجال العسكريين فى خضوعهم للنظام وحسن تدريبهم (٣). على أن يقوم بهذا الاختيار قواد الأورط(الكتائب)، وبعداختيارهم يرسلون بأسلحتهم ومهماتهم إلى

---

(١) الياس الايوبى. تاريخ مصر فى عهد الخديو أسماعيل جـ ٢ ص ٢٧

(٢) حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٣٠٨ . والياس الايوبى جـ ٢ ص ٢٧

(3) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gén Stone. Ghef d'Etat - Major à Ministre de la guerre .En 21 Oct. 1872.

العباسية ، لوضع أنفسهم تحت إمرة ناظر مدرسة ضبـاط الصف (١) . » وهو من الضباط العظام ويعين بأمر عال (٢) .

عدد التلاميذ

وكان بها من ضباط الصف ، « نيفا وخمسمائة متعلم (٣) » . ومدة الدراسة بها عام واحد (٤) . وفى خلاله ، يتمتع كل منهم بمرتب أونباشى (٥) .

مواد الدراسة (٦)

وتتلخص مواد الدراسة فى تعليم المطالعة العربية والخط العربى والحسـاب وكيفية إعداد التقارير اليومية والشهرية الخاصة بقوات الجيش والعلوم الحربيـة والجغرافيا الوصفية .

وفى نهاية السنة الدراسية ، يعود التلاميذ إلى فرقهم مـكرمين ، مـع منحهم رتبة الجاويش بعد أداء الامتحان بدرجة مرضية (٧) . وينتظم هؤلاء التلاميـذ فى أورطة مـكونة من أربعة بلوكات ، ويتلقون دروسهم على يد صفوة ممتازة من

(١) المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر .

(٣) تاريخ مصر فى عهد الخديو أسماعيل جـ ٢ ص ٢٧ .

(4) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 05/5 Gen. Stone Chef d ' Etat Major à Ministre de la guerre , en 21 Aut . 1872 .

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق

الضباط المثقفين الأذكياء ، يختارهم مفتش المدارس الحربية « الجنرال استون » ، من خريجى مدرستى أركان حرب والمدفعية . ويمنحون فى مقابل تدريسهم بالمدرسة علاوة إضافية ، تقدر بخمس المرتب (١) .

وللمدرسة إدارة خاصة ، تعتبر أورطة بالجيش (٢) . وقد أدت خدمات جليلة ، إذ كان القليل من ضباط الصف والجنود ممن يعرفون القراءة والكتابة ، فاستطاعت تعليم ١٥٠٠ من الجاويشية والأونباشية القراءة والكتابة ومبادىء أعمال مسك الدفاتر .

مدارس الالايات

بدأ الاهتمام بهذه المدراس منذ عهد محمد على ، وكان الغرض من إنشائها ، تثقيف ضباط الجيش ممن لم يتخرجوا من المدارس الحربية ، حتى يستطيع بذلك أن يقلل من فروق الثقافة العسكرية بينهم وبين ضباط الجيش الآخرين ، من خريجى المدارس الحربية ، خصوصا إذا علمنا أن « من هؤلاء الضباط أفراد بلغوا رتبة (الميرمران) ولكنهم يجهلون القراءة والكتابة والفنون العسكرية (٣) » . هذا فضلا عن المدارس التى ألحقت بفرق الجيش لتعليم الجنود القراءة والكتابة والحساب .

وقد سارت الحكومة المصرية فى عهد الخديو اسماعيل فى نفس الطريق ، فأنشأ مدارس للآلايات « يدرس بها الضباط القوانين والتعليمات العسكرية (٤) » .

(١) المصدر السابق
(٢) المصدر السابق
(٣) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٩١ .
(٤) حقائق الاخبار ، ج ٢ ص ٨ ٣ .

ولم تقتصر برامج التعليم على الفنون العسكرية فحسب ، بل « ألزم كل من لم يكن منهم يعرف الكتابة بتعلمها (١) » . واهتمت نظارة الحربية بتدريس العلوم الرياضية ، وخصوصا الهندسة والحساب ، وكذلك الجغرافيا المختصرة « لتعليم من ليس لهم معرفة بذلك فى الآلايات (٢) » وبدأ الضباط الجنود بتعلم القراءة والكتابة أولا ، ثم « يصير إدخالهم فى تعليم الحساب (٣) » . وكان يصرف لكل فرد منهم قلم للكتابة (٤) . وأمد على مبارك (بك) هـذه المدارس بالكتب اللازمة ، وعين لها مفتشين للمرور عليها « مرة كل اسبوعين (٥) » . وقد خصصت المدرسة معلما واحدا ، « من الذين يجيدون الخط وفيهم كفاءة ، ولهم دارية بتعلم الكتابة والقراءة لكل ستين جنديا من الذين يرغبون فى القراءة والكتابة (٦) » . وكان هذا المعلم يتقاضى مرتبا شهريا قدره ١٥٠ قرشا . ونظرا لضآلة المرتب ، رفع هؤلاء المدرسون عقيرتهم بالشكوى للحكومة فأمرت بزيادة المرتب إلى ٥٢٠

---

(١) المصدر السابق

(٢) محفظة ٤٣ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٣٤ من شاهين كنج ناظر الجهادية إلى مهردار حضرة الخديو بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٢٨٥ .

(٣) دفتر رقم ١٥١٦ ج ٤ صادر مكاتبة رقم ١٠٢٥ ص ٨١ من ديوان عموم الجهادية إلى الإلايات المستجدة بتاريخ جمادى الأخرة سنة ١٢٨٩ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) محفظة ٤٣ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٣٤ من شاهين كنج إلى مهردار الخديو بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٢٨٥ .

(٦) دفتر ٣٥٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٤ ص ٣٠ أمر إلى ناظر الجهادية اسماعيل بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ وأمين سامى . تقويم النيل . المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٤٨ (إرادة لاسماعيل باشا ناظر الجهادية فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٠) .

قرشا شهرياً (١) . وكان يجرى الامتحان بها « مرة كل ستة أشهر (٢) » .

وقد شجع الخديو اسماعيل التلاميذ والمدرسين على السواء بمكافآت ماليـة « لمن يتقدم منهم فى ذلك ، وكذا لكل من يؤلف أو يترجم كتبا عسكرية (٣) ». وكان من أثر التشجيع أن « أقدم الضابط على التأليف والترجمة (٤) » .

وكانت ترسل الالايات تقارير شاملة عن حالة التعليم وبيان عدد المتعلمين فى فى مختلف وحدات الجيش إلى ديوان الجهاديه . وفيما يلى بيان (٥) بعدد المتعلمين بالفرقة الأولى بيادة ، ننقله عن أحد التقارير :

ضابط	صف ضابط	عسكرى	
٨	٧	—	فى الفصل الأول فى المقال الأول فى مبادىء الهندسة
٢٢	١١	—	فى الحرف الأول اسمه الحساب (هكذا)
٤٢	١٨	٧	فى القراية (هكذا) والكتابة

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) محفظة رقم ٤٣ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٣٤ من شاهين كنج إلى مهردار الخديو فى ٩ ربيع الأول ١٢٨٥)

(٣) حقائق الأخبار جـ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) دفتر رقم ١٠١٦ جـ ٤ صادر مكاتبة رقـم ٥٥٢ جـ ٤ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى الالايات المستجدة بتاريخ ١٨ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٩ .

ضابط	صف ضابط	عسكرى	
٣	٢١	٤٤	فى تجمع الكلمات
١	٥	٢٢	فى النهجى (هكذا)

وقد أدت هذه المدارس خدمات جليلة ، إذ قامت بنشاط علمى ملحوظ بين صفوف الجيش ، فشاركت بنصيبها فى التعليم إلى جانب المدارس الحربية الأخرى . ولكن مما يؤسف له ، أن هذه المدارس أغلقت فى سنة ١٨٧٨ ، بناء على توصية لجنة المراقبة المالية ، بحجة الاقتصاد فى المالية المصرية .

مدارس حربية أخرى

ظهرت فى ذلك العصر مدارس حربية أخرى ، منها «مدرسة العمليات التابعة للجهادية (١) » وأطلق عليها كذلك « فرقة العمليات الجهادية (٢) » و «العمليات التابعة للجهادية (٣)» . أنشئت فى يناير سنة ١٨٦٨ (١٢٨٥) (٤) ، وأعدت « لتخريج صناع الأشغال اليدوية (٥) » لإنتاج ما يحتاج اليه الجيش من مهمات . وقد كانت هذه المدرسة قائمة فى عصر محمد على . فيذكر أمين سامى بأن عدد تلاميذها فى سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥) بلغ ٢٩ تلميذا . وعدد مدرسيها

---

(١) التعليم فى مصر ص ٢٠
(٢) تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٩٠٨ .
(٣) التعليم فى مصر . القسم الثانى من الملحقات ص ١٠
(٤) تقويم النيل . المجلد الثانى (ج ٣) ص ٨٠٦
(٥) المصدر السابق .

أربعه ، وميزانيتها ٦٧٨ جنيه و ٦٤٠ مليم . . وكان يدرس بها كثير من الصناعات كالخراطة والبرادة والحدادة والنجارة وأشغال البواخر وبعض العلوم كالكيمياء والميكانيكا (١) . . ولم يكن انتاجها مقصورا على الجيش ، بل كانت تمد إدارة الحكومة المصرية الأخرى بما تحتاج اليه من أدوات ، ويظل تلامذتها المتقدمون يمارسون صناعتهم بها حتى بعد إتمام تعليمهم إلى أن تدعو الحاجة اليهم بالمصالح الأخرى (٢) .

عدد التلاميذ

تراوح عدد التلاميذ بين ٢٠ و ٢٨ تلميذا . وفيما يلى بيان بعددهم منذ إنشائها سنة ١٨٦٨ إلى أن الغيت فى سنة ١٨٧٢ (٣) :

سنة	١٨٦٧	٦٩	٧٠	٧١
عدد	٢٨	(٤) ٢٨	٢٠	٠

(١) التعليم فى مصر ص ١٠

(٢) تاريخ التعليم (عصر محمد على) ص ٣٨١

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٢ .

(4) Abdin. Amr. Vol.5 enclosure in despt. No. 145, 13 Feb 1869 ·

وجاء بهذه الوثيقة أن عدد تلاميذ المدرسة فى سنة ١٨٦٨ بلغ ٢٦ تلميذا .

وظلت هذه المدرسة تمد وحدات الجيش بالأيدى العاملة زهاء خمس سنوات إلى أن الغيت فى سنة ١٨٧٢ .

وجدت مدرسة أخرى كان يطلق عليها اسم «مدرسة الجبه جيه(١)، (مدرسة الذخيرة) . والغرض من إنشائها تخريج معلمين يقومون بتعليم الصف ضباط بالآلاى كيفية وضع الدانات وترتيبها بالصناديق الجبه جيه حسب الأصول(٢).. ويؤدى التلاميذ إمتحانا عمليا ويرق الناجحون منهم إلى رتبة الأسبران ، ثم يلحقون بالجيش حيث يقومون بتعليم الجبه جية (صانعى الذخيرة) مايلزمهم فى هذه الصناعة (٣) .

كذلك قامت مدارس أخرى ، منهـــا مدرسة لتعليم التلغرافات العسكرية ومدرسة للاشارة (٤) . وجميع هـــذه المدارس كانت تابعة لديوان الجهادية .

---

(١) دفتر ١٥١٤ صادر من ديوان الجهادية . وثيقة تركية رقم ٢٩٤ ص ١٣٠ من ديوان الجهادية إلى ٢ طوبجية بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ١٥١٤ صادر من ديوان الجهادية مكاتبة تركى رقم ٢٩٤ ص ١٣٠ إلى ٢ جى طوبجية فى ٨ محرم سنة ١٢٨٩ .

(٤) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢

سجن المدارس الحربية

وللدارس الحربيـة سجن خاص يزج فيه كل من يتطـاول على رؤسائه أو يهرب من المدرسة الحربيـــة ، أى كل من لا يصلح « لأن يـكون من زمرة التلامذة بالمدارس الحربية (١) » . وكان يفصل من المدرسة كل تلميـذ يتـكرر هروبه منها (٢) .

مستشفى المدارس الحربية

أنشىء هذا المستشفى بالعباسية فى ابريل سنة ١٨٦٤ وسمى بمستشفى المدارس الملكية والجهـادية (٣) . ومن هذه التسمية ندرك أن المستشفى لم يقصر على المدارس الحربيـة فقط ، بل شمل المدارس الملكية أيضا . وقسم المستشفى إلى قسمين : قسم خاص لمعالجة تلامذة الملكية وكان له طبيبه الخاص، والقسم الآخر خصص لمعـالجة تلامذة المدارس الحربية ، وتولى الطبيب نافع (افندى) صوالى عيادة المدارس الجهادية (٤) .

ادارة المستشفى

قام شريف (باشا) مدير ديوان المـدارس فى ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) بتعيين ناظر لمستشفى المدارس « برتبة اليوزباشى (نقيب) مع إبقاء

---

(١) دفتر ١٨٧٥ ج ٢ صـــادر ديوان الجهادية وثيقة رقـم ٨٣٩ ص ١٩ إلى المدارس العربية فى ٢٦ ربيع الاخرة سنة ١٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق

(٣) أمين سامى ، التعليم فى مصر ص ١٨

(٤) المصدر السابق .

الناظر الحالى الذى لايعرف القراءة والكتابة بوظيفة مساعد الناظر (١)». وفى ٥ محرم سنة ١٢٨٢ (أواخر مايوسنة ١٨٦٥) تولى الصاغقول أغاسى (الرائد) محمود (افندى) سليمان وظيفة ناظر المستشفى وحسين (افندى) البرديني صيدليا به ، وعين له كتبه وأمين مخزن وتمرجيه (٢) (ممرضين) . كذلك شغل لامنتير (بك) وظيفة « حكيمباشى للمدارس بمرتب ٨٠ جنيها فى الشهر ، وأن يكون رئيسا للمستشفى (٣) » . وضم المستشفى ٤٠٠ سرير . وكان النظام « على أكمل ما يكون والنظافة به بالغة منتهاها ، واستمر هذا النظام المحكم مرعيا إلى أن نقلت المدارس من العباسية إلى القاهرة فى يناير سنة ١٨٦٨ (٤)».

ادارة المدارس الحربية

قامت الحكومة المصرية بإنشاء هذه الادارة فى ١٠ المحرم سنة ١٢٨١ (مايو سنة ١٨٦٤) (٥) . وكان الغرض من إنشائها تنسيق الاشراف على المدارس الحربية المختلفة وإخضاعها جميعا لسياسة واحدة . وتتكون الادارة من :

١. ناظر المدارس الحربية

---

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) أمر رقم ١ ص ١٧ إلى شريف فى جمادى أول سنة ١٢٨١

(٢) التعليم فى مصر ص ١٨ .

(3) Notes sur l'Armée Egyptienne .

(٤) التعليم فى مصر ص ١٨ .

(٥) محفظة ٧ جهادية وثيقة تركية رقم ١٠ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٠ محرم ١٢٨١ .

٢٠ وكيل إدارة المدارس الحربية

٣٠ مأمور إدارة المدارس الحربية

٤٠ مأمور دروس المدارس الحربية

١ - ناظر المدارس الحربية

أول من عين فى هـــذا المنصب سليم (باشا) الجزايرلى فى ١٠ محرم سنة (مايو ١٨٦٤) ، ومكث بها بضع شهور ثم خلفه أركان حرب ميرشير فى فبراير سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٦٩ حيث عاد إلى فرنسا . ويذكر سرهنك أنه مكث بهـــا من سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٧١ (١) . فاقترح الجنرال Coudl Tevis ؟ ناظرا للمدارس الحربية برتبة قائد فرقة (٢) . الاقتراح لم يلق قبولا لدى الناظر فعين الجنرال كارول نونسى برتبة اللواء فى أوائل سنة ١٨٧٣ . ظل بهذا المنصب خمسة أشهر الى مايو ١٨٧٣ (٣) . وتسكت المصادر سكوتا تاماً عن ذكر من خلفه فى هذا المنصب .

قام ميرشير بمهام منصبه الجـــديد خير قيام فى أثناء نظارته لمدرسة

---

(٣) حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٣٠٧ حاشية .

(4) Abdin. Čorrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à Ministre de la guerre, en 8 Jan. 1873

(٥) تاريخ التعلـــيم (عصر إسماعيل) جـ ٢ ص ٦٢٨ . ويذكر سرهنك فى المصدر السابق ص ٣٠٧ بأن الجنرال نسى مكث بها من ١٨٧٢ إلى ١٨٧٣ ولكنه يغفل ذكر من خلفه وكذلك الدكتور أحمد عزت عبد الكريم .

أركان حرب . فعكف على وضع واختيار الكتب الدراسية اللازمة للمدارس الحربيـــة وإصدار الجريدة العسكرية المصرية . أى أنه اختص بالناحية الفنية .

٢ - وكيل ادارة المدارس

عين الصاغقول (الرائد) عبد الرحمن (افندى) على وكيلا فى أكتوبر سنة ١٨٦٥ ، ويذكره سرهنك باسم «عبد الرحمن ذهنى» وشغل هذا المنصب من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٦٧ (٢) . ثم خلفه سليمان نجاتى (بك) من سبتمبر ١٨٦٧ إلى أكتوبر ١٨٧٠ .

٣ - مأمور ادارة المدرسة

اختص مأمور الادارة بالناحية الادارية للمدارس، وتولى هذا المنصب سليمان (بك) نجاتى من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٦٧ (٣) ثم خلفه ياور (بك) من سنة ١٨٧٣ إلى ١٨٧٤ (٤) ثم أعيد نجاتى (بك) لادارتها مرة أخرى من ١٨٧٤ إلى ١٨٧٦ (٥) . ويذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بأنه ظـــل مأمورا

---

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٣٦

(٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) المصدر السابق . وتاريخ التعليم «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٢٨

(٤) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٧ ويختلف معه أمين سامى فى كتابه التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠٢ إذ يذكر أن ياور بك كان مأمورا من أكتوبر سنة ١٨٧٣ إلى يناير سنة ١٨٧٠

(٥) حقائق الأخبار ج ٢ص ٣٠٧ .

لادارتها حتى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ (١) .

٤ ـ مأمور دروس المدارس الحربية

أول من عين فى هذا المنصب على ابراهيم (بك) ثم أعقبه سليمان نجاتى (بك) وأنشئت هذه الوظيفة ، عندما خلا منصب ناظر المدارس الحربية بعد رحيل مرشير بك إلى فرنسا(٢) .

ومما يلاحظ على إدارة المدارس الحربية أنها أنشئت فى ١٠ محرم سنة ١٢٨١ (مايو ١٨٦٤) (٣) ، ثم ألحقت بديوان المدارس فى ١٤ شعبان سنة ١٢٨١ (أوائل سنة ١٨٦٥) . وظلت تابعة له إلى ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) ، رغم تبعية المدارس الحربية لديوان الجهادية من ٧ رمضان سنة ١٢٨٠ (فبراير ١٨٦٤) . وبقيت إدارة المدارس الحربية مفصولة عن ديوان الجهادية والمدارس الحربية التابعة له ما يقرب من خمس سنوات . ولم يكن لهذا الفصل ما يبرره ، بل كان من نتيجته إضاعة الوقت والجهد الكبير فى المكاتبات المختلفة بين ديوانى المدارس والجهادية بشأن المدارس الحربية .

---

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣٠ .

(٣) محفظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ١٠ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية فى ١٠ محرم ١٢٨١ ودفتر ٥٣٩ (معية تركى) وثيقة ٦٢ ص ١٠٦ امر الى اسماعيل ناظر الجهادية فى ١٠ محرم ١٢٨١

(٤) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٣٥ .

تنظيمات (ترتيبات) المدارس الحربية

وضع للمدارس الحربية فى عصر اسماعيل تنظيمان (ترتيبان) . وكان الغرض منها رفع مستوى تلك المدارس فى حدود الميزانية المعتمدة لهـــا . وهذان الترتيبان هما :

ترتيبنامـة سنة ١٨٦٥ وقد وضعه ديوان المـدارس فى أوائل سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) . وترتيب ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) ، وقام بوضعه ديوان الجهادية .

أما عن الترتيب الأول فقد قسم المدرسة الحربية (فى أوائل عصر اسماعيل) إلى مدارس ـ المشاة ، والفرسان ، والمدفعيـة ، والهندسة العسكرية ، وأركان حرب . وكان لكل منها إدارة خاصة ، وميزانية مستقلة عن غيرها من المدارس. أى أن هذا الترتيب قد وضع الحجر الأسـاسى فى نشأة هذه المدارس ، ورسم السياسة التى تسير عليها فى المستقبل :

أما بخصوص الترتيب الثانى فقد أنقص ميزانية المدارس الحربية الثانوية
قرشاً جنيها
بمصروفاتها ومرتبـات مستخدميها من ٢٦ ٤٥ ٤٨ر٦١٨ إلى
قرشاً جنيها
٢ ٤٤ ٣٠ر٧٧٥ (1) . وكان لمدرسة المشاة نصيب الأسد من هـذا
قرشاً جنيهاً
الاعتماد ، إذ بلغت ميزانيتها وحدها ٣٨ ٧ ١٤ر٦٢٧ .

---

(١) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٣٥ .
(٢) المصدر السابق .

المقترحات التي وضعت بشأن المدارس الحربية

منذ أن عين الجنرال استون رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش المصرى فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ (١)، أخذ يوالى المدارس الحربية اهتماما كبيرا، ويعمل على رفع مستواها بصفته المفتش العام لها (٢). فتقدم إلى الخديو اسماعيل بمشروعات عديدة، كان الغرض منها الوصول بهذه المدارس إلى مصاف المدارس الحربية الأوربية. وفى هذه المقترحات وضع الجنرال استون خلاصة خبرته الطويلة كرجل من رجال الحرب البارزين. ومن بينها اقتراح (٣) يرمى إلى جمع المدارس الحربية جميعها فى مدرسة حربية واحدة. وكان يرمى من وراء ذلك إلى سهولة إدارة المدارس الحربية وتوثيق الصلة بينها، والاقتصاد فى النفقات المالية، وخصوصا بعد أن تراكمت الديون على الخزانة المصرية. وكذلك لإمكان تدريس علوم الأسلحة الحربيه الثلاثة لجميع التلاميذ على السواء. على أن ينتخب لكل سلاح من هذه الأسلحة الضباط الذين يظهرون نبوغا ملحوظا فى مادته.

ويتلخص المشروع أو (الاقتراح) فيما يلى:

أولا — إنشاء مدرسة حربية واحدة قوامها ٤٠٠ تلميذ وتضم جميع المدارس الحربية المختلفة.

---

(1) Abdin. Amr. Vol. No 6 enclosure in despt. No. 3 Butler to Fish dated 4 June, 1870.

(2) Abdin Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à Ministre de la guerre, en 23, Mai, 1872.

(3) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Cen. Stone à Son Altesse Le Khedive, sans date.

ثانيا - يجب أن تتوافر فى كل تلميذ يرغب الالتحاق بها شروطا معينة ؛ من حالة صحية جيــــدة وسن تتراوح بين ١٤ ، ٢٠ عاما . على أن يلحق هؤلاء بالمدرسة الحربية برتبة أسبران ، حيث يمكثون بها أربع سنوات يمنح المتخرج فى نهايتها رتبة الملازم الثانى .

ثالثا - أما عن التمرينات العسكرية فقد روعى فيها تقسيم التلاميذ إلى ثمـانية بلوكات ، ويتـكون البلوك (فرقة) من :

يوزباشى (نقيب) (تلميذ برتبة أسبران)	يختـارهم قومندان الفصل (الفرقة) الأول لمعلوماتهم وخصالهم العسكرية
ملازم أول (« « «)	
ملازم ثانى (« « «)	
وباشجاويش ، رقيب أول ، (تلميذ برتبة أسبران)	يختارهم قائد الفصل الثانى
وأربعة جاويشية ، رقيب ، (تلاميذ « «)	
ستة جاويشية ، رقيب ، (« « «)	يختارهم قائد الفصل الثالث
٣٦ نفـــرا (« « «)	جميع التلاميذ الذين لم يختاروا ضباطا أو صف ضباط .

على أن يكون هذا الاختيار تبعا للتفوق العلمى فى الدراسة ، وألا يصحبه أية زيادة فى المرتب بل يكون ذلك بصفة فخرية .

رابعا - يرأس المدرسة ناظر برتبة فريق يكون مسئولا أمام الخديو وناظر الجهادية ، ويرأس سلاح الأسبرانات ضابط برتبة أميرالاى (عميد) . ولكل

فرقة قائد مسئول عن تعليمها وتدريبها . وجميع هؤلاء القواد مسئولون أمام ناظر المدرسة ، ويستبدلون كل عامين على الأقل .

خامساً - يطبق على التلاميذ التعليمات العسكرية الدقيقة ، ولا يسمح لهم بالزواج أثناء الدراسة .

سادسا - يعين للمدرسة - بصفة مستديمة - إثنا عشر مدرسا للتدريس بها ، وينتدب أربعة ملمون بالشئون العسكرية من ضباط الجيش لمدة سنتين ؛ أحدهما من سلاح المهندسين لتعليم فن الهندسة العسكرية ، والثانى لتعليم فن الإشارة والتلغراف ، والثالث لتعليم قواعد الفروسية ، والرابع لتعليم فن المبارزة والرياضة البدنية.

سابعا - أن يكون للمدرسة هيئة أركان حرب تتكون من سبعة ضباط يمثلون الناحيه الإدارية والطبية ويرأسهم ناظر المدرسة .

ثامنا - يعين خريجو المدرسة الحاصلون على درجة امتياز فى وظيفة معيد ، ويضاف إلى مرتباتهم جنيهان أو ثلاثة على سبيل التشجيع .

تاسعا - ويشتمل على بيان لمواد الدراسة بالسنوات الأربع . وكانت تقسم التلاميذ إلى مجاميع صغيرة كل مجموعة تتكون من ٦ إلى ١٥ تلميذا، وكان لكل قسم أستاذ خاص يقيم فى حجرة خاصة به . على أن يدون هذا الأستاذ تقريرا يوميا بالدرجات التى حصل عليها كل تلميذ فى دروسه المختلفة . وترتب الدرجات على النحو الآتى :

مرتبة		درجة
ممتاز	Parfaite	٣
جيد جدا	très Bonne	٢ ٣/٤
جيد	Bonne	٢ ١/٢
مقبول	Passable	٢ ١/٢
ضعيف	Indifferente	٢
ردىء	Mauvaise	١ ٣/٤ أو ١ ١/٢
ردىء جدا	Pire encore	١ أو ١/٢
راسب	Manque	صفر

على أن تجمع هذه التقارير كل أسبوع ، وعلى أساسها يرتفع أو ينخفض مركز التلميذ فى الفصل .

عاشرا ـ يعقد امتحان عام لكل الأقسام كل ستة شهور . ويكون لنتيجة امتحان نصف السنة تأثير على نتيجة التلميذ العامة فى نهاية السنة. على أن تخصص درجات لكل خطأ يرتكبه التلميذ ـ فمثلا إذا تأخر التلميذ عن تلبية النداء تحسب عليه ٣ درجات ، إذا خالف أمر رئيسه تحسب عليه ١٠ درجات ، وهكذا . وهذه الدرجات تخصم من درجات التلميذ التى يحصل عليها فى دروسه .

الحادى عشر ـ وفى نهاية الأربع سنوات ، يختار لكل سلاح من أسلحة الجيش من يصلح له من التلاميذ . وتتأثر مرتبة نجاح كل تلميذ على مايحوزه من أصوات أعضاء هيئة التدريس، مراعين فى ذلك درجاته فى التلاوة ، ومعلوماته التى يظهرها فى الإمتحان.

الثانى عشر ـ وأشار الجنرال استون فى نهاية مشروعه (اقتراحه) بضرورة

إقامة مرصد بجوار القاهرة ، لأن جوهـا أفضل أجواء العالم (هكـذا) على أن يقضى فيه كل تلميذ بعض الليالى للتمرين على إستعمال أجهزته وآلاته . ويفيد هذا التمرين التلميذ عند إلتحاقه بالجيش وقيامه بالخدمة فى الريف المصرى، إذ سيمكنه من الإستفادة مما حوله دون الالتجاء إلى خبير فى الأرصاد الجوية لمعاونته .

اللائحة العامة للمدرسة الحربية

فى ٢٢ مايو سنة ١٨٧٢ تقدم الجنرال أستون إلى الخديو بلائحة (١) عامة للمدرسة الحربية التى اقترح إنشاءها . وتستهل اللائحة ببيان إختصاصات رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى بصفته المفتش العام للمدرسة الحربية ، ويستغرق هذا البيـــان البند الأول . ومن البند الثانى إلى البند السادس عشر ذكر لاختصاصات ناظر المدرسة الحربية ، وضباط المدرسة ، ووكيلها، وأمين الخزينة (الصندوق) ، والخزنجى بها ومدى سلطة كل منهم .

من البند السابع عشر إلى البند العشرين تتعرض اللائحة لشروط الالتحاق بالمدرسة الحربية . وتعالج اللائحة كل هذه الموضوعات فى المادة الأولى.

أما المادة الثانية تشتمل على البنود من ٢١ إلى ٣٧ ، ويتناول الجنرال إستون منهج الدراسة والمواد التى تدرس بها بالبحث ، كالتكتيك الحربى لسلاح المشاة والفرسان، والمدفعية ، والرياضيات، والهندسة ، والميكانيكا ، والصوت والضوء والقوانين الحربية ... وقسمت العلوم على خمس سنوات مع بيان مفصل للمواد التى تدرس كل سنة .

---

1 - Abdin, Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à Son Altesse Le Khedive en 22 Mai , 1872.

وفى البندين ٣٩ ، ٤٠ يعرض للأجازة السنوية، وما يجب القيام به فى أثنائها. وفى البند رقم ٤١ يأتى بأنموذج للجدول اليومى لتلاميذ السنوات الخمس ، وتوزيع فترات العمل والراحة ، مبتدئا من الاستيقاظ صباحا إلى الساعة العاشرة مساء ، حيث يأوون إلى فراشهم .

وعند التخرج يكون لمجلس المدرسة الحربية الحق فى توزيع الخريجين على فرق الجيش المختلفة، مراعياً فى ذلك صلاحية كل خريج للفرقة التى يلتحق بها. وفى البندين ٤٨ و٤٩ يوضح المهمة الملقاة على عاتق أستاذ كل مادة واهتمامه بتقديم التقارير اليومية عن مدى تقدم التلاميذ فى الدراسة. وبالبند ٤٩ أنموذج للتقرير الأسبوعى الذى يرفعه مدرس المادة إلى أستاذ القسم . وهذا يرسله بدوره إلى ناظر المدرسة ومنه إلى مفتش الحربية .

وفى البنـــود من ٥١ إلى ٦٩ يعرض لمشكلة الامتحـان وإجراءاته والهيئات التى تشرف عليه . ويعالج فى البندين ٦٠ و ٦١ عدد المخالفـات التى لايسمح لأى تلميـذ أن يتجاوزها وألا تعرض للفصل . وفى البنـود من ٦٩ إلى ٧٤ يوضح الناحية المالية ـ مثل القروض التى تمنح للتلاميذ وكيفية سدادها . ومن البند ٧٥ إلى ١٠٠ يبين بوضوح قوانين النظام Dicipline بالمدرسة ، وتقسيم العقوبات حسب المخالفات التى يرتكبها كل تلميذ. ثم يتعرض للمخالفات المحظور ارتكابها وعقوبة كل منها .

ومن البند ١٠١ إلى ١٠٨ يتناول مكتبة المدرسة الحربية بالبحث ، ويبين عدد موظفيها ، وكيفية إعارة الكتب ومدة الإعارة . وتتفق لائحـة المكتبة مع أحدث النظم المتبعة حديثاً .

وفى ختام اللائحة يرجو الجنرال استون أن تحوز رضاء الخـديو اسماعيل

فيوافق عليها . ولكن مشروع إنشاء مدرسة حربية واحدة تضم جميع المدارس الحربية لم يتحقق إلا فى أوائل عصر الخديو توفيق ، إذ افتتحت هـذه المدرسة أبوابها فى ابريل سنة ١٨٧٩ . ويغلب على الظن أن لائحة هذه المدرسة قد اقتبست بعض المواد عن اللائحة التى وضعها الجنرال استون فى ٢٢ مايو سنة ١٨٧٢ ، لأن الجنرال استون كان لايزال يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى فى تلك الفترة .

ومن المقترحات التى قدمت بشأن المدارس الحربية . اقتراح قدمه الجنرال استون خاص باستغلال فترة الأجازة السنوية للتلاميذ والتى تبدأ من اليوم التاسع عشر من شعبان تقريباً إلى نهاية الأسبوع الأول من شهر شوال (١) . فيرى الجنرال استون ضرورة الاستفادة منها فى القيام برحلة عسكرية داخل القطر تستغرق شهرا على الأقل . على ألا يسمح فى أثنائها للتلاميذ بزيارة منازل أقربائهم (٢) . والغرض منها الوقوف على الحيـــاة بالريف ، لاكتساب المعلومات عن موارد بلادهم من ناحية المؤن والعلف والثروة الحيوانية . أى كل ما يتعلق بالخدمات العسكرية (٣) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالمتاعب التى يلاقيها التلاميذ أثناء السفر تتفق وطبيعة الحياة العسكرية . وقد وافق الخديو على هذا الاقتراح فى ٢٤ صفر سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) (٤) .

---

(1) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen Stone à Ministre de la guerre en. 17 Aut 1871.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) محفظة ١٠ (جهادية) وثيقة عربية رقم ١٠٥ أمر إلى ديوان الجهادية فى ٢٤ صفر ١٢٨٨ .

كذلك أبديت رغبة فى إنشاء مدرسة حربية برأس الوادى وكلف الجنرال أستون بوضع تقرير عن مقدار صلاحية البناء الموجود بها والذى كان مقررا لسكنى فرقة كاملة وألف جندى من الفرســـان ، وكذلك الاصطبلات اللازمة لخيولهم (١) . فقدم الجنرال استون تقريره فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٩ أوضح فيه إمكان إدخال بعض التعديلات فى هـذا البناء لجعله مسكنـا ملائما لأربعمائة تلميذ (٢) . وقدرت نفقات المبانى اللازمة لهذا المشروع بمبلغ (٣) ٧٧٥ مليم و١١ جنيه . ولم نعثر على وثائق تدل على إنشاء هـذه المدرسة وأغلب الظن أن هذا الاقتراح ظل حبرا على ورق ولم يخرج إلى حيز الوجود .

ومن المقترحات أيضاً اقتراح (٤) بانشاء مدرســـة للفروسية Ecole d'Equitation تقدم به اثنان من الضباط البروسيين ، وهما شريدر Schrader وفون دراوستن Von Der Osten إلى الخـــديو فى فبراير سنة ١٨٧٢ . ويرمى الاقتراح إلى تأسيس مدرسة تقوم على التنظيمات الحربية البروسية . أى على طراز معهد Institut I,et R. de Cavalerie بمدينة هانوفر . وقد استهلا مذكرتها ببيان أهمية سلاح الفرسان فى الحروب الحديثة ، ومقدار العناية التى

---

(1) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Gen. Stone à Ministre de la guerre, en 14 Nov. 1871.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(4) Abdin. Corrsp. fran. Doss. No. 50/5 Von. Der Osten & Schrader à Son Altesse Ismail Pacha en Fev. 1872.

يلاقيها فى الدول الأوربية الحديثة . ثم يعرضان خدماتهما على الخديو بصفتهما من رجال الحرب الذين مارسوا هذه المهنة مدة طويلة ، ويشيدان بوفرة المادة الخام التى تمتلكها مصر من الفرسان . ومهمة هذه المدرسة تخريج فرسان مدربين أحسن تدريب ، وعلى أحدث الأساليب الحديثة. وإلى جانب هذا ستهتم المدرسة باستيراد أجود أنواع الخيول وتوحيد النوع المستعمل منها فى الجيش ، وذلك ليتوفر للجيش جودة الفرسان والخيول . هذا فضلا عما تقوم به المدرسة من تعليم الفرسان كل ما يتصل بفن الفروسية من صناعة السروج والأطقم وفن البيطرة ... واقترحا أن تكون مدة الدراسة من ٨ إلى ٩ أشهر (من أول أكتوبر إلى أول نوفمبر) ، على أن تقوم المدرسة بتعليم ١٢ ضابطا و١٥ صف ضابط و ٧٠ فارساً وطوبجيا و ١٢٥ جوادا . ثم يتولى الخريجون تعليم زملائهم بالفرق المختلفة . وبناء على هذا التقدير يتوقع الضابطان البروسيان أن يتخرج من المدرسة بعد عشر سنوات ١٢٠ ضابط و ١٥٠ صف ضابط و ٧٠٠ فارس وطوبجى و ١٢٥٠ جوادا . ثم يتعرض الاقتراح لمواد الدراسة، ونجملها فيما يلى: فن ركوب الخيل ، التمرين على الاقدام وعلى الحصان ، الخدمة العسكرية نظرياً وعملياً ، استعمال الاسلحة ، الخدمة وواجبات الجنود . ويكلف الضباط والصف ضباط الذين يظهرون نبوغا ملحوظاً بتلقى علوم إضافية .

ولما أبطأ الخديو إسماعيل فى تنفيذ المشروع اتصل الضابطان البروسيان بأحد الافراد ويدعى جسموند Jasmund وكان صديقاً للخديو ليتولى معرفة رأيه فى الاقتراح . فبعث جسموند بخطاب (١) الى الخديو فى ١٦ مارس

(1) Abdin Corssp. Fran. Dossier No. 50/5 Jasmund à Son Altesse Le Khedive Ismail en 13, Mars, 1872.

سنة ١٨٧٢ يذكره باقتراح الضابطين المذكورين ، ويستفسر منـــه عما يجب عمله بشأنهما . فهل يظلا بمصر فى انتظار تنفيذ المشروع أم يرجعـا إلى وطنهما ؟ وفى ختام الخطاب يرجو الخديو بأن يشمل المشـروع بعطفه ورعايته لفـائدته المحققة للجيش . ولـكن هذه المدرسة أيضا لم تظهر إلى حيز الوجـــود ، لأن المشروع لم يأت فى الوقت المناسب، فاضطراب الحالة المالية فى أواخر عهد اسماعيل حال دون تحقيق الـكثير من المشروعات النافعة .

ملاحظات عامة عن المدارس الحربية

إذا تتبعنا حركة إنشاء المدارس الحربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وجدنا أنها عبارة عن حركة لاستعادة فتح المدارس الحربية التى أنشئت فى النصف الأول منه. أى أنه يمكننا القول بأن هذه الحركة هى امتداد لحركة إنشاء المدارس الحربية فى عصر محمد على . فمن حيث النظام والتنسيق نجد أن المدارس الحربية فى النصف الثانى من القرن الماضى قد نظمت على نمط المدارس الحربية الفرنسية (١) . وكذلك كانت الحال بالنسبة للدارس الحربية فى النصف الأول منه مع اختلاف جوهرى ، هو أن المدارس الحربية فى النصف الثانى قـــد «نظمت على أسس أكثر كفاية ومقدرة مما كانت عليه أيام محمد على»(٢).

وفيما يتعلق بعدد هذه المدارس نلاحظ أنهـا بدأت بمدرسة حربية واحـدة سنة ١٨٦٣ . أى فى السنة الأولى من حكم اسماعيل . ثم أخذ عددها يزداد شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى تسع مدارس (٣) ، فيما عـــدا مدارس الآلايات

---

(1) Notes sur l'Armée Egyptienne .

(2) Mc. Coan : Egypt as it is P. 210.

(٣) أمين سامى . التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٠ .

(اللواءات) ومدرسة الجبه جية والعمليات الحربية . واستمر هذا العدد لا يتغير حتى سنة ١٨٧٣ . ثم أخذ يقل إلى أن ألغيت جميعها فى سنة ١٨٧٩ ، وأنشىء بدلها مدرسة حربية واحدة افتتحت فى أوائل حكم الخديو توفيق سنة ١٨٧٩ . أى أن المدارس الحربية بدأت بمثل ما انتهت إليه .

ومما نلاحظه على عدد التلاميذ أنه بدأ فى الصعود منذ ولاية اسماعيل إلى أن بلغ ذروته فى سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١ ، ثم أخذ يتراجع بعد ذلك إلى أن ألغيت المدارس الحربية . وجميع هذه المدارس داخلية وبالمجان (١) . وكان تلاميذها يتقاضون مكافأة شهرية ، فيتقاضى التلميذ ٢٠ قرشا (٢) شهريا فى مدارس المدفعية والمشاة والفرسان . أما فى مدرسة أركان حرب فتقاضى التلاميذ فى بعض الأوقات ٣٠٠ قرشا شهريا . هذا عدا ما يتكلفه التلميذ من تعيينات وملابس وأدوات تعليم ... أما من ناحية التعليم فنجد أن « العلوم التى تدرس بالمدارس العسكرية تتناول كل العلوم المهمة التى تدرس فى مدارس أوربا (٣)» .

أما عن الناحية المالية فقد صحب الاتساع فى إنشاء المدارس الحربية زيادة فى النفقات لم تحتملها ميزانية البلاد . فاضطرت الحكومة الى تخفيض ميزانية

---

(١) التعليم فى فى مصر ص ٢٠ ويمتو النيل . المجلد الثانى - ج ٣ ص ٥٩٩ و ٩٤٢ و ٧٥٤ و ٨٠٦ .

(٢) محفظة ٩ (جـهادية) وثيقة رقم ٥٦ عربى أمر الى السردار فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

(٣) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٠٨

المدارس الحربيـــة فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ (أواخر سنة ١٨٦٧) مبلغ
— قرشا كيسه
٤ ٣١١ ٣٥٦٨ (أى ما يقرب من ١٨ ألف جنيه) . فأصبحت بعد
— قرشا كيسه
التخفيض ١٧ ٢٨٢ ٦٢٠١ (١) (أى ما يزيد عن ٣١ ألف جنيه(٢)) .
وفى سنة ١٨٧٣ بلغت ميزانية المدارس الحربية ونظارة الحربية ٧٠٠٠ جنيها(٣)؟
ولكننى أشك فى صحة هذا الرقم .

وقد وجهت الى المدارس الحربية بعض المآخذ ، فقد أبدى الجنرال استون امتعاضه - فى التقرير (٤) الذى رفعه الى نظارة الجهادية عن حالة الجيش المصرى عندما تولى رئاسة هيئة أركان حربه - من إلحاق التلاميذ بالمدارس الحربية قبل السن التى يظهر فيها استعدادهم وميولهم . فمن المحتمل جدا أن يجد الانسان كثيرين من تلاميذ مدرسة الفرسان أو المشاة يتخرجون منها وفى نفوسهم ميل الى المدفعية أكثر من ميلهم الى سلاح الفرسان أو المشاة والعكس صحيح .

---

(١) محفظة ٩ جهادية وثيقة رقم ٥٦ عربى فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ ودفتر رقم ٢٨٣٢ أوامر عربى صادرة لديوان الجهادية فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ .

(٢) يذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى تاريخ التعليم (عصر إسماعيل) ج ٢ ص ٦٣٦ بأن ميزانية ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ بلغت ٣٠ر٧٧٥ جنيها و ٤٤ قرشا و ١٧ مليما .

(3) Notes sur l'Amée Egyptienne.

(4) Abdin· Corrsp. Fran, Doss. No. 50/1 Organisations de l' Armée. Gen. Stone à Ministre de la guerre en 15 Decembre, 1870.

ولهذا فقد طالب بإنشاء مدرسة حربية واحدة تضم جميع الأسلحة لكى يستطيع المدرسون حينئذ أن يتعرفوا على استعداد كل تلميذ فيوجهونه الوجهة الصحيحة .

واعترض الجنرال استون كذلك على ضياع جزء كبير من السنة الدراسية بسبب العطلات والاجازات السنوية . فأوضح بأن التلاميذ يمنحون أجازة دراسية من ١٩ شعبان تقريبا إلى نهاية الأسبوع الاول من شهر شوال . أى أنهم يتغيبون عن الدراسة مدة ٤٧ يوما . يضاف اليها ٤٢ يوما يصرح للتلاميذ فيها بالخروج فى أيام الجمع و ٨ أيام أعياد ، فيبلغ بذلك مجموع أيام الغياب ٩٧ يوما فى السنة . فإذا كانت مدة الدراسة أربع سنوات بلغ مجموع أيام العطلات ٣٨٨ يوما ، أى أكثر من ربع مدة الدراسة ، يقضيها التلاميذ بعيدين عن التعاليم والنظام العسكرى . وقارن الجنرال استون بين المدارس الحربية المصرية وبين مدرسة وست بوينت West Point الأمريكية من هذه الناحية، حيث يمكث التلاميذ أربع سنوات يمنحون خلالها أجازة قدرها ٦٥ يوما، ولا يسمح للتلميذ بالتغيب يوما واحدا قبل نهاية السنة الثانية . وبهذه الطريقة تتغلغل النظم والعادات العسكرية فى نفوس الشباب . وقد أثبتت التجربة أن التلاميذ فى أيام السبت لايتابعون دروسهم بنشاط لأنهم تذوقوا طعم الحياة المدنية فى جميع أيام الجمع . كما أن الشهر الأول من العام الدراسى يضيع كله فى تذكير التلاميذ بدروس السنة الماضية ، وذلك لطول مدة الأجازة . وعلاجا لهذه الحالة طالب الجنرال استون بوقف الدروس أيام الجمع مع عدم السماح للتلاميذ بالخروج ، ويصرح فقط لحسنى السير والسلوك بالخروج يوم الجمعة

مرة واحدة فى الشهر ، على أن تقوم المدرسة برحلة عسكرية فى أنحاء القطر تستغرق الأجازة السنوية جميعها .

وتناول النقد مدرسى المدارس الحربية من المصريين ، فوصفهم الأميرلاى (العميد) داى (١) - من هيئة أركان حرب الجيش المصرى - بعدم النظام ومعاونتهم التلاميذ على التهرب من العقوبات التى تفرض عليهم ، نتيجة سوء تصرفاتهم . كما انتقد مناهج الدراسة (٢) بالمدارس الابتدائية والتجهيزية لأنها لاتنمى الناحية الجسمانية أو الخلقية ، كما أنها لا تعد التلاميذ للدراسة بالمدارس الحربية . وكذلك انتقد مبانى المدرسة الحربية فوصفها بالخلو من الذوق والراحة، إذ شيدت على سهل منبسط لاشجر فيه ، ولايوجد به ما يريح البصر أو يخفف من حدة أشعة الشمس المنعكسة من الحوائط البيضاء من الرمال الساخنة (٣) .

ولكن بالرغم مما وجه إلى المدارس الحربية من نقد ، فقد خرجت ضباطا عديدين التحقوا بمختلف أسلحة الجيش ، وقام ضباط أركان حرب « برسم الخرائط الكشافة للسودان حتى خط الاستواء وما حول بلاد الحبشة والصومال وزيلع وبربر . وفريق قام بالتدريس (٤) فى المدارس » ، والبعض

---

(1) Dye : Moslem Egypt .... P. 65 .

(٢) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٤) التعليم فى مصر ص ٣٤ و ٣٥ .

الآخر التحق بوظائف مدنية ، « وقد نبغ منهم كثيرون اشتهروا بمعـــارفهم العسكرية والهندسية. فكانوا أمهر ضباط أخرجتهم مدارس مصر الحربية(١)». ويذكرهم أمين سامى بقـــوله أنهم « رجال خدموا البلاد فى أكبر مناصبها من ذلك العهد لغاية الآن (سنة ١٩١٧) (٢)» .

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) التعليم فى مصر ص ٣٥ .

الفصل السادس

المجلات العسكرية

المجلات العسكرية

كان لابد لنشر الثقافة العسكرية بين الضباط والجنود من إصدار مجلات عسكرية يقوم بتحريرها طائفة مثقفة من ضباط الجيش المصرى . وكان هؤلاء يقومون بجمع ماينشر فى المجلات والجرائد العسكرية الأوربية من موضوعات حربية ، ثم يتولون نقلها إلى اللغة العربية ، وينشرونها على إخوانهم الضباط لإطلاعهم على أحدث التنظيمات العسكرية والإفادة منها . وكان محمد على أول من أصدر صحيفة عسكرية بمصر أسماها «الجريدة العسكرية» التى لم يكتب لها الحياة إلا فى عصره فقط ، ثم توقفت من بعده فى عصر عباس وسعيد .

وفى عصر اسماعيل قام ميرشير (بك) بإصدار هذه المجلة من جديد وسميت «الجريدة العسكرية المصرية» La Revue Militaire Egyptienne وكان ذلك فى غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ (١) (١٨٦٥) . وهى صحيفة شهرية قمرية(٢)

---

(١) الجريدة العسكرية المصرية «الجزء الأول» فى غرة جادى الثانية سنة ١٢٨٢ (السنة الأولى) . ويذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٨ بأن العدد الأول صدر فى غرة جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وهذا يخالف ماهو مدون على الجزء الأول (السنة الأولى) من هذه الجريدة . ويعززنا فى هذا الرأى ماذكره سرهنك فى كتابه حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٣٢ من أن العدد الثالث من الجريدة صدر فى غرة شعبان سنة ١٢٨٢ .

(٢) الجريدة العسكرية المصرية . الجزء الأول (السنة الاولى) فى غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ .

وتوزع على الضباط وتلامذة المدارس الحربية بالمجان (١) ، ويخصم ثمنها من ميزانية ديوان المدارس (٢) » .

ادارة تحرير الجريدة

كانت إدارة الجريدة « موكولة إلى حضـــرة ناظر عموم المدارس المصرية (٣) » وكان ميرشير (بك) يقوم بالعبء الأكبر فى تحريرها ، إذ تولى كتابتها باللغة الفرنسية ، ثم قام بنقلها إلى العربية عبد الله أبو السعود (افندى) ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس . ويبدو ذلك جليا وبصورة واضحة فى الاعداد الأولى من الجريدة ، حيث نجد جميع مقالاتها من وضع ميرشير (بك) وترجمة عبد الله أبو السعود (افندى) ، فيما عدا بعض الأعداد التى أشرف على ترجمتها رفاعة (بك) (٤) . كذلك كان مسموحا « لكل من أراد من المستخدمين الميرية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية ، وأرباب المناصب العلمية (٥) » أن ينشروا فيها مايفيد قراءها من المعلومات . أى أنها لم تكن لها الصبغة العسكرية المحضة ، ولم تكن قاصرة على رجال الجيش فقط . ولكن بالرغم من ذلك نجد أن جميع مقالات الجريدة كانت ترسل لمدير ديوان المدارس للإطلاع عليها قبل الطابع الموافقة على مايصلح منها للنشر ، واستبعاد مايرى إستبعـــاده (٦) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) أحمد عزت عبد الكريم . التعليم فى مصر . (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٧ .
(٣) سرهنك حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢ .
(٤) تاريخ التعليم فى مصر (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٦ .
(٥) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢ .
(٦) تاريخ التعليم فى مصر «عصر اسماعيل» ج ٢ ص ٦٢٦

الغرض من اصدارها

كان الغرض من إيجاد هذه الجريدة كما يذكر سرهنك هو « لتثقيف عقول الضباط ووقوفهم على المتجددات العصرية والاختراعات الحربية التي تظهر بأنحاء العالم المتمدن (١) » .

أبوابها وموضوعاتها

تبدأ الجريدة في كل عدد من أعدادها بالباب الأول وهو « الغرض المقصود من الجريدة العسكرية » . وتحت هذا العنوان تذكر إدارة الجريدة الغرض الذي ترمى اليه من إصدارها . ونظرا لأهمية ماجاء بهذا الباب رأيت أن أنقله فيما يلي :

« إن من جملة الترتيبات السديدة والتنظيمات المفيدة التي سمحت بها العواطف الرحيمة ، وجنحت اليها الطباع الكريمة بقصد .. نشــر المعارف والعلوم ، وتنوير الأذهان والفهوم في جيل الشباب الحادثين في هــذا العصر من أبناء مصر (أطال الله بقاه ورضى عنه وأرضاه) أنه قــد اقتضت مروءاته وتعلقت عنايته بأحداث هذه المجموعة العلمية الدوريه المسماة الجريدة العسكرية المصرية ، بحيث تنطبع وتنتشر بوجه الانتظام على طرف حــكومته العلية ، إذ كان الغرض الأصلي منها أن تنشر بالخصوص عــلى سائر الضباط الجهادية وضباط الصفوف بالجيوش المصرية ، وعلى تلامذة المدارس الحربية ، ولا تختص بالاشتمال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصله عند الملل المتأخرين والأمم المعاصرين فقط ، بل يندرج فيها أيضا فوائد جليلة وإرشادات جميلة مما لابد منه لكل إنسان متمدن ، ولابأس به لكل حاذق متفنن من المعارف النافعة ، والفنون المتنوعة ، مع ماينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة

(٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣١٢ .

بإدراج يوميات محصل مايحصل فى سائر أقطار الدنيـــا من الحوادث الكبيرة البوليتيقية ، أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية .

وتظهر هذه الصحيفة المنتظمة فى كل شهر مرة فهى قمرية . فكل من أراد من المستخدمين الميريه- وضباط الجيوش المصريه- وغــــيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلومـاته ، أو نادرة مقبولة من تأليفاته ، ليساعد المعتنين بها على دوام تحريرها ، ويجـاهد مع الرفقات فى سبيل العلم و المصلحة العامة على تمام تسطيرها ، فليوجه من فضله إلى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية ما استنسب إدراجه فى ضمن سطورها ، أو استصوب استيداعه فى طى منشورها ، حيث كان المعمول الأعلى على حضرته فى عموم إدارة أمورها . »

من عموم إدارة الجريدة العسكريه-

ثم يلى هـذا الباب الموضوعات الأخرى التى تبحث فى عـــلم الجغرافيا والطبيعيات . وأخيرا تختتم المجلة ببابها الأخير وهو « ملخص يوميات الوقائع السياسية والحوادث العسكريه" التى وقعت فى الشهر الماضى » . وهذا الباب عبارة عن ثبت بأهم الحوادث السياسية والعسكرية التى حدثت فى العالم أجمع .

وكان يطبع من هذه الجريدة ٥٠٠ نسخة من كل عدد بمطبعة بولاق. وتولى ميرشـير توزيعهـا على الضباط وتلامـذة المدارس الحربيـة كما سبق ذكـره . ولقد اتخذت الجريدة رموزا على سبيل الاختصار لترتيب أبحاثها . وهذه الطريقة نقلت عن الغرب فى إستعمالهم الأرقام الرومانية وفيما يلى بيانها (١) :

(١) الجريدة العسكرية . العدد الاول فى غرة جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ (السنة الاولى) حاشية ص ٦ .

المبحث (البحث)	أ بمعنى	البحث	الأول
»	ب »	»	الثانى
»	جـ »	»	الثالث
»	د »	»	الرابع
»	ى »	»	العاشر
»	أ ى »	»	الحادى عشر
»	ك »	»	العشرون
»	أ ك »	»	الحادى والعشرون

وبناء على ماتقدم يمكننا القول بأن هذه الجريدة ضمت معلومات عسكرية وغير عسكرية جنبا إلى جنب ، أى أنها لم تتسم بالصبغة العسكرية الخالصة ، فأفسحت صدرها للكتاب المصريين والأجانب على السواء . كما كانت « الخرائط التى تنشر فيها حدثا جديدا فى تاريخ الصحافة المصرية (١) » .

جريدة أركان حرب الجيش المصرى

صدرت هذه الجريدة متأخرة عن الجريدة العسكريه ، ولكنها عاصرتها ، إذ ظهر العدد الأول منها فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يوليه سنة ١٨٧٣) وذلك بعد انشاء هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وكانت هذه الجديدة أصغر حجما من زميلتها الأخرى ، إذ بلغ طولها ١٨ سم وعرضها ١٢ سم ، وتميزها عنها صبغتها الحربية المحضة . فلم تكن تنشر سوى الموضوعات العسكرية وما يدور فى ميدان الحرب فهى تعتبر بحق لسان حال هيئة أركان حرب الجيش المصرى التى تعبر عن أغراضها أصدق تعبير .

(١) كتاب « اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته » مقالة ابراهيم عبده عن الصحافة المصرية فى «عصر اسماعيل» ص ٣٦٤ .

بدىء بطباعتها فى « وادى النيل المصرية » بباب الشعرية ، استمرت الجريدة تطبع فيها سنة كاملة . وما أن بدأت السنة الثانية إلا وقد طبع الجزء الاول من المجلد الأول (السنة الثانية) بمطبعة عموم أركان حرب فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩١ (١٠ يونية سنة ١٨٧٤) .

ادارة تحرير الجريدة

كان يتولى (نظارة) تحريرها مورى (افندى) [1] بكباشى (مقدم) أركان حرب ثم خلفه عمر [2] رشدى بكباشى (مقدم) أركان حرب ، وعاونهما فى هذه المهمة نخبة من ضباط أركان حرب مثل محمد (افندى) مختار وأحمد (افندى) وعدى ، والقائمقام (عقيد) دونكر ، وعلى رأس هؤلاء الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وأغلب مقالاتها منقول عن المجلات العسكرية الأوربية . وكان يقوم بترجمتها محمد (افندى) مختار ، وأحمد (افندى) وعدى ، ويتولى تصحيح هذه الترجمة الشيخ حسن الطويل مصحح بديوان الجهادية [3] .

أبوابها وموضوعاتها

تبدأ الجريدة ببابها الأول (نمرة ١) « حوادث عسكرية شتى » ، يقوم بجمعه وترجمته عن الجرائد والمجلات العسكرية المختلفة محمد (افندى) مختار صاغقول أغاسى (رائد) أركان حرب . وهذا الباب يضم شتات الأخبار العسكرية فى شكل موجز مع الاهتمام بذكر كل مايتعلق بقوة الجيش الروسى على وجه الخصوص

---

(١) جريدة أركان حرب الجيش المصرى العدد الأول (السنة الأولى) ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يولية سنة ١٨٧٣) .

(٢) المصدر السابق الجزء الرابع من المجلد الرابع (السنة الثانية) ص ٣٣ -

(٣) جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الأولى . العدد الثالث ص ١٩١ .

وهو يشبه إلى حد ما الباب الأخير من « الجريدة العسكرية المصرية » ، وهو « ملخص يوميات الوقائع السياسية والحوادث العسكرية التى وقعت فى الشهر الماضى » إذا استثنينا ذكر الأخبار السياسية .

ثم تتوالى الأبواب وجميعها يتناول الناحية العسكرية الخالصة ، من حيث بيان قوة كل دولة أوربية ، ومقدار ما لديها من الأسلحة والعتاد ، ومدى فاعلية تلك الأسلحة . ومعظم المقالات منقول عن الجرائد الأوربية المعاصرة فى ذلك الوقت مثل « جرنال الحوادث الحربية الفرنساوية » وجريدة « الأخبار العسكرية » التى تصدر فى برلين . وقد أكثر النقل عن الجريدة الأخير بشكل ملحوظ .

ومما عينت به هذه الجريدة رسم الخرائط التفصيلية فى نهاية كل عدد من أعدادها . فنجد مثلا فى نهاية الجزء الخامس من المجلد الأول للسنة الثالثة «خريطة لحكمدارية هرر وما جاورها عملت بموجب استكشافات عملية واستعلامية لكل من محمد (افندى) مختار بكباشى (مقدم) أركان حرب وعبد الله (افندى) فوزى صاغقول أغاسى (رائد) أركان حرب فى سنة ١٨٧٦ » . وهذه الخريطة فى غاية الاتقان . وكذلك نجد خرائط تفصيلية لبعض المواقع الحربية ، ورسومات للأسلحة الجديدة مع شرح أجزاء ها وطرق استعمالها ، وأحدث أساليب الهجوم والدفاع ، والتشكيلات الحربية الحديثة ...

(١) جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثالثة . الجزء الخامس من المجلد الأول ص ٤٠٠

كذلك نلاحظ فى السنة الأولى للجريدة (١٨٧٣) كثرة الأبحاث التى كتبت عن (قوة الجيش البروسى) ، وبما يمتلكه من أسلحة حديثة . ولا غرابة فى ذلك ، خصوصا فى أعقاب حرب من الدرجة الأولى . إذ كان إنتصار الجيش البروسى فى الحرب السبعينية فرصة طيبة للناقدين العسكريين الذين أخذوا يستعرضون التكتيك الحربى البروسى ، ويبرهنون على أنه أصلح التكتيكات الحربية إذاك . فكانت الجرائد العسكرية الأوربية فى ذلك الوقت زاخرة بأمثال هذه الموضوعات التى نقل عنها الضباط المصريون الشىء الكثير .

كما اهتمت الجريدة إهتماما كبيرا بأخبار البعوث الكشفية فى السودان وفى أواسط افريقيا ، إذ كانت توالى نشر البرقيات والتقارير التى كانت ترد إلى هيئة أركان حرب الجيش المصرى من القائمين بحركة الكشف الجغرافى من الضباط المصريين والأجانب على السواء ، مع التعليق على التقرير ، وبيان أهمية ما جاء به ، وكذلك نشر الخرائط التى قام برسمها أفراد البعثات .

وفى الباب الأخير للجريدة كان ينشر نبذ عن وقائع الجيوش المصرية ، وخصوصا ما حدث منها فى عصر محمد على مع التعقيب عليها . وتأخذ صفحات الجريدة أرقاما مسلسلة ، ويطرد هذا التسلسل فى الأعداد الأخرى .

ويمكننا القول أن لهذه الجريدة طابعها العسكرى الخاص الذى أضفته عليها هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وكانت تتناول بالبحث اتجاهات فنية معينة تعالجها الهيئة بطريقتها الخاصة . والجريدة بما تشتمل عليه من موضوعات حربية مهمة لاتقل أهمية عن أية جريدة عسكرية معاصرة لها . ولن يقلل من أهميتها ما كانت تنقله عن غيرها من الجرائد .

الوقائع المصرية

ساهمت جريدة الوقائع المصرية بنصيب غير قليـــــل فى الاهتمام بأخبار الجيش المصرى ، فالحكومة المصرية « أوجبت على الجريـدة العنـاية بالتنقلات العسكرية للوحدات وحوادث الترسانة (١) ... » فنرى أعـــداد الجريدة زاخرة بأخبـــار هـذه التنقـلات العسكرية بين شطـرى الوادى شماله وجنـوبه .

كما اهتمت الجريدة أيضا بنشر التقـــارير المفصلة والبرقيات المختصرة عن نتائج الكشوف الجغرافية فى السودان وفى أواسط افريقيـا ، مع التعليق على هذه النتائج . وقد نقل عنها هذه الأخبـــار أمين سامى فى كتابه «تقويم النيل» .

كذلك انفردت الوقائع المصرية بناحية خاصة من نواحى نشاط الجيش المصرى كانت تلقى تشجيع الحكومة ورعايتهـا ألا وهى حفلات الفروسية التى كان يقوم بها سلاح الفرسان (السوارى) ، وكان يوزع على الفـائزين فيها جوائز قيمة تشجيعـا لهم على تقدمهم . ففى إحدى هذه الحفلات ، كان أول المتسابقين أحمد (افندى) يوزباشى (نقيب) فأنعم عليه « بسرج بهى من فضة غالى القيمة » ، وثانى سابق محمود (بك) قائمقـام (عقيد) فأحسن اليه بسيف مذهب ، والى الثـالث بساعة من الذهب بكوستيكها ، والى الرابع بساعـة من

(١) إبراهيم عبده . الوقائع المصرية ص ٦٩ .

الذهب بكوستيكها ، وإلى الرابع بساعة من الذهب فقط (١) » . فهذا مثل من الحفلات التي قلما خلا أسبوع من إحداها .

فهذه الجريدة ـ ولو أنها لم تكن من الجرائد العسكرية ـ إلا أنها أسهمت بنصيب كبير في نشر أخبار الجيش وما يقوم به رجاله من أعمال.

ومن هذه الجرائد الثلاث نستطيع أن نكون صورة واضحة عن نشاط الجيش المصري في مختلف النواحي العسكرية ، ونتبين ما قام به الضباط والجنود المصريون من ضروب النشاط التي أظهرت استعدادهم وأهليتهم لأن يكونوا من خيرة الجنود في أرقى جيوش العالم .

---

(١) الوقائع المصرية العـــدد الرابع . في ٢٦ رجب سنة ١٢٨٢ (١٤ ديسمبر سنة ١٨٦٥) .

الفصل السابع

المصانع الحربية

المصانع الحربية والأسلحة

استلزم احتفاظ مصر بجيش كبير العدد فى النصف الأول من القرن الماضى وجود مصانع حربية محلية تمده بالأسلحة والعتاد الحربى اللازمين له، وألا يعتمد اعتماداً كلياً على ما يستورده من الخارج . ولهذا قررت الحكومة تنظيم دار الصناعة بالقلعة . وبدأت الدار بداية متواضعة ، ثم ازداد انتاجها الحربى بعد تعيين جيمان Guilleman - من مراقبى مصنع سلاح فرساى سابقا - بإدارتها سنة ١٨٢٣ ، « وقد أنتجت عددا وفيرا من البنادق ذات الإبرة العادى كالتى كانت مستعملة فى المشاة الفرنسية (١)» .

وكانت دار الصناعة تنتج ثلاثة أنواع من الأسلحة ، وهى البنادق ، والمدافع ، والسيوف . وكان لكل نوع من هذه الأنواع قسم خاص مجهز بالآلات والصناع والمهندسين . وقد استعانت الحكومة بخبراء فى الأسلحة من فرنسا، أمثال : رى Rey ، والبارون بواتييه ، والكولونيل جودان ، وبارو Parron ، وكانتريل Cantrelle ، وكاديه Cadet ، ودى فو De Vaux وغيرهم .

وقد ذكر المستر جون بورنج John Bowering فى تقريره الذى وضعه عن مصر عند زيارته لها فى سنة ١٨٣٧ هذه المصانع بقوله « إن متوسط ما ينتجه مصنع الأسلحة بالقلعة من البنادق (بسنكاتها) من ٢٤ إلى ٢٥ فى اليوم أى ٦٢٥ فى الشهر .

---

(١) القائمقام عبد الرحمن زكى . ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير ص ٣٣

المدافع من ٣ إلى ٤ فى الشهر
السيوف ٢٠ فى اليوم
المزادات (جربنديات) من ٢٠٠ إلى ٢٨٠ فى اليوم
وهناك من ٤١٠ إلى ٤٢٠ عاملا يشتغلون فى صناعة البنادق
« « ٢٢ « ٢٣ « « « المدافع
« « ٢٤ « ٢٥ « « « السيوف
« ٢٠٠ عامل يشتغلون فى صناعة المزادات وغيرها من الأدوات.

وفضلا عن مصنع الأسلحة بقلعة القـــاهرة ، فهناك مصنع الحوض المرصود ، ومصنع بولاق بالقـاهرة . وفى استطاعة المصنعين أن ينتجا كل شهر فى غير مشقه- ألف بندقيه- ، ومتوسط ما تكلفه الواحدة ١٢٥ قرشا ، أى جنيه وخمسه- شلنات .

أما الأجور فتتراوح بين قرش ونصف القرش وستـة قروش ، أى ثلاثة قروش فى المتوسط .

وأهم ما يقوم به مصنع بولاق هو عمليات الإصلاح . ومتوسط عدد العمال
فى القلعة ٩٠٠ عامل
فى المدينة ١٢٠٠ «
فى بولاق ٥٠٠ «

وقد علمت (بورنج) أن من الممكن عند الضرورة انتاج ثلاثة آلاف بندقية فى الشهر إذا دبر الأمر على الوجه الصحيح (١) .

---

(١) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على لمحمد فؤاد شكرى وآخرين ص ٤٥٩ و ٤٦٠ .

وفى سنة ١٨٢٤ كان بالقلعة مصنع البارود (١)، كما كان فى الأشمونيين ومصر القديمة ، والبدرشين وأسيوط وغيرها أماكن لتبخير ملح البارود فى الشمس ، بالإضافة إلى المعمل الذى أنشأه الفرنسيون بجزيرة الروضية (٢) .

وهناك مصانع أخرى كانت تمد الجيش بما يحتاج اليه غير الأسلحة ، مثل مصنع الطرابيش بفوه الذى كان ينتج « بين عشرة واثنى عشرة دستة يوميا ، فى المتوسط » ، ولا تباع هذه الطرابيش للجمهور ، بل يقتصر إستخدامها على الجيش ، وهى من نوع ممتاز يضاهى طرابيش تونس (٣) . ومصنع الجوخ الذى أنشأه محمد على ببولاق لكى يمد جيشه بالجوخ اللازم لملابسه . ذلك الجيش « الذى يعتبر أكبر مستهلك للجوخ فى البلاد (٤) » وفضلا عن ذلك فهناك مصانع أخرى أنشئت لعمل أطقم الخيول والسروج وغيرها .

وفى فترة حكم عباس وسعيد تطرق إلى المصانع المذكورة الاهمال الشديد ، وخصوصا فى أيام سعيد فأغلق معظمها ، واستمر الحال على هذا النحو إلى ولاية اسماعيل حيث رأت الحكومة إنشاء مصانع حربية جديدة وأن تعيد الحياة إلى

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٢) تقرير بورنج معرب فى المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٣) القائمقام عبد الرحمن زكى . ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير ص ٣٤

(٤) تقرير دى بوالكنت Baron de Boislecomte مبعوث فرنسا لدى محمد على . وقد كلف بنصح محمد على لسحب قواته بقيادة إبراهيم بعد هزيمة الجيش العثمانى فى موقعة قونيه (ديسمبر ١٨٣٢) وتمكن من إقناع محمد على بهذا . وقد كتب هذا التقرير وتقارير أخرى فى المدة التى أقامها بمصر من ٢٩ إبريل سنة ١٨٣٣ إلى ٤ يوليه ١٨٣٣ .

المصانع الحربية القديمة (١) فشرعت نظارة الجهادية في ٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ هـ (أوائل ١٨٦٤) « ببناء وإنشاء المحال اللازمة فى القلعة لإقامة الترزية وأرباب الصناعات الأخرى اللازمة للجهادية وفروعها وسائر الجنود » ، فهدمت المبانى الآيلة للسقوط ، وأنشئت مبانى أخرى جديدة تضم المصانع الحربية اللازمة للجيش .

وكان عدد الجنود الشغالة بورش المهمات فى ٨ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ (النصف الثانى من سنة ١٨٦٦) ١٦٦ نفرا (٢) . وكان إذا أوفى أحدهم مدة خدمته بالعسكرية والامدادية (الرديف) يفصل من العسكرية مع استمراره فى فى القيام بعمله ، وتقدير أجر يومى له يوازى مايتقاضاه الترزى من المدنيين المستخدمين فى أشغال العسكرية (٣) . وكان ديوان الجهادية يستعين بهؤلاء الترزية (الخياطيين) من غير العسكريين فى حالة الضغط الشديد وعدم استطاعة أنفار الجهادية القائمين بالعمل عن الوفاء بطلبات الأورط المختلفة فى مواعيدها المحددة (٤) .

وكان عدد أنفار «ورشة الترزية» فى سنة ١٨٧٥ مابين ٧١٦ و ٧٢٠

---

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٣٥ أمر إلى ناظر الجهادية إسماعيل ف ٤ ذى القعدة ١٢٨٠ (١٨٦٤) وتقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٥٤٦ .

(٢) دفتر ٩٩٠ ج ٥ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٥٢١١ ص ٢٢٧ من ناظر الجهادية إلى المهمات فى ٨ ربيع آخر سنة ٢٨٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) دفتر ١٧٨٧ صادر من ديوان الجهادية إلى ورشة الترزية وثيقة رقم ١٨٠٧ ص ١١٦ فى ٤ شوال سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) .

نفرا (١) وأطلق عليهم اسم « بلوك الترزية » (٢) .

وأصدر ناظر الجهادية اسماعيل سليم أمره بإنشاء ورشة لعمل البنادق كان يطلق عليها اسم (ورشة التوفكخانة) «برئاسة رئيس البنادقية شريف أغا ورفيق معه لتخريج صناع على أيديها بهذا الفن (٣) » ، على أن يمنح شريف أغا مرتبا شهريا قدره ٣٠٠٠ قرشا ومساعده ١٥٠٠ قرشا (٤) . وكان يستعان أيضا بخبرة الصناع المدنيين فى ورشة التوفكخانة . ونظرا لأن هؤلاء كانوا يتقاضون أجورا عالية إذا ما قيست بما يتناوله الجندى من أجر زادت بذلك تكاليف الانتاج ، وأصبحت قيمة الطبنجة الواحدة المصنوعة محليا تزيد عن مثيلتها المستوردة من أوربا مع الفارق الكبير فى الصناعة والجودة . ولهذا طالب ناظر ورشة التوفكخانة بابطال صنعها للأسباب التى ذكرناها (٥) . كما كان لهذه الورشة مصلحة خاصة يطلق عليها اسم مصلحة التوفكخانة (٦) .

---

(١) دفتر ١٧٨٧ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى ورشة الترزية وثيقة رقم ١٨١٠ ص ١١٦ فى شوال سنة ١٢٩٢ .

(٢) دفتر ٩٨٨ جـ ٣ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٣٨٩ فى ١٠ شوال سنة ١٢٨٢ .

(٣) محفظة ٣٥ (معية تركى) وثيقة رقم ١٨١ من إسماعيل ناظر الجهادية إلى كاتب ديوان الخديو فى ١١ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٢ .

(٤) المصدر السابق

(٥) دفتر ٩٨٩ جـ ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة ٣٠٣١ فى ٢٩ ذى القعدة ١٢٨٢ .

(٦) محفظة ١٠ جهادية وثيقة عربية رقم ١٩٢ فى ٣ صفر سنة ١٢٩ (١٨٧٣) .

كذلك أنشأت نظارة الجهادية ورشة لعمل الجبه خانات (الذخيرة) كان يطلق عليها اسم « ورشة الشفكخانة » (الخرطوش) أو « ورشة الفشكخانة والكبسولخانة (١) » . وكان الجنود القائمون بهذا العمل بالورشة يكونون أورطة من نحو الآلاف نفر . فأمر ناظر الجهادية فى ٩ ربيع أول سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) بتقسيمها إلى خمسة أقسام كل قسم منها مكون من ٢٠٠ نفر عساكر وصف ضباط ، ويوزباشى (نقيب) واحد وملازمين اثنين (٢). وذكر ماكون Mc Coan بأن مصانع البارود والخرطوش هذه كانت مزودة بأحدث الالات (٣) .

ووجدت أيضا فى عهد اسماعيل مدرسة أطلق عليها اسم «مدرسة الجبه جية» (الذخيرة أو الجبه خانة) ، وكان يلحق بها الجنود لتعليمهم صناعة الذخيرة . ثم يجرى لهم امتحان يعين الناجح فيه بالجيش برتبة أسبران ، ويقوم بتعليم هذه الصناعة للجنود المراد إدخالهم فيها (٤) .

ويذكر أمين سامى بأن نظارة الجهادية أنشأت فى يناير سنة ١٨٦٨ مدرسة تسمى «فرقة العمليات الجهادية» . وكان عدد تلاميذها ٢٨ تلميذا . والمدرسة

---

(١) دفتر ١٩٢٧ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ٤١ ص ٤٦ فى ١١ شوال سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) .

(٢) دفتر ١٧٧٦ ج ١ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى الجبلة خانات وثيقة رقم ١٠٩٠ ص ١٠٣ فى ربيع أول سنة ١٢٩٢ (١٨٨٥) .

(٣) Mc Coan : Egypt as it is P. 100 .

(٤) دفتر ١٥١٤ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى الالايات المستجدة وثيقة تركية رقم ٢٩٤ ص ١٣٠ فى ٨ محرم سنة ١٢٨٩ .

مجانية وتابعة لديوان الجهادية «ومعدة لتخريج صناع الأشغال اليدوية (١) » .
وربما كانت مدرسة الجبه جية إحدى أقسام هذه المدرسة .

كذلك أنشأت النظارة ورشة للطوبجيــــة باسكندرية وأسندت إدارتها إلى الباشمهندس جاكى (٢) بك ، ووكالتها إلى المسيو نيقولا وهو برتبة بكبـاشى (مقدم) بترسانة الاسكندرية (٣) . وفيما يلى بيان بعدد الضباط والجنود القائمين بالعمل فى هذه الورشة (٤) :

يوزباشى (نقيب) واحد وملازم وناظر ومخزنجى . أما الجنود الصناع من النجارين فيتكونون من ٢٠ جنديا من العساكر الاسطوات «ببلوك (فرقــــة) الصنايعية » . و ٣٠ جنديا « من العساكر الشغالة الواردين حديثا للبلوك » . وعدد الجنود الذين يشتغلون فى أعمال الحدادة يتكونون من ١٠ من العساكر الاسطوات بالبلوك و ١٥ «من العساكر الواردين حديثا للبلوك » .

وفى سنة ١٨٧٦ كان بورشة آلاى (لواء) مدفعية الحرب التابع لفرقة الحرس

---

(١) أمين سامى . تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٢) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) أمر كريم إلى ناظر الجهادية وثيقة رقم ٧٦ ص ٨١ فى ١٤ محرم سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) . ومحفظة ٣٤ (معية تركى) من اسماعيل سليم ناظر الجهادية إلى مهردار الخديو فى ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٨٢ . ودفتر ٩٨٨ ج ٣ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة تركية رقم ٢٨٠٧ ص ١٥٩ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية فى ٨ ذى القعدة سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(٣) محفظة ١٠ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ٢١٨ من الجناب العــالى الى ناظر الجهادية فى ١٢ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) .

(٤) المصدر السابق .

المشاة ١٦٧ جنديا من الصناع ، وفى ١ جى طوبجية التابع إلى ١ جى فرقة مشاة ٢٨٢ جنديا من الصناع ، وفى ٣ جى طوبجية التابع إلى ٣ جى فرقة مشاة ١٤٢ جنديا يكونون من الصناع أيضا (١) . وكان يطلق على هذه البلوكات (الفرق) جميعها اسم « بلوكات الصنايعية » ، ويشرف عليـــه جاكى باشمهندس بلوك الصنايعية (٢) ، والميرالاى (العميد) جيفيو (بك) وكيل أشغال باشمندس بلوك الصنايعية (٣).

وأمر ناظر الجهادية فى ٣ ربيع أول سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) بإدخال مشة نفر إلى ورشتى السروجية والمركوبجيـــة (الجزمجية) « لأجل أن يتعلموا هـاتين الصناعتين (٤) » . ورؤى أن لابد لهاتين الورشتين من آلات قدرت أثمانها بمبلغ ١٣٤١ر١٣ فرنكا . وكاف مأمور أركان حرب ميرشـير (بك) بشرائهـــا من فرنسا (٥) . وفى ٢٥ يناير سنة ١٨٦٧ أحضرت الالات وبرفقتها أسطى فرنسى لإدارتها . وقد تعاقدت معه الحكومة لمدة تتراوح بين ستة شهور وسنة بمرتب شهرى قدره ٢٠٠٠ قرشا. يضاف إليهامبلغ ٢٠ بنتو انفقات سفره من فرنسا إلى

---

(١) مجله الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ (يناير ١٩٤٧) مقالة الأمير السابق عمر طوسون عن «حرب الصرب عام ١٨٧٦» ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .

(٢) دفتر بدون رقم (معية تركى) وثيقة رقم ٢٦ ص ٧٤ فى ١٢ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) .

(٣) دفتر بدون رقم (معية تركى) وثيقة رقم ١٢ ص ٥٥ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٥ ربيع ثانى سنة ١٢٩٢ (١٨٧) .

(٤) دفتر ٥٣٩ [معية تركى] وثيقة رقم ٧٨ ص ١١٦ أمر كريم الى ناظر الجهادية فى ٣ ربيع أول سنة ١٢٨١ .

(٥) المصدر السابق

الاسكندرية ، ويصرف له مثلها عند عودته كذلك . وقام الأسطى المذكور بتدريب العساكر الصنايعية على إدارتها (١) .

وذكر ماكون بأن مصانع فوة وبولاق كانت تضم ١٦٠٠ نفرا وكانت تنتج ٥٠٠ر٠٠٠ طربوشا فى العام لإمداد الجيش والأسطول بما يلزمه منها، ويباع الباقى للجمهور. كذلك كانت تنتج سنويا ماقيمته ٣١٥٫٠٠٠ جنيها أقمشة صوفية (من الجوخ)، وهى تشابه ماكان يشترى للجيوش المصرية من الخارج(٢). فاعتمد ناظر الجهادية على مصانع مصر (ببولاق وشبرا) فى توريد مايحتاج إليه الجنود(٣).

وكانت الحكومة تدير مدبغة كبيرة للجلود تنتج سنويا ما بين ٣٠٫٠٠٠ و ٤٠٫٠٠٠ قطعة من الجلد للأغراض الحربية (٤) ، وهى ماكانت تعتمد عليه ورشتى السروجية والمركوبجية فى إنتاجها . ومن الورش الخاصة بالجيش أيضا «ورشة الخيمية (٥) » وكانت تقوم بعمل الخيم اللازمة للجنود .

وذكر اسماعيل سرهنك بأن نظارة الجهادية «أنشأت معملا تجاريا لصناعة الكاغد ببولاق . ومعملين لعمل الجوخ أحدهما ببولاق والثانى بشبرا ، وبلغ عدد

---

(١) دفتر ٢٨٠٩ الأوامر الواردة الى ديوان الجهادية فى ٢٤ محرم سنة ١٢٨٤ [١٨٦٧] .

(2) Mc Coan , Egypt as it is . P. 300

(٣) محفظة ٤٧ [معية تركى] وثيقة رقم ٤٤٩ من ناظر الجهادية إلى شاهين كنج الى رياض [معية] فى ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٢٨٧ .

(4) Mc Coan , Egypt as it is P. 303

(٥) دفتر ٩٨٩ ج ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٣٦٧ فى ٧ محرم سنة ١٢٨٣ .

الصناع بها يومئذ ١٦١٢ عاملا ، وكان يصرف منها للعساكر البرية والبحرية . وأنشأت معملا للطرابيش والبطانيات بفوة . وأصلحت أيضا معمل القنداق الذى كان باسكندرية ، ووسع نطاقه حتى كان يستهلك فيه سنويا لعمل الأسلحة أكثر من ٤٣٫٠٠٠ أقة من المعادن بين مسبوك ومطروق . ونظم ورش الحوض المرصود حتى بلغت درجة وافية المراد . فكانت تصب فيها المدافع وتصنع الأدوات والآلات الحربية للجيش . وشيد أيضا بطره معمل الأسلحه المسدسة أى الششخانة وخرط المدافع . وأصلح مصانع البارود حتى أشتهر ذكره فى أطراف المسكونة (١) » . وبلغ من تفوق صناعة البارود بمصر أن أرسل المولى محمد بن عبد الرحمن سلطان مراكش بعثة من الصناع إلى مصر ليتعلموا فن الطباعة وصناعة البارود (٢) .

ولم تقتصر هذه المصانع على مصر وحدها ، بل كان بالسودان أيضا «مصانع لإصلاح الأسلحة والأدوات الحربية وعمل البارود (٣) » . كما أنشئت بالسودان دار للصناعة فى سنة ١٨٧٧ (٤) .

مرتبات «العساكر الصنايعية»

اتبع فى صرف أجور هؤلاء العساكر نظام خاص ، فكان يلحق « ببلوك الصنايعية » الأنفار الجدد بالدرجة الرابعة ، ويصرف للواحد منهم مرتب

---

(١) حقائق الاخبار . ج ٢ ص ٣١٣ . [الكاغد : الورق . والقنداق : الجزء الخشبى من المدافع] .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٧ .

ثمانية قروش فى الشهر . ولايجوز له أن يرقى إلى الدرجة الثالثة إلا إذ أمضى مدة ستة شهور على الأقل فى الدرجة الرابعة ، وأجرى له امتحان ونجح فيه . ومرتب هذه الدرجة اثنى عشر قرشا ، ولا يرقى إلى الثانية أو الأولى إلا إذا أمضى فى الدرجة السابقة لهـــا ستة شهور على الأقل ، ونجح فى امتحان الترقية . ولايجوز ترقية أى جندى من درجة إلى درجة أخرى أعلا منها إلا إذا نجح فى امتحان الترقية مهما طالت مدته فى هذه الدرجة . ومرتب الدرجة الثانية ستـــة عشر قرشا ، والأولى عشرون قرشا (١) . ولايرقى الجندى إلى الدرجة الاولى » مالم يكن تم اكتساب الصناعة تماما ويكون (وصار) أسطى (٢) » .

كذلك لايرقى من عساكر الدرجة الاولى إلى رتبة الإنباشى (عريف) إلا إذا اكتسبوا مهارة وخبرة تؤهلهم لهذه الرتبة ، ومرتبها ثلاثون قرشا (٣) . وهذه المرتبات شهرية وتصرف اليهم علاوة على مرتبات رتبهم العسكرية .

وفى سنة ١٨٧١ نلاحظ تغييرا فى هذه المرتبات فقد كان يصرف لهؤلاء الصناع علاوة على المرتب الشهرى » يومية تبتدىء من القرش الواحد الى التسعين بارة لارباب الصنائع من العساكر ، كالبناء والنجار والنحـــات

---

(١) دفتر ٩٨٦ جـ ١ صادر مهمات عسكريه وفروعه . وثيقة رقم ٨٤ ص ١٧٢ من سعادة الناظر الى مهمات عسكرية فى ١٥ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

والمبيض والحداد ... (١) » . وهذه المرتبات تختلف عما كانت عليه الحال أيام محمد على إذ « كان يدفع لهم عشرة قروش عن كل قصبة مكعبة فى أشغال العمليات . وأما فى أشغال الاستحكامات والقناطر وغيرها وكان يدفع لهم يومية قدرها عشرون بارة (نصف قرش (٢)) » .

معاشات العساكر «الصنايعية»

شمل الخديو هذه الطائفة بعطفه ورعايته ، وكفل لها الضمانات لمواجهة أعباء الحياة . فنظرا لخطورة الاعمال التى يقوم بها عساكر مصانع الذخيرة المختلفة ، وتعرضهم للموت فى بعض الاوقات نتيجة للانفجارات والحرائق أصدرت الحكومة أمرا لناظر المالية فى ٢١ شعبان سنة ١٢٨٣ (أواخر سنة ١٨٦٦) بأن « من الآن وصاعدا إذا كان ـ لايسمح الله ـ توفى أحد بالقضاء والاحتراق من زمرة الكبسولجية والجبه خانجية يصير معاملة ورثاهم مثل ورثة من يتفوقوا بالحرابة (فى الحرب) بعينها (٣) .

وفى غاية جمادى أول سنة ١٢٩٣ (٢٢ يونية سنة ١٨٧٦)وافقت الحكومة على قانون المعاشات الذى قام بوضعه (مجلس العسكرية) خاصا بقوات الجيش والبحرية . ونص القانون على أن يشمل « أرباب الصنائع ، والسروجية

---

(١) محفظة ٤٨ جهادية (معيه تركى) وثيقة تركية رقم ٢٢٠ من قاسم رسمى ناظر الجهادية الى المعية مهردار الخديو فى ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ (١٨٧١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) فيليب جلاد بك : قاموس الادارة والقضاء ج٣ ص ٣٧٥ (معاش - ترجمة أمر عال صادرة لسعادة ناظر المالية فى ٢١ شعبان سنة ١٢٨٣ نمرة ١٦) .

والغنداقجية ، والتوفكجية ، وصنائعية الطوبجية ، وخلافهم من الصنائعية[١] ».

وقدرت المعاشات على الأساس التالى :

المرتب	مدة الخدمة بالسنة	المعاش المقرر
أقل من ١٠٠٠ قرشاً	١٢	١/٤ المرتب
	١٧	١/٣ »
	٢٢	١/٢ »
	٢٧	٢/٣ »
	٣٢	المرتب بالكامل
أكثر من ١٠٠٠ قرشاً	١٥	١/٤ المرتب
	٢٠	١/٣ »
	٢٥	١/٢ »
	٣٠	٢/٣ »
	٣٥	المرتب بالكامل

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٢٩ وما بعدها «صورة الأمر العالى الصادر على قانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها بتاريخ غاية جماد أول سنة ١٢٩٣ رقيم ٢٢ يونيه سنة ١٨٧٦ نمرة ٩٢ لنظارة الداخلية » .

الأسلحة والمعدات الحربية

لم تكن المصانع الحربية بمصر تستطيع انتـــاج جميع ما يلزم الجيش من معدات حربية ، بل كانت تتولى صنع المدافع والبنادق الصغيرة الحجم من نوع يقل جودة وإتقاناً عما كان يستورد من الخارج . وكانت الحكومة ترجو من وجود هذه المصانع أن تقوم بسد حاجيات الجيش من الأسلحة والعتـاد الحربى إذا ما انقطعت عنه الواردات الخارجية من الأسلحة . هذا من جهـة ، ومن جهة أخرى تشجيع صناعة الأسلحة التى كان يراد لهـا أن تصل فى يوم من الأيام إلى ما وصلت إليه هذه الصناعـة فى أوربا . ولذا كان يعتمد على تسليح الجيش المصرى اعتمادا كليـا على الخارج (١) . واقتصر العمل فى مصنع البنادق على صنع القونداقات (القسم الخشبى من البندقية) فقط .

وكانت الحكومة تنتدب من قبلها مندوبا يتولى اختبـار هذه الأسلحة فى الخارج ، وعقد الصفقات مع مصانع الأسلحة التى يقع عليها الاختيار نيابة عنها. ويذكر عمر طوسون أن الخديو « انتدب حسن افلاطون لفحص المهات الحربية التى تبتاعهـا مصر من انجلترا ، وسافر اليهـــا بوظيفـة مفتش المهمات الحربية (٢) » .

---

(٤) دفتر ٥٥٧ (معية تركى) رقم ١٠٤ ص ١١٧ . أمر كريم إلى ناظر الجهادية فى ٩ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(٢) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ص ٢٩٧.

وقد أرسل الخديو اسماعيل فى سنة ١٨٦٤ خطاباً (١) إلى سفراء تركيا فى انجلترا ، والنمسا ، وبروسيا يلتمس منهم تقـــديم المساعدات الممكنة إلى أفلاطون (بك) فى مهمته . وقد نشط أفلاطون (بك) فى عمله نشاطاً كبيراً فاتفق فى سنة ١٨٦٨ مع مصنع أرمسترونج بانجلترا على صنع مدافع لحساب الحكومة المصرية . وكذلك وقع اختياره على البنادق الفرنسية من طراز شاسبو لاستعمالها فى الجيش ، لأنها كانت أبعد البنادق مرمى فى ذلك الوقت، إذ تصل طلقاتها إلى مسافة ألف متر تقريبا (٢) . وقد أوصى أيضاً على صنع مائتى ألف بندقية منها (٣).

وبدخول الضباط الأمريكيين فى الجيش المصرى تحولت مشتريات الأسلحة من فرنسا وانجلترا إلى أمريكا ، وقد تولى الجنرال موط عقد كثير من الصفقات باسم الحكومة المصرية . وكانت الحكومة الفرنسية وقتئذ تحتكر سوق الأسلحة ، ولكن الخديو اسماعيل أبدى رغبته لقنصل أمريكا الجنرال وقتئذ المستر جورج بتلر فى شراء ١٠٠ ألف بندقية من طراز رمنجتون ، والاعتماد على أمريكا فى تزويد الجيش المصرى بالأسلحة . وقد أبان له الدافع على هذا

(١) دفتر ٢١ عابدين وثيقة رقم ٥٧٩ من الجناب العالى إلى سفراء الدولة العلية فى لندن وفينا وبرلين فى ٢ ربيع أول سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) .

(٢) محفظة ٤٤ « معية تركى » وثيقة تركية رقم ٥٩ من حسن أفلاطون إلى المهردار فى ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٦ [١٨٦٨] .

(٣) دفتر ٤١ عابدين وثيقة رقم ٥١٢ من الجناب العالى إلى الباب العالى فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦ [١٨٦٩] ودفتر ٤١ عابدين وثيقة رقم ٢٢٥ من الجناب العالى إلى كامل بك فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٢٨٦ [١٨٧٠].

الاتجاه الجديد بأنه لا يثق فى انجلترا . كما أن التجار النمساويين قد غشوه فأرسلوا اليه مادة تشبه التراب بدلا من البارود . وعلى ذلك فلم يبق أمامه سوى الولايات المتحدة الأمريكية (١) . ولكن قامت بعض الصعوبات التى كان من شأنها تحديد كمية مشتريات مصر من أمريكا من الأسلحة والعتـــاد الحربى ، ومن هذه الصعوبات ـ عدم وجود مواصلات مباشرة بين مصر وأمريكا ، وكذلك صعوبة تحويل النقود ، وثالثا قلة السفن المعدة للشحن. وقد اقترح قنصل أمريكا الجنرال ـ جورج بتلر ـ على حكومته بأن تتولى شركة الباسفيك للملاحة Pacific Mail Steem إنشاء خط بحرى بين نيويورك والاسكندرية لتسهيل الاتصال التجارى بينهما ، حيث أن مصر تعتبر سوقا حيويا للأسلحة والآلات الأمريكية(٢) .

وفى أول نوفمبر سنة ١٨٧٠ قـــدم الجنرال موط إلى شريف (باشا) ناظر الداخلية قائمة بمشتريات الحكومة المصرية من الأسلحة الأمريكية ويتضمن شراء ٨٤ متراليوزا بركائزها و٨٤ طقما للخيول و ١٦٨ ألف رصاصة ومتراليوزين من كندا. وقد بلغ قيمتها ١٩٢ر٥٠جنيها مصريا(٣).

وتعاقد (٤) الجنرال موط فى سنة ١٨٧١ أيضا مع أحد المصانع الأمريكية

---

1 - **Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 32 Butler to Fish in Dec. 30. 1870.**

(٢) المصدر السابق ص .

3 - Abdin. Corrsp. franc. Doss 50/7 Materieux de guerre en ler Nov., 1870.

4 - Abdin. Corrsp. franc. Doss 50/7 Materieux de guerre en Juillet, 1871.

على توريد ٥٦٦ طبنجة عرفت باسم Colt Pistol بسعر ٤١٫٥٠ دولارا للطبنجه الواحـدة على سبيل التجربة ، وهى من الطبنجـات المستعملة فى الجيش الأمريكى .

وبلغت قيمة المشتريات من الأسلحة الأمريكية من ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٩ إلى أوائل ابريل سنة ١٨٧١ مبلغ ٤٨٨٤٩/٧/٦ جنيها انجليزيا أى ٢٦٦٫٥٩٢٫١١ دولاراً (١) . وقد كانت جميع هذه الأسلحة تستجلب إلى مصر سرا ، وبدون علم البـــاب العالى (٢) . وكلفت الحكومة المصرية الأميرالاى (العميد) فرانك رينولدز الأمريكى F. Renoids بالبقاء بنيويورك لفحص الأسلحة التى تعاقدت الحكومة المصرية على صنعها بمصانع الأسلحة الأمريكية (٣) . ولمـا توفى رينولدز فى سنة ١٨٧٥ طلبت الحكومة المصرية من قنصل أمريكا الجنرال بمصر رسميا تكليف حكومته باختيار أحد ضباطها للقيام بهذه المهمة (٤).

كذلك انتدبت الحكومة المصرية الضابط أرندروب A. Arendrup ضابط مدفعية سابق بخدمة صاحب الجلالة ملك الدانمرك فى توقيع عقد تجارى

---

(1) Abdin. Corssp. Fran. Doss 50/7 Materieux de guerre en Mai, 1870

(2) Abdin. Corrsp. Fran. Doss.50/7 Materieux de guerre en Mars, 18, 1873.

(3) Abdin. Amr. Vol. 11 despt. No. 371 in Oct. 20, 1875.

(٤) المصدر السابق .

نيابة عنها مع مصنع فينزبوند Finspond بالسويد ويمتلكه شخص يدعى كارل إكمان Carl Ekman ، ويشتمل العقد على ستة بنود يتعهد صاحب المصنع فيها بعمل مدفع على سبيل التجربة من ديار ٢٨٫٥٥ من الحديد المطروق المشخن ، ويبلغ وزنه ٢٣٫٧٠٠ كيلو جراماً ، وتكاليفه ١٤٠٠ جنيهاً . وإذا حاز هذا المدفع قبولا لدى الحكومة المصرية يتعهد المصنع بالقيام بصنع ما تطلبه الحكومة من هذا النوع (١).

والتجأت الحكومة المصرية إلى ألمانيا كذلك لشراء ما يلزمها من الأسلحة من مصانع كروب . فقد أوصت المصانع المذكورة على صنع خمسمائة مدفع ، وأصدرت أمرها إلى مصطفى فهمى محافظ مصر الذى كلف بالإشراف على شحن هذه المدافع من المانيا بضرورة « التنبيه بصورة مؤكدة على المسيو كروب أن يخفى ويكتم كيفية نقل مدافعنا إلى الأسكندرية »(٢) .

ومما ذكرت سابقاً نتبين «أن الخديو اسماعيل طلب الأسلحة أينما وجدت سواء فى العلانية أو الخفاء، ولم يقف فى طريقه سوى الاضطراب المالى الذى أصاب خزينة البلاد فى أواخر سنى حكمه. فنجد أن المستر رمنجتون يحضر بنفسه إلى القاهرة ويرسل التماساً (٣) إلى الخديو اسماعيل يطلب فيه صرف مبلغ

---

1 - Abdin. Corrsp. fran. Doss. 50/7 Materieux de guerre en Avril 19, 1871.

(٢) أمين سامى باشا . تقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٠٩٩

2 - Abdin. Corrsp. fran. Doss 50/7 Materieux .. .. en Juin 2, 1876.

١٤/٧٥٩٢٤ جنيهان انكليزيا ثمن الأسلحة التي أرسلت الى الحكومة المصرية. ولما لم يستطع المستر رمنجتون صرف المبلغ المطلوب اتصلت الحكومة الأمريكية بقنصلها الجنرال بمصر المستر فارمان E.E.Farman فى ٢ أغسطس سنة ١٨٧٦ ، بضرورة تقديم المساعدة اللازمة للمستر رمنجتون بالاتصال بالحكومة المصرية فى هذا (١) الشأن . ورغم ذلك تأخر صرف هذا المبلغ الى سنة ١٨٧٨ . وهذا راجع بطبيعة الحال الى الإرتباك المالى الشديد ، وتدخل النفوذ الأجنبى فى الإدارة وقضى هذا التدخل على حركة التسليح ، فانعدم المستورد منها من الخارج ، وشلت حركة المصانع الحربية المحلية

1 - Abdin. Amr. Vol. 13 despt No. 76 in Nov. 25,1876.

الفصل الثامن

ديوان الجهادية وفروعه

ديوان الجهادية وفروعه

أنشىء هذا الديوان لأول مرة فى عصر محمد على سنة ١٢٣٧ (سنة ٢١ - ١٨٢٢) ، وهو أحد دواوين سبعة أنشأها محمد على لإدارة شئون مصر ، ويرأسه ناظر الجهـــادية . وتنحصر وظيفته فى تلقى الأوامر التى يصدرها اليه الوالى والإشراف على تنفيذهـــا . ويختص الديوان بإدارة شئون الجيش من حيث التعليم ، والتدريب ، والتسليح ، وبنـــاء الشكنات العسكرية ، والمستشفيات ، وشراء المهمات والذخائر اللازمة له . وكان يعاون ناظر الجهادية اثنان من الكتبة الأقبـــاط يقومان بتحرير الرسائل الضرورية لفروع إدارة الجيش وأسلحته[1]. وأول من ولى هذا المنصب محمد (بك) لاظ أوغلو . فتشكيل هذا الديوان إذاً قد روعيت فيه البساطة فى التكوين، والسرعة فى التنفيذ ، وهو ماكانت تهدف اليه الحكومة .

وظل الديوان قائماً طوال عصر عبـاس والنصف الأول من عصر سعيد ، إذ شاءت أهواء سعيـد المتقلبة إلغاءه فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٧٤ (مارس سنة ١٨٥٨) . ثم أعيد إلى الوجود مرة أخرى بعد عام أو عامين[2] .

وفى عصر اسماعيل استمر ديوان الجهادية يقوم باختصاصاته السالفة الذكر إلى أن وضع الجنرال أستوان - رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى - فى

---

(١) ذكرى البطل ابراهيم «باشا» . مقالة القائمقام عبد الرحمن زكى عن «الجيش الذى قاده ابراهيم باشا» ص ١٦٦ .

(٢) تاريخ التعليم فى مصر (عصر عباس وسعيد) ص ٢١١ .

سنة ١٨٧٣ لائحة جديدة(١) تنظم العلاقة بين فروع نظارة الجهادية المختلفة، وتبين اختصاص كل منها ، ومدى تعاونها مع بعضها ، لتعمل جميعها كوحدة منسجمة. وفيما يلى بيان بأهم ما ورد بهذه اللائحة :

ناظر (وزير) النظارة

هو الرئيس الأعلى للنظارة (الوزارة) وهو مستقل فى نظارته كل الاستقلال، أى لا توجد بين نظارته وباقى النظـارات الأخرى رابطة قوية . ويرجع فى كل ما يخص النظارة إلى الوالى مباشرة . وظل هذا النظام متبعاً حتى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨، حيث شكلت أول نظارة مسئولة بناء على توصيات لجنة التحقيق(٢). وإليك بيان بأسماء نظار الجهادية الذين تولوا شئون هذه النظارة فى الفترة (٣) ما بين سنة ١٨٦٣ ، ١٨٧٩ :

(1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Organisation proposée du Ministère de la guerre sans date

(٢) الوزارات المصرية ص ٤٨ .

(٣) تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٤٩٤-٨٨١ و٨٥٥.

الاسم	الوظيفة	تاريخ التعيين	تاريخ الانفصال	ملاحظات
عبد اللطيف (باشا)	ناظر البحرية ومفتش الفاوريقات والوابورات	٣ شعبان ١٢٨٠ (يناير ١٨٦٤)	٨ جماد أولى ١٢٨١ (أكتوبر ١٨٦٤)	ألغيت الترسانة من أول بابه سنة ١٥٨١ (أكتوبر ١٨٦٥).
« «	ناظر البحرية	٩ جماد أول ١٢٨١ (اكتوبر ١٨٦٤)	١٥ جماد أول ١٢٨٢ (أكتوبر ١٨٦٥)	وأحيلت البحريه إلى ديوان الوابورات من ١٦ جمادى الأولى ١٢٨٢
احمد نورى (باشا)	ناظر الوابورات والبحرية	١٦ جماد أول ١٢٨٢ (أكتوبر ١٨٦٥)	١٣ صفر ١٢٨٣ (أواخر يونيه ٨٦٦)	وفصلت البحرية عن الوابورات بعد ذلك من ١٣ صفر ١٢٨٣.
عبد اللطيف (باشا)	ناظر البحرية	١٣ صفر ١٢٨٣ (أواخر يونيه ٦٦)	١٣ جماد آخر ١٢٨٥ (سبتمبر اكتوبر ٦٨)	
الفريق شاهين (باشا)	ناظر البحرية	٢١ رجب ١٢٨٤ (نوفمبر ١٨٦٧)	٦ رمضان ١٢٨٧ (نوفمبر ديسمبر ٧٠)	وكان سردار الجنود ومحافظ القلاع وضمت البحرية إلى الجهادية من ١٢ جماد آخر ١٢٨٥.

الاسم	الوظيفة	تاريخ التعيين	تاريخ الانفصال	ملاحظات
الفريق شاهين (باشا)	ناظر الجهاديه والبحريه	٢٢ جماد آخر ١٢٨٥ (أكتوبر ١٨٦٨)	٦ رمضان ١٢٨٧ (نوفمبر ديسمبر ٧٠)	وجعلت البحرية نظارة قائمة بذاتها من ٧ رمضان ١٢٨٧
قاسم رسمى (باشا)	ناظر الجهاديه	٧ رمضان ١٢٨٧ (ديسمبر ١٨٧٠)	٨ شعبان ١٢٩٠ (سبتمبر أكتوبر ٧٣)	
دولتلو حسين كامل (باشا)	ناظر الجهادية	٩ شعبان ١٢٩٠ (اكتوبر ١٨٧٣)	٧ ربيع أول ١٢٩٢ (ابريل ١٨٧٥)	
» »	ناظر الجهادية والبحريه	٨ ربيع أول ١٢٩٢ (ابريل ١٨٧٥)	٣٠ رجب ١٢٩٣ (سبتمبر ١٨٧٥)	تبعت البحرية للجهادية
» »	ناظر الجهاديه والبحريه	٢٤ شعبان ١٢٩٣ (سبتمبر ١٨٧٦)	١١ شوال ١٢٩٣ (اكتوبر نوفمبر ٧٦)	

الاسم	الوظيفة	تاريخ التعيين	تاريخ الانفصال	ملاحظات
، الأمير حسن (باشا)	ناظر الجهادية	٢٠ شوال ١٢٩٣ (نوفمبر ١٨٧٦)	٢٨ شعبان ١٨٩٥ (أغسطس ١٨٧٨)	
» »	سردار الجيش المصرى	١٦ شوال ١٢٩٥ (اكتوبر ١٨٧٨)	١٠ رجب ١٢٩٦ (يونيه يوليه ٨٧٩)	
محمد راتب (باشا)	ناظر الجهادية والبحرية	غاية شعبان ١٢٩٥ (أغسطس ١٨٧٨)	٢٦ ربيع أول ١٢٩٦ (مارس ١٨٧٩)	
حسن افلاطون (باشا)	ناظر الجهادية والبحرية	٢٧ ربيع أول ١٩٢٧ (مارس ١٨٧٩)	١٤ ربيع ثانى ١٨٩٦ (ابريل ١٨٧٩)	
الفريق جاهين كنج (باشا)	ناظر الجهادية والبحرية	١٥ ربيع ثانى ١٢٩٦ (ابريل ١٨٧٩)	١٠ رجب ١٨٩٦ (يونية ١٨٧٩)	

وكيل النظارة[1]

يشغل وظيفة رئيس المراقبة والحسابات ، وله السلطة النهائية فى كل مايتعلق بالمراقبة المالية . ولا يتدخل فى الأعمال الإدارية إلا فى حالة غياب الناظر فقط ، حيث يتولى تصريف أمور النظارة فى حدود اختصاصات الناظر ، فيما عــــدا إصدار الأوامر المتعلقة بنظام الجيش وموظفيه .

مكتب مراقبة الحسابات[2] Bureau de Controle

يرأس هـــذا المكتب وكيل النظارة ويعاونه ثلاثة ضباط : الأول برتبة أميرالاى (عميد) والثانى برتبة قائمقام (عقيد) والثالث برتبة قومندان ومعهم أربعة كتبه من الدرجة الأولى . ويختص هـذا القسم بمراجعة الحسابات النهائية لفروع الإدارة ، وسلاح خدمة المهندسين ، وقسم الخدمات الصحية والمدفعية ، وكذلك مراقبة ومراجعة كل المبالغ المنصرفة لحساب الجيش .

مكتب رئاسة عموم أركان حرب

قد بينا ما اشتمل عليه من أقسام ، واختصاص كل قسم منها فى الفصـــــل الخاص بهيئة أركان حرب الجيش المصرى .

مكتب قسم المهندسين[3] Bureau de Gènie

يرأسه ضابط برتبة جنرال ويعاونه ضابطان عظيمان وثلاثة ضباط برتبة

---

1 - Abdin.Corrsp.Fran.Doss.No.50/1 Organisation proposèe sans date .

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

يوزباشى (نقيب) وثلاثة برتبة الملازم ، وأربعة كتبه- برتبة صف ضابط .

ويختص هـذا القسم بانشاء الحصون والاستحكامات بجهـات القطر المختلفة والعمل على صيانتها . وكذلك يقوم بشراء جميع مواد البناء والالآت اللازمة للاستحكامات ، واخدمات سـلاح المهندسين . ومن اختصاصه أيضـا المراجعة الأولى لحسابات الضباط المـكلفين بأعمال سلاح المهندسين .

مكتب (قسم)الادارة (١) Bureau d ' Intendance

يرأس هذا القسم مدير الإدارة ويتـكون المـكتب من ثلاثة فروع :

الفرع الأول وبه أميرالاى (عميد) وضابط عظيم وأربعة يوزباشيه- (رواد) وأربعة كتبه برتبة أسبران .

ويختص هذا الفرع بتعليم أصول الإدارة وكل ما يتعلق بالشـكنات العسكرية ، والملابس ، والنقل ، وكذلك مراجعة جميع الحسابات المقدمه- من ضباط الادارة فى كل مأيتعلق بالموضوعات السالفة الذكر .

الفرع الثانى ويقوم بالعمل فيه ضابط برتبة أميرالاى (عميد) وضابط عظيم ويوزباشيان (نقيبان) وثـلاثة كتبه- برتبة أسـبران . ولا نعرف شيئا عن اختصاصاته .

الفرع الثالث ويتـكون من أمـــيرالاى (عميد) وضابط عظيم ويوزباشى (نقيب) وثلاثة كتبه- برتبة أسبران . ويقوم هـــذا الفرع بصرف

---

(١) المصدر السابق

مرتبات الجيش ، وكذلك بالمراجعة الأولى للحسابات المقـــدمة من متعهدى الجيش .

مكتب (قسم) المدفعية Bureau d'Artiellerie

يشرف على هذا القسم ضابط برتبة جنرال ، ويعاونه ضابط عظيم ، وثلاثة يوزباشية (نقباء) وملازمان ، وثلاثة كتبه- برتبة صـف ضابط . ويقوم هذا القسم بشراء وحفظ وتوزيع المهمات الجديدة التى ترد للجيش ، وكذلك الذخائر من مدافع ، وأسلحة نارية ، وأسلحة بيضاء ، وأطقم لخيول ســـلاح المدفعية والسوارى . وكذلك يقوم بمراجعة الحسابات المقدمة من الضباط الذين يتولون عملية شراء هذه الأسلحة .

مكتب الخدمات الصحية (1) Bureau de Service Sanitaire

يشرف عليه حكيمباشى الجيش المصرى ويعارنه حكيمان برتبة قائمقام(عقيد) الأول يقـــوم بوظيفة مفتش ، والثانى بوظيفة وكيل المكتب . وينضم اليهما حكيم ثالث برتبة قومندان ، وحكيمان برتبة يوزباشى (نقيب) ، وثلاثة كتبه- برتبة صف ضابط أو أسبران .

ويتولى الرئيس الاشراف على الخدمات الطبية للجيش المصرى وتوجيهها الوجهة الحسنة . ويقوم مكتبه بتوزيع الأطباء على وحـــدات الجيش المختلفة ، وكذلك بشراء وحفظ وتوزيع الأدوية اللازمة للجيش ، وكذلك نقـالات الاسعاف ، والآلات الطبية اللازمة للمستشفيات العسكرية . ويقوم المكتب

---

(١) المصدر السابق

أيضا بتلقى التقارير ومراجعة الحسابات الخاصة بالخدمات الطبية .

ورؤساء المكاتب أو الاقسام المشار اليها سابقا مسؤولون أمام ناظر الجهادية ، وعليهم مراجعة حسابات أقسامهم بكل دقة ثم ارسالها إلى مكتب المراقبة (الكنترول) . وكذلك يقوم هؤلاء الرؤساء بتقديم كشوف شهرية بالاعتماد المالى اللازم لاقسامهم إلى سعادة ناظر الجهادية لفحصها وإقرارها .

وبتأليف نظارة نوبار فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٥ (٢٨ أغسطس ١٨٧٨) منح الخديو اسماعيل الناظر حق إختيار موظفى المناصب العالية اللازمين لإدارته ، على أن يعرض عليه للتصديق عليهم . وأما الوظائف الصغيرة فتركت لتصرف الناظر وحده .

وفى ١٠ ديسمبر [1] سنة ١٨٧٨ حدد إختصاص كل نظارة ، ومنها نظارة الجهادية . وفيما يلى بيان بإختصاصات نظارة الجهادية والبحرية وقتئذ :

الادارة العمومية بمركز ـ ماهيات العسكرية البرية والبحرية ـ المهمات العسكرية ـ المأكولات والذخائر والعلف ـ الملبوسات ـ ملاحظة القشلاقات ـ المخازن العسكرية ـ الاسبتاليا العسكرية ـ ملاحظة السفن الميرية ـ المدرسة البحرية قومندانية السويس ـ وظيفة دوان المعارف والأوقاف ـ الادارة العمومية بمركز النظارة ـ المدارس الميرية فيما عدا المدارس الحربية والمدرسة البحرية ـ الارساليات المصرية ـ المدارس والمكاتب الأهلية وما يلزم لها من الإعانة .

وكانت المراسلات المتبادلة بين دواوين الحكومة المختلفة تكتب باللغة التركية . ولكن عندما ساءت العلاقات بين مصر والباب العالى فى سنة ١٨٦٩ ،

(١) قاموس الادارة والقضاء ج ٣ ص ٨٣٥ و ٨٣٦ .

أصدر الخديو اسماعيل أمرا إلى جميع دواوين الحكومة بوجوب إستعمال اللغة العربية فى كتاباتها ومراسلاتها . وقد لقى هذا الأمر إعتراضا من جانب شاهين كنج ناظر الجهاديه والبحريه إذ أن جميع الضباط العظام من الأتراك لايعرفون اللغة العربية ، فمن المتعذر إذاً التخاطب معهم بالعربية . وقد وافق الخديو (١) على استعمال اللغة العربية فى المكاتبات المتبادلة بين ديوان الجهاديه وسائر الدواوين الأخرى فقط . أما التقارير والمراسلات التى تتبادل بين ديوان الجهادية وضباط الجيش العظام فتكتب باللغة التركية.

مجلس العسكرية

عندما ازداد عدد قوات الجيش المصرى واتسعت إدارته قامت الحكومة فى سنة ١٨٧١ بإنشاء مجلس العسكرية ، أملا بحصول السير والتسهيل وسرعة إيفاء أمور الجهادية ومصالحها نظرا لكثرتها وأهميتها (٢) . . وأسندت رياسته إلى مصطفى عاكف وكيل الجهادية ، وعضوية كل من حسين (بك) أميرالاى (عميد) مدفعية السواحل الثانى وأحمد شكرى (بك) أميرالاى (عميد) السوارى الأول من الفرقة الثانية ، ومحمد أمين (بك) أميرالاى (عميد) البيادة الرابع من الفرقة المذكورة (٣) .

مستشار لنظارة الجهادية

كذلك رأت الحكومة تعيين مستشار لنظارة الجهادية فى ٧ محرم سنة ١٢٩٤

---

(١) محفظة ٩ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ٢٠٠ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ شوال ١٢٨٦ .

(٢) محفظة ١٠ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ٣٠ من الجناب العال الى ناظر الجهادية فى ربيع الأول سنة ١٢٨٨ .

(٣) المصدر السابق .

(أوائل ١٨٧٧) ووقع اختيارها على عبـــد الله عزت رئيس مجلس شورى النواب ، لأهليته ، واستقامته ، ولاتحـــاده مع دولة ناظر الجهادية فى إدارة الحسابات ، وتمشية أشغال النظارة (١) ، ومنحته مرتبا شهريـا قـــدره ١٢٫٥٠٠ قرشا (٢) .

مجلس الجهادية

إختص هذا المجلس بالنظر فى القضايا بين أفراد الجهادية بعضهم وبعض ، وأما القضايا التى تنشأ بين مدنيين وعسكريين فتتولى نظرها المجالس المحلية (٣). ويصدر المجلس أحكامه إما بالحبس ، أو بتنزيل الرتبة . أو بكليهـــما ، أو بالاعدام ، أو بالنقل إلى السودان لمدة معينة حسب نوع الجريمة التى اقترفهـا ، والعقوبة التى يستحقها ، طبقا لما نص عليه قانون العقوبـات العسكرية . وكانت عقوبة الطرد من الخدمة من العقوبات التى توقع عـــلى ضباط الجيش . ولكن قامت الحكومة بإلغائها ومعاقبة الجانى بما يستحقه من عقاب (٤) .

كما كانت نظارة الجهادية تحرم على ضباط الجيش الجلوس بالمقاهى والحانـات وأندية الميسر . وتفرض على كل من يخالف هذه التعليمات عقوبات صـــارمة

(١) دفتر (معية تركى) بدون رقم وثيقة تركية رقم ٦ ص ٢ أمر كريم إلى عبد الله عزت فى ٧ محرم سنة ١٢٩٤ .

(٢) دفتر (معية تركى) بدون رقم وثيقة تركية رقم ٧ ص ٢ أمر كريم إلى ناظر الجهادية فى ٧ محرم سنة ١٢٩٤ .

(٣) قاموس الادارة والقضاء جـ ١ ص ٧٠٧ (أمر عال صادر فى سنة ١٨٧٠) .

(٤) محفظة ١٠ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٠٣ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية فى ١٠ ربيع أول سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) .

حرصا على سمعة الجندى المصرى وكرامته (١) .

كذلك قصرت نظارة الجهادية الترقية على من يعرفون القراءة والكتابه من الضباط (٢) ، وذلك تشجيعا لنشر العلم بين صفوف الجيش . وكافأت (٣) الضباط المجتهدين الذين قاموا بنقل بعض الكتب الأوربية إلى العربية بترقيات تتناسب مع ما بذلوه من جهد .

ميزانية نظارة الجهادية

لا يستطيع الباحث أن يعطى صورة كاملة وواضحة لميزانية نظارة الجهاديه فى تلك الفترة وذلك لتباين المعلومات التى يستقيها الباحث من الوثائق المختلفة عن السنة الواحدة . فميزانية السنوات من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٥ غير معروفة بالضبط . أما فى سنة ١٨٦٦ نجد أن قيمة ماهيات وتعيينات وكساوى ومصروفات العساكر بديوان الجهاديه بلغت ١٧ — ٤٧٤ — ٨٦١٥٩ (كيسة — قرشا —) (٤) .

وفى سنة ١٨٦٨ نشر أول إحصاء (٥) رسمى عن ميزانية الحكومة المصريه فى

---

(١) محفظة ٨ (أوامر جهادية) وثيقة تركية رقم ١٢٧ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) .

(٢) دفتر ١٩٣٥ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ٢٤٨ ص ١١٦ أمر كريم إلى ناظر الجهادية فى ٦ ذى الحجة سنة ١٢٨٧ .

(٣) محفظة ١٠ « أوامر جهادية » وثيقة رقم ١٣٤ أمر كريم إلى ناظر الجهادية فى ١٢ ربيع ثانى سنة ١٢٨٩ «١٨٧٢» .

(٤) دفتر ١٩٢٤ «أوامر جهادية» وثيقة رقم ٢ ص ٨ أمر إلى سردار عساكر مصر فى ١٧ جماد ثانى سنة ١٢٨٣ .

(5) Abdin · Amr , vol.4 despt . No . 124 . Cairo in June 6. 1868.

ملحق التقرير الذى قدم لمجلس شورى النواب عن ميزانية سنة ١٥٨٥ قبطية (١٨٦٨ م) بلغت قيمة المصروفات فى تلك السنة ٧٩٠ر٥٢٤ر٣٦ دولارا ، كان نصيب نظارة الجهادية والمدارس الحربية منها تبلغ ٠٠٠ر٥٠٠ر٣ دولارا ، وديوان البحرية والترسانة البحرية ٦٨٠ر٠٠٢ر١ دولارا [1] أى ما يقرب من ثمن مصروفات الدولة خصص للناحية الحربية .

كما كانت نظـــارة المالية ترسل إلى السودان كل عام ثلاثين ألف كيسة (٠٠٠ر٧٥٠ دولارا) لإدارة شئونه والصرف على الموظفين والجيش هناك [2]. هذا فضلا عما كان يجبى من الضرائب فى السودان .

وفى سنة ١٥٨٧ قبطية (٧٠ - ١٨٧١ م) بلغ ترتيب (مربوط) ماهيات ومصروفات الآلايات والمدارس الحربية والمصالح وفروع الجهادية وديوان العموم ٨٦ ر١٠٦٤ كيسة (٤٢٠ر٥٣٢ جنيها مصريا) ، وترتيب البحرية وملحقاتها مبلـــغ ٠٠٠ر١٣ كيسة [3] (الكيسة خمسة جنيهات مصرية) .

وصدر فى سنة ١٥٩٠ قبطية (٧٣ - ١٨٧٤ م) بيـــان رسمى آخر عن الميزانية [4] السنوية للحكومة المصرية ، بلغ نصيب نظارة الحربية والبحرية منها مبلغ ١٩٠ر٩٧٣ر٣ دولارا . ومنذ سنة ١٨٧٣ أصبحت ميزانية نظارة الجهادية

---

(١) المصدر السابق .

(2) Abdin Amr · Vol 8 despt . No . 145 , Cairo in Oct . 24 1869

(٣) محفظة ٤٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٦٤٤ من ناظر الجهادية والبحرية شاهين كنج إلى المعية مهردار الخديو فى ٨ شعبان سنة ١٢٨٧ .

١٥٠٫٠٠٠ كيسة (٧٥٠٫٠٠٠ جنيها) . ونظرا لإتساع حركة الفتح فى السودان ، وإنتشار القوات المصريه فى دارفور وخط الاستواء وهرر وجوبا ... هـذا بالاضافة إلى الحملة التى سيرتها الحكومة المصرية إلى الحبشة فى سنة ١٨٧٥ ، وما أنفق على الأسلحة والمهمات العسكرية ، وما أنشىء من المصانع والشكنات والسكك الحديديه ، وعلى بعثات أركان حرب ، فلم يكن هذا المبلغ وافيا بتدبير أمر الجهاديه فى أيه سنة من السنين (١) ، وكان موضع شكوى من قبل نظارة الجهاديه والبحريه إذاك . فطلبت تأليف لجنة من ذوى المكانه والخبرة لإجراء تحقيق دقيق فى الميزانية المخصصة لنظارة الجهادية ، وما تقوم به من التزامات ، ثم التوصية بتقدير ميزانية ثابته لها تفى بمطالبها ، وما ينتظر أن تقوم به من أعباء (٢) . ولما كان مبلغ المائه وخمسين ألف كيسه لا يفى بمصروفات النظارة لجأت إلى طلب إعتمادات إضافية لتغطيه أبواب المصروفات . ولهذا لايستطيع الباحث أن يحدد بالضبط المصروفات الفعلية للنظارة إذا أمكنه معرفه المربوط السنوى لها .

---

(١) محفظة ٥٣ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٢٣ من حسين كامل باشا نجل الخديو اسماعيل إلى والده عن مصروفات الجيش فى ٢ صفر سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) .

(١) المصدر السابق

مرتبات الضباط والجنود

أنشأت مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر جيشا نظاميا على نمط الجيش الفرنسى ، وعملت على الارتفاع بمستواه ما استطاعت الى ذلك سبيلا . فلكى توفر لأفراد هذا الجيش حياة طيبة مستقرة ربطت لهم مرتبات شهرية يتقاضونها وجرايات معينة تصرف لهم تبعا لرتبهم العسكرية . ويحسن أن نلم إلمامة سريعة بمرتبات هؤلاء الجنود لكى نعرف مدى تطورها فى العهود التالية.

وفيما يلى جدول بهذه المرتبات ننقله عن تقرير المستر[1] بورنج :

مير لواء (أمير لواء)	٢٥٠ كيسا فى السنة (١٢٥٠)	جم
الميرالاى (عميد)	٢٠٠ « « (١٠٠٠)	جم
القائمقام (عقيد)	٦ أكياس فى الشهر (٣٠)	جم
البكباشى (مقدم)	٥ « « (٢٥)	جم
محاسبي أول	٩٠٠ قرشا فى الشهر.	
الصاغ قول أغاسى (رائد)	١٢٥٠ « «	
اليوزباشى (نقيب)	٥٠٠ « «	
« (فى المدفعية)	٦٠٠ « «	
الملازم الأول	٣٠٠ « «	
« « (فى المدفعية)	٣٦٠ « «	

---

(١) تقرير المستر جـون بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على للدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين ص ٤٧٧

الملازم الثانى	٢٥٠	قرشا فى الشهر	
« « (فى المدفعية)	٣٠٠	«	«
الباشجاويش (رقيب أول)	٤٠	«	«
الجاويش (رقيب)	٣٠	«	«
الأمباشى (عريف)	٢٥	«	«
الجندى النفر	١٥	«	«

وفى الحرس كان كل ضابط يتقاضى مرتب الدرجة التى تعلو درجته .

المرتبات بعد عصر محمد على

اعترى مرتبات الجيش من عهد محمد على الى أوائل عهد اسماعيـل كثير من التعديلات ، ســـواء أكانت بالزيادة أم بالنقص ، وذلك تبعا للظروف المالية للبلاد . ففى عصر سعيد مثلا نجـد أن لسياسته فى إلغاء الاحتكار وتنظيم لوائح الأطيان، وتعديل بعض الضرائب،وإلغاء البعض الآخر أثرها فى مرتبات الجنود، فقلت[1] عما كانت عليه فى عصر محمد على . وفيما يلى بيان بماهيات الرتب المختلفة بالجيش فى عهد سعيد :

ميرالاى (عميد)	٥٠٠٠	قرشا فى الشهر	
قائمقام (عقيد)	٢٧٠٠	«	«

---

(١) شمل تخفيض المرتبات الدرجات من الصاغقول فما فوق وزادت مرتبات الملازمين الأوائل واليوزباشية و أما مادون ذلك من الدرجات فبقيت مرتباتها كما هى .

(٢) دفتر ٣٥٩ (معيه تركى)أمر رقم ٤٧ ص ٨٦ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ .

بكباشي (مقدم)	٢٢٥٠ قرشا فى الشهر
صاغقول (رائد)	١٠٠٠ « «
يوزباشي (نقيب)	٥٤٠ « «
ملازم أول	٤٠٠ « «
« ثان	٣٠٠ « «
صولقول (مساعد)	٧٥ « «
باشجاويش (رقيب أول)	٤٠ « «
جاويش وبلوك أمين (رقيب وأمين)	٣٠ « «
أومباشي (عريف)	٢٥ « «
نفر	١٥ « «

ولكننا نجد أن هذه المرتبات أيضا قد أدخل عليها تعديل فى عصر اسماعيل، فمنـــذ ولايته حتى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ (يونيه سنة ١٨٦٤) كانت المرتبات كالآتى (١) :

ميرالاى (عميد)	٥٠٠٠ قرشا فى الشهر
قائمقام (عقيد)	٣٠٠٠ « «
بكباشي (مقدم) (٢)	٢٥٠٠ « «
صاغقول (رائد) (٢)	١٥٠٠ « «

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) أمر رقم ٤٧ ص٨٦ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا ف ٢٤ ذى القعدة ١٢٨٠ (مايو سنة ١٨٦٤) .

(٢) زيدت مرتبات البكباشية والصاغقولات الى هذا القدر فى القدر ١٨ رمضان سنة ١٢٧٩ . محفظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٢٥٣ فى ١٨ رمضان سنه ١٢٧٩ .

يوزباشى (نقيب)	٤٠٠ قرشا فى الشهر
ملازم أول	٢٥٠ » »
» ثان	٢٠٠ » »
صولقول(مساعد)	١٢٠ » »
باشجاويش (رقيب أول)	٥٠ » »
جاويش (رقيب)	٤٠ » »
أونباشى (عريف)	٣٠ » »
نفــــر	٢٠ » »

وجدت الحكومة أن مرتبات صغار الضباط ومساعديهم ضئيلة ولا تتناسب مع ماهو ملقى على كاهلهم من أعباء ، فقررت (١) فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤) أن تصرف لليوزباشى (نقيب) مرتبا شهريا قدره ٥٠٠ قرشا بدلا من ٤٠٠ قرشا ، وللملازم الأول ٣٥٠ قرشا بدلا من ٢٥٠ قرشا ، وللملازم الثانى ٣٠٠ قرشا ، والصولقول والاسبران ٢٢٠ قرشا بدلا من ١٢٠ قرشا .

وقد ذكر ماكون Mc Coan تفصيلا لمرتبات الجيش على مختلف رتبهم العسكرية فى عصر اسماعيل . ويهمنا أن نوضح أن هـذه المرتبات لم تكن ثابتة طوال ذلك العصر ، بل تناولها التعديل أكثر من مرة وفيما يلى بيانها(٢) :

(١) دفتر ٣٥٠ (معية تركى) أمر رقم ٥٥ ص ٩٠ الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ . ومحفظة ٧ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٤٠٨ فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٨٠ (يونيه سنة ١٨٦٣) .

2 - Mc Coan ; Egypt as it is . Appendix D . P. 381 .

الرتبة العسكرية المصرية	ما يقابلها فى الدول الأوربية	المرتب قرشا	المرتب جنيها
نفـــــر	Private Soldier	٢٠ر	٠٠٠
أومباشى (عريف)	Corporal	٣٠ر	٠٠٠
جاويش (رقيب)	Sergent	٤٠ر	٠٠٠
بلوك أمين (الأمين)	Quartermaster	٥٠ر	٠٠٠
باشجاويش (رقيب أول)	Sergent-Major	٦٠ر	٠٠٠
صول (مساعد)	Adjutant	٢٠ر	١
أسـبران	Ensign	٢٠ر	١
ملازم ثانى	Sub-Lieutenant	٠٠ر	٣
ملازم أول	Lieutenant	٥٠ر	٣
يوزباشى (نقيب)	Captain	٠٠ر	٥
صاغقول أغاسى (رائد)	Adjutant-Major	٠٠ر	١٢
بكباشى (مقدم)	Major	٠٠ر	٢٠
قائمقام (عقيد)	Lieut-Colonel	٠٠ر	٣٠
أميرالاى (عميد)	Colonel	٠٠ر	٤٠
أمير لواء	Major-General	٠٠ر	٦٠
فريق	General	٠٠ر	٧٥

وكان الضباط الأطباء يتقاضون مرتبـات تزيد عن مرتبات زملائهم غير الأطباء من نفس الرتبة . فمثلا مرتب الملازم الثانى الطبيب كان ٥٠٠ قرشا(١). كذلك كان جنود « بلوك (فرقة) الصنايعية » يتقاضون مرتبات تزيد عما يتقاضاه زملاؤهم الذين من نفس رتبهم ، إذ كانت مرتباتهم تحسب باليومية . وكان لكل فئة من الجنود يومية (أجر يومى) خاصة تبعا لمقدرتها وكفاءتها فى الصناعة، وتراوحت هذه المرتبات بين الثمانية قروش والعشرين قرشا فى اليوم(٢) .

وذكر الضابط (٣) الألمانى هانز واشنهوزن Hans Wachenhusen فى مقاله الذى نشر فى العدد رقم ١٤٤ من جريدة Journal de Cologne فى ٢٢ مايو سنة ١٨٧١ عن الجيش المصرى فى عصر اسماعيل ، مرتبـات الجنود والضباط بالتفصيل ننقلها فيما يلى :

النفـــر	٢٠	قرشا	فى الشهر
أونباشى شرف	٤٠	»	»
الصف ضابط والبلوك أمين	٧٠	»	»

---

(١) محفظة ٤٧ [معيه تركى] وثيقة تركية رقم ٧٦٥ من ناظر الداخلية محمد شريف إلى المعيه — كاتب الديوان الخديو فى ١٦ شوال سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .

(٢) دفتر ٩٨٦ جـ ١ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٨٤ ص ١٧٢ من سعادة الناظر إلى مهمات عسكرية فى ١٥ جمادى الآخرة ١٢٨٢ .

(٣) حضر هذا الضابط إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ وكتب تقريرا عن الجيش المصرى فى ذلك الوقت ثم نشره فى الجريدة المذكورة فى ٢٢ مايو ١٨٧١ .

الأمباشى (عريف)	٩٠	قرشا	فى الشهر
كاتب الأورطة	١٢٠	»	»
الملازم الثـانى	٣٠٠	»	»
الملازم الأول	٣٥٠	»	»
اليوزباشى «نقيب» من الطبقة الثانية	٥٠٠	»	»
اليوزباشى من الدرجة الأولى	٦٠٠	»	»
الصاغ (رائد)	١٢٠٠	»	»
البكباشى (مقدم)	٢٠٠٠	»	»
القائمقام (عقيد)	٢٥٠٠	»	»
الأميرالاى (عميد)	٥٠٠٠	»	»
أمير لواء	٨٠٠٠	»	»
الفريق	١٠٠٠٠	»	»

وقد تعرضت هذه المرتبات لتعديلات أخرى ، وخصوصاً مرتبات الضباط العظام من رتبة فريق ، إذ جعل مرتب هذه الرتبة ٧٥ جنيها(١) .

وفيما يلى ثبت بالمرتبات التى ظل رجال الجيش يتقاضونها فى أواخر عصر اسماعيل وأوائل عصر توفيق حتى ٢٠ أبريل سنة ١٨٨١ (٢١ جمـادى الأولى سنة ١٢٩٨) (٢) .

---

(١) محفظة ٤٢ [معية تركى] وثيقة تركية رقم ٥٤٧ إلى مهر داو جناب الخديو فى ١٦ رمضان ١٢٨٤ [١٨٦٨].

(٢) عبد الرحمن الرافعى . الثورة العرابية ص ١٠٣ .

	ملیم	قرشاً
نفـــــر	١٠	١٩ فى الشهر
أونباشى (عريف)		٣٠ »
جاويش (رقيب)		٣٠ » (١)
بلوك أمين (الأمين)		٤٠ »
باشجاويش (رقيب أول)		٥٠ »
صولقول أغاسى (مساعد)		١٣٠ »
ملازم ثانى		٣٥٠ »
ملازم أول		٤٠٠ »
يوزباشى (نقيب)		٥٠٠ »
صاغقول أغاسى (رائد)		١٢٠٠ »
بكباشى (مقدم)		٢٠٠٠ »
قائمقام (عقيد)		٢٥٠٠ »
أميرالاى (عميد)		٤٠٠٠ »
لـــواء		٦٠٠٠ »
فـريق		٧٥٠٠ »

وكانت هذه المرتبات تصرف لرجال الجيش بحساب الشهور القبطية (٢).

(١) يشك فى صحـــة هذا المرتب . إذ لا يجوز أن يتساوى مرتب درجتين مختلفين فى السلك العسكرى .وأغلب الظن أنه ٣٥ قرشا فى الشهر .

(٢) محفظة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ٢٨٧ من وكيل الجهادية إلى ناظرها فى ٧ شوال ١٢٨٣ [فبراير ١٨٦٧].

يذكر الأميرالاى (العميد) الامريكى داى (١) بأنه إذا قارنا مرتبات الجيش المصرى بنظائرها فى الجيوش الأوربية وجدناها متشابهة . كذلك إذا وازنا بين حالة الجندى النفر الذى يتقاضى مرتبا شهريا يقل عن دولار واحد فى الشهر بعد نفقات مأكله وملبسه وحالة العامل فى ذلك الوقت، وجدنا أن المرتب الذى يصرف للجندى هو كل ما يستطيع العامل إدخاره بعد آداء نفقات معيشته .

مرتبات الجنود الاتراك

كان نصيب الجندى التركى يزيد زيادة كبيرة عن نصيب الجندى المصرى فى المرتب . فبينما نجد الجندى المصرى النفر يتقاضى مرتبا شهريا قدره عشرين قرشا، نجد أن الجندى التركى النفر بسلاح المدفعية والمقيم بالمدن الساحلية كالاسكندرية ورشيد ودمياط يتقاضى مرتبا شهريا قدرة ١٥٠ قرشا (٢) . ويتقاضى زميله المعين بمديريات الوجهين البحرى والقبلى مرتبا شهريا قدره ٢٥٠ قرشا (٣) . كذلك كان يتقاضى أفراد ، طقم القواسة السوارى والبيادة ، ١٥٠ قرشافىالشهر. فهذا التمييز الكبير بين العنصرين المصرى والتركى فى المرتب كانأحد الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة العرابية . إذ شعر المصريون بمدى الغبن الواقع عليهم ، ومدى تعصب الحكام للعنصر التركى والجركسى ومحاباته على حساب العنصر المصرى .

---

(1) Dye; Moslem Egypt .... P. 58

(٢) محفظة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ١٠١ من داود فهمى وكيل ديوان الجهادية إلى المعية السنية فى ٤ شعبان ١٢٨٣ [أواخر ١٨٦٦].

(٣) المصدر السابق .

مرتبات الضباط الاجانب

أما فيما يتعلق بمرتبات الضباط الأجانب الذين استخدموا فى الجيش المصرى نجد أن مرتباتهم كانت دائما تزيد عن مرتبات زملائهم المصريين الذين من نفس رتبهم. وإذا ألقينا نظرة على الجدول الآتى يتبين لنا مقدار تلك الزيادة بين المرتبين:

الرتبة	مرتب الضابط (١) المصرى جنيه	مرتب الضابط (٢) الأجنبى جنيه
الفريق	٧٥	١٠٠
الأميرالاى (العميد)	٤٠	٤٦
القائمقام (العقيد)	٣٠	٤١
البكباشى (المقدم)	٢٠	٣٧
اليوزباشى (النقيب)	٥	٢٩

وكان يختلف فى بعض الأحايين مرتب الضباط الأجانب فى مرتبة واحدة كل منهم عن الآخر. وهذا الاختلاف راجع إلى أن الحكومة المصرية كانت تستخدم هؤلاء الضباط بمقتضى عقود فردية ولمدة معينة. وكانت تساوم كلا منهما على

(1) Mc Coan, Egypt as it is P 381.

(2) Abdin. Amr. Vol. 6 enclosure in despt. No. 3 June 4, 1870.

المرتب الذى سيتقاضاه . مثال ذلك القائمقام (العقيد) هـــنرى ماك ايفر (١) H . Mc Ivor - من الضباط الأمريكيين الذين استخدموا فى الجيش المصرى - فقد التحق بخدمة الجيش فى ٢٤ مارس سنة ١٨٧٠ ، وكان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٤٦ جنيها مصريا ، وعليقتين (اجواده) ، ومرتب شهر فى السنة أجرة مسكن . بينا نجد زميله الأمريكى أيضا القائمقـام (العقيد) لونج (٢) C.C. Long الذى التحق بالخدمة فى ٣ مارس سنة ١٨٧٠ كان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٤١ جنيها ، وعليقتين ، ومرتب شهر فى السنة أجرة سكنه ، مع أن كليهما فى نفس الرتبه والتحق بخدمة الحكومة فى شهر واحد . ومع ذلك فمرتب القائمقام (العقيد) المصرى الذى كان يتقاضى مابين ٢٥ و ٣٠ ج. م. شهريا .

مرتبات الضباط والجنود فى اسفارهم

ونظرا لما يلاقيه الضباط والجنود من مشاق فى القيام (بالمأموريات) خارج مراكزهم الأصلية . رؤى تعويضهم عن ذلك بزيادة نسبة معينة فى المرتب المخصص لكل منهم . واختلفت نسبة الزيادة باختلاف الرتب العسكرية ، إذا كانت تتناسب تناسبا عكسيا مع هذه الرتب ، فكلما كبرت الرتبة قلت النسبة والعكس صحيح . فمثلا كان يتقاضى الأميرالاى (العميد) زيادة قدرت بربـع المرتب ، وتزيد هذه النسبة كلما صغرت الرتبة . وفى الجدول (٣) الآتى بيـــانه

(١) المصـــدر الســـابق .

(٢) محفظة ٩ (جهـادية) مكاتبة عربية رقم ٢٢٠ من الجناب العالى الى ناظر الجهـادية فى ٨ صفر سنة ١٢٨٧ (سنة ١٨٧٠) .

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى امر كريم رقم ٤٧ ص ٨٦ الى ناظر الجهـادية اسماعيل باشا فى ٢٤ ذى القعدة ســنة ١٢٨ (١٨٦٤) .

تفصيل لهذه الزيادة التي كان يطلق عليها اسم «الضميمة» في ذلك الوقت - وهي ماتعرف الآن باسم بدل السفر - لبيان مبلغ التحسن الذى أدخل عليهـــا في عهد اسماعيل .

الضمائم على مرتبات ضباط الجهادية والأفراد العسكرية في أسفـــارهم إلى البلاد البعيدة :

الرتبة		الضمائم في العهد السابق			التعيينات والعليق	
		المرتب	الضميمة	الجملة	التعيينات باعتبار النفر	عليق باعتبار الخيل
	باعتبار	قرشاً	قرشاً	قرشاً		
ميرالاى (عميد)	الخمس	٥٠٠٠	١٠٠٠	٦٠٠٠	٨	٣
قائمقام (عقيد)	الخمس	٢٧٠٠	٥٤٠	٣٢٤٠	٤	٢
بكباشى (مقدم)	الربع	٢٢٥٠	٥٦٢	٢٨١٢	٤	٢
صاغقول (رائد)	»	١٠٠٠	٢٥	١٢٥٠	٣	١
يوزباشى (نقيب)	الثلث	٥٤٠	١٨٠	٧٢٠	٠	٠
ملازم أول	»	٤٠٠	١٣٣	٥٣٣	٠	٠
ملازم ثان	»	٣٠٠	١٠٠	٤٠٠	٠	٠
صولقول (مساعد)	»	٧٥	٢٥	١٠٠	٠	٠
باشجاويش (رقيب أول)	النصف	٤٠	١٠	٦٠	٠	٠
جاويش (رقيب)	»	٣٠	٢٥	٤٥	٠	٠
بلوك أمين	»					
أنباشى (عريف)	»	٢٥	١٢٫٥	٣٧٫٥	٠	٠
نفـــر	»	١٥	٧٫٥	٢٢٫٥	٠	٠

الرتبـة		الضمائم الحالية			التعيينات والعليق	
		المرتب	الضميمة	الجملة	التعيينات باعتبار النفر	عليق باعتبار الخيل
	باعتبار	قرشاً	قرشاً	قرشاً		
ميرالاى (عميد)	الربع	٥٠٠٠	١٢٥٠	٦٢٥٠	٨	٣
قائمقام (عقيد)	الثلث	٣٠٠٠	١٠٠٠	٤٠٠٠	٥	٢
بكباشى (مقدم)	»	٢٥٠٠	٨٣٣ ١/٣	٣٣٣٣ ١/٢	٤	٢
صاغقول (رائد)	»	١٥٠٠	٥٠٠	٢٠٠٠	٣	١
يوزباشى (نقيب)	النصف	٤٠٠	٢٠	٦٠٠	•	•
ملازم أول	»	٢٥٠	١٢٥	٣٧٥	•	•
ملازم ثان	»	٢٠٠	١٠٠	٣٠٠	•	•
صولقول (مساعد)	»	١٢٠	٦٠	١٨٠	•	•
باشجاويش (رقيب أول)	»	٥٠	٢٥	٧٥	•	•
جاويش (رقيب)	»	٤٠	٢٠	٦٠	•	•
بلوك أمين (أمين)	»					
أنباشى (عريف)	»	٣٠	١٥	٤٥	•	•
نفـــر	»	٢٠	١٠	٣٠	•	•

على أن هذه النسب المذكورة لم تكن متبعة فى كل الأقاوت ، إذ نجد أن الحكومة قررت فى إبريل سنة ١٨٧٣ منح جميع الضبـــاط المصريين والأمريكيين الذين أرسلوا فى مأمورية زنجبار ،علاوة على ماهياتهم قيمـة الخمس فى مدة هذه السفرية (١) ».

(٤) دفتر ١٨٧٤ الأوامر الكرام الواردة لديوان الجهادية مكاتبة رقم ١٦ فى ١٠ المحرم ١٢٩٠ وتقويم النيل . المجلد الثالث . جـ٣ ص ١٠٤٨.

مرتبات الضباط والجنود أثناء الاجازات الاعتيادية

لما كان عبء التجنيد يقع على كاهل طبقة المزارعين ، فقد واجهت الحكومة مشكلة كبيرة فى سبيل زيادة عدد الجيش المصرى من هـــذه الطبقة ، إذ أن أى توسع فى حركة التجنيد سيكون على حساب الزراعة . ولهذا اضطرت ـ لكى توفق بين هاتين الناحيتين الهامتين ـ أن يمنح الضباط والجنود أجازات طويلة ، يتفرغ فيها كل منهم إلى الاهتمام بشئون أرضه . فمنحت ثلث الجنود من كل آلاى (لواء) «بالدور الدائم» أجازة لمدة شهرين مع قطع ماهياتهم ومرتباتهم مدة[١] الاجازة . أما الاجازات القصيرة ـ مثل الخمسة عشر يوما ـ المعتاد إعطائها مرة أو مرتين فى العام لاتقطع فيها المرتبات [٢] .

وهذه الطريقة ـ ولو أنها كانت تحول بين الجندى والحياة العسكرية فترة غير قصيرة ـ إلا أنها من ناحية أخرى قـــد حققت غرضين هامين: الاول هو التوفيق بين فلاحة الارض والجندية . والثانى تخفيف العبء عن ميزانية نظارة الجهادية ، وذلك لتوقف صرف مرتبات وتعيينات الضبـــاط والجنود فى تلك الفترة .

المرتبات أثناء الأجازة المرضية

كذلك كان يخصم من الضباط والجنود المرضى خمس رواتبهم نظير علاجهم فى المستشفى العسكرى . واستمر هـــذا الاجراء متبعا حتى ٢٧ ربيع آخر سنة

---

(١) محفظة ٨ جهادية وثيقة تركية رقم ٥٠٢ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٩ جماد أول سنة ١٢٧٢ (١٨٦٥) . ودفتر ٥٥٧ (معيه تركى) وثيقة رقم ٢٢ ص ٢١ أمر كريم إلى الجهادية فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق .

١٢٨٣ (أواخر سنة ١٨٦٦) حيث عدلت الحكومة عن خصم شيء من المرتب إلا إذا كان المرض « من فعل الانسان نفسه (١) » ، فيخصم منه خمس المرتب من قبيل الجزاء . كذلك كان الضبـــاط الأمريكيون الملحقون بالجيش المصرى يتمتعون بنفس الامتياز ، فنجد مثلا عندما أصيب الأميرالاى (العميد) الأمريكى رت Rhett بداء الفالج ، منح أجازة ستة شهور للمعالجة بأوربا ، على أن يتقاضى ماهيته كاملة أثناء الأجازة (٢) . وأيضا عندما مرضت زوجـة الأميرالاى (العميد) الأمريكى فرانك رينولدز Frank Reynolds منح أجازة مدة أربعة شهور لاصطحابها إلى أوربا ، على أن يتقاضى نصف ماهيته مـــدة الأجازة (٣) » .

تأخير صرف المرتبات

كان لسياسة التوسع فى إنشاء جيش مصر الحديث فى مطلع القرن الماضى ، وما استلزمها من زيادة معداته وأسلحته وتشييد المصانع الحربية وإيفاد البعوث العسكرية ، أثرها على مالية البلاد . فكانت الحكومة ـ فى بعض الأحايين ـ تلجأ تحت تأثير الضغط المالى إلى تأخير صرف مرتبات الضباط والجنود عـدة

(١) محفظة ٨ جهادية وثيقة تركية رقم ٣٦٥ من الجناب المالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٧ ربيع ثان سنة ١٢٨٣ . ودفتر ٥٥٧ (معية تركى) وثيقة رقم ١٠٦ إلى ناظر الجهادية فى ٢٧ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ .

(٢) محفظة ٤٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٣ من ناظر الجهادية قاسم رسمى إلى المعيـة مهردار الخديو فى ٢٢ محرم سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .

(٣) محفظة ٤٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٩٦ من ناظر الجهادية قاسم رسمى الى المعيـــة مهردار فى ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) .

شهور تتراوح بين ٧ و ١٢ شهرا (١) . فكان لهذا التأخير أسوأ الأثر على حالة الجنود المادية والمعنوية . إذكان من نتيجته قيام الضباط والجنود بالسودان بغزوات لجمع الرقيق وتوزيعه فيما بينهم « بأثمان محددة تبعا لمقدار المتأخر من مرتباتهم (٢) » . وقد شكا المستر باتريك كامبل - قنصل انجلترا العام بمصر فى ذلك الوقت - من هذه الاجراءات فى تقرير رفعه إلى وزير الخارجية الانجليزيه (٣) الذى قام بدوره بإبلاغ محمد على عدم إرتياحه لهذا العمل . فبعث محمد على برسالة إلى خورشيد حكمدار السودان وقتئذ ، يستنكر فيه الحادث ، ويأمره بأن يكف الضباط والجنود عن ارتكاب مثل هذا العمل فى المستقبل .

ولما ولى اسماعيل الحكم وسلك نفس الطريق الذى سلكه جده فى تكوين جيش قوى ، وما استلزم هذا العمل من إعادة فتح المدارس والمصانع الحربية التى أغلقت بعد وفاة محمد على فى عهد عباس وسعيد ، ومن استيراد أحدث الأسلحة الحربية التى تنتجها المصانع الاوربية والامريكية . وما أعقب حركة التوسع فى السودان من زيادة النفقات زيادة لم تحتملها ميزانية نظارة الجهادية ، استرعت هذه الحالة انتباه ناظر الجهادية - فرفع إلى الخديو

---

(١) محفظة ١٩ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٢٢ فى ٨ محرم سنة ١٢٤٢ (١٢ أغسطس ١٨٢٦) .

(٢) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على للدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين مكاتبة رقم ٨١ من الايفتنانت كولونيل كامبل إلى الفيكونت بلمرستون بتاريخ ٧ يناير سنة ١٨٣٧ ص ٥٧٩) .

(٣) المصدر السابق

تقريرا (١) فى ٢ صفر سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) قال فيه « إن المائة وخمسين ألف كيس المخصصة للجهادية لم تكن فى أية سنة من السنين المذكورة وافية بتدبير أمور الجهادية ، ولا هى محتمل وفاؤها بذلك » . ونتيجة لذلك اضطرت نظارة الجهادية إلى تأخير صرف مرتبات الضباط والجنود . وقد بلغ هذا التأخير فى بعض الأوقات إلى ١٤ شهرا (٢) . فاذا علمنا أن أغلب رجـــال الجيش - وخصوصا الصغار منهم - لايملكون سوى مرتباتهم فقط ، أدركنا مدى سوء الحالة التى وصلوا اليها ،وما لحق بهم من أضرار بليغة صورها الضابط الأمريكى داى تصويرا واضحا (٣) .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل كان من نتيجته أيضا قيـــام الجنود بثورتين. إحداهما ثورة دموية حدثت فى مدينة كسلا سنة ١٨٦٥ ، وقام بها العساكر السود الموجودون باستحكامات المدينة ، وكان عددهم يبلغ الأربعة آلاف جندى. والسبب الرئيسى لقيام هذه الثورة كما رواها المؤرخون « سوء إدارة القواد ، وتأخر الحكومة عن دفع مرتبات الجند (٤) » ، نظرا للقحط الذى حل بمديرية التاكة لعدم سقوط أمطار حينذاك(٥). وقد استمرت هذه الثورة عدة شهور إلى

---

(١) محفظة رقم ٥٣ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣ من حسين كامل إلى الخديو اسماعيل فى ٢ صفر سنة ١٢٩٣ .

(2) Dye ' Moslem Egypt ..— P. 67 .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نعوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته جـ٣ ص٤٠ والياس الايوبى تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل جـ ٢ص ١٠ .

(٥) دفتر ٥٣٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٢ ص ٦ ارادة سنية الى صاحب السعادة جعفر =

أن استطاعت الحكومة إخضاعها ، بعد أن جرت الخراب على أهلها (التاكة) ، وضاع فيها الكثير من النفوس والأموال . ولم تكتف بهذا بل جرت وراءها ذيلا ، أى حمى وبائية نجمت عن فساد الهواء لكثرة القتلى ، فمات بها خلق كثير (١) » .

أما الثورة الأخرى ـ أو بمعنى أدق ـ المظاهرة العسكرية فقد قام بها ضباط الجيش فى يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ فى عهد نظارة نوبار ؛ وكان سبب قيامها طرد عدد غير قليل من الضباط تخفيفا لأعباء الميزانية ، وتأخر صرف مرتبات الآخرين . فتجمهر المتظاهرون فى فناء نظارة المالية ، واعتدوا على المستر ريفرز ويلسن ـ ناظر المالية ـ ونوبار باشا ناظر النظار بالأيدى والسباب أثناء دخولهما مبنى النظارة . ولم ينصرف المتظاهرون إلا بعد حضور الخديو اسماعيل ووعده لهم بالنظر فى مظالمهم . وقيل فى تفسير هذا الحادث أن الخديو أوعز إلى الضباط القيام به إنتقاما من نوبار الذى انحاز إلى جانب انجلترا ، ولكى يثبت لها ولفرنسا أنه مازال صاحب الكلمة المسموعة فى البلاد .

مكافآت الضباط والجنود الذين يصابون أثناء الخدمة

كفلت لائحة المعاشات الخاصة برجال الجيش تعويضا عادلا فى حالة إصابة أحدهم إصابة تحول بينه وبين كسب معاشه . فمثلا كان يخصص لمن فقد

حكمدار عموم السودان فى ٢٨ محرم سنة ١٣٨٢ (٢٣ يوليه سنة ١٨٦٥) . ودفتر ٥٣٩ (معية تركى) وثيقة رقم ١٦١ ص ٨٦ قسم ثانى من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ محرم سنة ١٣٨٢ (٢٣ يوليه سنة ١٨٦٥) .

(١) نعوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث ج ٣ ص ٤٨ .

إحدى يديه أو إحدى رجليه ثلثى مرتبه كامل مرتبه وجرايته (١) .

ولم يكن التعويض نقدا فحسب ، بل كان عينا كذلك . فكان يمنح هؤلاء المصابون أراضى زراعية ، لتكون مدارا لإعاشتهم وإعاشة عائلاتهم (٢) .

معاشات الضباط والجنود

يذكر اللواء (٣) محمد مختار أن أول قانون للمعاشات بمصر صدر فى ٥ ربيع ثان سنة ١٢٧١ «ديسمبر سنة ١٨٥٤» فى عهد سعيد ، مع أن السير جون بورنج يذكر (٤) بأن الضباط الأوربيين بالجيش المصرى فى عصر محمد على كان يصرف لهم معاشات فى نهاية مدة خدمتهم . وكان يخصم من مرتباتهم نظير ذلك مرتب يوم واحد كل شهر .

ويغلب على الظن أنه فى عصر محمد على كانت تصرف لهؤلاء الضباط معاشات طبقا لقواعد مالية لم تتخذ شكل قانون إلا فى عصر سعيد كما سبق أن أشرنا . واستمر القانون الذى صدر فى عهد سعيد معمولا به حتى أوائل سنة ١٨٧١ حيث أصدرت الحكومة المصرية قانونا آخر فى ١٨ شوال سنة ١٢٨٧ « أوائل سنة ١٨٧١ (٥) » للعمل بموجبه . ولم يكن قانون سعيد خاصا

(١) محفظة رقم ٣٠ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٢٦٤ من اسماعيل سليم باشا ناظر الجهادية الى باشمعاون الخديو فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) .

(٢) محفظة ٩ (جهادية) وثيقة تركية رقم ٤٩ من الجناب العالى الى سعادة الباشا (كذا) فى غرة رجب سنة ١٢٨٤ (٢٩ اكتوبر سنة ١٨٦٧) .

(٣) اللواء محمد مختار . كتاب التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية ص ٦٣٦ .

(٤) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٢ .

(٥) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٣ ص ٣٧٧ (صورة امر عال صادر للداخلية رقم ١٨ شوال سنة ١٢٨٧ نمـر ٧٧) .

بالعسكريين فقط ، بل شمل العسكريين والمدنيين من موظفى الحكومة المصرية على السواء ، ولم يفرق بينهم فى المعاملة . ويتضمن القانون إحدى عشرة مادة نلخصها فيما يلى :

وضع هذا القـــانون ليطبق على « الذوات وأرباب الرتب والماهيات والجاويشية الأندرون[١] والبيرون والقواسة والطوبجية والجبخانجية والعساكر الباشبوزق وسائر أرباب الماهيات الذين سبقت لهم الخدمـة فى الجهادية البرية والبحرية وفى الملكية » .

فمن أمضى فى الخدمة مدة ١٥ عاما يتقاضى ربع ماهيته معاشا
ومن » » » ٢٠ » » ثلث » »
» » » » ٢٥ » » نصف » »
» » » » ٣٠ » » ثلثى » »
» » » » ٤٠ » » ماهيته ومرتبه كاملا

أما فى حالات الإصابة أو المرض أثناء الخدمة فينص القانون على أنه « إذا فقد الشخص كريمتيه (عينيه) أو صـــار مقعدا أو بطل عضو من أعضائه ، فيصرح له بالإحالة على المعاش بعد توقيع الكشف الطبى عليه من الطبيب المختص ويرتب له نصف مرتباته الأصلية معاشا إن كانت ماهيته ومرتباته ألف قرش فى كل شهر . فإن كانت دون الألف رتب له ثلثا مرتباته الأصلية معاشا » ، دون

(٤) الأندرون معناها رجال الحرس الخديوى المقيمون داخـــل القصر ، والبـــيرون الموجودون خارجه .

التقيد بمدة معينه . على أن تحسب مـــدة الخدمة بالسودان السنة الواحدة بسنة ونصف سنة .

وفى حالة الوفاة يوزع نصف ماهيته ومرتباته فى الشهر على ورثته الشرعيين إن كان يتقاضى ماهية قدرها ٥٠٠ قرشا أو أكثر فى الشهر. أما إذا كان يتقاضى ماهية شهرية قدرها ٢٥٠ قرشا فأقـــل فيرتب لورثته الشرعيين جميع ماهيته . ويصرف المعـاش للذكور حتى سن الخامسة عشر، إلا إذا كانوا مصابين بمرض يمنعهم عن كسب قوتهم ، وللإناث حتى يتزوجن .

وفى ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (سبتمبر [1] ١٨٦٥) وافقت الحكومة على أن يصرف لورثته المتوفين فى الجهاد معاشا شهريا دون نظر الى مدة خدمتهم، وذلك تمييزا لهم عن سائر موظفى الحكومة ، نظرا لما يقدمونه من تضحيات فى سبيل الدفاع عن بلادهم . وقد اعتبرت مدة الخدمة فى المعـاش بجهتى مصوع وسواكن السنة سنة واحدة كسائر مدن القطر المصرى ، وذلك فى ٢٢ محرم سنة ١٢٨٧ (ابريل سنة [2] ١٨٧٠) .

ولما كثرت المعاشات وزاد عبؤها على مالية البلاد ، رأى المجلس المخصوص ضرورة استقطاع جزء من مرتب الموظف كل شهر حتى تستطيع الحـــكومة

---

(١) فيليب جلاد . قاموس الادارة والقضاء ج ٣ ص ٣٧٥ (أمر عال على قرار المجلس المخصوص صادر سعادة ناظر المالية فى ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ نمرة ١٥) .

(٢) المصدر السابق ص٣٧٦ (شرح وارد المالية من الداخلية رقم ٢٢ محرم ١٢٨٧ نمرة ٤٣٢)

الاستمرار فى صرفها حرصا على مصلحة الموظفين العسكريين والمدنيين على السواء. فأوصى « باستقطاع استحقاق يوم واحـــد شهرى من كافة أرباب الماهيات جهادية (١) وملكية » . وقد كان هذا الإجراء متبعا فى عصر محمد على بالنسبة للموظفين الأوربيين (٢) .

وفى ١٨ شوال سنة ١٢٨٧ (يناير سنة ١٨٧١) أصدرت الحكومة قانون معاشات آخر جديد ليحل محل القانون القائم وقتئذ . ويشتمل هذا القانون على ثمانية بنود ، وفيما يلى أهم ما جاء به :

ألا يصرف معاش إلا لمن أمضى مدة ٣٠ عاما فى خدمة الحكومة أو من أصيب أثناء الخدمة بمرض يمنعه عن أداء عمله .

فمن أمضى ٣٠ عاما فى الخدمة وكان يتقاضى ١٠٠٠ قرشا فى الشهر يصرف له ربع مرتبه معاشا . وإن كان يتقاضى مرتبا أقل من ١٠٠٠ قرشا الى ٢٥٠ قرشا يصرف له ثلثه معـــاشا . على أن تحسب كل سنة أمضاها فى السودان بسنة ونصف سنة .

أما فى حالة الاصابة أثناء الخدمة بمرض يقعده عن العمل فيصرف له نصف ماهيته الأصلية إن كان مرتبه ١٠٠٠ قرشا فى الشهر . أما من يقل مرتبه عن ذلك فيصرف له ٢/٣ مرتبه معاشا شهريا .

---

(٢) قاموس الادارة والقضاء ج ٣ ص ٣٧٦ (أمر عال صادر للداخلية فى ٢٠ رجب سنة ١٢٨٧ نمرة ٣١)

(٣) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٢ .

وحتى سنة ١٨٧٥ لم يكن هناك قانون للمعاشات خاص برجال الجيش وحدهم، بل كانت جميع القوانين التى صـــدرت قبل هذا التاريخ تطبق على العسكريين والمدنيين على السواء . ونظرا لإختلاف طبيعة كل منهما عن الآخر من ناحية العمل، رأت الحكومة أن يعامل رجال الجيش معاملة خاصة ، لاسيما الذين يتوفون منهم فى ميدان القتال ، فأصدرت أمرها فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ (أواخر سنة ١٨٧٥) بأن «كل من توفى فى الحرب من أفراد العساكر والصف ضابطان (ضباط) والضابطان العظام سواء كانوا برية أو بحرية ، وكان له ذرية قصر وزوجة أو زوجات ووالد أو والدة رتب لهم الماهية المخصصة لرتبة المتوفى كاملة بالتخصيص عليهم حسبما يصيب كل منهم بالفريضة (١) الشرعية » . ويقطع معاش الزوجة أو البنت عند زواجها . ويقطع معاش الولد عند بلوغه سن الواحد والعشرين سنة إلا إذا كان به علة تمنعه عن كسب قوته . وكذلك لايقطع معاش الوالدين ماداموا على قيد الحياة (٢) . وكانت هذه الخطوة من جانب الحكومة إجراء مؤقتا إذ كان « مجلس العسكرية » فى ذلك الوقت منهمكا فى وضع قانون جديد خاص برجال الجيش . وقد ظهر هذا القانون الى حيز الوجود (٣) فى غاية جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ (٢٢ يونيه سنة ١٨٧٦) . ولهذا

---

(١) أمين سامى باشا . تقويم النيل : المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٨٠ (أمر كريم للجهادية فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ ، ودفتر ٢٩٠٣ (أوامر جهادية) مكاتبة رقم ١٢ عربى الى ديوان الجهادية فى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) تقويم النيل . المجلد الثالث ج ٣ ص ١٣٤٧ وقاموس الادارة والقضاء ج٣ ص ٣٨٧ (صورة الأمر العالى الصادر على قانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعهما بتاريخ غاية جماد أول سنة ١٢٩٣ رقم ٢٢ يونيه سنة ١٨٧٦ نمرة ٩٣ لنظارة الجهادية) .

القانون أهمية خاصة لأنه أول قانون شامل لضباط الجيش وجنوده دون سواهم ويشتمل على عشرين بندا نجملها فيما يلي (١) :

اشتمل البند الأول من القانون على الأمر الخديو الصادر فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ (أواخل سنة ١٨٧٥) الذى سبق ذكره فى شـــأن من يتوفى فى ميدان القتال من الضباط والجنود. وحدد البند الثانى الطوائف التى يشملها القانون « بالضباط الكرام والعظام ومن دونهم من الضباط لحد الأسبران الجهادية البرية ومن يماثلهم من البحرية ، مثل باش رئيس أول ودمنجى باشى أول ، وطوبجى باشى أول ، وقوبودارمو ، وتلامذة السرك ، وأرباب الماهيات الذين أصلهم من سلك العسكرية من سائر الخدمة بالجهادية البرية والبحرية وفروعها ، مثل الكتبة والخوجات المنوطين بالتعليم، وخوجات البحرية، وأرباب الصنائع، والسروجية، والقنداقجية، والتوفكجيه ، وصنائعية الطوبجية وخلافهم من سائر الصنائعية (٢) ». فإذا بلغ أحد هؤلاء سن التقاعد يصرف له معاش طبقا للنسب الآتية :

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) دومنجى باشى : كبير رؤساء السكان وهو دفة المركب . باشى رئيس أول : كبير رؤساء الملاحين . والقنداقجية : صناع قواعد المدافع . والتوفكجية : صناع البنادق .

المرتب	مدة الخدمة سنة	المعاش بالنسبة للمرتب
أقل من ١٠٠٠ قرشا	١٢	١/٤ المرتب
»	١٧	١/٣ »
»	٢٢	١/٢ »
»	٢٧	٢/٣ »
»	٣٢	جميع »
أكثر من ١٠٠٠	١٥	١/٤ »
»	٢٠	١/٣ »
»	٢٥	١/٢ »
»	٣٠	٢/٣ »
»	٣٥	جميع »

الاستيداع

إذا أحيل أحـــد الضباط أو الجنود الى الاستيداع يسوى معاشه على الوجه الآتى :

إذا كانت ماهيته لغاية ألف قرش يرتب له ثلثا ماهيته معاشا ، ومن كانت ماهيته من ألف قرش فصاعدا يرتب له نصف ماهيته معاشا .

المكافاة عن (المامورمات) فى المعاش

فرق المعاش بين من يعملون بمصر وغيرهم ممن يعملون بملحقاتها ، فمدة الخدمة تحسب للذين بسفريات المحاربة والذين يتعينون بمأموريات أو الاستخدام بجهات

متباعدة مثل البحر الأبيض وخط الاستواء ومديرية فاشورة وكردفان وفيزوغلى وأقاليم دارفور وجهات هرر وزيلع ، كل سنة بسنتين . وباقى جهات السودان وجهات مصوع وسواكن والتاكا والحجاز كل سنة بسنة ونصف » .

الاصابة أثناء الخدمة

وإذا أصيب أحـــد الضباط أو الجنود بعلة تمنعه من تأدية وظيفته ، فبعد توقيع الكشف الطبي عليه وثبوت حالته يرتب له نصف ماهيته معاشا إن كانت ماهيته فوق ألف قرش . ويرتب له ثلثا ماهيته إن كانت ألف قرش فأقل . ويمنح زيادة على هذه النسبة إذا كانت مدة خدمته تسمح بذلك .

معاش المتوفين أثناء الخدمة أو الاستيداع

إذا توفى أحد رجال الجيش أثناء وجوده بالخدمة أو بالاستيداع يصرف له معاش حسب النسب الآتية :

من كانت ماهيته من ٥٠٠ قرش فأكثر يتقاضى ورثته نصف مرتبه معاشا . ومن يتقاضى مرتبا من ٥٠٠ قرش الى ٢٥٠ قرش يصرف لورثته ٢٥٠ قرشا شهريا . أما من كان مرتبه من ٢٥٠ قرش فأقل يتقاضى ورثته جميع مرتبه معاشا .

معاش مصابى الحرب

إذا أصيب أحد من « الصولقول أغاسيه (الصول) الذين ماهية كل منهم مائة وعشرون قرشا والصف ضباط والأنباشية والعساكر البرية ومن يماثلهم فى الماهيات أو أزيد من ذلك » بأمراض أو جروح أو بفقد إحدى عينيه أو إحدى يديه أو رجليه ، وتسبب عن ذلك عدم مقدرته على العمل يخصص له جميع مرتبه معاشا ، مضافا اليه مبلغ ٥٩ قرشا قيمة بدل تعيين فى الشهر .

هذا هو أهم ماورد بالقانون المشار اليه. وقد ظل معمولا به حتى سنة ١٨٨١، حيث أمر الخديو توفيق بإصـــدار قانون آخر فى ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ (٢٢ سبتمبر (١) سنة ١٨٨١) .

نظرة عامة على القانون

كان هذا القانون أكثر سخاء من قانون سعيد إذ منح رجال الجيش امتيازات أكثر من غيرهم من طوائف الموظفين الآخرين ، وضمن لهم معاشا مناسبا عند بلوغهم سن التقاعد ، أو عند إصابتهم بمرض أو بعلة تمنعهم عن أداء واجبهم ، وكفل لذويهم دخلا ثابتا فى حالة فقد عائلهم يقيهم شر الحاجة والعوز . كما فرق القانون بين الجنود بعضهم وبعض من حيث الخدمة ، فالمدة التى قضاها بعضهم فى الحملات العسكرية أو فى الخدمـة بالسودان حسبت كل سنة منها بسنتين ، وفى بعض جهـــات السودان الأخرى بسنة ونصف سنة ، وذلك اعترافا من الحـكومة بجهودهم .

تعيينات الجنود

الى جانب المرتبات التى كان يتقاضاها الجنود كانت تصرف لهم تعيينـات (جراية) وكساوى كل حسب رتبته . وقد كان مقدار الجراية التى تصرف الى الجندى النفر كافية لغذائه ، إذ كان يبلغ مقدارها ٤٣٦ درهما ، فيما عدا الحطب

(١) قاموس الادارة والقضاء ج ٣ ص ٣٩٩ (أمر عال رقم ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١)

والصابون. وسنورد فى البيان(١) الآتى تفصيلا للمواد الغذائية التى كانت تصرف للنفر فى اليوم الواحد :

سمن	أرز	فول	عدس	بصل
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥
ملح	صابون	حطب	لحم صأن	خبز
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
٦	٦	١٥٠	٢٥	٣٠٠

ويعطى للجاويش (رقيب) علاوة على ماذكر نصف شمعة (٢). وتصرف نفس المقادير السابقة للجندى النفر من عساكر الباشبوزق (العساكر غير النظاميين)(٣) وكذلك للجنود المصرية بالسودان . ولما كانت نظارة الجهادية تصدر من مصر الفول والعدس والفاصوليا للقوات القائمة بالسودان . ونظرا لطول المسافة بين القاهرة ومختلف أجزاء السودان، ولصعوبة المواصلات وبطئها وقتئذ - إذ كانت المسافة بين أسيوط ومحطة الفاشر تقطع بالابل فى ثلاثين يوما سيرا مستمرا - وكان يقع على

---

(١) محفظة ٢٩ (معية تركى) ترجمة الوثيقة رقم ٣٥٣ من داود فهى وكيل ديوان الجهادية إلى مهردار الخديو فى ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ [اكتوبر سنة ١٨٦٦] .

(٢) محفظة ٢٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٣٥٣ من داود فهمى وكيل ديوان الجهادية إلى مهردار الخديو فى ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ .

(٣) دفتر ١٠٩٥ أوامر [جهادية] وثيقة رقم ٤٠ إلى ديوان الجهادية فى غرة ربيع أول سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) .

طريق القوافل بين هاتين المدينتين سبع محطات. هذا بالاضافة إلى أن القافلة التى تحمل المؤن إلى السودان كانت تأخذ معها ما يكفيها من الماء مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أيام بين كل محطة وأخرى(١)، ولذا رأت نظارة الجهادية أن تستعيض عن إرسال تعيينات الفول والعدس والفاصوليا إلى السودان ، بإضافة ٣٠ درهما على مرتب الأرز اليومى لكل نفر ، وقدره ٢٠ درهما لإبلاغه ٥٠ درهما وإضافة ٥٠ درهما على مرتب لحم الضأن ، وقدره ٢٥ درهما لإبلاغه ٧٥ درهما . أما إذا كان المرتب من لحم العجول فيضاف سبعين درهما على المرتب الاصلى وقدره ٤٠ درهما لإبلاغه ١٠٠ درهم (٢) ، وذلك لتوفر الأرز والمسلى واللحم بالسودان .

كما كانت نظارة الجهادية تصرف لأولاد وزوجات العساكر السودانيين المقيمين بمصر تعيينات يومية حسب سن كل منهم . وفيما يلى بيان بالتعيين الكامل للفرد (٣) .

---

(١) محفظة ٥٢ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٣٧ فى ٢٧ محرم سنة ١٢٩٢ [١٨٧٥] .

(٢) محفظة ٣٥ (معية تركى) وثيقة رقم ١٩٥ من اسماعيل سليم ناظر الجهادية إلى مهردار جناب الخديو فى ١٥ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٢ .

(٣) محفظة ٣٥ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٨٨ من داود فهمى وكيل الجهـــادية إلى مهردار الجناب العالى فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

الوزن	الصنف
درهم	
٢٠٠	ذرة حيض بدلا من (الجراية) الخبز
٢٥	عدس
٦	مسلى
٢٠	فـول
٤	مصلح «ملح»
١٠٠	حطب رومى
٦	بصـل
...	لحم ضأن «يصرف للنفر الواحد فى الجمعة «الأسبوع» دفعتان وفى كل دفعة ٥٠ درهما ، وإن كانت من اللحم الخشن « البقر الكبير » فتزاد إلى ٦٠ درهماً .

وكان هذا التعيين الكامل يصرف لكل فرد من سن الخامسة عشر فما فوق ، ونصفه للصغار من عشر سنين إلى أربع عشرة سنة ، وثلثه لمن كانت سنه من ست إلى تسع سنوات ، وربعه للأطفال من سنتين إلى خمس سنين([1]).

كذلك كان يصرف لأسر الجنود الأنفـــار والصف ضباط الموجودين بالسودان تعيينات مجانية على شرط أن يكونوا مقيمين معهم بالسودان ([2]).

---

(١) محفظة (معيه تركى) وثيقة رقم ٢٨٨ من داود فهمى وكيل ديوان الجهادية الى مهردار الجناب العالى فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٣ (١٨٦٦).

(٢) دفتر ٢٨٦٨ أوامر (جهادية) مكاتبة رقم ١ الى ديوان الجهادية فى غرة رجب سنه ١٢٨٨ (١٨٧١).

ولما كان جنود الجيش المصرى قد استخدموا فى أعمال أخرى غير الحرب ، مثل أعمال حفر الترع وتطهير القنوات، رؤى منح هؤلاء الجنود تعيينات إضافية نظير ما يقومون به من أعمال شاقة . فأصدرت الحكومة أمرها فى غاية رجب سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) بأن يصرف لكل نفر من هؤلاء الزيادة الآتية[١] :

بكسماد	لحم	أرز	مسلى	حطب	بصل
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
٥٠	٤٥	٣٠	٢	٥٠	٥

ويذكر الضابط الألمانى هانز وشنهوزن Hans Wachenhusen فى تقريره الذى نشره عن الجيش المصرى سنة ١٨٧٠ [٢] بأن الجنود كانوا يتناولون مرتين فى اليوم طعاما ساخنا و ٣٠٠ درهما من الخبز ، وكان يخص كل فرد ٦٠ درهما من اللحم كل ثلاثة أيام . وكان الطبخ والطعام مغذ [٤].

وعلى ذلك يمكننا القول بأن الوجبة الواحـــدة التى صرفت للنفر كانت كافية لإشباعه . ولم نعـثر على أية وثيقة تشير إلى أن هذه التعيينـات كانت موضعا لشكوى إلا عندما اضطربت شئون مصر المـالية نتيجة تراكم الديون ، فعجزت الحكومة عن تقديم القوت الضرورى لهؤلاء الجنود فى أحيان كثيرة .

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) أمر كريم رقم ٣٨ ص ٤١ فى غاية رجب سنة ١٢٨١

(2) **Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1** Traduction d'un article de Hans Wachenhusen qui a paru dans le No. **144** du **Journal** de **Cologne en** date du 22 Mai, **1871** et que **l'Auteur** dit avoir etéit écrit en printemps **de** 1870.

(١) المصدر السابق .

الفصل التاسع

هيئة أركان حرب الجيش المصرى

هيئة أركان حرب الجيش المصرى

أنشئت هذه الهيئة لأول مرة فى عصر محمـــد على تحت رئاسة سليمان الفرنساوى ، وتكونت من الضباط الذين أرسلوا الى أوربا فى بعثات عسكرية لدراسة الفنون الحربية ، ومن خريجى مدرسة أركان حرب التى أنشـأها محمد على تحت نظارة الضابط الفرنسى بلانا Planat فى أكتوبر سنة ١٨٢٥ بقرية جهاد أباد. وظل سليمان الفرنساوى يرأس هذه الهيئة طوال عصر محمد على وعباس .

وفى عصر سعيد كان سليمان الفرنساوى يشغل منصب السردار العام للجيش المصرى ،فلما رجع بعض الضباط الذين أرسلوا الى فرنسا لإتمام دراستهم فى الفنون العسكرية ، جعل من بينهم شريف (بك) ومراد (بك) وعلى شريف (بك) وحنفى (أفندى) العشماوى أركان حرب[1] له ، . واستمر هؤلاء يعملون معه الى أن توفى فى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩) فانحلت الهيئة وعين ضباطها ، لقيـادة الأورط (كتيبة) والآلايات (اللواءات) بالجيش ، [٢] .

ثم استقدمت الحكومة المصرية بعثة عسكرية من فرنسا فى سنة ١٨٦٤ برياسة القائمقام (عقيد) ميرشير الذى عين أركان حرب الجيش المصرى على أن يقـيم

---

(١) المصدر السابق .

(٣) تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) ج ٢ ص ٦٢٤ .

بديوان الجهادية ،وألحق بهأربعة مهندسين مصريين، وكاتب مصرىوآخر فرنسى لقيد المكاتبات المتبادلة بينه وبين ديوان الجهادية(١).

وبتولية إسماعيل حكم مصر فى يناير سنة ١٨٦٣ اهتمت الحكومة بزيادة عدد الجيش المصرى ، والعمل على تقويته ليصبح قوة لها خطرها ، كما كان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ومنذ ذلك الحين أى من سنة ١٨٦٣ إلى أوائل سنة ١٨٨٠ لم يهتم القائمون على شئون الجيش بأمر تنظيمه بقدر إهتمامهم بزيادة عدده وكثرة عتاده . ولذلك تأخر ظهور هيئة أركان الحرب الحقيقيةحتى عام ١٨٧٠ .

ويمكننا القول بأنه فى تلك الفترة لم تكن هناك هيئة أركان حرب بالمعنى الصحيح ، بل وجد ضباط قلائل غير أكفاء يشغلون وظائف أركان الحرب ، ولكنهم لايؤدون عملا ما(٢). ويؤيد هذا القول ما صرح به رياض (باشا) بأنه قبل التحاق الجنرال استون بالخدمة لم يكن لدى الجيش رئيس لأركان حرب أو ضباط أركان حرب (٣) . وذكر الضابط الأمريكى داى من ضباط أركان حرب ـ « بأنه لم يكن هناك شيء يستحق اسم (هيئة أركان حرب)منذ أيام بلانا

---

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ ص٢٧٥ .

(2) - Dye . Molem Egypt .... P. 70 .

Crabités , Americans in the Egyptian Army P, 47.

(3) Discour de S. E. Riaz Pacha, Bulletin de la Société Khediviale de Geog . II serie Supplement ' Le Caire P. 673 .

فى عصر محمد على . حتى أن الاسم نفسه قد نزل إلى الحضيض (١) » . فلم توجد خرائط حربية ، ولا مكتبة عسكرية تضم الأبحاث الهامة التى يرجع اليها الضابط عند الحاجة . وبتعيين الجنرال استون رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش المصرى برتبة فريق فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ ، دب النشاط فى الهيئة ،وبدأ بوضع تقرير مفصل عن حالة الجيش المصرى وقتذاك بعد دراسة دامت ستة شهور ، ثم رفعه إلى ناظر الجهادية فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٠ . ومما جاء بهذا التقرير خاصا بهيئة أركان حرب الجيش المصرى قوله «إنى لم أجد هيئة أركان حرب عامة أو خاصة، فجسم الجيش موجود برأسه وذراعيه ويديه وساقيه وقدميه ، ولكنه يفتقر إلى الأعصاب . فالرأس لاتستطيع إبلاغ أوامرها إلى الذراعين أو القدمين إلا عن طريق الأعصاب ، وكذلك الحال بالنسبة للهيئة ، إذ لايستطيع رئيسها إصدار أوامره إلى الجيش إلا عن هيئة أركان حرب بكامل أقسامها وفروعها (٢) » .

ويقصد الجنرال استون بالأعصاب هيئة أركان الحرب التى تؤدى للجيش ما تؤديه الاعصاب للجسم من خدمات . فالجيش المصرى وقتذكان يتكون من الالايات والاورط المنظمة تنظيما كبيرا، تمثل أسلحة الجيش الثلاثة ، وتخضع لناظر الجهادية مباشرة فى كل صغيرة وكبيرة . وقد بلغ من شدة المركزية وأنه إذا أريد صرف ٢٠ خرطوشة لأحد الجنود للقيام بعمل ما ـ وهذا أمر تافه بطبيعة الحال ـ فلا يستطاع ذلك إلا بإذن من نظارة الجهادية نفسها(٣)».

(1) Dye ..Moslem Egypt .... P. 70

(2) Abdin . Corrsp. Fran . Doss . No . 50/1 Organisation de l, Ar mée . Ministère de la guerre . Bureau du Chef d ' Etat Major le Caire 15 Dec . 1870 .

(٣) المصدر السابق

فهذا التركيز الشديد للسلطة فى يد نظارة الجادية ،وعدم وجود هيئة أركان حرب تنظم وتوزع إختصاصات كل فرع من فروع الجيش أخضع الجيش للروتين الحكومى العتيق . فكان من الضرورى إذا لهذا الجيش الكبير من هيئة أركان حرب تنظمه وتربط بين وحداته ، وتضع له سياسة عسكرية عليا يقوم على تنفيذها ضباط أكفاء ، وكذلك تقوم « بتدريب الضباط المصريين على الأعمال الحربية من جهة ، ومن جهة أخرى القيام بأعمال الارساليات والاكتشافات التى عقدت النية وقتئذ على إجرائها بأقاليم السودان [1] ». فعهدت الحكومة إلى الجنرال استون بتشكيل هذه الهيئة ورياستها . وقد قابلته صعوبات كثيرة تمكن من تذليلها بفضل مساعدة الحكومة [2] له (وسنعرض لهذه الصعوبات فيما بعد) فألفها من الضباط المصريين [3] الذين عادوا إلى مصر بعد إتمام دراستهم بفرنسا « من المعدودين العارفين باللغات الأجنبية [4] » ، ومن الضباط الأمريكيين الذين التحقوا بخدمة الجيش المصرى مع الجنرال استون . وكان تعيين أمريكى رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش المصرى نذيرا بانتهاء النفوذ الفرنسى بالجيش [5] . إلا أن تقلص النفوذ الفرنسى بالجيش المصرى لم يكن مرده إلى هذا التعيين فحسب بل إلى هزيمة فرنسا أمام بروسيا فى سنة ١٨٧٠ ، تلك الهزيمة التى أفقدتها

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ .

(2) Discour de S. E. Riaz Pacha, Bulletin de la Société Khediviale de Geog II serie supplemoent P. 673 .

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ والحركة القومية (عصر اسماعيل) ج ١ ص ١٨٩ .

(٤) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ .

(5) Cradités , Ismail the Maligned Khedive P. 96

هيبتها الحربية نتيجة لتفوق النظم الحربية الروسية . ولذا نجد نظارة الجهادية تأمر بتغيير النظم الحربية الفرنسية المتبعة فى الجيش المصرى وبالنظم الالمانى الذى ذاع صيته وقتذاك [١] » .

وبدخول هؤلاء الامريكيين هيئة أركان حرب الجيش المصرى دب فيها النشاط ، وظهرت آثاره فى الإصلاحات العديدة التى أدخلت على المدارس الحربية ، وفى الروح الجديدالتى بدت فى الادارة الحربية [٢] . وخصص للهيئة بناء بالقلعة بجوار نظارة الجهاديه ، وذلك بناء على رغبة الجنرال استون [٣] .

ولنلم إلمامة سريعة بتاريخ حياة الجنرال استون الذى ترك أثرا فعالا فى تاريخ مصر الحربى . فقبل تعيينه رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش اشترك فى الحرب المكسيكية تحت قيادة الجنرال اسكوت Scott . ثم قام بنصيب كبير فى الحرب الاهلية الامريكية ، حيث كان يعمل فى جيش الشمال برتبة أميرالاى «عميد» ، ثم شغل منصب رئيس هيئة أركان حرب ردحا من الزمن ، ثم قائدا لأحد الجيوش الشمالية . فهذه المناصب الخطيرة التى شغلها جعلته من رجال الحرب البارزين الذين اكتسبوا خبرة وتجربه بالتنظيمات الحربية السائدة فى ذلك العصر فى الجيوش الأجنبية المختلفة .

وقد قامت بين الجنرال موط ـ وهو ضابط أمريكى التحق بخدمة الجيش المصرى قبل مجىء الجنرال استون إلى مصر ـ من جهة وبين شاهين ناظر

---

(١) حقائق الأخبار ٢ ص ٣١١

(2) Dye ; Moslem Egypt .... P. 70
Crabités : Americans in the .... P. 47 .

(3) Abdin . Corrsp . Fran . Doss . No . 05/12 Musée Ministère de la Guerre , Bureau du Chef d , Etat - Major Gen . Stone à Mostafa Pacha en 12 Mai 1873 .

الجهادية والجنرال استون من جهة أخرى منازعات انتهت باعتزال الجنرال موط الخدمة . ومن ثم استحوذ الجنرال استون بصفته رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش المصرى على كل السلطة . ولكى يعرب له الخديو عن عطفه عليه وثقته به رقاه إلى رتبة فريق مع منحه رتبة الباشوية وعينه ياورا خاصا له [١] . وقد كان لهذا التشجيع أثره فى إقدام الجنرال استون على عمله بكل همة ونشاط .

تشكيل الهيئة

تكونت هيئة أركان حرب الجيش المصرى العامة — فى أول الأمر — من ثمانية ضباط من بينهم خمسة من الضباط الأمريكيين هم [٢] : الجنرال استون رئيسا لهيئة أركان حرب ، والاميرالاى (العميد) الكسندر رينولد Alex Reynold والاميرالاى (عميد) فرانك رينولد Frank Reynold ، والبكباشى (المقدم) بيردى Purdy والبكباشى (المقدم) شايبه لونج Chaillé - Long .

نظامها وتكوينها

سار الجنرال استون وفقا لخطة محكمة فى تشكيل الهيئة ، فأنشأ هيئة أركان حرب عامة للجيش يرأسها هو ، يكون مقرها بجوار نظارة الجهادية لسهولة الاتصال بينهما . على أن يكون لكل أقسام الجيش وألويته المختلفة التى تمثل أسلحته الثلاثة هيئة أركان حرب صغرى مماثلة فى نظامها لنظام هيئة أركان الحرب العامة [٣] . على أن تقوم هيئة أركان الحرب العامة بإمداد هذه الهيئات الصغرى بالضباط اللازمين لها .

---

(1) Abdin. Corrsp . Doss . No . 50/1 Organisation de.. Bureu du Chef d , Etat - Major en 16 Juillet , 1871 .

(2) Abdin. Corrsd. Fran. Doss. No . 50/1 Organisation de Bureau du Chef d , Etat - Major en 14 Decembre , 1872 .

(3) Abdin Corrsp Fran Doss . No. 05/1 Organisation de Bureau eu Chef d , Etat - Major en 16 Juillet , 1871 .

وفى ١٦ يولية سنة ١٨٧١ قدم الجنرال استون تقريرا (١) إلى الخـــديو اسماعيل بين فيه النظام الذى وضعه لإعادة تنظيم هيئة أركان الحرب العامة ، وفيما يلى بيـانه :

الجنرال استون

ويشغل منصب رئيس هيئة أركان الحرب العـــامة ويساعده سكرتيران حربيان ، أحدهما برتبة قائمقام (عقيد) والآخر برتبة قومندان(٢).

ويلى مكتب الرئيس ستة أقسام أخرى هى (٣) :

١ - قسم التنظيم والأوامر

La Section d'Organisation et d'Ordres.

٢ - قسم التاريخ الحربى " " d'Etat d'Hist. Militaire

٣ - قسم الجغرافيا والتحصينات

" " de Geog. et de Fortification

٤ - قسم التفتيش «المراقبة» والمجالس العسكرية

" " de Inspection et de la Justice Militaire

---

(1) **Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat Major en 19 Juillet 1871.**

(2) **Abdin. Corssp. Fran . Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat en 14 Dec. 1872.**

(3) **Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat en 16 Juillet, 1871.**

٥ - قسم الإدارة d'Administration " "

٦ - قسم التسليح والذخائر

d'Armement et de Munitions " "

وقد اختص كل قسم من هذه الأقسام بناحية خاصة .

فالقسم الأول (قسم التنظيم والأوامر) اختص بإعداد ونشر وتوزيع جميع الأوامر المتعلقة بتشكيل القوات وقيدها،وكذلك قيد أسماء المستقيلين من الخدمة والمفصولين والموتى . وكذلك إصدار وتسجيل الأوامر الخاصة بتحركات القوات وتنقلات رجال الجيش .

ويقوم القسم الثانى بالاشراف على مكتبة هيئة أركان حرب ، وكذلك بجمع وحفظ المعلومات الحربية التى تتصل بالقوات المصرية أو الأجنبية ، وكافة التعليمات الحربية التى تتضمن التنظيمات الحربية والمناورات العسكرية التى تقوم بها الجيوش الأجنبية . وكذلك جميع التراجم اللازمة لمكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى. كما يتولى هذا القسم كل المراسلات الخاصة بالمدارس الحربية .

واختص قسم الجغرافيا والاستحكامات بجميع المعلومات التى يدونها ضباط أركان حرب أو غيرهم من ضباط الجيش . وكذلك المحافظة على الأجهزة الخاصة بعلم الجغرافيا، والاستحكامات،وجمع الخرائط والتقارير والمذكرات التى يقوم بتدوينها ضباط أركان حرب بقسم الكشف الجغرافى . كما يتولى القسم رسم الخرائط الخاصة بالقطر المصرى والأقطار المجاورة له . واختص كذلك بكل المراسلات التى تتعلق بخدمات التحصينات الدائمين والمؤقتين ،

وخدمات السكك الحديدية والتلغرافات الحربية (سلاح الاشارة) أثناء الحرب .

أما القسم الرابع (قسم التفتيش والمجالس العسكرية) فيوكل اليه التفتيش الحربى سواء على الفرق أم على مخازن التموين . وكذلك تسجيل جميع التقارير المتعلقة بعملية التفتيش والخدمات السرية واختبار الجواسيس والهاربين والمبلغين، وفحص السجلات الخاصة بالقضايا التى تعرض أمام المجالس العسكرية والمجالس الحربية القضائية .

وكلف القسم الخامس (قسم الادارة) بجميع المراسلات والتسجيلات التى تتعلق بالأعمال الادارية والامدادات الحربية لسلاح المهندسين والمدفعية ومنشىء الجسور .

ووكل إلى القسم السادس (التسليح والذخيرة) القيام بإصدار جميع الأوامر والمراسلات التى تتعلق بسلاح المدفعية وإمداده بالمدافع والجرارات ... ، وكذلك كل ما يتعلق بتجهيز المدفعية والفرسان والمشاة ، وجميع المراسلات الخاصة بالذخيرة على اختلاف أنواعها سواء أكانت للفرق أم للدفاع عن الحدود .

وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٢ تقدم الجنرال استون بمشروع إلى نظارة الجهادية بتنظيم اختصاصات النظارة وفروعها التابعة لها . وفى هذا المشروع قسم أركان حرب الجيش العامة إلى خمسة أقسام فقط . ولم يذكر القسم السادس الخاص بالتسليح والذخيرة ، وحدد عدد الضباط والجنود اللازمين لكل قسم

من هذه الأقسام على النحو الآتى (١) :

القسم الأول : يشرف عليه ضابط عظيم ويساعده يوزباشيـان ، نقيبان ، واثنان من الملازمين الأوائل وأربعة كتبة برتبة صف ضابط .

القسم الثانى : يرأسه ضابط عظيم ويساعده يوزباشيان ، نقيبان ، وأثنان من الملازمين الأوائل واثنان من الكتبة برتبة صف ضابط .

القسم الثالث : ويرأسه ضابط عظيم يعاونه عشرة ضباط مرؤوسين واثنان من الكتبة برتبة صف ضابط .

القسم الرابع : ويشرف عليه ضابطان عظيمان ويعـاونهما ثلاثة يوزباشية ، نقباء ، واثنان من الملازمين الأوائل واثنان كتبة برتبة صف ضابط .

القسم الخامس : يرأسه ضابط عظيم ويعاونه ثلاثة يوزباشية ، نقباء ، وثلاثة ملازمين أوائل وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط .

ويشرف على هذه الأقسام الخمسة الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب ، ويعاونه سكرتيران حربيـــان ، وهو مسئول عن سير العمل فى هذة الأقسام الخمسة أمام ناظر الجهادية .

بعد أن كون الجنرال استون الهيئة ، ونظم فروعها المختلفة ، وضع ترتيباً شاملا لنظارة الجهادية بأقسامهـا الادارية والفنية ، وحدد اختصاص

---

(1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No 50/1 Ministére de la Gurre Bureau du Chef d' Etat - Major Gn 14 Dec., 1871.

كل منها ، وبين كيفية التعاون بين بعضها وبعض . وفى هذا الترتيب قسم هيئة أركان الحرب العامة إلى سبعة أقسام ، يشرف عليها مكتب الرئيس . وفيما يلى بيانها [١] :

مكتب رئيس هيئة أركان الحرب العامة

يتكون هذا المكتب من الرئيس ويعاونه سكرتيران حربيان أحدهما برتبة ملازم والآخر برتبة قومندان . وفى هذا المكتب تعد المراسلات اليومية لعرضها على ناظر الجهادية ، وبعد الموافقة عليها يقوم المكتب بتوزيعها على الأقسام والمكاتب المختلفة .

أقسام الهيئة السبعة

القسم الاول : ويرأسه القائمقام (عقيد) لونج Long ويعاونه ضابط عظيم ويوزباشيان (نقيبان) وملازمان أول وكاتبان برتبة صف ضابط . ويكلف هذا القسم بكل أعمال التدريب والتسجيل ، وتوزيع مايصدر الى الجيش من أوامر ، وذلك فيما يتعلق بالتنظيمات العسكرية ، وبالنظام العسكرى ، وبحركات تنقلات الجنود من مكان الى آخر . ويختص أيضا بتسجيل الأوامر والمراسلات العامة للنظارة .

---

(1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Bureau du Chef d'Etat Major sans date.

وقد أشار الأميرالاى داى فى كتابه Moslem Egypt ص ٤٧ بأن عدد أقسام الهيئة كان سبعة أقسام وهو ينطبق على ما جاء بالوثيقة.

القسم الثانى : يتولى رئاسته القومندان لورنج Loring ويعاونه ضابط عظيم ويوزباشيان (نقيبان) وملازمان أول وكاتبان برتبة صف ضابط . ويختص هذا القسم بالإضافة الى ماذكرناه سابقا فى اختصاص القسم الثانى بطبع وإصدار الجريدة الحربية (مجلة أركان حرب) ، وكذلك الاشراف على مطبعة النظارة .

القسم الثالث : ويشرف عليه الأميرالاى (العميد) بيردى Purdy ويساعده ضابطان عظيمان وعشرة ضباط مرؤوسين وكاتبان برتبة صف ضابط . واختصاص هذا القسم لم يتغير عما ذكرناه سابقا .

القسم الرابع : وتولى رياسته بصفة مؤقتة القائمقام (عقيد) شاييه لونج Ch.Long ويعاونه ضابطان عظيمان وثلاثة يوزباشية (نقباء) وملازمان أول وكاتبان أو أكثر برتبة صف ضابط . وأضيف الى اختصاصاته السابقة كل ما يتعلق بشئون الترسانة والمستودعات .

القسم الخامس : خلا هذا القسم من الرياسة واشتمل على ضابط عظيم وثلاثة يوزباشية (نقباء) وثلاثة ملازمين أول وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط .ووكل اليه جميع المكاتبات والسجلات الخاصة بالأعمال الادارية والامدادات الحربية ، فيما عدا سلاح المهندسين ومنشئ الجسور والمدفعية .

القسم السادس : خلا هذا القسم أيضا من الرياسة ، وكان يتكون منضابط عظيم وثلاثة يوزباشية (نقباء) وثلاثة ملازمين، وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط. واختص بالأوامر والمراسلات الخاصة بالمدفعية ، وسلاح المهندسين ، ومنشئ الجسور ، وإمدادها بالمواد اللازمة . وكذلك كل المراسلات المتبادلة بين رياسة هيئة أركان حرب الجيش العامة وبين أركان حرب المدفعية ، فيما يتعلق بتزويد

الجيش بالمدافــــع والجرارات والذخائر المختلفة الانواع ، وكذا الطوربيدات ، ومختلف الوسائل الأخرى الخاصة بالدفاع عن الحدود .

القسم السابع : (قسم الأشغـال العامة) ويشرف عليه رئيس وينقسم الى ثلاثة فروع : الفرع الأول يتـكون من ضـابط عظيم وضابطين مرؤوسين أو أكثر حسب حاجة العمـــل . ويكلف هذا الفرع بوضع التصميمات الهندسية للمنشآت المعمارية ولإقامة الـكبارى والسدود وبناء المستشفيات ...

والفرع الثانى يتـكون من أربعة ضباط عظام ، وثمانية ضباط مرؤوسين وكاتبين برتبة صف ضابط . ويختص بقياس ومسح الأراضى وإقامة المبــــانى ودراسة وسائل رى البلاد ، وحفر الترع والقنوات .

والفرع الثالث ويشتمل على ضابط عظيم وثلاثة ضباط مرؤوسين وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط . ويقوم هذا الفرع بالمراجعة النهائيه لعمليات المقايسة والتقديرات العامة وحسابات الأعمال المنتهية .

هيئة أركان حرب المدفعية

جعل الجنرال استون لسلاح المدفعية هيئة أركان حرب خاصة به ، ولـكنها خاضعة لرئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصرى العامة ، وتتـكون من مكتب رئيس هيئة أركان حرب المدفعية وقسمين آخرين .

ويختص المكتب بعمليات شراء وحفظ المواد الحربية الـــلازمة للمدفعية ، وكذلك جميع الأسلحة والذخائر الحربيه . ويتولى أيضا توزيع المدافع المختلفة الأنواع ، والجرارات الحربية والمهمات الحربيه للجيش ، وكذا شراء الخيول ،

والاطقم الخاصة بالمدفعية السوارى . ويقوم كذلك بالمراجعة الاولى لحسابات الترسانات الحربية ، ومصانع البارود ، وغيرها وكل مايتعلق بسلاح الطوربيد وغيره من أسلحة الغواصات . ويخضع لرئيس هيئة أركان حرب المدفعية جميع المشرفين على شئون الترسانات ومخازن مهمات المدفعية .

أما القسم الاول فيتكون من ضابط برتبة جنرال وضابط عظيم وضابطين مرؤوسين وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط . ويقوم هذا القسم بكل ما يتعلق بإدارة الترسانات ، وأعمال الانشاء والترميم ، والإشراف والمدافع ومصانع البارود . ويختص أيضا بخدمات الطوربيد والمراجعة الاولى للحسابات التى يتقدم بها الضباط بشأن هذه المواد والمشتريات .

والقسم الثانى يشتمل على ضابط عظيم وثلاثة ضباط مرؤوسين وثلاثة كتبة برتبة صف ضابط . ويتولى هذا القسم توزيع جميع مهمات الجيش . وكذلك المراجعة الأولى للحسابات المقدمة من ضباط الجيش بشأن المهمات الحربية .

وفى ١٥ مايو سنة ١٨٧٣ وضع الجنرال استون ترتيبا (١) آخر حدد فيه ضباط أركان حرب بفيلقين مكونين من مئتى ضابط على النحو الآتى :

يرأس الفيلقين رئيس هيئة أركان حرب الجيش وتحت إمرته ٩٨ ضابط أركان حرب لاسلحة الجيش المختلفة ، و ٢٦ لمكتب الرياسة و ٧٥ ضابط أركان حرب للمديريات . واشتمل هذا العدد على الرتب الاتية : رئيس برتبة فريق

---

(1) Abdi.n. Gorrs Fran. Doss. No. 50!1 Bureau du Chef d'Etat Major, Le Caire, en 15 Mai, 1873.

وضابطين برتبة لواء وثمانية برتبة أميرالاى (عميد) و ٢٧ برتبة قائمقام (عقيد) و ٣٤ برتبة قومندان و ٨٦ برتبة يوزباشى (نقيب) و ٤٢ برتبة ملازم .

وقد وزع هؤلاء الضباط على أسلحة الجيش المختلفة بنسب معينة ، فخص كل سلاح من الأسلحة ضابطا برتبة لواء أو قائد فرقة وأربعة برتبة قائمقام (عقيد) وثلاثة برتبة قومندان وسبعة برتبة يوزباشى (نقيب) فيكون مجموع هؤلاء ١٥٠ ضابطا .

وكان نصيب اللواء من الضباط قائمقام (عقيد) واحد وقومندان ويوزباشيين (نقيبين) وملازم ومجموع هؤلاء ٥ ضباط .

ولكل مديرية قائمقام (عميد) أو قومندان وأربعة ضباط عظام . وخصص لمكتب رئيس هيئة أركان حرب أربعة أميرالايات (عمداء) وقائمقامان (عقداء) وقومندانان و ٨ يوزباشية (نقباء) و ١٠ ملازمون أوائل . ومجموع هؤلاء ٢٦ ضابطا . وخص المديريات من ضباط أركان حرب خمسة برتبة قائمقام (عقيد) وعشرة برتبة قومندان و ٤٠ برتبة يوزباشى (نقيب) و ٢٠ برتبة ملازم أول . ومجموع هؤلاء ٧٥ ضابطا .

اختصاصات هيئة أركان حرب

إن هيئة أركان حرب الجيش من ألزم الإدارات فى الجيوش الحديثة فى وقت السلم والحرب على السواء . فى وقت السلم تقوم بتدريب الضباط على الاعمال الحربية ، والاشراف على سير الدراسة بالمدارس الحربية ، ووضع النظم الحربية الملائمة لها ، وكذلك إمداد الجيش بالمعدات اللازمة لهو تزويده بضباط أركان حرب وصفوف الجيش ، لأن العلاقة الحسنة والاحترام المتبادل بينهما

هما الأساس الذى يقوم عليه التعاون بينهما فى أوقات السلم والحرب (١) .

أما فى أوقات الحرب فتقف الهيئة إلى جوار القائد العام للجيش لتعاونه فى إمداد الجيش المحارب بما يلزمه من عتاد حربى ، وكذلك تضع له الخطط الحربية ، وتشرف على حركات القوات المحاربة وتقوم بتوزيع الاوامر التى يصدرها القائد إلى وحدات الجيش المختلفة بسرعة فائقة ، كى تستطيع هذه الوحدات أن تعمل ككتلة واحدة فى إنسجام وتعاون تامين بين أجزائها . وعلى هيئة أركان حرب أيضا أن تمد القائد العام بالمعلومات الوافية عن حالة جيش العدو ، وعن تحركاته وطبيعة الاقليم الذى يحتله ، والاراضى المجاورة له ، ومدى سهولته أو وعورته فى الامداد والحركة (٢) . على أن يكون ضباط أركان حرب من غير ضباط الصفوف حتى يستطيع كل أن يتفرغ لعمله تفرغا تاما . فيختص ضباط الهيئة بأعمال أركان الحرب ، ويترك أمر القيادة لضباط الصفوف .

هذا هو ملخص ماتقوم به هيئة أركان حرب الجيش فى كل الجيوش الحديثة ، وهى تنطبق كل الانطباق على اختصاصات هيئة أركان حرب الجيش المصرى . إلا أننا سنرى أن هذه الهيئة لم تستطع مباشرة كل إختصاصاتها ، نتيجة للعقبات التى وضعت فى طريقها من رجال الجيش القدماء الذين اعتقدوا أن الهيئة ماجاءت إلا لتفتئت على حقوقهم التى ورثوها من قديم الزمان ، فانحصرت هذه الاختصاصات فى حيز ضيق جدا لايمس الحاجيات المباشرة للجيش إلا من بعيد .

---

(1) Dye : Moslem Egypt .... P. 69 & 70 .

(٢) المصدر السابق

الصعوبات التى واجهت الهيئة

واجهت الهيئة صعوبات عديدة فى سبيل وضع وتنفيذ التنظيمات التى رأت إدخالها على الناحيتين الفنية والادارية فى الجيش . وترجع تلك الصعوبات إلى المقاومة العنيفة التى لاقتها الهيئة من رجال الجيش القدامى نتيجة لتأصل جذور « نظام الباشا » فى الجيش منذ أيام المماليك ، وقبل أن ينشىء محمد على جيش مصر الحديث (١) . ونظام الباشا هذا يتلخص فى أن الباشا أو البك (الحاكم) كان يقوم بنفسه بأعمال القائد العام وبالإدارة ، وكذلك الإشراف على الناحية القضائية (٢) . أى أنه كان يجمع فى يديه كل السلطة . ويشير الأميرالاى (عميد) داى إلى ذلك بقوله بأنه « من الطبيعى لفرد يجهل تنظيمات الجيوش الحديثة وقواعد الحروب الجديدة ، فرد قد ورث عن أجيال عديدة حقوقا وامتيازات أن ينظر بعين الحقد ، وأن يقاوم كل محاولة لإدخال هيئة أركان حرب فى الجيش معتقدا بأن ضباط الهيئة لابد معتدون على سلطته وحقوقه القانونية (٣) » ولذلك فقد حاربوها شبرا بشبر وذراعا بذراع (٤) . وسبق أن وقف رجال جيش محمد على نفس الموقف من قبل إزاء البعثة الفرنسية التى إستقدمها محمد على تحت إشراف الجنرال بوييه Boyer عندما حاولت إدخال بعض التغييرات الجوهرية فى نظم الجيش (٥) . ولكن شخصية محمد على القوية وتعضيده لرجال

---

(1) Crabités ; Americans in the Egyptian Army P.48 .

(2) Dye : Moslem Egypt P.71

(٣) المصدر السابق

(4) Crabités : Americans ...... P. 47 .

(5) Dye; Moslem Egypt .... P. 71

البعثة قد أوقفت هذه المقاومة عند حد معين . ومع ذلك فقد عاد «نظام الباشا» من جديد بعد وفاته (١) .

وقد اتخذت هذه المقاومة للنظم الجديدة التى أدخلها الجنرال استون أشكالا متعددة ، فظهرت فى عرقلة أعمال الهيئة ، وفى حبك الدسائس ضد الجنرال استون ورجاله . وكان الغرض من هذا هو إيقاف كل مجهود يبذل للاصلاح(٢). ولم تكن شخصية اسماعيل على درجة من القوة تعادل شخصية جده محمد على ليستطيع وقف تلك المحاولات عند حدها . ويعزو الأميرالاى (العميد) شاييه لونج قوة المكائد والدسائس التى كانت تحاك للضباط الأمريكيين إلى ضعف التمثيل القنصلى الأمريكى فى ذلك الوقت . وأولى تلك العقبات التى وضعت فى طريق ضباط أركان حرب، هى الحيلولة بينهم وبين صفوف الجيش . فهذا الفصل بين ضباط الجيش الواحد قد أوجد نفورا بين ضباط أركان حرب وضباط الصفوف أو الميدان ، وكان له أسوأ الأثر ، إذ خلق جوا من الحقد والكراهية بينهما . مع أن من أهم الأسس أو الدعائم التى تعتمد عليها الهيئة فى نجاح خططها هو التعاون الوثيق والاحترام الصادق والثقة التامة المتبادلة بين كلا الفريقين ، والتى بدونها لا يمكن لأى جيش من الجيوش أن يأمل فى النصر . وكانت الحرب الحبشية سنة ٧٥ - ١٨٧٦ التجربة الأولى التى أظهرت بوضوح وجلاء إختلاف وجهات النظر ، وتضارب الآراء بين أركان حرب الحملة والقيادة ، وما تمخض عن ذلك من فشل الحملة . كل هذا يرجع إلى الكراهية المستحكمة بين قيادة

---

(1) Crabités ; Americans .... P. 84 .

(2) Dye ; Moslem Egypt .... P. 71

الجيش وبين أركان حربه ، وذلك لأن قائد الحملة (راتب) كان من رجال الجيش القدماء الذين يمثلون العقلية القديمة التى لاتعترف بهيئة أركان حرب ، ولا بمـــا تؤديه للجيش من خدمات . ويفسر لنا هذه العقلية بوضوح ما ذكره شاييه لونج فى وصفه لمقابلة الجنرال لورنج ولفيف من الضباط لقائد الحملة راتب بعد تعيين لورنج رئيسا لأركان حربه حيث بادرهـم راتب بقوله « ... ليس لدى مكانا لهيئة أركان حرب ، ولا توجد هيئة أركان حرب . أيهـــا السادة إذا احتجت اليكم فسأخطركم بذلك (١) » .

وقد رواد الأمل الجنرال استون عندما عين الأمير حسين (باشا) ناظرا للجهادية فى ٩ شعبان سنة ١٢٩٠ (أواخر سنة ١٨٧٣) فظن بأنه سيتمكن بنصائحـــه وتوجيهاته أن يضم الأمير الصغير (ناظر الجهادية) إلى جـــانبه ليعضده ويشد أزره فيما يريد إدخاله من إصلاحات على نظم الجيش . ولـكن خاب ظنه وبقيت الهيئة منفصلة كل الانفصال عن جنود الصفوف (٢) ، فحرم بذلك الجيش من الفـــائدة العملية والخبرة الحربية لهؤلاء الضباط الذين خـاضوا غمار حروب كبيرة ، وكانوا يعلمون الشىء الـكثير عن الفنون الحربية وقتذاك (٣) . ولم يبعد الامريكيون وحدهم عن صفوف الجيش ، بل أقصى عنها كذلك كل الضباط الاجانب (٤) .

---

1 - Chaillè - Les Trois Prophets P. 96 .
2 - Dye : Moslem Egypt.... P.74 .
3 - Crabités : Americans in P.48
4 - Dye : Moslem Egypt .... P·75

ولم تقف حركة المقاومة عند هذا الحد ، بل تجاوزتها إلى مخـــالفة أوامر الهيئة وتخطى سلطتها . فنجد ناظر الجهادية نفسه (الامير حسين) يصدر أوامره مباشرة إلى إدارة الجيش (١) ، مع أن التنظيمات التى وضعهـــا الجنرال استون ووافق عليها الخديو تنص على وجوب تولى الهيئة توزيع جميع الاوامر الواردة والصادره إلى مختلف وحدات الجيش . فإذا كان ناظر الجهـادية وهو الرئيس الأعلى والمشرف على تنفيذ تلك الأوامر يتخطى الهيئة ولا يقيم لهـــا وزنا ، فلا نستبعد إذاً أن يقدم على هذا العمل من هو أقل منه شأنا . وقد تكرر هذا الحادث مرة أخرى مع الجنرال لورنج الذى وكل اليـه مهمة تحصين سواحل منطقة الاسكندرية . وكان تحت إمرته فيلق عرف باسمه Corps de Loring وهو مستقل عن باقى وحدات الجيش وخاضع مباشرة للخديو اسماعيل(٢) . وكان قائد حامية الاسكندرية وقتئذ خالد (باشا) يرسل إلى قيادة الجيش وناظر الحربية مباشرة جميع المراسلات التى تتعلق بحاميته دون أن تمر هذه المراسلات بمكتب الجنرال لورنج بصفته قائد تلك المنطقة . وكان فى هذا العمل تحقير من شأن لورنج وهيئة أركان حرب الجيش المصرى . فرفع لورنج عقيرته بالشكوى (٣) إلى الخديو مباشرة فى ١٧ يونيه سنة ١٨٧١ طالب فيها تغيير قائد الحاميـة بآخر يدرك إختصاصات الهيئة . وقد تقـــدم الجنرال استون بتقرير (٤) عن هذا

---

(١) المصدر السابق .

2 - Chaillé - Long : Les Trois Prophets P.93

3 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Organisations.. Bureau du Chef d ' Etat - Major Alex. en 17 Juin 1871 .

4 - Abdin. Corrsp. Fran Doss. No. 50/7 Buneau du Chef d'Etat Major en 17 Juin,1871 .

الموضوع رفعه للخديو إسماعيل ، أبرز فيه مخالفة خالد قائد حامية الاسكندرية للتعليمات الحربية ، وأثبت فيه قوله بأن « كاتبا واحدا فقط يكفيه عن هيئة أركان حرب (١)، ورجا الخديو اسماعيل أن يغيره . وفي ختام الخطاب أوضح للخديو أنه إذا استمرت المراسلات بين الفرق والوحدات تتبادل مباشرة دون أن تمر على مكتب هيئة أركان حرب فسيظل جيش الخديو مجموعة من الفرق المنظمة التي لا رابط بينها . ثم قال إن القائد الذي لا يستطيع في تلك الايام أن يستعين بهيئة أركان حرب لا يحق له أن يطلق على نفسه اسم قائد . فلا يوجد في عصرنا الحاضر الضابط الذي يستطيع أن يملأ بمفرده مركز القيادة ، ووظائف اليساور ، ورئيس أركان حرب ، ورئيس الادارة والصيارفة في آن واحد (٢) .

وقد تعقب الاضطهاد تلاميذ مدرسة أركان حرب التي أنشأها الجنرال استون أثناء دراستهم ، فمع أن تلامذة هذه المدرسة كانوا يختارون من صفوة تلامذة المدارس الحربية والمهندسخانه ليقضون سنة كاملة في الدرس والتحصيل ، نجدهم لا يكافأون عن دراستهم هذه مكافأة حالية أو مستقبلة (٣) . بينما نجد زملاءهم الذين تخرجوا معهم من مدرسة حربية واحدة والذين كانوا أقل منهم حظا في التقدم والاجتهاد يعينون في الجيش برتبة الملازم الثاني ، ويتقاضون مرتبا قدره ٣٠٠ قرشا في الشهر . وقد بذلت محاولات كثيرة لمساواة تلامذة مدرسة أركان حرب أثناء دراستهم بهؤلاء في المرتب، فكللت هذه المحاولات بالنجاح واستطاع تلامذة أركان حرب أن يتقاضوا مرتب الملازم الثاني، ولكن قوة نفوذ رجال

---

(١) المصدر السابق .

2 - Abdin. Corrsp. Fran Doss. No 50/7 Bureau du Chef d'Etat Major en 17 Juillet 1871.

3 Dye : Moslem Egypt ....P. 72

القدامى مكنتهم من الغاء هذه التسوية العادلة بين خريجى المدرسة الواحدة . وعندما يتخرج تلامذة مدرسة أركان حرب يلحقون بالجيش برتبة الملازم الثانى ، فيترتب على هذا الإجراء أن يصبح لزملائهم الذين تخرجوا معهم من المدارس الحربية الأخرى دون أن يلتحقوا بمدرسة أركان حرب - أقدمية من حيث الترقيات والعلاوات (١). ونتيجة لذلك أصبح التلاميذ النجباء يضطهدون - لا لشيء - سوى لكونهم مجتهدين (٢) . وكان الغرض من هذه السياسة - بطبيعة الحال - هو الحط من شأنهم أو الحط من شأن هيئة أركان حرب بطريق غير مباشر .

ولم يستطع الجنرال استون ، رغم ما كان يتمتع به من ثقة الخديو ، أن يوقف هذا التيار المضاد . فكان عليه إذاً أن يختار أحد أمرين ، إما الاستقالة أو البقاء فى منصبه ، على أن يبذل ما فى وسعه بالطرق التى يراها مجديه (٣) . وقد فضل الأمر الأخير .

ومع ذلك فيمكننا القول بأن هذه الصعوبات التى وضعت فى طريق الهيئة فى كل ما يتعلق بالأمور المباشرة للجيش صرفت جهودها إلى ناحية الكشف الجغرافى فى أواسط أفريقا . وقد أتت هذه الكشوف بنتائج باهره لا تقل أهمية عما كانت ستؤديه للجيش من خدمات . هذا فضلا عن إنشاء المتحف الحربى ومكتبة أركان حرب ...

---

(1) Dye : Moslem Egypt P.72

ويذكر الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم فى كتابه تاريخ التعليم (عصر اسماعيل) جـ ٢ ص ٦٥٩ حاشية بأن خريجى مدرسة أركان حرب كانوا يمنحون رتبة الملازم الأول وهذا القول يخالف ماذكره الضابط الأمريكى داى - من ضباط أركان حرب - من أن مدة السنة الدراسية فى مدرسة أركان حرب لم تفد تلاميذ المدرسة لا فى الحال ولا فى الاستقبال

2 - Crabités Americans in ... ... P . 48

(٣) المصدر السابق ص ٤٩

خطة الدفاع عن الأراضى المصرية

لما ساءت العلاقات بين مصر والباب العالى فى سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ نتيجة لمحاولة الخديو أخذ مطالبه بالقوة عكف الجنرال استون بعد تعيينه مباشرة فى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى وضع خطة حربية للدفاع عن مصر فى حالة مهاجمتها من الساحل . فوجه عنايته أولا الى تحصين سواحل مصر الشمالية المواجهة لتركيا ، ففى ٤ يناير سنة ١٨٧١ رفع مذكرة (١) الى الخديو اسماعيل بشأن الدفاع عن مصر عرض فى مقدمتها الى الجيوش التى نزلت بأرض مصر فى العصر الحديث بقصد الغزو . فأوضح بأن الحملة الفرنسية تمكنت من إنزال جنودها الى مصر فى يوليو سنة ١٧٩٨ دون خسارة فى الأرواح نتيجة لبقاء حامية الاسكندرية داخل تحصيناتها ، ولم تتعرض للحملة أثناء نزولها الى البر . ثم قارن بينها وبين جنود الانكشارية الذين نزلوا الى سواحل مصر فى نوفمبر سنة ١٧٩٩ بمعاونة الأسطول الانجليزى لطرد الفرنسيين من مصر، وكان عددهم لايزيد عن ٨٠٠٠ جندى ، وما تكبدوه من خسائر فادحة نتيجة للهجوم الذى شنه عليهم الجنرال فيرديه Verdier بقوته الضئيلة التى تتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ جندى من المشاة و ٢٠٠ من الفرسان ، حيث تمكنوا من القضاء على قوات الانكشارية قبل نزولهم الى البر . فبلغت خسائرهم ٣٠٠٠ بين قتيل وغريق وأكثر من ٨٠٠ أسير . كل ذلك كان بفضل الهجوم القوى الذى شنته قوات

---

1 – Abdin. Corrsp. Fran, Doss. No 50/4 Defence des Cotés. Ministère de la Guerre Bureau du chef d'Eat-Major en 7 Fev. 1871.

فيرديه على العدو أثناء نزوله الى البر . ثم قارن هاتين الحملتين وحملة ثالثة ، وهى الحملة الانجليزية التركية التى تولت إخراج الفرنسيين من مصر ، حيث اقترب الأسطول الانجليزى من الشواطىء المصرية فى فبراير سنة ١٨٠١ ، ولم يتمكن من انزال القوات الى البر إلا فى ٨ مارس سنة ١٨٠١ أى بعد مرور ١٢ يوما من وصول الحملة الى مصر، واستطاعت القوات الانجليزية التركية تحت قيادة الجنرال فريان Friant إنزال ٥٠٠٠ جندى الى البر بخسارة قدرها ١٢٠٠ جندى ، وذلك لعدم اهتمام الجنرال مينو باستغلال مدة الإثنى عشر يوما التى بقيت فيها القوات الانجليزية تجاه الشواطىء المصرية فى تعزيز الدفاع الساحلى نتيجة لبطء وسائل النقل إذ ذاك. وخلص الجنرال استون من دراسته لهذه الحملات الثلاث بأنه يجب للدفاع عن مصر ضد أى عدوان أن تتبع الوسائل الآتية (١) :

أولا - يجب تحصين عدد من المواقع على الساحل الشمالى لتكون بمثابة نقط ارتكاز للقوات المدافعة . وقد عهد الى القائمقام (عقيد) لورنج بهذه المهمة (٢) .

ثانيا : فى حالة الحرب (تزرع) مداخـــل الموانى والأنهار المصرية بالطوربيدات .

ثالثا : إن تركيز قوة الدفاع الساحلى لمهاجمة القوات المغيرة أثناء نزولها لمن أهم وسائل الدفاع عن مصر . ولا يتسنى للقوة المدافعة ذلك إلا إذا كانت النقط الرئيسية على الساحل مجهزة بوسائل نقل سريعة ، تكون على أتم استعداد

---

1 - Abdin . Corrsp. Fran . Doss . 50/4 en 7 Fev . 1871

2 - Chaillé - Long : Les Trois Prophets p.93.

لنقل قواتها ومعداتها بسرعة تفوق سرعة نقل قوات العدو المهاجم. فمثلا إذا اقترب أسطول معادى من مدينة دمياط لإنزال ما عليه من جنود بها ، ووجـــد أنه لا يستطيع ذلك لقوة دفاع المدينة ، فإنه يتجه بسرعة محاولا انزالهم فى ميناء بور سعيد أو أبى قيرأو رشيد . ولهذا يجب أن يكون لدى حامية دمياط وسائل نقل سريعة عن اليمين وعن الشمال أسرع من بوارج العدو البخارية. ولا يتسنى لها ذلك إلا عن طريق سكك حديدية تربط دمياط بالداخل ، وكذلك بإنشاء خط حديدى حربى من ميناء بور سعيد الى الاسكندرية على طول الساحل ، وسيكون لهذا الخط أهمية عظمى .

بعد أن فرغ الجنرال استون من وضع مشروعاته الخاصة بالدفاع عن الساحل الشمالى وجه عنايته الى ساحل البحر الأحمر. فى ٧ فبراير سنة ١٨٧١ رفع مذكرة أخرى الى الخديو اسماعيل طالب فيهـا بضرورة احتلال المنطقة المقابلة لرأس محمد كموقع حربى أمامى لخليج السويس وأوصى بأن يكون لهذا الموقع بطاريتان قويتان وأن يصله بالسويس أربعة خطوط تلغرافية . ونظرا للصعوبات الكثيرة التى تواجهها الحكومة المصرية فى استيراد الفحم فى أوقات الحرب أوصى الجنرال استون بأن تشترى الحكومة كميات كبيرة من فحم Authracité لإمكان تخزينه إذ لا يتطرق اليه التلف بسرعة ، كما يحـدث لفحم Betumineux . وفى ختـام مذكرته أشار الى النقص الكبير فى المعدات الحربية لسلاح المهندسين وضباط أركان حرب ، وأوصى بضرورة شراء ١٢ نقالة للجيش ، و ١٠٠ بوصلة عادية ، و ٢٠ بوصلة سمتية ، وثلاثة أجهزة خاصة بقسم الجغرافيا بهيئة أركان حرب . كما أوصى فى مذكرة (١) أخرى له فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٣ بتأسيس مدرســـة

1 - Abdin. Corrsp. Fran Doss No.50/5 Defence des Cotés. Bureau du Chef d'Etat - Major en 20 Sept . 1873.

تتسع لخمسين ضابط لتعليم حرب الغواصات ، وذلك للدفاع عن سواحل مصر .

الدفاع الداخلي

تقدم الجنرال استون - بعد دراسة نظام الرى بمصر - بمشروع(١) فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧١ يرمى الى الاستفادة من الترع والقنوات ومن عمليات تطهيرها فى الدفاع الداخلى عن مصـــر . وقد عرض فى المقدمة الى طبيعة الأراضى المصرية وخلوها من الجبال والمرتفعات والأخاديد وهى مـــيزة عظيمة القيمة بالنسبة للجيش المهاجم ، ولكنها ليست فى صالح الجيش المدافع . ولهذا كان من الضرورى إنشاء مواقع صناعية مرتفعة لهـــا قيمة حربية فى الإشراف على ماحو اليها من الأراضى الزراعية . وهذه المواقع المرتفعة يمكن تكوينها بسهولة بوضع مايتخلف عن عمليات تطهير الترع على إحدى ضفتيها . وبتوالى عملية التطهير والتكويم يصبح لدينا مواقع مرتفعة يمكن تحصينها يتلو بعضها الآخر ، ولهـا قيمة حربية عظيمة كخطوط دفاع متتالية . وستقوم الترع كذلك بدور هـام فى عرقلة زحف الجيش المهاجم إذ ستكون بمثابة أخاديد يمكن زيادة مائها أو خفضه حسب الحاجة للدفاع عن البلاد . وقد أوصى بإقامة هذه الضفاف العالية فى الأمكنة القريبة من طرق المواصلات الرئيسية ، وهى الطرق التى يمكن للجيوش المغيرة أن تسلكها أو تهاجمها . على أن يوضع نظام خاص تسير عليه عمليات التطهير التى ستحدث فى المستقبل ، على أن يشرف على هذا النظام ضابط من سلاح المهندسين . وهذا المشروع لن يكلف الحكومة شيئا وأغلب الظن أن هـــذا

---

1 Abdin . Corrsp. Fran . Doss No . 50/4 Defence des Cotes Bureau du Chef d ' Etat - Major en 25, Sep . 1871.

المشروع الدفاعى - رغم وجاهته - لم يخرج الى حيز الوجود ، إذ لم نعثر على أية وثيقة تشير اليه بعد ذلك .

مكتب هيئة أركان حرب

إن إيجاد مكتبة ضخمة تضم الآلاف من الكتب التى تتناول الموضوعات العسكرية المختلفة لمن أهم مستلزمات الجيوش الحديثة . فهى المرجع الرئيسى لضباط هيئة أركان حرب للاستزادة من المعلومات العسكرية والوقوف على آخر ما وصل اليه فن الحرب والقتال . ولهذا نجد الجنرال استون يخصص القسم (١) الثانى من أقسام الهيئة للإشراف على تكوين المكتبة العسكرية . فوكل اليه جمع وحفظ الكتب العسكرية ، والتقارير التى تدور حول الجيش المصرى والجيوش الأجنبية . وكذلك كل ما يتعلق بالتنظيمات الحربية ، والمناورات العسكرية ، وترتيب هذه الكتب والتقارير وتبويبها لامكان الإفادة منها والرجوع اليها وقت الحاجة . واستلزم إنشاء المكتبة اعتماد مبالغ معينة تخصص لشراء ماتحتاج اليه من كتب . ففى بادىء الأمر كان الجنرال استون يستأذن الخديو فى كل ما يرغب فى شرائه من الكتب ، ولكن نظرا لإتساع مشتريات المكتبة من المطبوعات والنشرات العسكرية ، التمس الجنرال استون من الخديو أن يخول له السلطة فى شراء ما يستلزم المكتبة ، دون الالتجاء الى طلب التصريح له بذلك فى (٢) كل مرة » .

---

1 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No . 50/1 Bureau du Chef d'Etat - Major en 16 ,Juillet ,1871 .

- Abdin Corrsp. Fran . Doss . 50/2 Bibliothèque . Bureau du Chef d ' Etat - Major à Son E. Abdel - Gelil Bey en 26 , Dec . 1871 .

محتوياتها : كانت المكتبة تضم الكثير من أحدث الكتب التى ظهرت فى فن الحرب والتاريخ الحربى ومختلف النشرات الخاصة بالتنظيمات الحربية والتجهيزات العسكرية فى مختلف دول العالم . بالإضافة الى العدد الكبير من الجرائد والمجلات العسكرية الخارجية . وقد أفادت هذه المكتبة ضباط أركان حرب بصفة خاصة ، وضباط الصفوف بصفة عامة .

المتحف الحربى

من الأعمال الجليلة التى قامت بها هيئة أركان حرب الجيش المصرى إنشاء المتحف الحربى الذى لايخلو منه قطر من الاقطار التى بها جيوش حديثة . وقد أوصى الجنرال استون على إقامته فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧١(١) . وكان الغرض من إنشائه وقوف تلاميذ المدارس الحربية وضباط الجيش على تأريخ تطور الأسلحة الحربية المختلفة ، ومدى التقدم الذى وصل اليه الجيش المصرى فى مضمار التسلح ، وكذلك الجيوش الأجنبية فى الأسلحة الحربية المختلفة المستعملة فى الهجوم أم الدفاع . وفى ١٢ مايو سنة ١٨٧٣ اعتمدت نظارة الجهادية مبلغ ألفى جنيه لشراء ما يلزم للمتحف الحربى والمكتبة . كما طلب الجنرال استون فى نفس التاريخ من نظارة الجهادية التصريح له بنقـل « جميع الأسلحة الدفاعية والهجومية القديمة والحديثة على السواء والموجودة بالمخازن الحربية الى دار المتحف الحربى (٢)» . ومن هذة الأسلحة تكونت نواة المتحف الحربى . وقد عثرت

1 - Abdin . Corrsp . Fran . Doss . No. 50/5 Ecoles Militaires Bureau du Chef d ' Etat - Major en 1871.

2 - Abdin . Corrsp. Fran . Doss . No . 50/11 Missions . Bureau du Chef d ' Etat - Major en 21 ,Mai , 1873 .

على ثبت بمحتويات المتحف من مختلف الأسلحة والمعدات الحربية القديمـة والحديثة ، مبينا به كل نوع من أنواعها ، مع ذكر اسمه ورقمه والمصنع الذى استورد منه وتاريخ صنعه . ويقع فى أربع صفحات من القطع الكبير . وقد وضعت هذه الأسلحة فى عهدة ملازم أول يدعى عبد الرحمن مجدى وقام بتسليمها اليه المستر كنج ويقوم بشئون المتحف ، بالإضافة الى وظيفته الأصلية كأمين مكتبة المدارس الحربية (١) .

محتوياته : كان يضم المتحف كما ذكرت نماذج من مختلف الأسلحة النارية من جميع الطرز المستعملة فى الجيش المصرى مع نظائرها فى الدول الأجنبية . وقسمت هـذه الأسلحة الى قسمين : قسم لأسلحة الهجوم ، وآخر لأسلحة الدفاع من القديم والحـديث . وجميعها خالية من البارود والمفرقعات ، مع نماذج من القواعد والركائز المختلفة وعربات الاسعاف ...

مطبعة أركان حرب الجيش المصرى

كان لابد لهيئة أركان حرب من مطبعة خاصة تتولى طبع ونشر ما تصدره الهيئة من نشرات ومطبوعات عسكرية . وقد أنشئت هذة المطبعة فى سنة ١٨٧٤ ونشرت كتبا عديدة عن البعوث الكشفية التى قام بها رجال هيئة أركان حرب فى السودان وفى مديريات خط الاستواء . وبهذه الكتب وصفا تفصيليا دقيقا لكل بعثة من هذه البعوث ، وما قامت به من جلائل الأعمال ، مع بيـان

---

1 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/11 Bureau du Chef d' Etat - Major en Mai. 1871 .

بالخرائط الجغرافية التى قام بعملها ضباط الجيش . كذلك تولت المطبعة طبع الكتب الدراسية التى رأت الهيئة تدريسها لتلاميذ المدارس الحربية . كما قامت أيضا بطبع « مجـــلة أركان حرب الجيش المصرى » التى كانت تصدرها الهيئة ابتداء من الجزء الأول (المجلد الأول) للسنة الثانية . وذلك فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩١ (٢٩ يونيه سنة (١) ١٨٧٤) . وكانت تتولى طبعها من قبل مطبعة وادى النيل المصرية بباب الشعريه (٢) بالقاهرة .

القانون الحربى المصرى : فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٧١ نشر الجنرال استون قانونا حربيا جديدا للجيش المصرى (٣) ، اقتبسه من القانونين الانجليـــزى والأمريكى مع إدخال بعض التعديلات البسيطة عليه ليتمشى مع روح الخدمة العسكرية المصرية ورفعه الى الخـــديو اسماعيل فى نفس التاريخ ، فوافق على العمل به .

مساكن الجنود : تنـــاول نشاط الهيئة مساكن الجنود المصريين كذلك، فرفع الجنرال استون فى ١٣ يوليه سنة ١٨٧٣ (٤) التصميمات الهندسية التى وضعتها

---

(١) مجلة أركان حرب الجيش المصرى . ج ١ (المجلد الأول) السنة الثانية فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٩١ (٢٩ يونيه سنة ١٨٧٤) بمطبعة عموم أركان حرب .

(٢) مجلة أركان حرب الجيش المصرى . العدد الأول (السنة الأولى) فى ١٠ جمـادى الأولى سنة ١٢٩٠ (يوليه سنة ١٨٧٣) .

3 - Abdin Corrsp Fran Doss No 50/1 Bureau du Chef d' Etat Major en Dec 2 , 1871 .

4 - Abdin Corrsq . Fran Doss. No 50/3 Constructions Militai - res . Ministère de la Guerre . Bureau du Chef d'Etat Major (Stone) à S. E. Abdel Gelil Bey Secretaire de Son Altesse Le Khedive à Costantinople en 13 , Juil . 1873.

الهيئة للمساكن العسكرية الجديدة ، وهى عبارة عن مساكن خشبية لاستعمال قوات الجيش روعى فى وضعها البساطة التامة وسهولة الفك والتركيب بمسامير من القلاووظ (١) .

هيئة اركان حرب فى الميزان

كان بعث هيئـــة أركان حرب الجيش المصرى من جديد فى سنة ١٨٧٠ عملا جليلا استحق كل تقدير ، لأن هذه الهيئة لا غنى عنها مطلقـا لأى جيش يسير على النظم الحربية الحديثة . ولكن الهيئة لم تتح لها الظروف الملائمة لأن تعمل بنجاح ، فقد حوربت من أول الأمر من رجال الجيش القدماء ، ولم تلق الهيئة فى شخص اسماعيل الحصن الذى يقيها من هجمات أعدائها ، كما وجدت الهيئة فى محمد على .

ثانيا ـ إن فصل رجال هيئة أركان حرب عن ضباط وجنود الصفوف حرم الهيئة من أهم اختصاصاتها ، وهو الاتصـال المباشر بهؤلاء الجنود وإفادتهم من خبراتها وتعاليمها. وترتب على هذا الفصل أيضا النفور بين ضباط هيئة أركان حرب وضباط الميدان . وبهذا فقدت الهيئة التعاون الواجب بين الفريقين ، وأصبح لا ينظر أحدهما لآراء الآخر بعين الاحترام .

ثالثا ـ كانت الإدارات المختلفة لوحدات الجيش يتصل بعضها ببعض مباشرة دون أن تمر مراسلاتها على الهيئة . وكذلك فعل ناظر الجهادية ، إذ كان يتصل مباشرة بالجيش ويصـدر اليه الأوامر المختلفة دون أن تعلم الهيئة شيئا عن تلك

---

(١) المصدر السابق

الأوامر (١) . بينما نجد ابراهيم (باشا) كان يحترم تعليمات سليمان (باشا) الفرنساوى (وكان يشغل وظيفه- رئيس هيئه- أركان حربه) فكان « خير قدوة فى الامتثال لأنه كان ينفذ الأوامر (٢) طبقا لإرادة معلمه » . وقد عقب أحد رجال الجيش الفرنسى (وكان يحمل رتبه- المارشالية) على حملة الشام بقوله «إن ابراهيم (باشا) لم يولد على فطرة القتال والعلم بأساليبه ، لكنه كان موفقا فيه بالحوادث الطرآنية ، وبوجود رئيس لأركان الحرب معه معروف بالكفاءة العاليه- ، والدراية التامه- بتسيير الجيوش ، ألا وهو سليمان (باشا) (٣) » . فمن أهم أسباب نجاح حملات مصر ضد الدولة العثمانيه- هو التعاون الوثيق بين هيئة أركان حرب الجيش وقيادته . بعكس ماحدث فى الحملة الحبشيه- بقيادة راتب (باشا) حيث كانت تتمسك القيادة بخطتها وتضرب بآراء هيئة أركان حرب الحملة عرض الحائط . فكان هذا التضارب فى الآراء من أهم أسباب فشلها .

رابعا - إن ما واجهته الهيئة من صعوبات نتيجة تغلغل (نظام الباشا) السابق شرحه قد أفاد الهيئة فى ناحية أخرى ، إذ وجهت كل عنايتها الى حركة الكشوف الجغرافية التى أظهرت استعداد رجالها من المصريين وأتت بأطيب الثمرات .

---

1 - Dye, Moslem Egypt ...... P .74 .

(٢) ادوارد جامان . مصر فى القرن التاسع عشر . ترجمة محمد مسعود ص٦٠٩

(٣) المصدر السابق ص٧٤٣

الفصل العاشر

قوات الجيش المصري

قوات الجيش المصرى

كانت قوات الجيش المصرى فى الستينات من القرن التاسع عشر تتكون من ثلاثة أقسام (١) هى :

١ - الجيش النظامى والاحتياطى .

٢ - القوات غير النظامية .

٣ - رجال الشرطة .

فمن هذه الأقسام الثلاثة النظامية وغير النظامية تكونت قوة مصر الحربية. وقد ذكرنا من قبل بأنه فى أواخر عصر سعيد انخفضت قوة مصر الحربيـــة انخفاضاً كبيرا . إذ كانت تتكون من « أربع أورط (كتيبة) من البيادة وثلاث من السوارى وبطارية واحدة من الطبجية السوارى ، وأخرى من الطبجية البيادة (٢) » . وكان مجموع هؤلاء يبلغ ثلاثة آلاف رجل تقريبا(٣). وهذه القوة الحربية الضئيلة لم تكن تستطيع صد أى هجوم تقوم به قوة أجنبية على مصر .

ولما ولى اسماعيـــل الحكم فى يناير سنة ١٨٦٣ أخذت أعداد الجيش فى الزيادة حتى أصبح فى أوائل تلك السنة يتكون من ثمانية آلايات (لواءات)

---

(1) Edwin de Leon, Khedives Egypt p. 375.

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٥

(3) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. 50/1 Organization de l'armée. Dec 25, 1863.

من المشاة، وآلايين (لواءين) من الفرسان، وآلايا من المدفعية الراجلة والراكبة. وفيما يلي بيانها(١) :

الآلاى (لواء) الأول المشاة

عدد الضباط والجنود	
١	أميرالاى (عميد) شاهين كنج (بك)
١	قائمقام (عقيد) على غالب (بك)
١١٥	أركان حرب وأقسام الآلاى
٧٥٦	الأورطة (كتيبه) الأولى بكباشى (مقدم) عبدالعال حلمى
٦٩٠	« « الثانية : « « عثمان غالب
٦٩٥	« « الثالثة : « « محمد مسعود
٦٤٨	أورطة « الشرخجية(٢): « « عيسى فهمى
٢٩٠٦	

الآلاى (لواء) الثانى مشاة

١	أميرالاى (عميد) محمد خسرو (بك)
١	قائمقام (عقيد) اسماعيل زهدى (بك)
٥٩	أركان حرب وأقسام الآلاى
٧٤١	الأورطة (كتيبه) الأولى: بكباشى (مقدم) حسين سرى

(١) رسالة عن الجيش المصرى فى عصر اسماعيل . تولت اصدارها مجلة الجيش بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاة الخديو اسماعيل ص ٣ وما يليها .

(٢) مدفعية خفيفة توضع فى مقدمة الجيش لمواجهة العدو .

٧٥٦	الأورطة(كنيبه)الثانية: بكباشى(مقدم)اسماعيل كامل
٧٩١	« « الثالثة : « « محمد سعيد
٥٧١	أورطة « الشرخجية: « « اسماعيل أيوب
٢٩٢٠	

الآلاى (لواء) الثالث مشاة

١	أميرالاى (عميد) اسماعيل صادق (بك)
١	قائمقام (عقيد) ابراهيم لاظ (بك)
٨٣	أركان حرب وأقسام الآلاى
٧٤١	الأورطة(كنيبه)الأولى: بكباشى(مقدم) على لطفى
٧٦٠	« « الثانية : « « سليم ساطع
٧٤١	« « الثالثه : « « عبدالله صالح
٦٢٨	أورطة « الشرخجية: « « على صدقى
٢٩٥٥	

الآى (لواء) الرابع مشاة

١	أميرالاى (عميد) سليمان (بك)
١	قائمقام (عقيد) راشد حسنى (بك)
٥٥	أركان حرب أقسام الآلاى
٨٨٦	الأورطة(كنيبه)الأولى: بكباشى (مقدم)محمد كامل
٨٨٦	« « الثانية : « « محمد الكريدلى

٨٨٥	الأورطة(كتيبه)الثالثه : بكباشي(مقدم) عثمان نجيب
٢٧١٤	

الآلاى (لواء) الخامس مشاة

١	أميرالاى (عميد) محمد أمين (بك)
١	قائمقام (عقيد) راشد راقب (بك)
٩٥	أركان حرب وأقسام الآلاى
٦٢١	الأورطه(كتيبه)الأولى: بكباشي (مقدم) احمد وهبي
٦٩٥	« « الثانيه : « « فرج عبد الله
٧٨٠	« « الثالثه : « « مصطفى(افندى)
٢١٩٣	

الآلاى(لواء) السادس مشاة

١	أميرالاى (عميد) بكرى (بك)
١	قائمقام (عقيد) احمد عرابى (بك)
٥٧	أركان حرب وأقسام الآلاى
٧١٤	الأورطة(كتيبه) الأولى:بكباشي(مقدم)محمد شكرى
٨١١	« « الثانيه : « « مصطفى سليم
٨٨٢	« « الثالثه : « « محمد على
٢٤٦٦	

الالاى (لواء) السابع مشاة

١	أميرالاى (عميد) حسن عاصم (بك)
١	قائمقام (عقيد) حسين الدره مللى (بك)
٧٥	أركان حرب وأقسام الآلاى
٦٤٤	الأورطة (كتيبه) الأولى : بكباشى (مقدم) شحاته
٦٢٢	« « الثانيه : « « خورشيد حسن
٦٤٠	« « الثالثة : « « طه لطفى
١٩٩٣	

الالاى (لواء) الثامن مشاة

١	أميرالاى (عميد) خالد (بك)
١	قائمقام (عقيد) عثمان رفقى (بك)
٤٨	أركان حرب وأقسام الآلاى
٦٣٨	الأورطه (كتيبه) الاولى : بكباشى (مقدم) زكريا حلمى
٦٤١	« « الثانيه : « « محمد محمد
٦٣٠	« « الثالثه : « « خورشيد عاكف
١٩٥٩	

٢٠١٠٦ جملة قوات المشاة

قــوات الخيــالــة (الفرسان)

الآلاى (اللواء) الاول الخيالة

١	أميرالاى (عميد) محمد صدقى (بك)
١	قائمقام (عقيد) يوسف صبرى (بك)
١	بكباشى (مقدم) أول محمد رضا
١	« « ثان ابراهيم زكى
٦٠	أركان حرب وأقسام الالاى
١٢٨٨	٦ أورط (كتائب) وقائد الاورطة يوزباشى (نقيب)
١٣٥٢	

الآلاى (اللواء) الثانى الخيالة

١	أميرالاى (عميد) حسين فهمى (بك)
١	قائمقام (عقيد) حسين واصف (بك)
١	بكباشى (مقدم) أول سليمان (أفندى)
١	« « ثان حسن فهمى
٤٩	أركان حرب وأقسام الآلاى
٨٣٨	٦ أورط (كتائب) وقائد الآورطة يوزباشى (نقيب)
٨٩١	

٢٢٤٣ جمـــلة قوات الخيالة

قوات المدفعية البرية

الالاى (اللواء) الأول المدفعية

١	الأميرالاى (عميد) على حمدى (بك)
١	قائمقام (عقيد) على رضا (بك)
٥٦	أركان حرب وأقسام الآلاى
٤٥٦	الأورطة (الكتيبة) الأولى: بكباشى (مقدم) محمود رشاد
٤٥٦	« « الثانية:
٤٥٦	« « الثالثة:
٤٥٦	« « الرابعة:
١٨٨٢	

(الأورط الثانية والثالثة والرابعة: ٤ بطاريات)

الالاى (اللواء) الثانى المدفعية

١	أميرالاى (عميد) على رضا (بك)
١	قائمقام (عقيد) أحمد ثابت (بك)
٤٦	أركان حرب وأقسام الآلاى
٥٢٠	الأورطة (الكتيبة) الأولى: بكباشى (مقدم) برهان
٥٢٠	« « الثانيه: « « حسن لمعى
٥٢٠	« « الثالثه: « « على وهبى
٥٢٠	« « الرابعة: ………
٢١٢٨	

٤ بطاريات

٤٠١٠ جملة قوات المدفعية

مجموع قوات الجيش	
٢٠١٠٦	المشـــــاة
٢٢٤٣	الخيــــالة
٤٠١٠	المدفعيـــــة
٢٦٣٥٩	ضابطا وجنديا

اورط الجرخجية (الشرخجية) (١)

كانت هذه الاورط (الكتائب) ملحقة بآلايات الجيش المختلفة، ولكن نظارة الجهادية أمرت فى سنة ١٨٦٤ بفرز هذه الأورط ، ووضعها تحت إدارة مخصوصة مع ملاحظة ما يستلزم ذلك من السهولة والمحسنات الزائدة من حيث التعليمات والادارة (٢) » . وأسكنت هذه الأورط بشكنات قصر النيل وسميت باسم الاورط الجرخجية » ، وتعين راشد (بك) أميرالاى (عميد) الآلاى الرابع من المشاة أميرالايا (عميدا) عليها (٣) ، وذلك فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤) وكان أنفار الجرخجية (الشرخجية) يختارون من الشبان الصغار الذين تتراوح

---

(١) مدفعية خفيفة توضع فى مقدمة الجيش لمهاجمة العدو

(٢) دفـــتر ٥٣٩ (معية تركى) أمر كريم رقم ٣٦ ص ٧٩ إلى ناظر الجهاديه اسماعيل باشا فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ (النصف الأول من سنة ١٨٦٤) .

(٣) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) امر كريم رقم ٣٦ ص ٧٩ الى ناظر الجهادية أسماعيل باشا فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٨٠ (النصف الأول من ١٨٦٤) .

أعمارهم بين ١٥ ، ١٦ سنة ، وأن يكونوا واسعى الصدر أقوياء البنية[١].

فرقة الاصلاحية

كان إذا اقترف أحد الجنود أو الضباط عملا مخالفا للقوانين العسكرية حوكم أمام « مجلس العسكرية » الذى كان يقرر فى أغلب الأوقات مجازاة المذنب بتنزيل رتبته ، وإلحاقه بفرقة الاصلاحية لمدة معينة . وكان جنود هذه الفرقة يقومون بأعمال شاقة كالحفر وتمهيد الطرق ومد الخطوط الحديدية . ولكن رأت نظارة الجهادية إلغاءها لأنها تعتبر عنوانا للخروج على النظام . فأصدرت أمرا فى ٢٩ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٥) بإلغائها وإلحاق الأفراد الذين لم تنته مدتهم الى ليمان الاسكندرية لاستيفائها [٢] .

وفى سنة ١٨٦٥ اجتاح مرض الكوليرا الديار المصرية ، وامتدت براثنه الى قوات الجيش فاختطفت منها عدة مئات من الجنود. وقد بالغت المصادر المختلفة فى عدد الوفيات فوصفها قنصل أمريكا الجنرال فى تقرير له لوزير الخارجية الأمريكية بأنها مخيفة [٣] . ولكننى عثرت على إحدى الوثائق التى توضح عدد الوفيات فى مختلف وحدات الجيش المصرى. هذا فضلا عما جاء بها من إحصاء لعدد الفارين من الجندية . وفيما يلى هذا البيان [٤] :

---

(١) دفتر ٥٤٨ (معيه تركى) وثيقة تركية رقم ٢٤٣ ص ٣٣ من المعية الى ديوان الجهادية فى ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٨١ (النصف الثانى من سنة ١٨٦٤) .

(٢) دفتر ٩٨٧ جـ ٢ صـ ادر ديوان الجهادية وثيقة رقم ١٨٣٧ فى ١٩ شوال سنة ١٨٦٦) .

3 - Abdin. Amr. Vol. 4 despt. No. 41 . Aug. 25 , 1865 .

(٤) محفظة ٣٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣٧ من الجهادية الى المعية السنية فى ٢٨ ربيع أول ١٢٨٢ .

الموجودون تحت السلاح	الهاربون	المتوفون من الكوليرا		أصل الموجود منهم	أسماء الآلايات
		الضباط	الجنود		
١١٨٠	١٣	٠	١٨	١٢١١	آلاى (لواء) المدفعية الأول
١١٥٦	١٤	١	١٠	١١٨١	« « الثانى
٨٥٠	٢٣	٠	١٥	٨٨٨	« الخيالة الأولى
٧٥٨	٣٥	٠	٠٠	٧٩٣	« « الثانى
٨٥٣	٧	٠	١٢	٨٧٢	« « الثالث
٧٢٣	١	٠	١	٧٢٥	« « الرابع
٢٨٦٩	٣٣	٠	٨	٢٩١٠	« المشاة الأول
٢٧٨٦	٢٣	١	٩١	٢٩٩١	« « الثانى
٢٨٧٩	١٩	٠	١٩	٢٩١٧	« « الثالث
٣٠١٠	٣٥	٠	٣٧	٣٠٨٢	« « الرابع
٢٨٧٦	٤١	١	٥٥	٢٩٧٣	« « الخامس
٢٧٤٧	٤٦	٤	٨٨	٢٨٨٥	« « السادس
١٩٥٣	٥	٤	١٦٨	٢١٣٠	« « السابع بالحجاز

الأورط الاربعة الجرخجية	٢٩١٩	٤٣	٠	١٥	٢٨٦١
« المدفعيـــه المحافظة للاستحكامات	١١٠٥	٦	٠	١٦	١٠٨٣
الاورطة الخامسة الجرخجيه بالحجاز	٦٩٩	٦٠	٢	٠٠	٦٣٧
الاورط الساحليه	٢٥٩٦	١٢	٠	٢٣	٢٥٦١
بلوكات المدفعيـــه في الطوبخانه	٦٢٢	٩	٠	٠٠	٦١٣
أورطه المهندسين	٧٨٥	٢	٠	١٥	٧٦٨
« صانعى القناطر	٨٣٥	١٢	١	١٣	٨٠٩
فرقة الموسيقى	٦٦٥	٤	٠	٤	٦٥٧
الجملة	٣٥٧٠٤	٦٧٠	١٤	٣٩١	٣٤٦٢٩

قوة الجيش المصرى فى سنة ١٨٦٦

وفى سنة ١٨٦٦ نتيجة للزيادة المستمرة فى عدد قوات الجيش أصبحت قوته تتكون من أربعة آلايات (لواءات) طبجيه (مدفعية) و ٥ آلايات سوارى (خياله) و ١١ آلايا بيادة (مشاة) (١) . وأوصت نظارة الجهادية مندوبها فى أوربا افلاطون (بك) باختيار أحدث البنادق المستعملة فى الجيوش الأوربية لتسليح الجيش المصرى(٢) بها .

ومن جراء توتر العلاقات بين الخديو اسماعيل والباب العالى فى فترة مابين سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ زادت قوة الجيش زيادة كبيرة استعدادا للطوارىء ، وما قد تتمخض عنه الأيام من أحداث ، فأصبحت قوته فى سنة ١٨٧٠ تتكون (٣) من :

سلاح المشاة

يتألف من ١٨ آلاى (لواء) من البيادة (المشاة) ، منها الآيان من السود ويتألف كل آلاى من ٣ أورط (كتيبة) ، والأورطة من ٨ بلوكات . ويرأس البلوك (فرقة) ضابط برتبة يوزباشى (نقيب) ويعاونه ضابطان أحدهما

---

(١) دفتر ٩٨٨ جـ ٢ صادر ديوان الجهادية وثيقة رقم ٢٠١٨ ص١٠٢ فى ١٩ شوال سنة ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٥٥٧ (معية تركى) أمر كريم رقم ١٠٤ ص ١١٧ الى ناظر الجهادية فى ٩ ربيع آخر سنة ١٢٨٣ .

(2) Abdin.Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Orgnization de l' armée. Traduction d' un article de Hans Wachenhusen qui a paru dans le No. 144 du Journal de Cologne en date du 22 Mai 1871 et que l'auteur dit avoir été écrit en printemps de 1870.

برتبة الملازم الأول ، والثانى برتبة الملازم الثانى ، وباشجاويش (رقيب أول) ، وأربعة صف ضباط ، وثمانية أنباشية (عريف) ، و ٦٤ نفرا ، وإثنان بروجية ، وترمبتجى واحد ، وبلجى ، وكاتب ، وسقاء ، وطباخ .

وعلى رأس كل آلاى ضابط برتبة أميرالاى (عميد) . وتحت إمرته قائمقام (عقيد) وثلاثة بكباشية (مقدمين) ، وثلاثة برتبة صاغقول أغاسى (رائد) ، وثلاثة من كتبة الأورط ، وعلمدار (حامل العلم) ، وثلاثة أطباء ، و٦ مساعدين ، وثلاثة كتاب عسكريين . ويلحق بالآلاى جوقة مكونة من ضابط وباشجاويش (رقيب أول) واثنان وثلاثين موسيقيا .

وتضم كل أورطة ثلاثة جنود برتبة صف ضابط كمدرسين ومعلمين ، ولكل الآيين لواء ، ولكل أربعة الآيات فريق ثان .

وفيما عدا الثمانية عشر آلايا من المشاة ، توجد أربع أورط (كتائب) قناصة Batailllens de Chasseurs ألحقوا بالآلاى الرابع والثامن والسادس عشر . كذلك وجدت أورطتين من العرب وعشرة بلوكات من السود منها ستة بلوكات من الهجانة .

سلاح الفرسان

تكون سلاح الخيالة (الفرسان) من أربعة آلايات ، ويضم كل آلاى ستة بلوكات (فرق) من الفرسان ، وعلى رأس كل بلوك رئيسان : أحدهما من الدرجة الأولى ، والثانى من الدرجة الثانية ، واثنان برتبة الملازم الأول ، وإثنان آخرين برتبة الملازم الثانى ، وجاويش (رقيب) ، وثمانية برتبة صف ضابط ، وستة عشر أونباشيا (عريف) ، وثمانون فارسا ، وكاتب ، وأربعة بروجية ، وسروجيان وبيطار واحد ، وطباخان ، وسقاء .

وعلى رأس كل آى من الفرسان أميرالاى (عميد) ويعاونه قائمقام (عقيد)

وبكباشيان (مقدمان) واثنان برتبة صاغقول أغاسى (رائد)، وثلاثة كتبة بلوك، وعلمدار (حامل العلم)، وطبيبان، وأربعة مساعدون، وأجزجيان (صيدليان) وإثنان من الكتبة غير العسكريين، وأحد الوعاظ، واثنان وعشرون موسيقيا. وعلى رأس كل آلايين لواء، وكل أربعة الايات فريق ثان.

سلاح المدفعية (الطوبجية)

بسلاح المدفعية أربعة آلايات، كل منها مقسم إلى ست أورط: أربع أورط مشاة، وإثنان خيالة. وبكل بطارية ستة مدافع وست عربات ذخيرة، وعربة مجهزة بفرن، وكور لأشغال الحدادة. وتتكون البطارية السوارى من يوزباشى (نقيب) درجة أولى ويوزباشى (نقيب) درجه ثانية، وملازم أول، واثنين من من الملازمين الثوانى وجاويش (رقيب)، وكاتب أورطة، وثمانية صف ضباط وإثنى عشر أونباشيا (عريفا)، واثنين وسبعين طوبجيا، وثمانية وأربعين سائقا، وأربعة بروجية، وثلاثة بياطرة، ونجار عربات، وحدادين، وأثنين من السروجية، وبيطرى، وطبيين، وثلاثة مساعدين.

وبطارية المشاة تتكون بنفس الطريقة مع تغيير طفيف هو أن عدد الطوبجية بها ٦٠ طوبجيا و ٣ بروجية وبيطريين.

ولكل آلاى أميرالاى (عميد) وقائمقام (عقيد) وبكباشيان (مقدمان) واثنان برتبة صاغ (رائد) واثنان من الاسبرانات، وعلمدار، و (حامل العلم) وصول، ولكل آلايين لواء.

أما أورطة (كتيبة) المهندسين فترتيبها كترتيب المشاة. أما فيما يتعلق بعدد كل آلاى فلا يتغير سواء فى أوقات السلم أو الحرب. وفى أوقات الحرب فقط يزاد عدد هذه الالايات.

وجاء فى الوثيقة الفرنسية المستخرجة من مكتبة مجلس الوزراء الفرنسى عن الجيش المصرى أن عدد الايات هذا الجيش فى سنة ١٨٧٠ كانت كما يلى (١) :

المشاة

تتكون من ١٧ آلايا من المشاة و ٣ كتائب قناصة ، و ٤ آلايات من الفرسان ، وآلايين مدفعية ميدان ، و ٣ آلايات مدفعية سواحل ، وكتيبة للمهندسين . ويتكون الآلايان التاسع والعاشر من السودانيين والنوبيين ، وهما الايان قويان . ويشتمل كل آلاى على ثلاث أروط ، وكل أورطة تضم ستة بلوكات . أما أورطة القناصة فتتألف من ثمانية بلوكات . والبلوك يحتوى على أربعة ضباط ، و ١٤ صف ضابط واثنين من الترمبتجية ، واثنين من البلطجية ، و ١٠٠ نفر . وكان عدد أفراد البلوك يتراوح بين ٦٠ و ١٤٠ رجلا .

وخصص للدفاع عن السودان ثلاثة آلايات من المشاة . أما الآلايان السودانيان ، فقد وضع أحدهما فى القاهرة ، والآخر فى الوجه القبلى .

الفرسان

تتكون من أربعة آلايات ، وكل آلاى من أربع أورط ، ، والبلوك يضم فى وقت السلم ١٠٠ نفر ، وفى وقت الحرب ١٥٠ نفرا .

المدفعية

أما سلاح مدفعية الميدان فينقسم كل آلاى منه إلى ثلاث أورط ، وبكل

---

(1) Bibliothéquedu Cabinet Francaisé. Notes sur l'Armée Egyptienne. Histoire de l'Armée (Paris) 19i3 .
وضع مصطفى أبراهيم ديكرتين

أورطة أربع بطاريات وستة مدافع . والأورطتان الأولى والثانية سوارى ، والثالث مشاة . وعدد أفراد الأورطة ٩٢٥ نفرا .

المدفعية المشاة

وكانوا مكلفين بالدفاع عن المناطق الحصينة وعددهم ٣٨٠٠ رجـــلا . أما أورطة المهندسين فتضم ثمانية بلوكات كل منها يشتمل على ١٥٠ جنديا ، منهـــا بلوكان لإقامة الجسور والكبارى . وفى أوقات السلم يعمل جنود هذه الأورطة فى بناء الاستحكامات ، ومد الخطوط الحديدية ،وقطع الأحجار من محاجرطره . أما جنود البلوكات الستة الأخرى فيقومون بمد الخطوط الحديدية ، وحفر الترع ومن بينها بلوكان من المسجونين يعملون فى قطـع الأحجـار من محجرى طره وسواكن

ويزيد عدد هذه القوات فى وقت السلم عن ٤١٫٠٠٠ جندى مقسمين عـلى النحو الآتى (١) : -

المشاة والقناصـة	٣٢٫٠٠٠	جنــدى
الفرسان	١٫٧٠٠	»
مدفعية الميدان	١٫٩٠٠	»
مدفعية السواحل	٣٫٨٠٠	»
المهندسين	١٫٥٠٠	»
ناظر الحربية . لواء . بكباشية (مقدمون) أربع فرق	٥٠٠	»
	٤١٫٤٠٠	المجموع

ومن القوات السالفة الذكر يوجد ٧٠٠٠ جندى بالسودان . وفى وقت الحرب يمكن حشد هذه القوات فى جيش يبلغ عدد رجاله قرابة ٦٥ ألفا مزودين بمائة وأربعة وأربعين مدفعا للميدان على النحو الآتى :

المشاة والقناصة	٥١٫٠٠٠	جنــدى
الفرسان	٢٫٥٠٠	»
مدفعية الميدان	٢٫٦٠٠	»
مدفعية السواحل	٥٫٠٠٠	»
المهندسين	٢٫٠٠٠	»
هيئة أركان حرب	١٫٦٠٠	»
	٦٤٫٧٠٠	»

وتبلغ عدد قوات الجيش الاحتياطى (الإمدادية) مايقرب من ٢٠٫٠٠٠ مقاتل موزعين على مختلف مرافق البلاد مثل الجمارك وحراسة القنوات والبوليس . وتتكون قوات البوليس من ٦٫٠٠٠ جندى من المشاة، و٢٫٠٠٠ جندى من الفرسان. ولمدينتى القاهرة والاسكندرية بوليس خاص يبلغ عدد أفراده ١٥٠٠ جندى . ويوجد بالسودان قوات من البوليس قوامها ٦٫٠٠٠ جندى .

ومجموع هذه القوات جميعها تبلغ ١٠٤٫٥٠٠ مقاتل (١) بما فى ذلك قوة الجيش العامل البالغة ٦٤٫٧٠٠ مقاتلا . وهذا التقدير يقترب مما ذكر فى نشرة إدارة الجيش المصرى عن قوة الجيش فى سنة ١٨٧٠ ، حيث قدرت بنحو

---

(١) المصدر السابق .

١٠٨ر٦٥ جندى موزعه كالآتى (١): ٥١٠٣٨ للمشاة و٤٧٢٧ للفرسان، و٢٣٤٦ لمدفعيةالميدان و٦٩٩٧ لمدفعية السواحل.

وفى سنة ١٨٧١ (١٦ شوال سنه ١٢٨٨) أدخل تعديل جديد على مدفعية الميدان ، فأصبح كل آلاى من آلايات المدفعية (الميدان) يضم بطارية سوارى قوامها أربعة مدافع ، وبطاريتين من المشاة (بيادة) ، وبكل منهما أربعة مدافع. وفيما يلى بيان بعدد أفراد كل بطارية من البطاريات الثلاث (٢) :

البطارية السوارى

تتكون البطارية السوارى من يوزباشى (نقيب) أول أو ثانى وملازمين اثنين من الدرجة الأولى أو الثانية ، وباشجاويش (رقيب أول)،وبلوك أمين، وأربعة جاويشية (رقيب)وثمانية أونباشية(عريف)، وثمانية وأربعين جنديا (طوبجيه)، وأربعين (عربجية) ، وثلاثة بروجية ، وبيطارين اثنين، وسروجى واحد،ونجار، وحداد ، وبراد . ومجموع هؤلاء جميعا ١١٤ جنديا .وتضم البطارية أربعة مدافع .

البطارية البيادة

تتألف البطارية البيادة من يوزباشى (نقيب) أول أو ثانى ، وملازمين اثنين

---

(١) رسالة ادارة مجلة الجيش عن الجيش المصرى فى عهد اسماعيل بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاته ص ١٩ .

(٢) دفتر ١٠١٣ صادر من ديوان عموم الجهادية الى الالايات المستجدة والأورط المستحدثة وثيقة رقم ٨١ ص ٩٧ - ٩٩ من ناظر الجهادية الى ٢ جى بطارية فى ١٦ شوال سنة ١٢٨٨ .

من الدرجة الاولى أو الثانية ، وباشجاويش ، وبلوك أمين ، وأربعة جاويشية ، وأربعين جنديا (طوبجية) ، وأربعين جنديا (عربجية) ، وثلاثة بروجية ، وبيطريين اثنين ، وسروجي ، ونجار ، وحداد وبراد . ويبلغ مجموع هؤلاء جميعا ١٠٦ جنديا . وتضم البطاريه البيادة أربعة مدافع أيضا . ويبلغ مجموع جنود البطاريتين البيادة ٢١٢ جنديا .

ويلحق بالآى المدفعية غير هؤلاء ملازم أول أو ثانى بوظيفة مخزنجى ، وملازم ثانى فى وظيفة معاون ، وحكيم بشرى ، وآخر بيطرى ، وثلاثه أنفار تومرجية (ممرضين) «وأوسطة» بروجى أونوبتجى أو جاويش أو أنباشى ، وجزجى برتبة نفر ، و« أوسطة » سروجى ، و «أوسطة» بيطار، و « أوسطة » توفكجى (أسطه بنادق) ، و « أوسطه » نجار أو حداد أو براد برتبة أونباشى . ويبلغ مجموع هؤلاء ١٥ جنديا . وبذلك يصبح المجموع الكلى لعدد أفراد بطاريه السوارى وبطاريتى البيادة وملحقاتها ٢٤١ جنديا .

قوة الجيش المصرى سنة ١٨٧٤

بعد حصول الخديو اسماعيل على الفرمان الشامل فى سنه ١٨٧٣ أصبح مطلق اليد فى زيادة عدد الجيش إلى القدر الذى يريده . ونظرا لخشيته من أن يحاول السلطان أن يسترد مامنحه إياه من إمتيازات كما حدث فى سنه ١٨٦٩ فقد أخذ فى زيادة عدد قوات الجيش لاستخدامه ضد الباب العالى إذا ما سولت له نفسه ذلك . فأمر فى سنه ١٨٧٤ ، بأن يؤلف الجيش المصرى على أساس أربع فرق مزودة تزويدا تاما بكافه أنواع الأسلحه . وأن تتكون كل فرقه من أربعه آلايات من المشاة وآلايين من الفرسان ، وآلاى من مدفعيه الميدان وكتيبه

من المهندسين (١) ، وثلاثة آلايات من مدفعيـــة السواحل لترابط في مختلف الحصون المقامة في المناطق الساحلية . فوضع الآلاى الأول باسكندرية والثـانى بدمياط والثالث برشيد . وفيما يلى بيان بترتيب كل سلاح من هذه الأسلحة (٢):

المشاة

يتألف هذا السلاح من أربع فرق هى : فرقة الحرس و ١ جى فرقـة و ٢ جى فرقة و ٣ جى فرقة . وكانت كل فرقة من الفرق الأربع مؤلفة من لواءين، وكل لواء منها مؤلف من آلايين ، كل آلاى من أربع كتائب ، وكل كتيبة من ثمانية بلوكات .

وبناء على ما تقدم أصبح سلاح المشاة يتكون من ٤ فرق مؤلفة من ٨ الوية و ٦٤ كتيبة و ٥١٢ بلوكا . وعدد أفراد البلوك ١٢٤ نفرا ، والكتيبة ٩٩٦ نفرا والآلاى ٤٠٨٤ نفرا ، واللواء ٨١٨٩ نفرا . والفرقـة ١٦٤٠٩ نفرا . فيصبح المجموع العام للمشاة ٦٥ر٦٣٦ جنديا .

الفرسان

يتألف سلاح الفرسان من ثمانية آلايات ألحق كل منهـــا بفرقة من فرق الجيش . وعلى رأس كل آلاى أميرالاى (عميد) ويعاونه قائمقـام «عقيـد» وبكباشيان «مقدمان»، وعدد قوات الآلاى ١٠٦٥ جنديا . ويتكون الآلاى من خمس كتائب ، ويقود الكتيبة ضابط برتبة يوزباشى «نقيب» وعدد جنودها

---

(١) مجلة الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ (يناير ١٩٤٧) مقالة الأمير عمر طوسون عن « حرب الصرب عام ١٨٧٦ » ص ١٨٤ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

٢٠٥ جنديا هـــذا بالاضافة إلى فريق القيادة وأركان حرب ورجاله وعددهم ٣٠ جنديا . وبذلك يصبح المجموع العام للفرسان ٨٦٣٥ مقاتلا .

مدفعية الميدان

يتألف هذا السلاح من ٤ آلايات ألحق كل منها بفرقة من فرق المشاة الأربع السابقة . وكل آلاى ينقسم إلى ثلاث كتائب ، يقود كلا منـــها ضابط برتبة بكباشي « مقدم » . وتتكون كل كتيبة مما يلي :

تتألف الكتيبة الأولى من بطاريتين سوارى ، والكتيبتان الأخريان من ٤ بطاريات مشاة . فيكون مجموع بطاريات كل آلاى ١٠ بطاريات . وكانت كل بطارية مؤلفة من ٦ مدافع ، فيكون مجموع المدافع فى الآلاى الواحد ٦٠ مدفعا . وكان يقود الكتيبة ضابط برتبة بكباشي « مقدم » ، ويقود البطارية ضابط آخر برتبة يوزباشي (نقيب) .

وتتألف البطارية من ٢٠٦ جنديا ، والكتيبة الأولى من ٤١٦ جنديا ، وكلتا الكتيبتين الأخريين من ٨٢٨ جنديا ، والآلاى من ٢١١٢ جنديا . وإذا أضفنا إلى هؤلاء ضابطا برتبة لواء لقيادة المدفعية ومعه أركان حربه وعددهم ٢٠ جنديا ، يكون عدد الآلايات الأربعة من ضباط وصف ضبـاط وجنود ٨٤٦٩ فردا ، وعدد البطاريات ٤٠ بطارية مؤلفة من ٢٤ مدفعا .

سلاح المهندسين

يتألف هذا السلاح من ٤ كتائب ، لكل فرقة مشاة كتيبة منها . وتتألف الكتيبة من ٦ بلوكات ، ويضم البلوك ١٢٤ جنديا ، والكتيبة ٧٤٨ جنديا . فيكون المجمـــوع الكلى ٢٩٩٢ جنديا . أما أركان حرب المهندسين

فيتألف من ضابط برتبـــة لواء و ٤٣ ضابطا و ٨٠ صف ضابط وجندى . فيكون المجموع الكلى ٣١١٦ مقاتلا . وبذلك يصبح مجموع الفرقة من الأسلحة المختلفة ما يلى :

عدد			
١	فرقة المشاة	١٦٤٠٩	ضباط وصف ضباط وجنود
١	لواء الفرسان	٢١٥١	» »
١	كتيبة المهندسين	٧٤٨	» »
١	آلاى المدفعيه	٢١١٢	» »
		٢١٤٢٠	

مدفعية السواحل

يتألف هذا السلاح من ٣ آلايات ، كل آلاى منها مؤلف من ٤ كتائب ، وكل كتيبة مؤلفة من ٤ بلوكات . ويضم البلوك ١٠٣ جنديا ، والكتيبة ٤١٦ جنديا ، والآلاى ١٧٠٤ جندياً . هذا فضلا عن ضابط للقيـــادة برتبة لواء ، ويعاونه أركان حربه وعددهم ٢٠ جنديا فيصبح عدد جنود وضباط الآلايات الثلاثة ٥١٣٣ مقاتلا .

أركان حرب الجيش العام

ويتألف أركان حرب الجيش من ضابط برتبة فريق و ٣ أمراء ألوية و ٥ أمراء آلايات (عمداء) و ٦ برتبة قائمقام (عقيد) و ٢٠ برتبة بكباشى (مقدم) و ١٢ برتبة صاغ (رائد) و ١٦ برتبة ملازم أول و ٢٠ برتبة ملازم

ثانى و ٣٠٠ صف ضابط وجندى . فيكون المجموع ٣٨٧ ضابطا وجنديا .

قسم الذخيرة

يرأسه فريق وتحت إدارته بكباشيان (مقدمان) و ٤ برتبة صاغ (رائد) و ٥ برتبة يوزباشى (نقيب) و٦ برتبة ملازم أول و ٨ برتبة ملازم ثانى و ٣٥٠ صف ضابط وجندى . فيكون المجموع ٣٧٦ ضابطا وجنديا .

قسم الاشغال

يرأسه ضابط برتبة فريق ويعاونه أميرالاى (عميد) وقائمقام (عقيد) وبكباشيان (مقدمان) و ٤ برتبة صاغ (رائد) . وألحق بهذا القسم ٤ بلوكات يتألف كل منها من ١٥٠ صف ضابط وجندى . ويقود كل بلوك يوزباشى (نقيب) واحد ويعاونه ملازم أول وملازمين اثنين برتبة ملازم ثانى . فيكون المجموع ١٢٤٠ جنديا . وإذا أضفنا إلى هؤلاء عدد الطلبة والضباط بالمدارس الحربية وعددهم ٧٨٢ أصبحت قوة الجيش المصرى العامل تتكون مما يلى :

١	أركان الحرب العام	٣٨٧	ضابط وجندى
٤	فرق مشاة	٦٥٦٣٦	»
٤	ألوية فرسان	٨٦٦٦	»
٤	آلايات مدفعية ميدان	٨٤٦٩	»
٣	» » سواحل	٥١٣٣	»
٤	كتائب مهندسين	٣١١٦	»

قسما المهمات والذخيرة	٣٧٦	ضابط وجندى
كتيبـــة الأشغال	٤١١٢	»
٤ المدارس الحربيـة	٧٨٢	»
المجموع العام	٩٣٨٠٦	»

يضاف إلى القـوة السابقـة الجنود المرابطون بالسودان ويبلغ عـددهم ٣٠,٠٠٠ مقاتل (١) .

قوة الجيش المصرى سنة ١٨٧٦(٢)

كانت تتألف قوة الجيش المصرى فى سنة ١٨٧٦ من فرقـة الحرس المشاة (غارديا) ، وثلاث فرق مشاة أخرى ، وتضم الفرقة لواءين ، واللواء ينقسم إلى آلايين ، والآلاى إلى أربع أورط . وكان على رأس فرقة الحرس المشاة الفريق راشـد حسنى (باشا) . وعلى رأس كل لواء ضابط برتبة لواء ، والآلاى ضابط برتبة أميرالاى (عميد) . وفيما يلى بيـان بعـدد قوات الآلايات الأربعة :

(١) مجلة الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ ص ٢٠٦ «عن حرب الصرب عام ١٨٧٦»

(٢) رسالة ادارة مجلة الجيش . عن الجيش المصرى فى عهد اسماعيل العظيم بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاته ص ٢٣ .

المشـــــاة

عدد		
٤٣٧٤	١ جى حرس	فرقة الحرس المشاة
٤٥٦١	٢ جى »	
٣٧٧٦	٣ جى »	
٣٥٣١	٤ جى »	
٧٣	أركان حرب وتوابع الفرقة	
١٦٣٢٥	الجـــملة	

أما الثلاث فرق المشاة الأخرى فتتألف من

٤٦٨٣	١ جى مشاة	١ جى فرقة مشاة
١٦٢١	٢ جى »	
٤٣٦٦	٣ جى »	
٤٧٢٥	٤ جى »	
٧٣	أركان حرب وتوابع الفرقة	
١٥٤٦٨	الجـــملة	
٣٨١٤	١ جى (٥جى) مشاة	٢ جى فرقة مشاة
٣٧٩٥	٢ جى (٦جى) »	
٣٦٩٨	٣ جى (٧جى) »	
٤١٥٤	٤ جى (٨جى) »	
٧٣	أركان حرب وتوابع الفرقة	
١٥٥٣٤	الجـــملة	

٤٤١٤	١ جى (٩جى) مشاة	٣ جى فرقة مشاة
٤٢٧٥	٢ جى (١٠جى) «	
١٦٦٧	٣ جى (١١جى) «	
١٤٤٨	٤ جى (١٢جى) «	
٧٣	أركان حرب وتوابع الفرقة	
١١٨٧٧	الجـــلة	

سلاح الفرسان (السوارى)

يتألف من ثمانية آلايات ، وكل آلايين يكونان لواء . ويتكون الآلاى من خمس أورط يقود كلا منها ضابط برتبة يوزباشى **(نقيب)** . وفيما يلى بيان بعدد قوات الفرسان :

عدد	
١٠١٦	١ جى سوارى غارديا (حرس)
٩٧٠	٢ جى « « « «
١١٧٥	١ جى «
١٢٥٧	٢ جى «
١٤٠٨	١ جى (٣جى) سوارى
٩٩٨	٢ جى (٤جى) «
١٠٢٣	١ جى (٥جى) «
١١٤٠	٢ جى (٦ جى) «
١١٥	لواء وأركان حرب وتوابع اللواءات
٨٧٤٢	جملة فرقة الفرسان

سلاح المدفعية

مدفعية الميدان

يتألف هذا السلاح من أربعة آلايات ، وألحق كل منهـا بفرقة من فرق المشاة . وكان كل آلاى مكونا من ثلاث أورط ، وفيما يلى بيانها :

عدد	
٢٣٧٨	آلاى مدفعية الحرب التابع إلى فرقة الحرس المشاة
٢٨٤٠	١ جى طوبجية « « ١ جى فرقة مشاة
٢١١٨	٢ جى « « « ٢ جى « «
٢٣٣٢	٣ جى « « « ٣ جى « «
٢١	لواءات وأركان حرب وتوابع اللواءات
٩٦٨٩	جملة مدفعية الميـــدان

مدفعية السواحل

كانت تتألف مدفعية السواحل من ٣ آلايات ، يشتمل كل منها على أربع أورط ، وفيما يلى بيانها .

١٥٨٧	١ جى سواحل باسكندرية
١٩٤٢	٢ جى « بدمياط
١٦٦٩	٣ جى « برشيد
٢١	لواءات وأركان حرب وتوابع اللواءات
٥٢١٩	جملة مدفعية السواحل

وكان بالاسكندرية ديوان يسمى بديوان « استحكامات اسكندرية » ومهمته القيام بشئون العساكر المقيمين بهـــا (١) ، ويشرف على شئون الاستحكامات والطوابى فى ذلك الوقت الأميرالاى (العميد) أحمـد كوجك (بك) وكيل عموم الاستحكامات . ويعاونه القائمقام (العقيد) على طلعت (بك) باشمهندس طوابى اسكندرية والقائمقـام (العقيد) محمد شكرى (بك) باشمهندس طوابى دمياط ، والقائمقام (العقيد) محمود فهمى (بك) باشمهندس طوابى رشيد ، والبكباشى (المقدم) شعبان (أفندى) مهندس طوابى أبى قير ، والصاغ (الرائد) حسنين هلال (افندى) مهندس طوابى البرلس (٢).

وبناء على التعداد السابق تكون جملة قوات الجيش هى :

٥٩١٩٤	المشاة
٨٧٤٢	الفرسان
٩٦٨٩	مدفعيـة الميـــدان
٥٢١٩	مدفعيـــة السواحل
٨٢٨٤٤	الجـــلة

(١) دفتر ١٧٠٤ ج ١ صادر من ديوان الجهادية إلى آلايات السواحل والأورط فى توتى سنة ١٠٩٠ (أواخر سنة ١٨٧٤) .

(٢) مجلة الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ ص ٣٠٦.

قوة الجيش المصرى فى سنة ١٨٧٨

أثرت الأزمة المالية والتدخل الأجنبى على قوة الجيش المصرى تأثيرا سيئا . فبينما كانت قوته فى عام ١٨٧٤ تتكون ٩٣٨٠٤ جنديا نجد هذه القوة تتضاءل عام ١٨٧٦ فتصل إلى ٨٢٨٤٤ جنيها . ويستمر هذا النقصان فى سنة ١٨٧٨ حيث تصبح قواته تتكون من (١) :

١٦٠٨٠	فرقـــة الحرس
٣٦١٤٤	فرق المشاة الثلاثة
٨١٢٣	فـــرق الفرسان
٩٥٥٩	مدفعية الميـــدان
٥١٦٤	مدفعية السواحل
٥٧٠٧٠	الجمـــلة

ورغم قلة عدد الجيش فى سنة ١٨٧٨ عنها فى سنتى ١٨٧٤ و ١٨٧٦ فإنها تعتبر قوة كبيرة إذا ما قيست بنسبة عـدد سكان القطر المصرى فى ذلك الوقت وهو ٨٫٤٠٠٫٠٠٠ (١) نسمة .

وفى سنة ١٨٧٩ أحالت نظارة نوبار ٢٥٠٠ ضابط الى الاستيداع ، وكذلك

---

(١) رسالة إدارة مجلة الجيش عن الجيش المصرى فى عهد اسماعيل بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاته ص ٢٣.

(٢) الوقائع المصرية العـــدد رقم ٧٦٧ فى ٢٩ جادى الثانى سنة ١٢٩٥ [٣٠ يونيه سنة ١٨٧٨] .

استغنت عن عدد كبير من الجنود بناء على توصية لجنة التحقيق التى رأت تخفيض عدد قوات الجيش إلى مايقرب من ٣٦ألف جندى، على أن يخفض بعد ذلك حتى يصير عدده ١٨ ألفا . أى الرجوع الى أحكام فرمان يونيه سنة ١٨٤١ فيما يتعلق بعدد الجيش . وبعد تولية الخديو توفيق مباشرة حكم مصر - بعد عزل الخديو اسماعيل - رأى فى أوائل شعبان سنة ١٢٦٦ (منتصف سنة ١٨٧٩) تنزيل عدد جنود الجيش الى ١٢٫٠٠٠(١) مقاتل .

واختتم هـذا البحث بالجدول الآتى الذى يبين عدد قوات الجيش المصرى فى عصر اسماعيل وأوائل عصر توفيق . وقد استخرج هـذا الجدول من سجلات ديوان الجهادية بدار المحفوظات بالقلعة (٢) .

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ص ٣٦٧ .
(٢) أمين سامى باشا . مصر والنيل ص ٢٠ وقد وضع هذا الجدول فى آخر الكتاب.

القوات غير النظامية

الباشبوزق

استعان محمد على بجنود من الباشبوزق (القوات غير النظامية) الى جانب الجيوش النظامية . وقد بلغ عددها فى سنة ١٨٣٩ ، ٤١٫٦٧٨ (١) مقاتلا . كذلك نجد أن كلا من عباس وسعيد احتفظ بهذه القوات فى عهده أيضا . ففى عصر عباس بلغ عددهم ٤٣٧٧ (٢) مقاتلا . وفى عصر سعيد احتفظ ، بتسعة أرادى (كتيبة) من الباشبوزق وأورديا من العسكر غير النظامية المعروفين بالعزب ، عددها مع الباشبوزق ٣٢٠٠ . وكان كل أوردى منهم يعسكر فى الغالب بإحدى المديريات الآتية وهى : قنـــا ، وجرجا ، وأسيوط ، والفيوم ، وبنى سويف ، والمنيا ، والبحيرة ، والجيزة. وكان عليهم على (باشا) القوله لى بوظيفة سرجشمه (القائد العام) (٣) ، وعند تولى اسماعيل حكم مصر احتفظ بجنود الباشبوزق وزاد قوتهم الى ٥٠٠٠ (٤) مقاتل .

شروط الالتحاق بقوات الباشبوزق

كان يشترط فيمن يرغبون الالتحاق بهذه القوات ، أن يكونوا تركا أولاد ترك ، وذا قـــوة وهيئة ، ولايقين لخدامه العسكرية ، وسوابقهم حميدة

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٠١ الحاشية و ٢٦١ و٢٧٥ على التوالى

(٢،٣) المصدر السابق

(4) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Organization de l'Armée, Avril 1836

(هكذا) (١) ، وأن يكونوا أولاد عرب أو من أهالى مصر أو من العبيد (٢) وأن يمتلك حصانا (٣) .

مهمتها : وكان الغرض من الاحتفاظ بهذه القـــوات المحافظة على النظام ، والقيام بحراسة الواحات التابعة لمديرية أسيوط (٤) . ومن المهـام التى أسندت اليها أيضا السفر بالمحمل الى الأراضى (٥) الحجازية . كذلك كان يوكل اليهم فى السودان جباية الضرائب ، والمحافظة على الأمن .

توزيعها : وزعت هذه القوات على المديريات المختلفة ، فكان يقيم فى كل مديرية أوردى (كتيبة) على رأسها سر سوارى (قائد) . وفى سنة ١٨٦٥ كان يوجد بمديرية إسنا أوردى رقم ١ وعلى رأسه السرسوارى « بالولى يوسف أغا » ، وبجهة بلبيس أوردى رقم (٣) ويرأسه السرسوارى « اسماعيل (بـــك) » ،

---

(١) دفتر ١٠٩٥ صادر من عموم ديوان الجهادية إلى أورديان الباشبوزق . وثيقة رقم ٥٥ فى ٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٣

(٢) دفتر ١٠١٦ جـ ١ من للباشبوزق إلى الجهـادية وثيقة رقم ٧٥ فى ٣١ شوال سنة ١٢٨٣ .

(٣) دفتر ١٠١٦ جـ ١ من الباشبوزق إلى الجهـادية وثيقة رقم ٧ فى ٧ رجب سنة ١٢٨٢ .

(٤) محفظة ٩ « جهادية » وثيقة رقم ٤٤ من اسماعيل إلى سردار وعساكر مصر فى ٧ جماد ثان سنة ١٢٨٤ .

(٥) دفتر ١٠٩٦ صادر من عموم ديوان الجهـادية الى أورديان الباشبوزق وثيقة رقم ١٧٣ فى ١٣ رجب سنة ١٢٨٤ .

وبمديرية المنيـا أورى رقم (٥) ويقوده « عبد الفتاح أغا » ؛ وبجده أوردى رقم (٧) ويرأسه « طالب (١) أغــا » . وبمديرية جرجا أوردى رقم (٩) ويرأسه « رفاعه أغا » ، وبمديرية قنـا أوردى رقم (١١) ويقوده « طوسون أغا » .

تشكيل أوردى الباشبوزق

يتـكون أوردى الباشبوزق من سر سوارى (قائد) ويعاونه وكيـــل الأوردى ، و٤ بكباشية (مقدمون) قولتق (مساعدين) ، و١٢ بلوكباشية، وأوضه باشه ، وبيرق دار(حامل العلم)، وكاتب ، وباش سوارى، وسوارى نفر ، و ٣٨٤ نفرا ، ومجموع هؤلاء ٤١٨ مقاتلا .

« تعيين » جندى الباشبوزق

كان يصرف لكل نفر من جنود الباشبوزق المقادير الآتية(٢):

مسلى	أرز	عدس	فول	مصلح(ملح)	صابون
درهم	درهم	درهم	درهم	درهم	درهم
١٠	٢٠	٤٠	٣٠	٦	٦

(١) دفتر ١٠١٦ ج ١ صادر الباشبوزق الى الجهادية وثيقة بدون رقم س١ سنة ١٢٨٢ و دفتر ١٠١٧ ج ٢ صادر الباشبوزق إلى الجهادية وثيقة بدون رقم س ١ سنة ١٢٨٢ و دفتر ١٠٩٥ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى أورديان الباشبوزق س ١ سنة ١٢٨٢

(٢) دفتر ١٠١٦ ج ١ صادر من الباشبوزق الى الجهادية وثيقة رقم ١٥ س ٦ سنة ١٢٨٢ .

بصل	حطب	لحم ضأن
درهم	درهم	درهم
٥	١٥٠	٢٥

فيكون المجموع الكلى « لتعيين » النفـــر من الباشبوزق ٢٩٢ درهما فى اليوم .

مرتباتهم : لم نعثر على وثائق أو وثيقة واحدة تبين لنـا ما كان يتقـاضاه هؤلاء الجنود - على مختلف رتبهم - من مرتبات . ورغم ذلك أمكننا معرفة مرتب النفر من الباشبوزق فى ذلك الوقت حيث كان يتقاضى مرتبا شهريا قدره ١٣٥ قرشا ٣٥ (١) . ويتراوح مرتب السر سوارى فى الشهر ما بـين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ قرشا (٢).

ديوان السرجشمة (ديوان العساكر غير النظامية)

كان هذا الديوان يتولى إدارة شئون الجنود الباشبوزق من حيث تفقـــد أحوالها ، واستكمال أسلحتها ، وتجهيز خيولها ، ومراقبة تطبيق النظم العسكرية عليها . ولم تطل مدة هذا الديوان فى عصر اسماعيل إذ أمر (٣) بإلغائه فى ١٤

---

(١) دفتر ١٠٩٥ صادر من ديوان عموم الجهادية إلى أورديان الباشبوزق سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) .

2 - Douin , Hist. de regne du Khedive Ismail T . III Fasc. B.P. 1139

(٢) دفتر ٥٠٧ (معية تركى) أمر كريم رقم ١٤ ص ١٣ إلى الداخلية فى ١٤ جمـــادى الأولى سنة ١٢٨٢ .

جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) وإلحاق إدارة جنود الباشبوزق بديوان الجهادية . وتبع ذلك إلغاء ديوان السرجشمة بالسودان كذلك (١).

مجلس العسكرية

قبل عام ١٨٦٥ كان إذا ارتكب أحد جنود الباشبوزق ما يخالف القوانين حوكم أمام المحاكم المحلية . ولكن رأت نظارة الجهادية أن هؤلاء الجنود – ولو أنهم غير نظاميين – إلا أنهم جنود خاضعون للنظام العسكرى . فلا بد إذاً من محاكمتهم أمام مجلس العسكرية فيما يأتونه من مخالفات. فأصدرت أمرها فى ٢١ رجب سنة ١٢٨٢ (أواخر سنة ١٨٦٥) بأن «كافة ما يتوقع من القواصة الترك وعساكر الباشبوزق المستخدمين بالميرى من المواد اللازم محاكمتهم عليها ، تكون محاكمتهم بها فى مجلس العسكرية ، ولا تحال على المجالس المحلية (٢) » . وكان المجلس يصدر أحكامه فى بعض الأحوال بنفى الجندى المذنب إلى بلده الأصلية إذا وجد ما يستوجب ذلك (٣).

ويدخل تحت طائفة الجنود غير النظامية «الشايقية» الذين كثر استخدامهم فى السودان. ويرتدى الجندى السوارى من هذه الطائفة لباساً من «الزرد المصنوع

---

(١) محفظة ٣٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٨٦ من جعفر باشا صادق حكمدار السودان إلى مهردار الجناب الخديو فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٧ ى الأوامر الكريمة والعقود الخاصة بديوان الجهادية . ارادة سنية رقم ٥٨ فى ٢١ رجب سنة ١٢٨٢ .

(٣) دفتر ٧ ى الأوامر الكريمة والعقود الخاصة بديوان الجهادية . ارادة سنية رقم ٨ ص ١١٣ (صورة ماتحرر من مجلس عسكرية لسعادة ناظر الجهـادية فى ٥ شعبان سنة ١٢٨٢) .

بدقة ومهـارة ، ويحمـلون سيوفا مستقيمة طويلة كأسياف الصليبين القدامى ، ويتدرعون بطراز معروف من الدروع ، ويضعون على رؤوسهم خوذات من الصلب لها حامية للأنف على نمط خوذات المماليك ، وتحمى رقـابهم قطعة من من الزرد الرفيع ، وجيادهم مدربة على القتال ... أما مشاتهم فكانت مسلحة بالرماح والمدى ، وكلهم من العبيد والفلاحين ».[١]

وإلى جانب هذه القوات السالفة وجدت قوات أخرى من العربان ، كانت تسند اليهم الحكومة تأمين طرق القوافل بين الواحات المختلفة . فكانت نظـارة الجهادية تقوم بتعيين مشايخ العرب المقيمين فى المناطق المراد حراستها حماة لها . وتعين أحد أبنائهم وكيلا لأبيه (٢) ، على أن يستحضر هؤلاء البـدو أسلحتهم وخيولهم بأنفسهم ويتوالى رياستهم رؤساء من بينهم . فهم يشبهون القوزاق فى مظهرهم وفى خصائص أخرى(٣) . وبهذه الوسيلة استطاعت الحكومة أن تؤمن هذه الطرق البعيدة عن العمران . ولكن هذه القوات غير نظامية ألغيت نهائياً فى سنة ١٨٧٨ (٤).

---

(١) مجلة الجيش المجلد ١٢ العدد ٤٨ (يناير مارس سنة ١٩٥٠) ص ٦٦ و ٩٧ .

(٢) دفتر ١٣٩٠ (أوامر جهادية) وثيقة رقم ١٦ ص ٩٥ أمر إلى الجهادية فى ٩ محرم ١٢٨٧ (١٨٧٠) .

3 - Leon , Khedive 's Egypte P. 375 .

(٤) أمين سامى . مصر والنيل ص ٢٠ .

الجيش المصرى بالسودان

كان السودان فى عهد الخديو اسماعيل مقسما الى مديريات على رأس كل منها رئيس ملكى أو عسكرى يلقب بمأمور الادارة ، وله حامية يختلف عددها من مديرية إلى أخرى ، ويشرف على هؤلاء جميعا الحكمدار العام للسودان الذى كان يعين من قبل الخديو ومقره الخرطوم ويتولى الناحية الإدارية . وإلى جانبه قائد عام للقوات المصرية بالسودان ويسمى « قائد عسكر السودان العام (١) » ، ويعينه الخديو أيضا ويقوم بالناحية العسكرية . ويعاونه ديوان يسمى «ديوان العسكرية» ومهمته الإشراف على القوات الحربية النظامية بالسودان ، ويعمل على استكمالها وتزويدها بالأسلحة والمهمات اللازمة . ولكن اضطراب الأحوال المالية وتدخل النفوذ الأوربى فى شئون البلاد اضطر الخديو إلى إلغاء هـــذا الديوان فى سنة ١٨٧٨ ، « وإحـــالة أشغال العسكرية على قومنداناتها تحت ملاحظة المديرين (٢) . »

وفى كل مديرية من مديريات السودان قوة حربية من الجنود النظامية والجنود غير النظامية يختلف عددها طبقا لاعتبارات مختلفة ، منها موقع المديرية ، وأهميتها ومساحتها ، وعدد سكانها ، وطبيعة هؤلاء السكان (٣) . وكان هذا الأمر متروكا لتقدير القائد العام .

---

(١) حقائق الأخبار . ج ٢ ص ٣١٤ .

(٢) دفتر بدون رقم [معية تركى] وثيقة ص ٢٨ أمر كريم للجهادية فى ٢٣ رجب ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

3 - Eouin , Hist. de Règne du Khedive Ismail T. III Fasc. B, P, 1137

ديوان الشرجشمة

ويعاون القائد العام بالسودان ديوان آخر يطلق عليه اسم «ديوان السرجشمة» ومركزه الخرطوم . وقد اختص بالإشراف على شئون العساكر غير النظامية، أى أنه يقوم بنفس المهمة التى يقوم بها ديوان العسكرية بالنسبة للجنود النظامية . وهذا الديوان عبارة عن صورة طبق الأصل من ديوان السرجشمة بمصر . وكان يرأسه رئيس الفرسان بالسودان ، ويعاونه أربعة كتبة . وتنحصر مهمته فى «المرور وتفقد أحوال الجيش واستكمال أسلحة الجنود والخيل اللازمة لهم . ومنع ما يحدث للنظام من مخالفة للأصول وإجراء مايلزم لذلك ، وإفادة الحكمدارية أولا فأول (١) » .

ولكن هذا الديوان حاد عن مهمته الأصلية وأصبحت أعماله « قاصرة على رؤية مايخص الجنود ، وما لهم وما عليهم من الاستحقاق (٢) » . ولما كانت هذه الأعمال من إختصاصات المديريات رأى حكمدار السودان وقتئذ « جعفر صادق » ألا فائدة من وجوده فألغاه . وقد سبق هذا الإلغاء خطوة أخرى من جانب الخديو اسماعيل حيث أصدر أمره (٣) إلى ناظر الداخلية فى ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ (أواخر سنة ١٨٦٥) بالغاء ديوان السرجشمة ، وإحالة جنود الباشبوزق إلى نظارة الجهادية .

---

(١) محفظة ٣٦ (معية تركى) وثيقة رقم ٨٦ من جعفر صادق باشا حكمدار السودان إلى معردار الجناب العالى فى ١٩ رجب سنة ١٢٨٢ [أواخر ١٨٦٥] .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دفتر ٥٥٧ (معيه تركى) وثيقة رقم ١٤ ص ١١٣ أمر كريم إلى الداخليـة فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ . وتقويم النيل . المجلد الثانى ج ٣ ص ٦٢٠ .

وفى سنة ١٨٧١ ألغيت حكمدارية السودان ، وقسم السودان إلى ثلاث إدارات مستقلة هى : الخرطوم ، وسنار ، وفزوغلى . وعين ممتاز (باشا) مديرا عليها ، على أن يبقى مديروها السابقون يعملون تحت إدارته . وشكلت إدارة خاصة بمديرية كردفان على رأسها مدير عام هو عبد الوهاب (بك) وضمت مديريتا دنقلة وبربر إلى بعضهما ، وعين عليهما حسين خليفة (بك) . وكذلك ألغيت محافظة عموم البحر الأحمر . وتبع هذا التقسيم الإدارى تقسيم فى القوة العسكرية فجهات قبلى السودان وضعت تحت إدارة قومندان (باشا) برتبة لواء ، وجهات كردفان عليها أميرالاى (عميد) وجهات مديرية تاكة عليها قائمقام (عقيد) وبجهات مديريتى بربر ودنقلة صاغقول أغاسى(رائد). وكان المقصود من هذا التقسيم تحسين الإدارة بالسودان ، ولكن هذا الاجراء أتى بعكس ما أريد منه .

ونظرا لإتساع الأراضى السودانية التى دخلت تحت الحكم المصرى نتيجة لسياسة التوسع فى الفتح والاستكشاف أصبح من الصعب إدارة هذه الأقاليم البعيدة ، خصوصا وأنها لم تكن تابعة لإدارة واحدة ، فالسودان كان تابعا من الناحية المالية لديوان المالية ، ومن الناحية الحربية لديوان الجهادية ، وفى الشئون الداخلية لديوان الداخلية . فرأى الخديو اسماعيل فى ١٠ شعبان سنة ١٢٩٢ (أواخر سنة ١٨٧٥) إحالة تبعية الأقاليم السودانية عموما من الآن إلى ديوان الجهادية وتعيين وكيل مخصوص بالديوان لرؤية حساباتها (١) ، . وعين مصطفى

(١) محفظة ١١ [جهادية] وثيقة عربية رقم ٤٧ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٠ شعبان سنة ١٢٩٢ . وتقويم النيل . المجلد الثالث ج ٣ ص ١٣٦٥ .
ودفتر ٢٨٩١ [أوامر جهادية] رقم ١٠ إلى دوان الجهادية فى ١٠ شعبان ١٢٩٢ .

فهمى (باشا) ناظر الدائرة السنية وكيلا لإدارة عموم الأقاليم السودانية بالجهادية فى ١١ شعبان سنة ١٢٩٢ (١) . فأصبحت بذلك أمور السودان من مدنية وعسكرية تابعة لديوان الجهادية منذ ذلك الحين .

عدد قوة الجيش المصرى بالسودان

إختلفت قوة الجيش المصرى بالسودان فى ـ عصر اسماعيل ـ من سنة إلى أخرى ومن مديرية إلى مديرية . ولهذا لايستطيع الباحث أن يحـــدد بالضبط عدد القوات التى خصصت للسودان ، وذلك لعدة عوامل أهمها تعرض الجنود المصريين للموت وللأمراض نتيجة لقسوة المناخ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لعملية تسريح الجنود المستمرة على شكل أجازات طويلة الأمد (٢) . وثالثا لفرار البعض منهم من الجندية (٣) .فكان هناك إذاً ، عجز مستمر فى عدد جنود الكتائب . فللأسباب السالفة الذكر يصعب تحديد ع دد القوة بالسودان تحديدا دقيقاً إذا أمكن معرفة عدد الكتائب .

وفى أوائل ١٨٦٣ ـ أيام حكمدارية موسى حمدى بالسودان ـ بلغت القوة المصرية بالأقاليم السودانية « عدا بلوكات المحافظين ثمانى أورط (٤) » . وتشير بعض الوثائق إلى أن الحكومة المصرية قد خصت السودان فى سنة ١٨٦٥ بقوة

---

(١) دفتر ٢٩٠٣ [أوامر جهادية] وثيقة رقم ١ أمر كريم إلى ديوان الجهادية فى ١١ شوال ١٢٩٢ .

2 - Leon , Khedive , s Egypt. P. 375

(٣) محفظة ٣٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٣٧ تقرير من ديوان الجهادية فى ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .

(٤) محفظة ٣٠ (معيه تركى) وثيقة رقم ٢٠ من حكمدار السودان موسى حمـــدى إلى باشمعاون الجناب العالى الخديو فى ٦ شوال سنة ١٢٧٩ .

عسكرية تقرب من ٦٥٠٠ جندى نظامى ، فيما عدا «كثير من خيالة الباشبوزق والشايقية وجيشان من المشاة المتطوعة يقود كل منهما (سر بيادة) ثم بطاريتان من المدفعية (١) » . ومما يجدر ملاحظته أن عدد الجنود المصريين كان قليلا إذا قيس بعدد الجنود السودانيين بالسودان ، وذلك لعـــدم ملاءمة جو السودان لهؤلاء الجنود المصريين . وأهم أسلحة السودان النظامية وأعظمها خطرا سلاح الهجانة . فكان بالسودان من الهجانة سنة ١٨٦٥ أورطتان وتتألف الأورطة الواحدةمنستة بلوكات وفيمايلى بيان بعدد أفراد الأورطة(الكتائب)منها (٢) :

يرأس الأورطة ضابط برتبة بكباشى(مقدم) ويعاونه ضابطان برتبه صاغقول أغاسى (رائد) ، و «أوسطى» بروجى (مقدم بواقين) ، وستة يوزباشية (نقباء) وستة برتبة ملازم أول ، وستة برتبة ملازم ثانى ، وستة برتبة باشجاويش ، وستة بلوك أمين ، و ٢٤ جاويش ، و ٤٨ أونباشى ، و ١٢ بروجى (بواق) ، و ٤٠٨ أنفار . ويلحق بهؤلاء «طقم» مدفع جبلى مكون من : جاويش وأونباشى و ٧ أنفار . هذا فضلا عن توابع الأورطة وهم حكيم ، وأجزجى (صيدلى) ، وممرضان اثنان وكاتب . فيكون المجموع الكلى للأورطة ٥٤٠ فردا .

وكل بلوك من البلوكات الستة المذكورة يتكون من ٦٨ جنديـا منهم ٦٤ من الجنود الراكبة و ٤ من الجمالين . وكل أورطـة مزودة بخمسمائة وخمسة عشر هجينـا .

---

(١) محفظة ٥٥٨ [معية تركى] وثيقة رقم ١١ ص ٢٨ إرادة إلى حكمدار السودان فى ٢٩ جادى الآخرة سنة ١٢٨٢ [أواخر ١٨٦٥] .

(٢) محفظة ٣٥ [معيه تركى] وثيقة رقم ٦٧ أمر إلى حكمدار السودان فى ١٤ جـــادى الأولى سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .

	صاغقول أغاسى	يوزباشيه	ملازمون أول	ملازمون ثوانى	باشجاويشيه	بلوكات أمناء	جاويشيه	أونباشيه	بروجيه	نفرات را كبون	نفرات حمالون	الجملة
مع ١ جى أورطه بالتاكة	١	٤	٤	٤	٤	٤	١٦	٣٢	٨	٢٥٦	١٦	٣٤٩
مع ٢ جى أورطة بسوا كن	--	٢	٢	٢	٢	٢	٨	١٦	٤	١٢٨	٨	١٧٤
مع ٣ جى أورطة بمصوع	--	٢	٢	٢	٢	٢	٨	١٦	٤	١٢٨	٨	١٧٤
	١	٨	٨	٨	٨	٨	٣٢	٦٤	١٦	٥١٢	٣٢	٦٩٧

وقد ألحق جنود الهجانة بـ ١ جى أورطة بالتاكة ، و ٢ جى أورطة بسوا كن و٣ جى أورطة بمصوع على النحو الآتى [1] :

(١) دفتر ٩٨٧ ج ٢ صادر من ديوان الجهادية وثيقة رقم ١٨٣٧ فى ١٩ شوال سنة١٢٨٢ (١٨٦٦).

ويمكننا القول بأن أصلح الجنود للسودان هم جنود الهجانة ، لأن الهجان الواحد يستطيع بكل سهولة قطع المسافة المعتاد قطعها فى ثمانية أيام فى ستة أيام ، لكونه يحمل على هجينه ما يكفيه لمدة ثمانية أيام من المؤونة والزاد والمياه (١) ، وكذلك نجد أن هؤلاء الجنود ، لا يتكلفون نفقات كثيرة أثناء السفرية كما يتكلف جنود المشاة ، ولا يحتاجون الى الابل لحمل أمتعتهم ، بل يكتفى الضباط والجنود بمطاياهم التى يركبونها (٢) ، كما أنهم استطاعوا استعمال المدافع أثناء ركوبهم بمهارة فائقة ، مما كان له أبعد الأثر فى نفوس السودانيين . ويعترف شاهين كنج محافظ القلاع وفريق الجيش المصرى حينذاك بأهمية هـؤلاء الجنود للسودان بقوله « وإنى أرى أن وجود أورطه من الهجانة فى السودان أصلح من وجود آلاى من المشاة وآخر من الفرسان (٣) فيها » .

وكانت حكمدارية السودان تعتمد فى الصرف على هذه القوة العسكرية على ما تتلقاه من الحكومة المصرية من إعانة سنوية . بالاضافة الى ما تجمعه من ضرائب . وفى سنة ١٨٦٥ بلغت قيمة الاعانة ٣٦٠٠٠ كيسه (١٨٠٠٠٠ جنيها مصريا) . ويذكر نعوم شقير أن فى عهد حكمدارية فوسى حمدى (باشا) (١٨٦٣ - ١٨٦٥) بلغ عدد الجنود مايقرب لمن ٣٠٠٠٠ من الجنود النظامية والباشبوزق موزعين على المراكز (٤) الآتية :

---

(١) محفظة ٣٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٤ من شاهين كنج محافظ القلاع وفريق الجيش إلى الباشمعاون الجناب الخديو فى ١٧ رمضان سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .

(٢) المصدر السابق

(٣) محفظة ٣٧ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٤ من شاهين كنج إلى الجناب الخديو فى ١٧ رمضان سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .

(٤) عبد الرحمن الرافعى . تاريخ الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٦٦ . ويتفق هذا مع ماذكر فى مجلة الجيش المجلد التاسع .العدد ٣٢ ص ١٨٩ .

دنقله - بربر - الخرطوم - سنار - القلابات - الجيره - (بالقرب من حدود الحبشة) - القضارف - كسلا - ايمديب - سنهيت - سواكن - كردفان - دارفور - بحر الغزال - خط الاستواء - مصوع - هرر - زيلع - بربره .

وقد روعى فى توزيع هؤلاء الجنود عدة اعتبارات منها موقع المديرية ، وعدد سكانها بالنسبة للمديريات الأخرى ، وطبيعة هؤلاء السكان . فاذا جاز لحكمدارية عموم السودان وضـــع أورطة من الجيش فى مديرية النيل الأبيض للمحافظة على الأمن بين قبائل الشلوك فإن أقل من أورطة واحدة يكفى لمديريتى دنقلة وبربر الهادئتين . فكل واحدة من هاتين المديريتين كانت تكتفى ببلوكين (فرقتين) من الجنود(١)فقط.وقد قدرت الحكومة الفرنسية عدد القوة المصرية بالسودان فى عصر اسماعيل بنحو ٧٠٠٠ (٢) مقاتل .

ويرجع اختلاف المصادر فى تقدير القوة الحربية بالسودان الى حالة الأقاليم السودانية فى السنوات المتعاقبة فى فترة حكم الخديو اسماعيل ، ففى خلال فترات التوتر والحروب بين مصر والحبشة زادت الحامية المصرية فى السودان زيادة كبيرة . وكذلك أثناء حركة التوسع والغزو فى أقاليم دارفور ، وكردفان ، وهرر ومديريات خط الاستواء . وقد تعرضت هذه القوة للنقص نتيجة لاضطراب المالية المصرية . ولهذا أمر الخديو اسماعيل فى سنة ١٨٦٧ حـــكمدار السودان بعمـل الترتيبات اللازمة نحو انقاص عـدد الجنود والبلوكباشية الى النصف ،

---

(1) Douin ; Hist. de Khedive Ismail T .III Fasc. B.P.1137.

(2) Notes sur l'Armée Egyptienne.

وكذلك عساكر وقواد الجنود غير النظاميين (١) » . ومن جهة أخرى نجد أن القوة المصرية بالسودان تأثرت أيضا بمساعدات الخديو اسماعيل للباب العالى فى حروبه ضد رسيا ، مثال ذلك ماحدث سنة ١٨٧٧ عند تعيين غوردون حكمدارا عاما للسودان إذ « كانت العساكر المصرية بالأقطار السودانية المذكورة قليلة وبعض نواحيها خالية منها ، لأن مصر لما ساعدت الدولة فى حربها مع الصرب والروسيا أرسلت قسما عظيما من جنودها إمدادا . فبقى السودان قليل الجنود ، ولذلك انتشبت (نشبت) نيران الثورة فى جهات دافور(٢) » .

فتخفيض الحامية المصرية فى السودان إذا كان له أسوأ الأثر بالنسبة لمصر ، وخصوصا فى الوقت الذى كانت تنتهج فيه الحكومة سياسة العنف والقوة فى القضاء على تجارة الرقيق . فهذه السياسة أغضبت تجار الرقيق وأتباعهم من ذوى السلطان والجاه فى السودان ، فأخذوا يؤلبون الأهــــالى على الحكومة ، وكان هؤلاء يتحينون الفرص للثورة والخروج على الحكم المصرى . وقد واتتهم الفرصة بظهور المهدى . فقلة عدد الجنود المصريين بالسودان شجع على قيام الثورة المهدية واتساع نطاقها .

ومما يؤخذ على الحكومة المصرية بصفة عامة وعلى نظارة الجهـــادية بصفة خاصة ، أنها كانت تنظر الى السودان على أنه منفى لإبعاد المشاغبين وسيئى السلوك ممن يرتكبون مخالفات يستحقون عليها هذا العقاب . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فمثلا أسندت الى بعض الملازمين تهمة التلفيق والتزوير وقدموا للمجلس العسكرى

(١) المصدر السابق .
(٢) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٣٣

للمحاكمة ، فأصدر حكمه عليهم بإنزال رتبهم الى رتبة الأسبران ، مع إلحاقهم مدة خمس سنوات بأعمال توافقهم بالسودان عقابا لهم على ما ارتكبوه (١) » . فهذه السياسة التى سارت عليها نظارة الجهادية جمعت فى السودان نخبة من المذنبين والمشاغبين . فلا غرابة إذا أتى هؤلاء الجنود من الأمور ما قد يسىء الى سمعة الجيش المصرى .

وكانت مدة إقامة الضباط المنقولين الى السودان أربع سنوات يترك لهم الحرية بعد قضائها فى العودة الى مصر أو الاقامة فى السودان(٢) .

---

(١) محفظة ١٠ (جهادية) وثيقة عربية رقم ٢٦٣ من اسماعيل باشا الى ناظر الجهدية فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ (١٨٧٤) .

(٢) محفظة ٧ (جهادية) وثيقة رقم ٢٨٦ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣).

الفصل الحادى عشر

الجيش المصرى

تعاليه وأسلحته وملابسه

التعاليم العسكرية

اتجه الخديو اسماعيل نحو الفرنسيين للاقتباس من نظمهم الحربية والاستعانة بخبرائهم فى تنظيم الجيش المصرى وتدريبه ، كما اتجه جده محمد على من قبل . فبدأ بارسال عدد من الضباط المصريين يبلغ ١٥ ضابطا فى أوائل حكمه الى فرنسا للاطلاع على النظم العسكرية الفرنسية والاستفادة منها . ثم عاد هؤلاء الى مصر يحملون المؤلفات العديدة فى القوانين الحربية ، وأنواع الأسلحة والملابس . « وشرع الخديو فى تنظيم جيشه على نظام جيش فرنسا ، وأمر بترجمة قوانينها العسكرية(١)» . وصارت نظارة الجهادية تتتبع باهتمام مايستجد من النظم الحربية وتسارع الى اقتباسها وتطبيقها على الجيش المصرى. ففى سنة ١٨٦٩ وضع بفرنسا قانون « يحتوى على كافة الخدمات العسكرية المتعلقة بالقلاع الحربية والمدن المحصنة والقشلاقات (٢) العسكرية » فأمر الخديو اسماعيل فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ (النصف الثانى من سنة ١٨٦٩) بترجمته الى العربية واتباعه « لما فيه من التحسينات العصرية (٣) » .

---

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٢) دفتر ٢٨٥٥ دفتر قيد الأوامر الكرام الصادرة لديوان الجهادية وثيقة رقم ١ فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ . وتقويم النيل ، المجلد الثانى جـ ٣ ص ٨٢٨ .

(٣) المصدران السابقان .

وبعد هزيمة فرنسا أمام بروسيا فى ١٨٧٠ وظهر للعالم قوة بروسيا الحربية ودقة نظمها العسكرية » ، أمر الخديو بتعديل الجيش على النظام الألمانى الذى ذاع صيته ، فترجمت القوانين وتعدلت الملابس وغيرت الأسلحة وبقى الجيش على هذا النظام حتى وقت ثورته (١) » . بل إن الفرنسيين أنفسهم قد نقلوها عن الألمان بعد هذه(٢) الحرب . ففى سنة ١٨٧٠ كانت التمرينات العسكرية والتكتيكات الحربية المتبعة فى سلاح المشاة والفرسان على النظام الفرنسى . أما سلاح المدفعية فقد اتبع النظام البروسى(٣). ثم أدخلت التعليمات البروسية بعد ذلك فى الأسلحة الأخرى فيصدر (٤) فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٩١ (النصف الثانى من ١٨٧٤) أمر بإلغاء التعليمات الحربية القديمة واستعمال التعليمات البروسية الجديدة فى مختلف أسلحة الجيش ، وترجمة تعليمات السوارى ، وتشكيل قومسيون من الضباط العظام برياسة فريق السوارى للاشراف على تنفيذ هذه التعليمات على الآلايات علما (٥) وعملا .

وبالاضافة الى ذلك فقد وافق الخديو اسماعيل على تطبيق القانون الحربى

---

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣١١ .

2 - Mc Coan ; Egypt as it is p.102.

3 - Abdin . Corrsp . Fran , Doss No . 50/1 Hans Wachenhusen

(٤) دفتر ٢٨٩١ قيد الأوامر الكرام الواردة لديوان الجهادية وثيقة رقم ٤ فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٩١ و دفتر ٢٨٩١ قيد الاوامر الكرام الواردة لديوان الجهادية وثيقة رقم ١٠ فى ٧ شوال سنة ١٢٩١ .

(٥) المصدران السابقان .

الذى وضعه الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧١ على الجيش . وهذا القانون يشتمل على الكثير من الاقتباسات من القانونين الانكليزى والأمريكى مع إدخال بعض التعديلات البسيطة عليها ليتمش مع روح الخدمة العسكرية بالجيش المصرى (١) . ولكن ارتباك مالية البلاد فى أواخر حكم اسماعيل حالت دون إصلاح شئون الجيش ، فلم يكن لهذه التحسينات أى أثر .

1 - Abdin. Coorsp. Fran. Doss, 50/1 Bureau du Chef d ' Etat - Major Le Caire en 15 Dec. 1870.

الأسلحة والمعدات الحربية

زودت فرق الجيش المختلفة بالأسلحة والمعدات الحربية المختلفة الطراز ، ففي سلاح المشاة نجد آلاى (لواء) المشاة يضم فريقا من الجنود المزودين ببنادق من طراز شاسيو . وقد كثر إستعمالها في أوائل حكم اسماعيل ثم استعيض عنها ببنادق رمنجتون عندما ظهرت أهميتها في عالم الحرب . وكان لدى الجيش المصرى منها ٢٠٠٫٠٠٠ بندقية كاحتياطى(١). والفريق الآخر كان مزودا بالرماح والقرابين . وقـــد أصبح رجال الجيش جميعهم تقريبا مجهزين بالبنادق إلى جانب الرماح والمسدسات (٢) . بعد التحسينات التى أدخلت عـلى فرق الجيش المختلفة بعد سنة ١٨٧٠ . وقد أرسل الخديو اسماعيل كميات هائلة من هذه المعـــدات إلى القسطنطينية على سبيل(٣) الهدية وذلك لوفرتها لدى الجيش .

أسلحة الفرسان

يوجد بكل آلاى (لواء) من آلايات الفرسان أربع أورط، اثنتان منها مزودة بالرماح أو الحراب ، ويمتطى جنودها صهوات جياد خفيفة سريعة ، والاثنتان الآخريان مزودتان بالقرابين ويركب ضباطها جيادا ثقيلة . والخيول المستعملة

---

(١) الياس الأيوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٢٨ .

(2) Abdin. Corrs. Fran. No.50/1 Organistion de l'Armèe. Traduction' d'un Article de Hans Wachenhusen qui a paru dans le No. 144 du Journal de Cologne en date du 22 Mai 1871 et, que l' Auteur dit avoir été écrit en printemps de 1870 .

(3) Leon , Khedive , Egypt P. 376 .

فى الجيش من الخيول العربية المستوردة من سوريا وجنوب روسيا ، ولا يركب هذه الجياد سوى ضباط الجيش فقط (١) .

أسلحة مدفعية الميدان .

يتألف آلاى مدفعية الميدان من ثلاث أورط وبكل أورطة أربع بطاريات من ستة مدافع . والأورطتان الأولى والثانية سوارى والثالثة مشاة . أما أسلحتها فمكونة من مجموعة كبيرة من المدافع المختلفة الأحجام والطرز بعضها مصنوع من البرونز المصقول عيار ٨ سم طراز لاهيت (٢) La Hitte . وفى سنة ١٨٧١ زود سلاح مدفعية الميدان بأربع بطاريات من المدافع الصلب المششخنة عيار ١٢ سم على الطراز البروسى (٣) . وقد بلغ مجموع هذه المدافع فى وقت ما ١٠٠ مدفع من مدافع كروب Krupp و ٥٠ مدفعا خفيفا ارمسترونج . وزودت الحاميات كذلك بمدافع وهرندورف عيار ٨ و ١٠ بوصة و ٣٠٠ مدفع خفيف مختلف الطرز (٤) . ومدافع الاستحكامات من أعيرة متباينة فبعضها من عيار ١٢ و ٢٤ و ٣٢ و ٤٨ ليرة ، ومدافع أرمسترونج من عيار ٨ و ٩ ، ومدافع كروب من عيار ١١ (٥) .

---

(1) Bibliothèque du Cabinet Française. Notes sur l' Armèe Egyptienne Histoire de 1, Armée .

(2) Leon , Khedive , s Egypt P. 376 .

(٢) و (٣) المصدر السابق .

(٤) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٢٨ .

(5) Abdin. Corrs. Fran. Doss. No 50/1 Article de Hans Wachenhusen en 1870

أسلحة مدفعية السواحل

يتألف سلاح مدفعية السواحل من ثلاثة آلايات (لواءات) . يرابط الآلاى (اللواء) الأول فى حصون الاسكندرية ، وكان بها ٣٢٠ مدفعا منها ٦٠ مدفعا من نوع الششخانة من طراز أرمسترونج عيار ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ بوصات، و ٢٦٠ مدفعا من طراز قديم يرجع عهدها إلى محمد على وعباس وسعيد .

ومركز الآلاى (اللواء) الثانى مدينة دمياط وبورسعيد والبرلس وبحصونها ٤٠ مدفعا من نوع الششخانة ، و ١١٥ من طراز آخر .

ويقيم الآلاى (اللواء) الثالث فى المنطقة بين رشيد وأبى قير ، وبحصون هذه المنطقة ٧٠ مدفعا من نوع الششخانة من طراز أرمسترونج ، و ١٧٠ مدفعا من غير هذا الطراز . وعلى ذلك يكون مجموع هذه المدافع جميعها ٧١٥ مدفعا [1] .

---

(١) مجلة الجيش . المجلد التاسع . العدد ٣٦ ص ١٨٧ .

أعلام الجيش

كان لكل آلاى (لواء) من آلايات الجيش علمه الخاص ، وهذا العلم مصنوع من الحرير الأبيض ، ويحيط بأطرافه سجف من الحرير الأصفر النياتى (نوع من الحرير) طرزت عليه آيات من القرآن الكريم مقرونة برقم الآلاى (لواء) . وفى ذروة العلم توضع رمانة (حلية توضع فى أعلى سارى العلم) من الفضة المطلاة بالذهب ، وزانة (سارى) العلم مدهونة بدهان أخضر اللون (١) .

أما الأعلام الخاصة بالأورط فقماشها ، من الحرير الأخضر السادة وبدايرة (ويحيط به) سجف من الحرير الأخضر النياتى (٢) .

وعندما أعيد فتح السودان سنة ١٨٩٨ ، رقمت على أعلام الكتائب أسماء المعارك الدامية التى إنتصرت فيها . ومن هذه المعارك فركة والجميزة والعطبرة والخرطوم ... (٣) .

---

(١) دفتر ٩٨٨ جـ ٢ صادر من ديوان الجهادية . وثيقة رقم ٣٠١١ س ١٩٨ فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) القائمقام عبد الرحمن زكى . العلم المصرى ص ١٢ .

ملابس الجيش المصرى فى عصر اسماعيل

إهتم محمد على عند تكوين الجيش المصرى الحديث باختيار الزى العسكرى فقد شاهد فوضى الملابس وتنوعها عند المماليك ، إذ كانت كل فئة منها تحافظ على ملابسها القديمة المستعملة فى مواطنها الأصلية . فهذا الاختلاف والتنوع فى الملابس لايتفق وجيش حديث يسير على النظام الفرنسى. وهذه الملابس كما ذكر كلوت (بك) ، تتألف من طربوش أحمر وسترة ضيقة (صدرية) وبنطلون (سروال واسع) ومنطقة تشد على الخصر ورباط للساق (طوزلق) وحذاء بلدى أحمر (١) . أما ألوانها فقد إختلفت فى تحديدها آراء المعاصرين . فبعضهم ذكر بأن السترة والبنطلون كانا يصنعان من الجوخ الأحمر ، والبعض الآخر ذكر بأن السترة ذات لون أحمر والبنطلون من قماش أبيض . ويمكننا القول أن الجنود فى فصل الصيف كانوا يرتدون الملابس البيضاء المصنوعة من القطن السميك . وفى فصل الشتاء يلبسون الجوخ ويرتدى الفرسان ملابس مختلفة تبعاً للوحدة مدرعة أو مزردة . ولكنهم كانوا بوجه عام يتفقون مع رجال المدفعية وجنود الحرس فى إرتداء الصدرية الزرقاء شتاء . أما رجال الأسلحة الأخرى فيلبسون صدرية حمراء ، ويضع الفرسان المدرعون على رؤوسهم خوذات من طراز العصور الوسطى . والفرسان الغير مدرعين يلبسون على رؤوسهم القالوطة المصنوعة من الصلب تحيط بها عصابة من نفس المعدن وواقيتان أحدهما للعينين والأخرى للأنف (٢) .

---

(١) القائمقام عبد الرحمن زكى . ملابس الجيش المصرى فى عصر محمد على ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨

ولا تختلف ملابس الضباط عن ملابس الجنود إلا فى نوع الجوخ وما يزين الأولى من تطريز . ويلبس الضباط فقط صدرية ذات أزرار تحت السترة . كذلك وجد تفاوت فى اللون بملابس هؤلاء الضباط عندما أصبحوا يلبسون على نفقتهم الخاصة . ولقد وصف المستر جون بورنج فى تقريره الذى وضعه عن مصر فى سنة ١٨٣٨ ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على بقوله « إنها وسط بين الزى الشرقى والزى الفرنجى وهو عبارة عن سترة تحتها صديرى ، وعن سروال كبير فضفاض مشدود إلى ما تحت الركبتين . أما الحزام فعادى ، والحذاء فواسع ، ولايبدو على أيها أنه من لباس العسكريين . وكلاهما لايساعد على السير أو الحركات السريعة من أى نوع [١] » .

الشارات

أما الشارات فقد اختلفت باختلاف الرتب ، فالأمباشى كان يحمل على صدره شريطا واحدا ، والجاويش (رقيب) اثنين ، والباشجاويش(رقيب أول) ثلاثة ، والصول (مساعد) نصف هلال من الفضة ، والملازم الثانى نجما من الفضة ، والملازم الأول نصف هلال ونجما من الفضة ، واليوزباشى (النقيب) هلالا ونجما من الذهب ، وقائم المقام (عقيد)هلالا من الذهب ونجما من الذهب مرصعا بالماس [٢] ، والميرالاى (عميد) هلالا ونجما مرصعين بالماس ، والمير لواء هلالا ونجمين مرصعين بالماس ، والمير ميران هلال وثلاثه أنجم مرصعة بالماس[٣]

---

(١) تقرير بورنج معرب فى كتاب بناء دولة مصر محمد على ص ٤٧٨ .

(٢) القائمقام عبد الرحمن زكى ـ ملابس الجيش المصرى فى عصر محمد على الكبير ص٢٨

(٣) نماذج من المتحف الحربى بالقلعة .

وقد اختار محمد على لجنوده الملابس المشار اليها دون تدخل من الباب العالى، ولكن بعد الحروب التى حدثت بينه وبين السلطان أصدر الباب العالى فرمانى فبراير ومايو سنة ١٨٤١ فرض فيها على والى مصر ، بألا تختلف هيئة الملابس والعلائم المميزة ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقى الجنود العثمانية، وكذا ملابس الضباط وعلائم امتيازهم(١) ، . ولم يترك لوالى مصر إلا اختيار نوع الأقمشة التى تتلائم وجـو مصر . ولهذا اعتبر الجيش المصرى جزءا من الجيش العثمانى ، أى ليست له صفة مستقلة يتميز بها وتبدو فى ملابسه .

واستمرت الملابس العسكرية حتى أوائل عصر سعيد كما هى عليه ، ولكن فى أواخر حكمه طرأ عليها تغيير وتبديل نتجة للمحاولة التى قام بها الوالى سعيد لادخال الزى الأوربى الحديث فى الجيش ، والمزج بينه وبين الزى الشرقى . فادخال البنطلون الحديث (٢) الذى حل محل السودان المتتفخ . وليس معنى هذا أن الطراز الشرقى قد اختفى كلية من الجيش ، بـل يمكننا القول اعتمادا على ما شاهدناه من صور لرجال الجيش فى عصر سعيد أن الطرازين الشرقى ، والشرقى الأوربى عاشا ردحا من الزمن جنبا الى جنب .

ولما اعتلى اسماعيل ولاية مصر شرع فى التخلص من قيود فرمان سنة ١٨٤١ قيدا فقيدا . فاستطاع بمقتضى فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ التخلص من القيد المفروض على وراثة حكم مصر وعلى عدد قواتها . وقد أغفل هذا الفرمان كل ما يتعلق بملابس الجيش أو الإشارة الى وجوب مطابقتها لملابس الجنود الشاهانية وكذلك لم ينص الفرمان الشامل الصادر فى سنة ١٨٧٣ على شىء مايتعلق بها، بل

---

(١) فيليب جلاد بك . قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٧٥ .

(٢) ملابس الجيش المصرى فى عصر محمد على الكبير ص ٣٧ .

اكتفى ، بأن تكون أعـــلام وصناجق العساكر البرية والبحرية الموجودة فى الخطة المصرية كأعلام وصناجق سائر عساكرنا الشاهانية (١) » .

وفى أوائل سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣) أرسل والى مصر الى فرنسا خمسة عشر ضابطا تحت إشراف الجنرال برنسنو « لمشاهدة التعليمات العسكرية الفرنسوية والوقوف على استحكاماتها ومناوراتها العمومية (٢) » . ثم عادت بعد الانتهاء من مهمتها تحمل معها الكثير من المؤلفات العسكرية الفرنسية وأنواع الأسلحة والملابس التى أعجب بها أفرادها . وكان لهذه البعثة وللبعثة الفرنسية التى استقدمها اسماعيل من فرنسا فى سنة ١٨٦٤ برياسة ميرشير وعضوية راباتيل ولارمى وبولار لتنظيم المدارس الحربية أثرها فى إدخال الزى الفرنسى بالجيش المصرى . فيصدر ناظر الجهادية (٣) أوامره فى ٢٠ ربيع أول سنة ١٢٨٣ (النصف الثانى من سنة ١٨٦٦) الى المهمات العسكرية بعدم تفصيل الملابس العسكرية على الطراز القديم بل حسب الطراز المتبع فى فرنسا واستمر هذا الطراز متبعا فى الجيش الى قـــدوم البعثة العسكرية الأمريكية فى سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ . وبانهزام فرنسا فى الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠ استبدلت النظم العسكرية الفرنسية بالنظم الألمانية ، كما استبدل الزى الفرنسى بالزى الأمريكى فى الجيش المصرى.

وسنحاول فى الصفحات القلائل الآتية عرض صورة واضحة لملابس رجال الجيش فى عصر اسماعيل ، معتمدين على ما جمعناه من وثائق بدار الوثائق التاريخية بقصر عابدين . وإذا تكلمت عن ملابس الجيش فإنما أقصد بذلك الملابس بمصر

---

(١) قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٥ .

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٣) دفتر ٩٩٠ ج ٥ صـــادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٥٤٦ ص ٢٦٥ فى ٢٠ ربيع أول سنة ١٢٨٣ .

والسودان. فالملابس في كليهما تكاد تكون واحدة ، مع اختلاف بسيط في ملابس الجنود بالسودان تطلبتها طبيعة الأرض ومناخ الاقليم .

ففي مصر كان لرجال الجيش ملابس صيفية وأخرى شتوية ، ولا تختلف ملابس الجنود عن ملابس الضباط إلا في نوع القماش والتطريز . وفيما يلي بيان بالملابس التي كانت تصرف للجندي الواحد في فصل الصيف (١) :

كان يصرف للجندي طقمان (سترة وبنطلون) من بفته سمراء أو «كتان (٢) » شغل الفابريقه » وقميصان ، ولباسان ، وطربوش ، وزر حرير ، وسجادة ، وطوذلك بفته .

وتختلف هذه الملابس عن ملابس فصل الشتاء في أن «الجاكت والبنطلون» كانا من الجوخ الرمادي المائل الى الزرقة (٣) . كذلك كان يصرف للجندي حزام لوضعه على كتفيه ، وكبود من الجـــوخ (٤) . وكانت الكبابيد التي تصرف

---

(١) دفتر ٩٨٦ جـ ١ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٢٤٣ في ٣ جمادى الأولى ١٢٨٢ .

(٢) دفتر ٩٨٩ جـ ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه. وثيقة رقم ٣١٦٤ ص ٢٠ في ٦ ذي الحجة ١٢٨٢ . ومحفظة ٤١ (معية تركي) وثيقة رقم ٢٨٨ من داود فتحي وكيل الجهادية الى المعية السنية في ١٦ ربيع ثان سنة ١٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق . ودفتر ٥٣٧ (معية تركي) أمر كريم بدون رقم الى شاهين كنج ص ٥٨ في أول ربيع آخر سنة ١٢٨١ .

(٤) دفتر ٢٨٠٩ دفتر قيد الأوامر الكرام الواردة للجهادية . وثيقة رقم ٧ في ٢٢ رجب سنة ١٢٨٣ (أواخر نوفبر سنة ١٨٦٦) .

للعساكر والصف ضباط مصنوعة من الجوخ الأسود (١) ، يضاف اليهما معطف من الجوخ الرمادى (٢) .

أما عن ملابس الضباط فى فصل الصيف فكان يصرف للملازم الثانى طقمان (٣) من بفتة بيضاء (جاكت وبنطلون) ، وقميصان من البفتة ، ولباسان من نفس القماش ، وطربوش ، وزر حرير ، وحذاء ، وصديريان من البفتة .

أما فى فصل الشتـــاء فيستبدل الطقم والصديرى البفتة بطقم وصديرى من الجوخ ، ويصرف له كبود من الجوخ الأسود (٤) ، ومعطف من الجوخ الرمادى (٥) .

كذلك كان يصرف لليوزباشى (٦) (نقيب) طقمان (سترة وبنطلون) من الجوخ

---

(١) دفتر ٩٨٨ جـ ٢ صادر ديوان الجهادية . وثيقة رقم ٢٧٨٣ فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ [١٨٦٦] .

(٢) دفتر ٢١ صادر عابدين . وثيقة رقم ١٣ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ١٣ محرم سنة ١٢٨٠ [١٨٦٣] .

(٣) دفتر ٩٨٦ جـ ١ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٧٩٨ ص ١٦٣ فى ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ . ودفتر ٩٨٨ جـ ٣ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٨٦١ فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ .

(٤) دفتر ٩٨٨ جـ ٣ صادى مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٧٨٣ فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ .

(٥) دفتر ٢١ صادر عابدين . وثيقة رقم ١٣ من الجناب العال إلى القبوكتخـدا فى ١٣ محرم سنة ١٢٨٠ [١٨٦٣] .

(٦) دفتر ٩٨٩ جـ ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٣٧٨٦ ص ١٦٧ فى ١٩ محرم سنة ١٢٨٣ .

« وطربوش أفرنكى » بزر وثلاثة أطقم (الطقم مكون من قميص ولباس) وحذاءان بكبسول (شرخجى) ، وسيف بطقم فضة ، وقايش سيف من جلد لماع .

كذلك كانت سترة الجنود الشرخجية (الجرنجية) من الجوخ ذى اللون الأحمر القرمزى (١) ، وكبابيدهم من الجوخ الأزرق (٢) . ولرجال الجيش ملابس خاصة يرتدونها فى التشريفات العسكرية مصنوعة من الجوخ الأسود (٣). ولقد وصف مراسل جريدة « الجورنال دى ديباه » الفرنسية الجنود المصريين الذين أرسلوا لمساعدة تركيا فى حربها ضد روسيا سنة ١٨٧٧ بقوله «إن العساكر تامة الملبس والهندام والتجهيز ، طرابيشهم حمراء وسترهم زرقاء كلون السماء ، وبنطلوناتهم كذلك ، إلا أنها ملفوفة من الأسفل داخل تراللك بيضاء (٤) . وقد أعجب الضابط البروسى هانز واشنهوزن Hans Wachenhusen فى تقريره الذى نشره فى جريدة J. de Cologne سنة ١٨٧٠ بملابس الصف ضباط ، وذكر بأنها حيكت على الطراز الفرنسى وكانت فى غاية الاتقان (٥) .

---

(١) دفتر ٩٨٩ جـ ٤ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٥٣١ ص ١١٤ فى ٦ محرم سنة ١٢٨٣ .

(٢) دفتر ٣٩٨٨ صادر مهمات عسكرية وفروعه وثيقة رقم ٢٧٨٣ فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ .

(٣) « ٥٠٧ [معية تركى] أمر كريم إلى ناظر الجهادية وثيقة ٣١ ص ٢٨ فى ١٣ جمادى الاخرة سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .

(٤) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل جـ ٢ ص ٢٤٣ و ٢٤٤ .

5-Abdin. Corrs. Fran. Doss. No. 50/1 Hans Wachenhusen 1870 .

أما أنفار المدفعية الترك والقواسة السوارى والبيادة فكان يصرف لكل منهم بدلتان من تيل وحزام من حرير[١] .

وكان صغار الضباط حتى رتبة اليوزباشى (نقيب) يلبسون على نفقة الحكومة[٢]، ولهذا السبب لم يوجد إختلاف فى نوع أو لون الأقمشة التى كانوا يلبسونها . أما ضباط الجيش العظام من رتبة صاغقول أغاسى (رائد) فما فوق فكانوا يلبسون على نفقتهم الخاصة ولهذا تنوعت ملابسهم من حيث النوع واللون، وفى هذا مخالفة للنظم العسكرية . ولهذا السبب أصدر ناظر الجهادية أمره فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ (النصف الاول من ١٨٦٥) إلى المهمات العسكرية للقيام بعمل ملابس الضباط العظام وصرفها لهم على أن يخصم ثمنها من إستحقاقهم ، حتى تكون ملبوساتهم جميعا على نسق واحد[٣] ، وبذلك توحد زى الضباط جميعا صغيرهم وكبيرهم .

وقد استعملت شرائط من القصب الأبيض والأصفر لوضعها على أكمام الملابس الجوخ للضباط من رتبة يوزباشى (نقيب) فما دون ذلك[٤] ذلك .

---

(١) محفظة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ١٠١ من دواد فتحى وكيل ديوان الجهادية الى المعية السنية فى ٤ شعبان سنة ١٢٨٣ .

2 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No.50/1Hans Wachenhusen 1870 .

(٣) دفتر ٩٨٨ ج ٣ صادر مهمات عسكرية وثيقة رقم ٢٨٦٠ ص ١٦٩ فى ١٢ ذى القعدة ١٢٨٢ .

(٤) « ٢١ عابدين وثيقة رقم ٣٧٣ أمر عال الى القبوكتخدا فى ٢٧ شوال سنة ١٢٨٠

وكانت هذه الأشرطـة تشترى من الدولة العثمانية من النوع المستعمل فى الجيش التركى (١) .

أمـــا عن ملابس الجيش المصرى بالسودان فيذكر المؤرخ جورج دوان G . Douin بأن المعلومات عنهـــا قليلة فالبدل الرسمية كانت نادرة وكذلك الأحذية (٢) . وقد تمكنت من جمع ما أمكننى الحصول عليه من الوثائق المتعلقة بملابس الجيش المصرى بالسودان فى تلك الفترة ، ومن هذه الوثائق المشار اليها استطعت أن أكون صورة واضحة نوعا ما عنها .

تشتمل ملابس الجندى السودانى (٣) على طاقمين (سترة وبنطلون من البفتة السمراء) وطربوشين ، وزر حرير ، وحذاءين . وقـــد صرفت نفس الأنواع المذكورة للصف ضباط والعساكر الدودكجية (الزمـــارين) والبروجية والبلطجية (٤) .

أما ملابس الضباط بالسودان فكانت تتكون من (٥) سترتين من بفتـــة

---

(١) دفتر ٢١ عابدية وثيقة رقم ١٨ ٤ أمر من جناب الخديو الى القبوكتخدا فى ٣ ذى الحجة سنة ١٢٨٠ .

2 - Douin , Hist . de règne de Khedive Ismail T . 111 Fasc . B P. 1156 .

(٣) دفتر ٩٩٠ ج ٥ صادر مهمات عسكرية وفروعه . وثيقة رقم ٤٤٨١ ص ٩٤ فى ٢٣ صفر سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(٤) المصدر السابق . ودفتر ٩٩٠ ج ٥ صادر مهمات عسكرية وثيقة رقم ٤٣٤٥ ص ٢٧١ فى ربيع أول سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(٥) المصدر الأخير .

بيضاء ، وصديرين (١) ، وثلاثة أطقم (الطقم قميص ولباس) ، وطربوشين ، وزر من حرير ، وحذاءين .

كما يرتدى الجنود أثناء تجوالهم فى أنحاء السودان المختلفة كوفية بيضاء عـلى رؤوسهم(٢) لتقيهم أشعة الشمس المحرقه . وقد حدث هذا أثناء رحلة السير صمويل بيكر إلى جهات خط الاستواء فى الفترة مابين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٣ . وهـذا الزى يشابه - إلى حد كبير - زى الجنود الهجانة بالسودان (٣) .

وقد وزع السير صمويل بيكر على كل فرد من رجال الحملة المرافقين له فى ١٣ ديسمبر سنة ٨٧١ قيصا أحمر اللون من الفـانيلا ، وسروالا أبيضا (٤) . كذلك ارتدى رجال بعثة أرنست دى بلفون التى أرسلت إلى أوغنـدة فى سنة ١٨٧٥ هذا الزى نفسه (٥) . وكان منظر هؤلاء الجنود بسترهم الحمراء وسراويلهم البيضاء جميلا (٦) . وأغلب الظن أن هذا الزى كان يلبس للتشريفة بالسودان .

---

(١) محفظة ٤٠ (معية تركى) وثيقة رقم ١٠٨ من وكيل ديوان الجهادية دواد فتحى الى مهردار الخديو فى ٨ شعبان سنة ١٣٨٣ .

(٢) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية ج ١ ص ٣٦ و ٣٧ .

(٣) تقويم النيل المجلد الثانى ج ٣ ص ٨١٨ (ارادة لخسروا باشا قومندان الفرقة الثالثة) فى ٤ صفر سنة ١٢٨٦ .

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٦١ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٣٣ .

(٦) المصدر السابق .

الفصل الثانى عشر

حالة القوات المصرية بمصر والسودان

حالة القوات المصرية بمصر والسودان

عندما ولى الجنرال استون منصب رياسة أركان حرب الجيش المصرى سنة ١٨٧٠ عكف على دراسة الجيش المصرى من جميع نواحيه ، واستغرقت هذه الدراسة مدة ستة أشهر . وفى نهايتها رفع تقريرا (١) الى نظارة الجهادية بنتائج دراسته وملاحظاته عن الجيش وتوصياته بشأنه . ولهذا التقرير أهمية كبيرة ، إذ يصور لنا حالة الجيش المصرى فى عصر اسماعيل قبل سنة ١٨٧٠ . وقد عالج فى هذا التقرير كل سلاح من أسلحة الجيش على حده مبينا ما فيه من أوجه القوة وأوجه الضعف . وفيما يلى أهم ما جاء به :

بدأ الجنرال استون بسلاح المشاة فذكر بأنه اشتمل على جنود أقوياء أصحاء الابدان دربوا تدريبا جيدا ولهم مقدرة على احتمال المشاق . وحالتهم على العموم جيدة إذا ما قورنت بحالة القوات التركية أو قوات الممالك الشرقية فى ذلك الوقت (٢) . أما فيما يتعلق بملابسهم وثكناتهم فحسنة .

أما عن سلاح الفرسان فيتكون من جنود مهرة يجرى تدريبهم بانتظام ويمتطون صهوات جياد أصيلة ، ويستطيع هؤلاء الجنود أن يقوموا بدورهم فى وقت الحرب على أتم وجه . أما عن بنادقهم فأثرها ضعيف ويجب أن تستبدل بأخرى (٣) قوية . وهذا الوصف يختلف عما ذكره المستر جورج بتلر ـ قنصل

---

1 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1. Le Caire 15, Dec. 1870.

2 - Abdin. Amr. Vol. 6 despt. No. 19 Butler to Fish. oct. 29, 1870.

3 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 .Le Caire 15, Dec., 1870.

أمريكا الجنرال بمصر فى سنة ١٨٧٠ - من أن هذه القوات غير مدربة (١) إطلاقا « Utterly Undrilled ».

ويضم سلاح المدفعية نواة صالحة من الجنود المدربين والضباط المثقفين ، ولكن تنقصهم سرعة الحركة التى تتطلبها المناورات العسكرية . كما أن طلقات مدافعهم ليست قوية لأن المدافع من النوع الردىء . أما عن عدد بطاريات هذا هذا السلاح فقليلة (٢) . وقد رمى المستر جورج بتلر هذا السلاح بالضعف ضعفا متناهيا (٣) « Wretchedly deficient ».

وقد وجه الجنرال استون نقدا شديدا الى نظارة الجهادية لتركيزها كل ما يتعلق بشئون الجيش من أمور سواء أكانت صغيرة أم كبيرة فى يدها . وكذلك لم يكن بالجيش هيئة أركان حرب عامة أو خاصة . كما كان الجيش يفتقر الى سلاح للمهندسين، وإلى أسلحة أخرى تتولى شئون النقل والمهمات والتموين . وقد حاول الجنرال استون أن يسد هذا النقص للنهوض بمستوى الجيش . فأنشأ هيئة أركان حرب عامة ووضع ترتيبا جديدا يحدد اختصاصات نظارة الجهادية وفروعها المختلفة ، ويوضح العلاقة بين عموم هيئة أركان حرب ومختلف الفروع . كما استطاع إنشاء سلاح للمهندسين . ومن الإصلاحات الأخرى التى أدخلت على الجيش قصر الترقى

1 - Adin' Amr. Vol. 6 despt, No. 19 ,Butler to Fish Alex. in oct. 20, 1870.

2 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 , Bureau de chef d ' Etat - Major in 15 Dec. 1870.

3 - Abdin . Amr . Vol . 6 despt . No . 19 , Butler to Fish Alex. in oct. 20, 1870.

على من له إلمام بالقراءة والكتابة من ضباط الجيش بعد تأدية امتحان يعقد لهم بهذا الخصوص (١) . كذلك كوفىء الضباط الذين قاموا بمجهود على كتأليف الكتب العسكرية أو ترجمتها بترقيتهم الى رتب أعلى، وذلك لبث الروح العلمية بين صفوف الضباط (٢) . ولكن رغم هذه الجهود الكبيرة التى بذلت فى الاصلاح فلم يرتفع شأن الجيش لأسباب مختلفة أهمها :

أولا لم يجد الخديو اسماعيل من رجاله من يستطيع أن يملأ منصب القائد العام بجدارة ، فالجيش المصرى فى عهده كان يفتقر (٣) الى القائد العبقرى الذى يستطيع أن يبث روح الجهاد والتضحية فى نفوس الجند ، وأن يلهب حماستهم ، ويذكرهم بما ناله آباؤهم فى عصر محمد على من انتصارات . إذ أن الجيش « لايخرج عن كونه مقذوفا ناريا قويا يحتاج الى الرامى الماهر (٤) » . وهذا الرامى أو القائد بمعنى آخر يجب أن يكون من ضباط الصفوف ، وليس من ضباط أركان حرب . كذلك لم يجد الجيش ضالته المنشودة فى شخص اسماعيل الذى لم يرث عن أبيه الروح الحربية ولم يتعود خوض المعارك .

---

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر جهادية) عربى وثيقة بدون رقم س١١٦ أمرالى ديوان الجهادية فى ٦ ذى الحجة سنة ١٢٨٧ (فبراير سنة ١٨٧١) .

(٢) محفظه ١٠ (الجهاديه) وثيقه تركيه رقم ١٣٤ أمرالى ناظر الجهاديه فى ١٢ ربيع ثانى سنه ١٢٨٩ (١٨٧٢) .

3 - Abdîn. Corrsp, Fran. Doss No. 50/1 Rostilas à Khedive Ismail. Le Caire. Mai 9, 1875.

4 - Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No. 50/1 Rostilas à Khedive Ismail . Le Caire, Mai 9, 1875.

ثانيا : أن وقوف كبار ضباط الجيش فى وجه ضباط أركان حرب وعدم السماح لهم بالاتصال بجنود الصفوف للإشراف على تدريبهم ومعرفة ما يحتاجون اليه جعل من هذه الاصلاحات حبرا على ورق ، فظل الجيش يتكون من كتائب مختلفة لارابط بينها (١). هذا فضلا عن الارتباك المالى الذى شل حركة الاصلاح فى أواخر عصر اسماعيل .

ومع ذلك نجد أن الجيش المصرى قد امتاز عن الجيش التركى المعاصر له بميزة هامة وهى تعليم وثقافة ضباطه . فضباط الجيش المصرى قد تلقوا تعليما فنيا خاصا فى مدارس خاصة على أيدى معلمين مهرة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد امتاز عنه أيضا باتخاذ الامتحان أساسا للترقى . وبذلك إنعدم الضباط الأميون بالجيش المصرى ، بينما كان لايزال بالجيش التركى من أمثال هؤلاء من يعدون بالعشرات (٢)

أما فيما يتعلق بالجيش المصرى بالسودان فكان فى عهد حكمدارية موسى حمدى (أى فى أواخر حكم سعيد ـ أغسطس سنة ١٨٦٢ ـ) قليل العدد ، ومع قلته فلم يكن كامل العدة . ففى كل من كردفان والخرطوم ودنقله مائتى فارس تحت إمرة أحد الرؤساء . ومن هؤلاء من لايصلحون للخدمة (٣). فلما ولى اسماعيل حكم مصر رغب فى استكمال الأورط الموجودة فى السودان

---

(١) د. محمد محمود السروجى : العلاقات بين مصر وأثيوبيا فى القرن التاسع عشر ص ١٢٨

2 - Mc Coan ; Egypt as it is P. 101 — 102 .

(١) محفظة ٢٩ (معية تركى) وثيقة رقم ٧٤ من موسى حمدى حكمدار السودان الى ناظر الجهاديه فى ٤ صفر سنه ١٢٧٩ (١٨٦٢).

لتستطيع صد أى هجوم قد يقوم به الأحباش فى أى وقت من الأوقات. فاضطر حكمدار السودان إلى قبول « العجائز الذين رفتوا من الجندية وعتقاء الحكومة الذين أتوا بمجرد (بمحض) رغبتهم (١) » . وبهؤلاء الذين لايصلحون للخدمة إستطاع حكمدار السودان استكمال هذه الأورط . وقد اقترح على الخديو أن يأخذ من مشايخ القبائل نصف الضرائب المفروضة عليهم أنفارا للجهادية نظير تنازل الحكومة عن كيس (خمسه جنيهات) من النقود فى مقابل كل فرد يقدم للجندية، والنصف الآخر نقودا . وبهذه الطريقة يستطيع إمداد الجيش بالجنود الصالحين. وبرر مطلبه هذا بأنه لا يتنافى مع إبطال الرق لأن دخول هؤلاء الجندية هو فى نفس الوقت « خروج من عالم التوحش بدخولهم دائرة الانسانية ونوالهم الحرية التامة (٢) ». ولكن الخديو لم يوافق على ذلك.

وكان استمرار النقص فى قوات الجيش المصرى بالسودان راجعا إلى سببين رئيسيين :

أولهما : عدم ملائمة جو السودان للجنود المصريين المقيمين به ، ولهذا كثرت الوفيات بينهم « وزادت عن حد الاعتدال (٣) » . وأدى هذا إلى « الخلل والنقص الفاحش فى النظامات العسكرية والادارة المدنية (٤) »، فمثلا

---

(١) محفظة ٣٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٠ من موسى حمدى حكمدار السودان إلى باشمعاون الجناب العالى إلى الخديو فى ٦ شوال سنة ١٢٧٩ (أوائل سنة ١٨٦٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) محفظة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ٢٦٦ من حكمدار عموم السودان نور أظهر عبده جعفر إلى صاحب السعادة مهردار الجناب الخديو فى ٢٨ رمضان ١٢٨٣ [أوائل ١٨٦٧].

(٤) المصدر السابق

وجدنا أن القوة الحربية البالغ عددها ٢٥٠ جنديا التى اصطحبها غردون معه من القاهرة فى ذهابه إلى مقر عمله بمديرية خط الاستواء، قد عاجلت المنيـــة نصفهم واضطر أن يرجع إلى مصر مائة منهم (١) . كذلك كان ما يقرب من نصف العساكر المصرية التى ترسل إلى السودان - وخصوصا مديرية خط الاستواء - يقعون فريسة المرض فى الايام الأولى من وصولهم إلى تلك البقاع (٢) . فاضطرت حكدارية السودان إلى سد هـذا النقص من الجنود السودانيين المفصولين والمسرحين ، وكان أغلبهم من العناصر الهزيلة التى لا تتوافر فيها شروط الجندية . ولـكن السلطات المحلية كانت مضطرة لقبولهـــم . وسرعان ما كان يدب النقص فى صفوف الجيش من جـديد لموت هذه العناصر الضعيفة بعد التحاقها بالصفوف بمـــدة وجيزة . وبتوالى سد النقص بجنود من الأهالى زاد عـدد السودانيين عن عدد الجنود المصريين زيادة كبيرة . وقد أبدى الجنرال غردون تخوفه من هذا التفاوت بين القوتين المصرية والسودانية فى خطاب أرسله إلى نوبار (باشا) ناظر الخارجية عند وصوله إلى غندكرو فى ١٧ ابريل سنة ١٨٧٤ حيث يقول « ولا أرى من المستحسن والصواب أن يكون لدينا عـدد قليل من الجنود المصريين كالعدد الموجود الآن يقابله عـــدد كبير من السودانيين (٣)» . وكان تخوف الجنرال غردون من هذه الـكثرة السودانية

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) المصدر السابق .

(3) Publications of the Egyptian Gen. Staff. Province of the Equator. Summary of letters & reports of H. E. The

قد أيدته الحوادث من قبل حينما ثارت الحامية السودانيـة باستحكامات مدينة كسلا ، وكان عددها ٤٠٠٠ من العساكر السود (١) فى عهد ابراهيم أدهم مدير كسلا (سنه ١٨٦٥) . واستمرت الثورة عدة شهور سيرت اليهم حكمدارية السودان فى خلالها قوات عديدة من الباشبوزق(٢) لإخضاعهم فـكان نصيبها الفشل . وتمادى الثوار فى أعمالهم فنهبوا المتاجر (٣) وقتلوا كل من وقف فى طريقهم . وأخيرا أرسلت اليهم الحكومة المصرية جيشا تحت قيادة آدم (بك) إستطاع إخماد الفتنة بعد معركة حامية أسفرت عن القبض على ٧٥٩ جنديا ووفاة ١٦٣٧ (٤) . ويمـكننا القول أنه لو كان بالسودان وقتئذ قوة كبيرة من الجنود المصريين لـما استفحل أمر هـذه الثورة ، ولما استمرت هذه المدة الطويلة .

ولقد كانت القوات السودانيـة موضع شكوى مستمرة من المديرين الذين تعاقبوا على حكم السودان حتى اضطر الخديو اسماعيل فى ٢٤ رجب سنة ١٢٨٢

Governor General. Part 1 Year 1874 - P.4 . =
وتاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٢٥ .

(١) نعوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٣ ص ٤٠ .

(٢) محفظة ٣٤ [معية تركى] وثيقة رقم ١٧٢ من عمر فخرى بك وكيل حكمدار السودان الى المعيه فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١٢٨٢ [١٨٦٥] .

(٣) المصدر السابق .

(٤) محفظة ٣٥ [معية تركى] وثيقة رقم ٢٥ من فخرى بك وكيل حكمدار السودان الى المعية فى ٥ جادى الأولى سنة ١٢٨٢ . ومحفظة ٣٥ [معية تركى] وثيقة رقم ٩٦ من عمر فخرى وكيل حكمدار السودان الى المعية فى ٢٢ جادى الأولى سنه ١٢٨٢ .

(أواخر ١٨٦٥) بعد ثورة التاكة إلى إلغاء الآلايات السودانية بالسودان ، وفرز أنفارها لاستبعاد من لا يصلح منهم للخدمة، وإرسال الباقى الى مصر لتوزيعهم على الآلايات المختلفة ، حيث أن الفوضى المتغلغلة بين الجنود السودانيين فى الاقاليم السودانية لايمكن كبح جماحها طالما هؤلاء الجنود فى بلادهم (١) ، .وكثيرا ماكان الجنود السودانيون يفرون من صفوف الجيش قبل إرسالهم إلى مصر أو فى أثناء الطريق رغم علمهم أن الفرار من الجندية عقابه الاعدام (٢) . ويرجع سبب كره السودانيين للجندية إلى أيام محمد على عندما حاول تكوين قوة سودانية مات أغلبها من البرد. كذلك إزداد إستياؤهم من الجيش لما علموا بنبأ إرسال الخديو اسماعيل الفرقة السودانيه التى سافرت إلى مصر للاشتراك فى حرب المكسيك (٣) .

والعامل الثانى الذى ساعد على إستمرار العجز فى قوات الجيش بالسودان هو أن إدارة السودان كانت تجمع من السودانيين ما تحتاج إلى إستخدامه فى صفوف الجيش بعد أن تضع على ذراعهم الأيسر علامة «ج» بمعنى جهادى بطريقة الكى بالنار (٤) . ثم تتولى ارسالهم الى القاهرة لتدريبهم على النظم العسكرية . وقد لايصل من هذا العدد سوى ٥٠٪ من مجموعة نظرا لوفاة البعض منهم نتيجة تغير

---

(٤) دفتر ٥٠٧ [معية تركى] أمر كريم رقم ٤٦ ص ٥٧ الى ناظر الجهادية فى ٢٤ رجب سنة ١٢٨٢ .

(٢) محفظة ٣٩ [معيه تركى] وثيقة رقم ١٠٣ من جعفر عبده نور أظهر حكمدار السودان إلى مهردار الجناب العالى فى ٢ ربيع ثانى سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) .

(2) Shukry , The Khedive Ismail & Slavery in Sudan P. 140 .

(3) Douin , Histoire de règne du Khedive Ismail T, I I 1 Fasc. B. P. 1147 .

الطقس والغذاء ولفرار البعض الآخر (١) ، حتى إذا ما وصل البـاقى منهم إلى القاهرة تعرض للإصابة بالبرد الشديد خصوصا فى فصل الشتاء . وكثيرا ما أودت نزلات البرد بحياة عدد غير قليل منهم رغم ما بذلته الحكومة لوقايتهم بمختلف الوسائل ، بتوزيع اللحم والبوظة عليهم (٢) ، . لذلك وجدنا أن عـدد الجنود الذين كانوا يعادون إلى السودان بعد إتمام تمرينهم عـلى النظم العسكرية لا تسد العجز المستمر الموجود فى صفوف الجيش .

هذا فضلا عن أن معظم هذه القوات ـ فى أول الأمر ـ كان مشتتا فى أنحاء السودان لجباية الضرائب . وقد يطول بهؤلاء المقام بعيدا عن مراكزهم الأصلية بين صفوف الجيش مايقرب من ثلاث أو أربع سنوات تظل أماكنهم شاغرة . وفى تلك الفترة يكون هؤلاء الجنود بمعزل عن الحياة العسكرية والتمرينـــات الحربية . ولهذا أمرت نظارة الجهادية بعد أن رأت إستحالة إلغاء جمع الضرائب بطريق الجنود بين عشية وضحاها ، بأن يوكل إلى ثلث الموجود من العسـاكر بتحصيل الضرائب وجباية الأموال على أن يبقى الثلثان دواما شاكين السلاح لاهم لهم إلا التعليم والتدريب الحربى (٣) ، .

ولكن بالرغم مما ذكر فقد كانت حكمدارية السودان تعتنى بنظافة الجنود وحسن نظامهم ونستدل على ذلك بما كتبه الجنرال غردون إلى خديرى (باشا)

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محفظة ٤٠ (معية تركى) وثيقة رقم ٤٢٨ من دواد فتحى وكيل ديوان الجهادية إلى مهردار الخديو فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٢٨٣ .

(٣) محفظة ٥٤ (معية تركى) وثيقة تركية رقم ٣١٨ من عثمان رفقى إلى مهردار الخديو فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٤ (أواخر سنة ١٨٧٧) .

عند وصوله الخرطوم فى ١٤ مارس سنة ١٨٧٤ مهنئا الخديو على «حالة جيشه الطيبة وللعناية والرعاية التى تستحق الشكر والثناء التى يسبغها حكمدار السودان على الجيش . فتنظيمه الشكنات العسكرية وترتيبه للمستشفى مرض للغاية . ولقد أعجبت كل الاعجاب بروح الرضا التى تسود الجنود وبما يرفلون فيه من رخاء (١)».

وقد بعث غردون بخطاب آخر إلى نوبار ناظر الخارجية عقب وصوله إلى غندكرو فى ١٧ إبريل سنة ١٨٧٤ قال فيه « لقد استقبلنى رؤوف بك (قائد القوات المصرية بمديريات خط الاستواء والمدير بالنيابة) أحسن استقبال . وهو إنسان يستحق الحمد والثناء العاطر لعنايته بجندى وإهتمامه بشئونهم ، فمعسكره غاية فى النظافة ويلوح أنه محبوب من عسكره (٢) » .

كذلك عندما وصل شاييه لونج إلى محطة فويرا العسكرية فى ١٦ مايو سنة ١٨٧٤ فى طريقه إلى أوغنده تفقد معسكرها فوجده مثالا للنظام والنظافة (٣) .

---

(1) Abdin. Corrsp. Fran. Doss. No 71/3 Cordon à Khairy Pacha Kartoum en 14 Mars . 1874 .

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٢٤ .

Provinces of the Equator . Summary of letters & reports of H . E . the Governor General .... Part 1 P. 3

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٦٣ .

الفلاح المصرى كجندى

تضاربت الآراء فى صلاحية الفلاح المصرى كجندى ، فمن قائل بأنه جندى مثالى ، ويقابلة رأى آخر يرميه بالجبن والخور . ولكى نستطيع أن نصدر عليه حكما عادلا بعيدا عن أى تحيز لابد أولا من الإلمــــام بالشروط الواجب توافرها فى أى فرد ليكون جنديا صالحا . ثم نحاول بعد ذلك تطبيق تلك الشروط على الجندى المصرى لمعرفة مدى نصيبه منها . ويمكننا تلخيص تلك الاستعدادات أو الشروط فيما يلى : القوة الجثمانية ـ الطاعة ـ الصبر ـ قوة الاحتمال ـ الاخلاص فى العمل ـ الشجاعة ـ الثقافة العسكريه والتدريب الحربى ـ حسن السير والسلوك ـ الوطنية ـ الذكاء ...

أما عن سلامة البدن وقوته وصلاحيته للخدمة العسكرية فتوفرة فى الفلاح المصرى ، نظرا لاشتغاله طول يومه فى الحقل فى الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس دون ملل أو سأم .

كذلك نجد أن الجندى المصرى كان يطيع أوامر ضباطه طاعة عمياء سواء أكان ذلك عن رغبة أوعن رهبة (١) . ومما اتصف به أيضا وقرره رؤساؤه من الضباط الأجانب الذين خـــدموا بالجيش المصرى قوة الاحتمال ، فيذكر الامـيرالاى (العميد) الأمريكى داى Dye ـ ضابط أركان حرب ـ بأن الجنود الفلاحين يتمتعون بالصبر وقوة الاحتمال الى حـد غير مألوف(٢) . ولو أنه قلل

---

1 - Dye ; Moslem Egypt.......... P. 42

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

من أهمية هذه الصفة وجعلها فى المرتبة الثانية من الأهمية، وفضل عليها الطبيعة الحربية. وقدذكرأيضا الاميرالاى(العميد) الأمريكى شاييه لونج Chaillé-Long ضابط أركان حرب — « بأن الفلاح ليس شجاعا ولكنه مزارع صبور (١)» . ورغم إنكار هذا الضابط الأمريكى على الجندى المصرى صفة الشجاعة ، مع مافى هذا القول من تجنى على الحقيقة ، وتدحضه المواقف الباسلة لأبناء النيل فى حروب المورة والشام، إلاأن خاصية الصبرالتى أعترف بها هى —فى حقيقة الأمر— وجه آخر من وجوه الشجاعة .

ولكن الضابط الأمريكى داى يخالف زميله السابق فى هذا الرأى فيعترف بأن الجندى المصرى لاتنقصه الشجاعة ، إلا أنه ينسبها إلى الدافع الدينى (٢).

وإذا كان لهذا الدافع أثره فى الحروب التى خاضتها الدولة العثمانية ضد الدول الأوربية المسيحية واشتركت فيها القوات المصرية ، فإن هذا الدفع لم يكن له وجود فى حروب الشام حيث أبلى المصريون من ضروب الشجاعة الشىء الكثير.

وقد حدد الجنرال داى الدوافع التى تثير حمية الجندى وشجاعته وتدفعه إلى التضحية هى حبه للحرية الفردية وخوفه من الاسترقاق والعبودية ، وحبه لوطنه ، وملكيته ، وتقاليده المتوارثة . فاذا ماتعرضت هذه الدوافع للخطر هب الفرد للدفاع عنها والذود عن حماها . ثم عاد فذكر بأن الفلاح المصرى لم يكن يأبه لتلك الدوافع ، نظرا لأنه كان يساق إلى الجندية مكبلا بالأغلال فى أغلب الأحايين، مما أفقده إحترامه لنفسه. كما كان عليه أن يخدم مدة طويلة دون أى أمل

(1) Chaillé - Long ; Les Trois prophets P. 88

(2) Dye : Moslem Egypt .... P. 45 .

فى تحسين حالته (١) ولهذا فقد نسب الضباط الأجانب الشجاعة التى أبداها الجندى المصرى إلى الدافع الدينى وتعصبه لملته (٢) .

وإلى جانب صفة الصبر فالجندى المصرى مخلص أمين يعتمد عليه ويوثق به (٣) .

ويتصف الجندى المصرى كذلك بالذكاء ، ولكن الجنرال الأمريكى داى يقول بأنه ذكاء المقلد الذى لا يفكر فى المسببات والظروف والنتائج (٤) . وربما يكون لطبيعة أرض مصر ومناخها ـ كما يذكر الجنرال ـ أثر كبير فى ذلك ، فسهولة أرضها وخلوها من الجبال ، واعتدال مناخها ، هذا بالإضافة إلى المعيشة التى كان يحياها الفلاح على وتيرة واحدة . كل هذه الأسباب مجتمعة لا تساعد على نشاط الذهن وتفتقه .

أما عن أخلاقه فطيبة وذلك نتيجة لتربيته الدينية (٥) . وإذا نظرنا إلى الجندى المصرى من ناحية طبيعته الحربية كما يراها الخبراء العسكريون وجدناه محاربا جيدا ، يقاتل بصبر وجلد خلف الحواجز ، تعود كل أنواع الحرمان ينام فى معسكره ملتحفا ببطانيته على الارض العراء ، واضعا رأسه فوق (مخلته)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥

(2) Dye : Moslem Egyqt .... P. 24 .

(3) Chaillé - Long Les Trois Prophets Page 89

(4) Dye : Moslem Egypt .... P 58

(5) Abdin. Corrsp. Fren. Doss. No 50/1 Hens Waschenhusen Journal de Cologne 1780 .

لايملك سريرا ولا لوحا من الخشب ، ورغم ذلك لايشعر بأى حرمان (١). ومما ذكره السير درامند وولف فى خطاب له إلى المركيز سلسبورى بشأن الجنود المصريين فى ٢٧ يناير سنة ١٨٨٦ قوله « إن الجنود المصريين يمتازون ببعض الصفات العالية ، فقد تعودوا الصبر بوجه باسم ، وجبلوا على العمل ، ويحاربون بمهارة من وراء الاستحكامات . ولكنهم على العموم ليسوا على مقدرة كبيرة فى الحروب المكشوفة (٢) » .

وإذا قارنا الجندى المصرى بزميله التركى بالجيش العثمانى وجدنا أن المصرى يتميز عنه بنظافته ونشاطه ، وعدم ميله إلى الكسل . ولكن الجندى التركى كان أكثر مرانا على التجريدات الحربية الصغيرة التى كان يقوم بها الجيش التركى من حين لآخر (٣) . كذلك إمتاز الجندى المصرى بسلاح الفرسان على زميله بالجيش التركى بتمكنه فى ركوب الخيل (٤) .

كان لطبيعة أرض مصر أثرها فى طباع الفلاح وميوله ، إذ جعلته يميل إلى الهدوء والاستقرار والالتصاق بأرضه التى أحبها ، وعدم رغبته فى مفارقتها مهما كانت الأسباب . فهذا الولع فى الهدوء والميل إلى الاستقرار لايتفقان وطبيعة الحياة العسكرية . ولهذا قيل بأن الجندى المصرى ليس محاربا بطبيعته . ومن ثم

---

(1) Ibid .

(2) The Blue Books . Egypt . No.3 Corrsp . rospecting reorganisation of the Egyptian Army . P.2

(3) Abdin. Corrsp. Franc. Doss. No. 50/1 Rostilas, Caire 22, 1875

(4) Abdin. Corrsp. Franc. Doss. No. 50/1 Rostilas, Journal de Cologne en 1870 .

تفوقت عليه عناصر أخرى فى هذه الناحية ، مثل البدو الذين يعتبرون محاربون ممتازون بطبيعتهم . ولكنهم كانوا يحتقرون الخضوع لسلطة الحكومة ويرون فى نشأتهم الصحراوية حرية وطلاقة (١) .

كذلك إذا قارنا الجندى المصرى بالجندى الزنجى نجد أن الأخير كان يفوقه فى بعض النواحى ، ويقل عنه فى نواحى أخرى ، فالجنود الزنوج كانوا أصلح الجنود للعمل فى مناطق السودان المختلفة ،وفى جهات خط الاستواء ولا غرابة فى ذلك فقد تربى هؤلاء فى أحضانها واعتادوا مناخها . أما الجندى المصرى فلم يتعود مثل هذا المناخ ، فخر صريع الحمى . ومن هنا كان إعجاب السير صموئيل بيكر بالجنود السود وسخطه على الجنود المصريين الذين رافقوه فى رحلته إلى منابع النيل سنة ١٨٧٠ وما بعدها . وقد دون آراءه هذه فى مذكراته التى نشرت فى كتاب الاسماعيلية Ismailia . ومن هذه المذكرات ما كتبه فى ٢٣ مارس سنة ١٨٧٠ حيث يقول « شغلنا طوال النهار فى جر المراكب خلال القناة وقد خارت قوى الجنود المصريين . أما السودانيون فهم من أحسن الجنود، فلم يشعر أحد منهم بأى مرض ، وهم يعملون بعزم صادق . وكنت أقدم لهم الخمور كل مساء . أما الفلاح المتعصب فلم يكن يقرب الخمر ولهذا خر صريع الحمى . وسرعان ماكان يفقد السيطرة على أعصابه إذا ما أنهكه التعب نتيجة للبرد الذى يعتريه أثناء عمله طوال اليوم فى الماء والوحل (٢)» . مع أن هؤلاء كانوا من خيرة الجنود قوة ومظهرا .

كذلك أخذ السير صموئيل بيكر على الجنود المصريين تعرضهم للمرض إذا

---

(1) Chaillé-Long : LesTrois Prophets , P.98

(2) Samuel Baker ; Ismailia P.29

حرموا من أكل الخضروات التى إعتادوا أكلها فى مصر (١) . وأطرى على نشاط الجنود السود واسترخاء المصريين فى العمل (٢) . كما امتـــاز السود بحدة البصر وقوته ، ولهذا فقد تفوقوا على المصريين فى إصابة الهدف بنسبة تتراوح بين ٣٠ ٪ و ٤٠ ٪ . ولا يرجع هذا إلى قوة البصر فحسب بل إلى قوة الأعصاب والثقة بالنفس والرغبة فى التفوق (٣) .

ويمكننا الرد على أقوال السير صموئيل بيكر بأن عدم ملاءمة جو السودان للمصريين ، وكذلك عدم مقـدرتهم على الاستغناء عن أكل الخضروات لا يقللان من قيمتهم كجنود . فلا يجوز لنا أن نعيب على سكان المناطق الباردة عدم إستطاعتهم المعيشة فى المناطق الحارة أو العكس . بل لقد رأينا الجنود السود الذين كانوا يرسلون من السودان إلى مصر لتدريبهم على النظم الحربية كان يسقط معظمهم فريسة المرض لشدة البرد فى فصل الشتاء . وفى أغلب الأحيان كان يموت أكثر من نصفهم رغم ما كانوا يتمتعون به من قوة ونشاط فى بلادهم . فهذه النتيجة لا تحملنا عـلى أن نقلل من قيمة هؤلاء الجنود كمحاربين مهرة جبلوا على الحرب والقتال .

ولـكن الجنود المصريين كانوا يمتازون على زملائهم السود بميزات أخرى ، منها أن الجنود المصريـين تعودوا الطاعة والنظام ، بعـكس الجنود السود الذين كانوا مصدر متاعب لحـكمدارية السودان لكثرة مخالفتهم للأوامر التى يصدرهـا اليهم رؤساؤهم . كذلك كان الجنود المصريون يكتفون بالقليل من المواد الغذائية

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٦٥

(3) Dye ; Moslem Egypt P.60

بعكس الحـــال بالنسبة للجنود السود، فيقول السير صمويل بيـكر «أما هؤلاء السود فلا يفـكرون فى غدهم فكانوا خلال رحلتهم إلى التوفيقية (١) يسرقون الغلال ويشربون المريسة فهم لا يفـكرون فى المستقبل(٢) » . ورغم ماكان يحبوهم بيـكر من عطف إلا أنهم كانوا يفضلون حياتهم الأولى ، حياة البدائية الطليقة من كل قيد ، المتحررة من كل نظام (٣) » .

مقارنة بين الضباط والجنود المصريين

إختلف الضباط والجنود بعضهم عن بعض فى النشأة والتـكوين والتربيــــة والتعليم والاخلاق ... فمن ناحية النشأة نجد أن معظم الضباط كانوا ينحدرون من أصل تركى أو شركسى من أبناء الباشوات والبكوات . وينشأ هؤلاء الأبناء فى بيئة لا تعـدهم الإعداد الذى يؤهلهم لأن يكونوا من رجال الحرب ، فلم توجد هيئات رياضية أو إجتماعية تنمى فيهم صفة الاعتماد على النفس ، وتغرس فيهم الخلق الحربى . بل إن الأمر على العـكس من ذلك فقد كانوا يحاطون فى فى صغرهم بمؤثرات نسائية فاسدة مثل الجوارى ، ويتركون فى هذه البيئـة دون أن يوجهوا الوجهة الصحيحة لبناء أجسامهم وإنماء عقولهم النمو الطبيعى. وعندما يبلغون سنا معينة يرسلون إلى الـكتاتيب لحفظ وترتيل القرآن . ثم يدخلون بعـد ذلك المدارس الاعدادية حيث يمـكثون فيها عدة سنوات يتلقون علوما لا تنمى الجسم ، ولاتعـــدهم للدارس الحربية التى سيلحقون بها (٤) لقضاء أربع أو أو خمس سنوات ، يلحق بعدها الخريجون بالجيش فى رتبة الملازم الثانى . وكان

(1) Samuel Baker ; Ismailia p. 153

(٢) بلدة فى أعالى النيل .

(٣) المصدر السابق ص١٧٣

4 - Dye ; Moslem Egypt .... P.63 & 64

من نتيجة هذه التربية أن أصبح « من النادر أن يرى أحد الضباط الذين مروا بهذه المدارس يزيد طوله عن المتوسط . وعلى العموم فهم أقل من الفلاحين طولا وعرضا ، وأقل منهم قوة فى العضلات والتكوين (١) » .

أما عن الجنود المصريين فمعظمهم من طبقة الفلاحين ذوى الأجسام القوية التى كونها العمل فى الحقل طول النهار تحت أشعة الشمس المحرقة . فهم من تكوين الطبيعة ، وهم عماد الجيش ، ومنهم طبقة صف الضباط الذين تلقوا قسطا كافيا من التعليم الحربى بمدرسة ضباط الصف ، فدربوا تدريبا تاما على مختلف الفنون الحربية ، وكذلك على سلاح الاشارة ليقوموا بتدريب الجنود . فهم بذلك يفضلون الضباط من خريجى المدارس الحربية فى هذه الناحية (٢) .

أما من الناحية الأخلاقية فنجد أن الجندى المصرى قد نشأ نشأة دينية فيها تقشف وحرمان ، فهو لا يعرف غير حقله وبيته وماشيته ، فهو يمتاز من هذه الناحية على ضباطه الأتراك الذين انغمسوا فى المدنية وأخذوا عنها الكثير من رذائلها (٣) . كذلك امتاز هؤلاء الضباط بعجرفتهم وكبريائهم وقسوتهم لاعتقادهم برفعة مولدهم ونبل محتدهم عن الفلاحين المصريين . فلا عجب إذا ما أساء هؤلاء الضباط إلى الجنود الذين تحت إمرتهم وإلى زملائهم من الضباط المصريين ، فى نفس الوقت الذى كان يعامل فيه الضباط والجنود المصريون بعضهم بعضا معاملة الأخوة القائمة على العطف المتبادل . فكانت هذه

---

(١) المصدر السابق ص ٦٣ و ٦٤

(٢) المصدر السابق ص ٦١

(٣) المصدر السابق ص ٦٥

المعاملة الشاذة من جانب الضباط الأتراك والشراكسة من أهم أسباب قيام الثورة العرابية .

كذلك تفوق الضباط المصريون على زملائهم الأتراك فى النواحى الحربية المختلفة ، وكان الدافع إلى هذا التفوق أن الضباط المصريين رأوا أن زملاءهم الأتراك والشراكسة يصلون إلى أرفع المناصب - لالسبب ما - سوى أنهم من نسل تركى أو شركسى . أما هؤلاء الضباط المصريون فليس لديهم من سبب يستطيعون الاعتماد عليه للوصول إلى هذه المناصب الرفيعة إلا الاجتهاد والتفوق . ومع ذلك فلم يكن مانالوه من تفوق يعادل مازعمه الأتراك من نبل المحتد ورفعة الأصل .

أما من ناحية ثقافة ضباط الجيش المصرى واستعدادهم الحربى فلم تكن تقارن بثقافة الضباط الأوربيين فى ذلك الوقت . ولكنهم أرقى من ضباط سائر الجيوش الشرقية وقتئذ مثل تركيا وغيرها من الدول .

الفصل الثالث عشر

الجيش ومقاومة تجارة الرقيق

الجيش المصرى ومقاومة تجارة الرقيق

إشترك الجيش المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى حروب عديدة ، بعضها كان لمعاونة الباب العالى فى حروبه مع الروسيا أو لإخماد الثورات التى نشأت فى بعض المناطق الخاضعة للحكم التركى . والبعض الآخر كان لمساعدة فرنسا فى المكسيك أو التوسع فى السودان وما نتج عنه من توتر العلاقات بين مصر والحبشة وقيام الحرب بينهما فى النهاية . هذا بالإضافة إلى ماقام به الجيش من كشوف جغرافية بالسودان . وسوف لا أتعرض فى بحثى هذا لتفصيلات تلك الحروب لأن هذا موضوع بحث آخر (١) . وسأقتصر على ذكر الفتوحات التى لها علاقة وطيدة بمقاومة تجارة الرقيق التى سأتناولها بالبحث .

من الأعباء التى ألقيت على عاتق الجيش فى عصر اسماعيل القضاء على تجارة الرقيق . ولم تكن مشكلة الرق وليدة عصر اسماعيل ، بل بدأت قبل عصر محمد على بأمد طويل ، فى الوقت الذى تمكن فيه العرب من تأسيس ملكهم فى النوبة وسنار ودرافور وكردفان . وقد ساعد على إنتشار هذه التجارة فى عصر محمد على نظام الاحتكار الذى فرضه على التجارة فيما عدا تجارة الرقيق . وهذا الإجراء جعل الطامعين فى الربح يقبلون على تجارة الرقيق التى ظهرت وحدها حرة (٢) ، كما أن إلغاء نظام الاحتكار كان له نفس الأثر على هذه التجارة ، إذ شجع الإلغاء المغامرين على تكوين قوة مسلحة من الزنوج المعروفين باسم

---

(١) ورد ذكر بعض تلك الحروب فى كتابى « مصر والمسألة الشرقية » .

(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الاستاذ محمد فؤاد شكرى « صفحة من تاريخ مكافحة الرق والنخاسة فى السودان » ص ٢٠٤

(البازنجر) ، بعثوها إلى بلاد الدنكة والشلك بجهات مديرية فاشودة ، واتخذوا لهم فيهـــا مشارع، وشيد كل واحد منهم فى مشارعه مراكز مخصوصة تسمى بالديوم (واحداها ديم) ، يجمع فيها جنوده المسلحة وتجارته التى يجلبها من مشارعه وينقلها إلى الخرطوم على سفنه . وبذلك صار لهم نفوذ وسطوة عظيمة فى تلك الجهات (١) » .

وفى أواخر القرن الثامن عشر فى انجلترا أخذت جماعة الكويكرز تجاهد فى سبيل إبطال الرق حتى استطاعت إصدار قانون من البرلمان الانجليزى بتحديد يوم أول أغسطس سنة ١٨٣٤ لتحرير جميع الأرقاء فى كل الممتلكات البريطانية مع دفع تعويض لمواليهم (٢) .وحذت حذوها الدول الأوربية الأخرى مثل فرنسا والدنمرك والسويد وهولاندة . ثم اتجهت بريطانيا بعد ذلك صوب العـــالم الاسلامى محاولة إبطال تجارة الرقيق ، فأملت على السلطان عبد المجيد أن ينص فى فرمان سنة ١٨٤١ على إبطال هذه التجارة التى تتنافى مع المبـادىء الانسانية . ولكن محمد على ظن أن المقصود بهذا منعه من تجنيد الأرقـــاء عن طريق الغزوات (٣) . ولم يكن هدف انجلترا من وراء ذلك تحقيق المبادىء الانسانيـة بقدر ما كان لتحقيق أطماع إستعمارية بعيدة المدى.

وقد أحدثت هذه الضجة القائمة حول الرق أثراً فى نفس محمد عـلى ، فسار على سياسة تقييد هذه التجارة، لأنه أدرك إستحالة إلغائها دفعة واحدة. فأعلن فى

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٦

(٢) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٣٠٤

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٥

سنة ١٨٣٨ إلغاء الرق فى السودان وإبطال الغزوات ، ولكن مع ذلك ظلت حكومة الخرطوم ترسل الغزوات لجمع الرقيق لما تجنيه من وراء ذلك من أرباح طائلة (١) .

وقد نشطت هذه التجارب نشاطا كبيرا فى عصر عباس وسعيد نتيجة لضعف الحكمداريين بالسودان فى الفترة مابين سنة ١٨٤٨ و ١٨٦٣ . فأسس بعض المغامرين فى ذلك الوقت شركات لهذه التجارة أهمهم أحمد موسى العقاد ، وعلى أبو عمورى ، والزبير رحمت ، وكوتشك على ، وغطاس باسيلى ، وحسب الله ، وسركيس ، وخليل سامى ، وبارثليو ، وديبونو ، وجون بتريك . وعند زيارة سعيد للسودان فى يناير سنة ١٨٥٧ أمر ببناء محطة عسكرية على نهر السوباط لمنع تجارة الرقيق ومطاردة المشتغلين بها (٢) .

ولما تولى اسماعيل ولاية مصر فى سنة ١٨٦٣ كانت تجارة الرقيق مزدهرة إزدهارا عظيما ، حتى أصبح الرق فى أوائل القرن التاسع عشر متغلغلا فى كيان السودان الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، لدرجة يتعذر معها منعه أو محاولة تحريم النخاسة من غير حدوث إنقلاب أو قيام ثورة خطيرة (٣) . بل كانت حكومة السودان تساعد شركات الرقيق على هذا العمل، فاستطاع أحد مؤسسى هذه الشركات ويدعى العقاد من الحصول فى سنة ١٨٦٨ من حكمدار عام السودان على حق إحتكار هذه التجارة فى مساحات واسعة بأعالى النيل تبلغ ٩٠٫٠٠٠

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة «صفحة من تاريخ مكافحة الرق والنخاسة فى السودان» ص ٢٠٥

(٢) المصدر السابق

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٦٨

ميلا مربعا على طول ضفاف النيل المرتفعة ، لمدة أربع سنوات في مقابل مبلغ ٣٠,٠٠٠ جنيه سنويا (١) .

ونظرا لتغلغل الرق في مختلف نواحى الحياة بالسودان كان من الصعب على والى مصر الجديد إلغاءه طفرة واحدة ، وكان غردون يرى هذا الرأى إذ كتب لأخته أثناء اقامته الأولى بالسودان لحكمدار مديرية خط الاستواء يقول « لقد أذن الله لتجارة الرقيق أن تعمر سنين عديدة فالأهالى مطبوعون عليها . وأرى أنه بفتح تلك البلاد تزول تجارة الرقيق من تلقاء نفسها (٢) » . وقد سارت الحكومة على هذه الخطة بالفعل ، فسنجد أن التوسع فى السودان أملته إعتبارات خاصة تتعلق بالتضييق على تجار الرقيق ، واستيلاء الحكومة على المنافذ التى كان يستخدمها الجلابون فى تهريب تجارتهم غير المشروعة .

وعقب تولية اسماعيل الحكم مباشرة أصدر أوامر مشددة إلى موسى حمدى حاكم السودان العام وقتئذ بمطاردة تجار الرقيق والقبض عليهم وعتق مايضبط معهم من أرقاء (٣) . كما أمره بمراقبة مرور التجارة بالنيل مراقبة دقيقة عن طريق قوة عسكرية من الجنود المقيمين بالخرطوم توزع على طول النيل الأبيض. فوضع فى كاكا حامية مكونة من ألف جندى ، وأنشئت عدة مراكز عسكرية أخرى على طول النيل الأبيض . هذا فضلا عن أربع بواخر أرسلتهم الحكومة

---

1 - Shukry : The Khedive Ismail and Slavery in Sudan P.148 .

2 - Gordon , letters of Gen. Gordon to his Sister P.90

(٣) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ١ ص ٣١٠

المصرية إلى الخرطوم للمساعدة فى مطاردة تجار الرقيق (١) . وقد كاف حكمدار السودان بتقديم تقرير دورى إلى المسئولين فى مصر عن حركة الملاحة فى هـذا النهر . وكان يقوم بعمله رجال الحاميات المقيمون فى المراكز العسكرية عـلى ضفاف النهر . وفيما يلى أحد هذه التقارير التى أرسلت إلى الخديو فى ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ (يناير ١٨٦٣ (٢)) :

تجار وسائحون

نفر	
٢	أبناء ترك
٢١	أولاد عرب
١٠	أورباويين (٢ تاجر و ٨ سائح)

انفار

٢٤٨٢	أتباع التجار
٧٩٨	نوتية المراكب

عدد	
٨٦	مركبا
١٠	خيول

وقد ضيقت الحاميات العسكرية القائمه على ضفاف النيل الخناق عـلى الجلابة

1 - Shukry , The Khedive Ismail and Slavery .. P.136

(٢) محفظة رقم ٢٩ (معية تركى)وثيقة رقم ٣٥٣ من موسى حمدى حكمدار السودان الى حضرة صاحب السعادة مهردار الخديو فى ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ [يناير ١٨٦٣] .

(تجار الرقيق) . فحاول هؤلاء تصريف تجارتهم عن طريق موانى البحر الأحمر . ولذا رأت الحكومة المصرية أن تطلب إلحاق ميناءى سواكن ومصوع بمديرية التاكة التابعة للحكومة المصرية . وبعد مفاوضات طويلة [١] وافق الباب العالى على إلحاقهما [٢] فى سنة ١٨٦٥ (١٧ رمضان سنة ١٢٨١) . وتم تسليمهما للخديو فى سنة ١٨٦٦ [٣] . وكذلك سلمت مديرية كسلا فى مقابل ٧٥٠٠ كيسة (٣٧٥٠٠ جنيها مصريا [٤]) . واستطاع والى مصر اسماعيل بعد مفاوضات أخرى مع الباب العالى إلحاق ميناء زيلع بالأراضى المصرية بمقتضى خط شريف أصدره الباب العالى فى غرة يوليه سنة ١٨٧٥ (١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢) ، نظير دفع مبلغ خمس عشرة ألف ليرة عثمانية سنويا [٥] . وامتلاك الخديو لزيلع دفعة إلى الاستيلاء على بربره ، والاندفاع منهــا نحو الجنوب بمحاذاة الساحل الشرقى لأفريقيا إلى أن وصل إلى قسمايو ، وذلك لكى

---

(١) دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٧٦١ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ٢٧ رجب سنة ١٢٨١ [١٨٦٤] و دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٧٨٨ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ١٩ شعبان سنة ١٢٨١ [١٨٦٥] .

(٢) دفتر ٢١ عابدين وثيقة ٨١٣ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ١٧ رمضان سنة ١٢٨١ [١٨٦٥] .

(٣) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الدكتور محمد صبرى فى نقد مصر إجمالا ١٢٨١ ص ٦٩ .

(٤) مجلة الجيش المجلد الثامن العدد ٣٢ . مقالة « الحملة المصرية فى حرب الصرب سنة ٧٥ ـ ٧٦ ص ١٤٧ » .

(٥) دفتر ٤٣ عابدية رقم ٣٨٣ من إبراهام باشا إلى المعية السنية فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ [١٨٧٥] . وقاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٧ .

يضرب حصارا قويا على تجارة الرقيق ، ولغلق جميع المنافذ التى كانت تتسرب منها هذه التجارة إلى خارج السودان .

ويمكننا القول بأن مصر « منـــذ سنة ١٨٦٩ بدأت تنظر إلى النخاسة والنخاسين كخطر سياسى تخشاه ، ولكنها لاتريد استعمال العنف لمحاربة النخاسة إلا عند الضرورة القصوى[1] » . وكان للوسائل الحربية التى اتخذتها الحكومة فى تضييق الخناق عـــلى تجارة الرقيق فى جهات السودان الشمالية ، أن نزح هؤلاء التجار إلى أقاليم النيل الأعلى حول غندكرو وبحر الغزال، وهما من أهم مواطن الرقيق فى ذلك الوقت فاضطر الخديو اسماعيل إلى تسيير حملة إلى هذه الجهات : الأولى على رأسها السير صمويل بيكر إلى أعالى النيل ، والثانية بقيادة الحاج محمد البلالى إلى بحر الغزال للقضاء على هذه التجارة فى مواطنها الأصلية .

حملة السير صمويل بيكر

قام السير صمويل بيكر الرحالة الانجليزية فى أواخر ديسمبر سنة ١٨٦٢ برحلة لكشف منابع النيل على حسابه الخاص. وفى خلالها اكتشف بحيرة البرت نيانزا . وبعد عودته من هذه الرحلة صور للشعب الانجليزى ما يفعله الجلابون فى أواسط افريقيا من فظائع جسيمة . فثارت ثائرة جمعية مكافحة الرق Anti Slavery Society وهذه بدورها أثارت الرأى العـــام الانجليزى . فاضطرت الحكومة الانجليزية تحت ضغط الرأى العام إلى التدخل لدى الخديو اسماعيل لتشجيعه على إتخاذ إجراءات فعالة لمكافحة هذه التجارة الشائنة . وفضلا عن ذلك فقد ألح ولى عهد إنجلترا (الملك ادوارد السابع فيما بعد) على تعيين السير صمويل بيكر

(١) الدكتور محمد صبرى . الامبراطورية السودانية فى القرن ١٩ ص ٢١ .

حاكما عاما على مديرية خط الاستواء ، واعطائه السلطة التامة للقضاء على الرق •
والواقع أن السير صمويل بيكر قد فرضته الحكومة الانجليزية على الخديو (١)
فاضطر إرضاء لإنجلترا الى قبوله ، فأبرم معه عقدا لمدة أربع سنوات بمرتب
سنوى قدره عشرة آلاف جنيه انجليزى نظير قيادته للحملة العسكرية المزمع
ارسالها الى أعالى النيل • وفيما يلى نص الخطاب الذى أصدره الخديو بتعيينه(٢):

بعد المقدمة • تؤلف حملة لإخضاع النواحى الواقعة فى جنوب غندوكرو
لسلطتنا ، ولإبطال النخاسة وايجاد تجارة منظمة • ولفتح طرق الملاحة مع
البحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء ، ولإقامة خط من النقط العسكرية
ومستودعات للتجارة يبعد بعضها عن بعض مسافة ثلاثة أيام للماشى فى أنحاء
أفريقيا الوسطى ابتداء من أول ابريل سنة ١٨٦٩ ، وقلدناه حقوق السلطة المطلقة
حتى السلطة المتعلقة بحياة واعدام كل من له علاقة بالحملة • وقلدناه كذلك نفس
هذه السلطة على كل النواحى التابعة لحوض النيل جنوب غندوكرو • كذلك
منح السير صمويل بيكر الحق فى إدارة شئون هذه البلاد التى ستلحق بمصر طبقا
للنظم العسكرية ، وحق ترقية العساكر والضباط المرافقين له الى رتبة صاغقول
أغاسى (رائد) (٣) •

---

(١) عمر طوسون تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٣ •
(٢) الدكتور محمد صبرى • الامبراطورية السودانية فى القرن ١٩ ص ٣٦ •
(٣) دفتر ٥٧٣ [معية تركى] وثيقة رقم ٥٦ ص ٢١٧ من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية فى ٤ صفر سنة ١٢٨٦ [١٨٦٩] •

تشكيل الحملة

تألفت الحملة من ١٦٤٥ جنديا ، منها ٢٠٠ من الفرسان غير النظاميين ، وبطاريتان من المدافع . أما قوة المشاة فكانت تتألف من أورطتين (كتيبتين) إحداهما سودانية اختيرت من أحسن الضباط والجنود الذين خدموا عدة سنوات فى حرب المكسيك تحت قيادة المرشال الفرنسى بازين Pazine . أما الأورطة الثانية المصرية فكان معظمها من المجرمين الذين أبعدوا عن مصر لارتكابهم جرائم عديدة (١) . وجهزت الحملة بمدافع جبلية مششخنة (ذات ماسورة حلزونية) من البرونز تزن ماسورة المدفع ٢٣٠ رطلا وتزن قذيفته ٨¼ من الأرطال و ٢٠٠ صاروخ هال Hale زنة ثلاثة أرطال و ٥٠ بندقية من طراز سنيدر و ٥٠٫٠٠٠ طلقة (٢) .

وصحب السير صمويل بيكر زوجته وابن أخيه الملازم جوليان بيكر Jullien Alleyne Baker، وسكرتيره ومهندس ملكى، ورئيس مخازن، ومترجم، ورئيس مهندس البواخر ، ورئيس بنائى البواخر وغيرهم (٣) . وأرادت الحكومة المصرية أن تكون الحملة بعثة لنشر المدنية والحضارة فى أواسط أفريقيا بينما أصر السير صمويل بيكر على اعتقاده الخاطىء بأنها مجرد حملة حربية أرسلت للحرب (٤) . وقد أدى تشبثه باعتقاده هذا إلى استعمال سياسة العنف والتعسف التى أغضبت أهالى السودان .

---

(1) Baker ; Ismailia P.8

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٧

(4) Shukry , The Khedive Ismail & Slavery .... P 162

أقلعت الحملة من السويس فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩ متجهة صوب ميناء سواكن حيث نزلت بها واتجهت صوب بربر على النيل حيث استقلت باخرتين إلى الخرطوم (١) . وفى فبراير سنة ١٨٧٠ أبحر السير صمويل بيكر من الخرطوم ومعه ٨٠٠ جندى على ظهر باخرتين و ٣١ مركبا شراعيا ، فوصل إلى فاشودة التى تبعد ١٠٠٠ كيلو متر تقريبا عن الخرطوم (٢) . وقد استعمل بيكر منتهى الشدة فى القضاء على تجارة الرقيق لا مع تجار الرقيق فحسب ـ ، بل وضد الزنوج الوادعين من أهل تلك البلاد (٣) » . كذلك كانت حاجته المستمرة إلى المؤن سببا آخر لكره الأهلين له (٤) . ويصور لنا الضابط الايطالى جيسى ما ناله أهالى اللادو على يدى بيكر بقوله « نزلت بسكان اللادو ويلات كثيرة أيام السير صمويل بيكر منها أنه هبط ذات يوم أرض المدينة ومعه ثلاثمائة جندى وفاجأ الأهالى ، واستولى على إثنى عشرة ألف من البقر ، وحمل معه فى نفس الوقت كل ما لديهم من محصول الذرة . ومنذ ذلك الوقت إزداد فقر المدينة التى تحتاج إلى سنوات عديدة كى تستطيع إستعادة ما كان لديها من بقر وهو المصدر الوحيد لثروتها (٥) » . ويؤكد الضابط جيسى هذه الواقعة وغيرها من الوقائع بقوله « وقد علمت بهذه الأخبار من استعلاماتى التى حصلت عليها من الوطنيين ،

---

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء جـ ١ ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٣) محمد أحمد الجابرى : فى شأن الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله ص ٤٥

(4) Shukry , Khedive Ismail & Slavery p.169

(5) Gessi , Seven Years in the Sudan p,91

وكذلك من الضباط والجنود الذين اشتركوا فى هذه الأعمال (١) . وهـــذا التصرف من جانب السير صمويل بيكر يعتبر مخالفة صريحة لأوامر الحكومة المصرية التى كانت تقضى بعدم التعرض للأهالى (٢) بسوء . ودفعته حاجته إلى المؤن والرجال إلى الاتفاق مع شركة العقاد (أحد تجار الرقيق) على أن يقوم بامداده بالحبوب والماشية فى غندكرو ، وتزويده بثمانية عشرة ألف جندى غير نظامى إذا ما نشبت بينه وبين الوطنيين حرب (٣) ، بالرغم من علم بيكر بالطرق غير المشروعة التى يستعملها العقاد فى الحصول على هذه المحاصيل والرجال . ومن أمثلة ما قدمه أبو سعود (مندوب العقاد) إلى بيكر فى يونية سنة ١٨٧١ بمدينة غندكرو من ماشية وحبوب أخذها عنوة من قبيلة «شير» بعد قتال عنيف (٤) . وبلغ عدد الابل التى استولى عليها بيكر نتيجة غزواته التى شنها على الأهالى ٣٠٠ ألف رأس من الماشية (٥).

ولقد تعهد السير صمويل بيكر للخديو اسماعيل بانشاء عشر نقط عسكرية جنوب غندكرو إلى منابع النيل . على أن يكون البعد بين كل نقطة وأخرى مسيرة ثلاثة أيام حتى يضمن بذلك مواصلاته مع غندكرو . ولكن بيكر لم يستطع إنشاء هذه المحطات العشر ، وبرر قصوره هذا بنقص عدد الجنود التى زود بها عما

---

(1) Gessi , Seven Years in the Sudan P.82 .

(2) Shukry , The Khedive Ismail and Slavery .... P. 169

(٣) المصدر السابق ص ١٦٧

(٤) المصدر السابق ١٦٩

(٥) المصدر السابق ص ١٧٠

أتفق عليه بمقدار ٣٥٠ رجـــلا . بل إن عدد الجنود الذى كان تحت إمرته فى غندكرو وقتئذ قد إنخفض من ١٢٠٠ رجل إلى ٥٠٠ رجل. وعلى ذلك فلم يشأ أن يترك أقل من ٣٤٠ مقاتل بمركز قيادته (غندكرو) . فأصبح مافى حوزته من جنود ٢١٢ بين ضابط وجندى ليبدأ بها رحلة طويلة غير مأمونة العواقب(١) . وفيما يلى بيان بالمحطات العسكرية التى أنشأها بيكر : شكل (١)

محطة التوفيقية . بدأ بيكر بانشاء هذه المحطة العسكرية فى ٢٣ ابريل سنة ١٨٧٠ عند ملتقى نهر سوباط بالنيل الأبيض (٢) فى غابة تقع فى الشرق على مرتفع من الشاطىء . وفى هذا المكان أقام تلك المحطة على أرض ثابتة ومرتفعة لاتعلوها مياه الفيضان. فضلا عن أن هذه الغابة ستكون ينبوعا لاينضب يستورد منه مايلزم من الأخشاب للبناء والوقود (٣) . وقد أطلق عليها اسم التوفيقية نسبة إلى ولى العهد محمد توفيق . وقد اصطفت خيام الجنود فى صفوف مستقيمة وحفرت خنادق حولها من جميع الجهات ، وجعل للمحطة ميناء على النهر طوله ٥٠٠ ياردة ليرابط به الأسطول النهرى (٤) . وتقع هذه المحطة فى منتصف الطريق بين الخرطوم وغندكرو (٥) . وقد أصبح لها أهمية كبرى إذ سدت مدخل النيل الأبيض فى وجه تجار الرقيق .

---

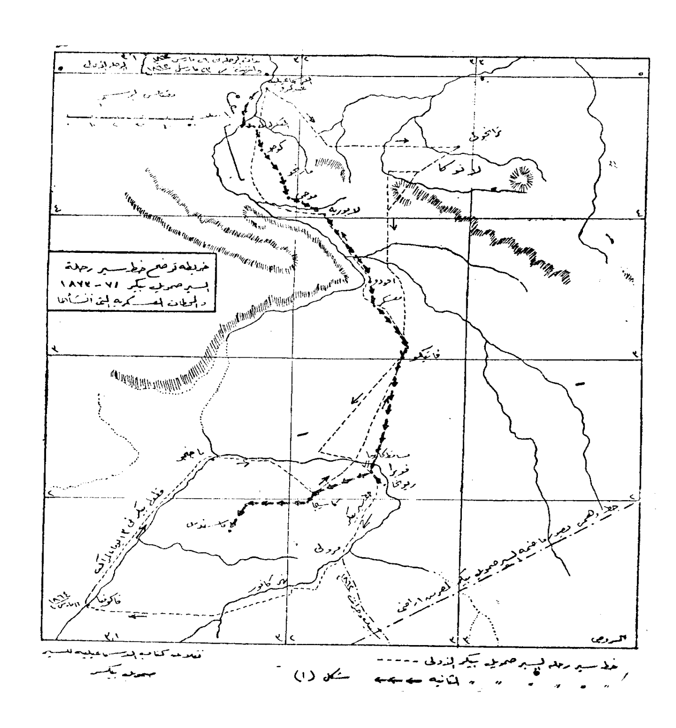
(1) Barer ; Ismailia P.217

(٢) نعوم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث ص ٥٣

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢٨

(4) Bakea ; Ismailia p.51

(٥) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٢٩


خريطة توضح خط سير رحلة
السير صمويل بيكر ٧١-١٨٧٢
والحملات العسكرية التي أنشأها
خط سير رحلة السير صمويل بيكر الأولى -----
" " " " " الثانية

شكل (١)

محطة غندكرو (الاسماعلية) : وصل السير صمويل بيكر إلى غندكرو فى ١٥ ابريل سنة ١٧٨١ . وفى ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ أعلن بصفة رسمية ضم مديرية خط الاستواء إلى الأملاك المصرية فى حفل مهيب ، ورفع العلم المصرى عالية فوق غندكرو (١) . وفى أثناء إقامته بها هاجمه الأهالى ليلا فأمر بيكر باتخاذ الاجراءات اللازمة نحو تحصينها . فحفر خندقا ، حول نشز من الأرض مقام عليه المخازن ، ومنصوب فوقه ستة مدافع (٢) ، . كما أقام مساكن لجنوده ، ووضع تصميما لبناء إستحكامات بها ، وكاف المستر هيجنبوتام Higginbotham كبير المهندسين بتنفيذه (٣) . وبذلك أصبحت حامية غندكرو بمأمن من هجمات الأهلين .

محطة الابراهيمية (أفودو Affouddo) : بينما كان بيكر ميمما وجهة شطر « فاتيكو » وصل فى ٢ مارس سنة ١٧٨٢ إلى سهل متسع جميل أطلق عليه إسم الابراهيمية نسبة إلى ابراهيم بن محمد على، وكان يعرف لدى الأهال باسم أفودو. ويقع هذا المكان على مسافة ستين كيلو مترا من محطة لابوريه (٤) . وعلى خط ٣٢° ٣° وجعله فى حراسة قوة صغيرة (٥) .

محطة فاتيكو : تقع هذه المحطة على خط عرض ٢° ٣° شمالا وعلى بعد

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧

(٢) المصدر السابق ص ٤٩

(3) Baker ; Ismailia P. 151 .

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج١ ص ٦٥

(5) Ismailia p. 217

مائة ياردة إلى الجنوب من محطة أبى سعود (أحد تجار الرقيق) ، وبدى فى بناء تحصيناتها فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٢ ، وتم العمل بها فى ٢٥ ديسمبر من نفس السنة ، بسبب يبوسة وصلابة الطبقـــة التى تحت سطح الأرض يبوسة وصلابة متناهية(١)، . ويقع الحصن على أرض مرتفعة ويق ظهره صخورعالية (٢) .. ويرتكز هذا الحصن الذى يحميه خندق عرضه ثمانية أقـــدام وعمقه ثمانية أقدام كذلك على صخرة تشرف على البلد (٣) ، ، وشيد بداخلها مخزن للبارود من الحجر الشديد الصلابة(٤) ، وسقفه من الأسمنت . وفاتيكو من المحطات التى يتولى حمايتها جنود نظاميون (٥) .

محطة فويرا : تقع فويرا على خط عرض ٦° ٢° شمالا فى مكان معسكر سليمان بن الزبير القديم . وعندما وصل اليهـــا بيكر فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٧٢ استخدم الاخشاب التى كانت مستعملة فى حظيرة سليمان القديمة فى عمل حواجز. ثم غرست أوتاد طويلة من الخشب القوى فى الأرض ، بحيث ما يبقى منهـــا ظاهرا فوق سطح الأرض يكون إرتفاعه نحو ٧ أقدام ، وأن تسد فرجة الخمسة وعشرين سنتيمترا الفارقة بينها بألواح طويلة توضع بالعرض الواحد فوق الآخر. وأن تشاد طابيتان فوق كل زاوية من زوايا المربع لحماية واجهة الحصن عـــلى وضع منحرف (٦) ، وكان بهذه المحطة من الجنود غير النظاميين ٦٥ مقاتلا

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٧٩

(2) Bakea ; Ismailia P.280

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٧٩

(4) Baker ; Ismailia p 280

(٥) المصدر السابق ص P. XVI

(٦) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٩٠

ثم زاد عددهم بعد ذلك ١٧ مقاتلا ، فأصبح مجموعهم ٨٢ (١) .

محطة ماسندى : هذه عاصمة اقليم « اونيورو » وهى عبارة عن « نجد غير مستوى السطح يمتد منه البصر إلى مسافات شاسعة، وتحجب الأفق الغربى منه على بعد ٨٠ كيلو مترا سلسلة جبال ممتدة على شاطىء البرت نيانزا ، وتغطى الأعشاب الطويلة كل مكان فى ذلك النجد (٢) » . وعندما وصل اليها السير صمويل بيكر فى ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٢ وقع إختياره على موقع تحت شجرة ضخمة أقام بها معسكر الجنود . وتقع هذه البقعة على خط عرض ٥٤° ١° على مسافة ٧٩ ميلا من فويرا و٣٢٢ ميلا من الاسماعيلية(٣) (غندكرو) . ونظرا لما يكنه الأهالى من كره لبيكر فقد قام ببناء حصن على شكل دائرة يحميه مرتفع من التراب ، ويحيط به خندق اتساعه ١٠ أقدام ، وعمقه ٧ أقدام ، وطول القطر الخارجى ٦٠ قدما ، والقطر الداخلى ٣٦ قدماً . وبمعاونه الملازم بيكر إستطاع تخطيط الرسم على الأرض وبدأت قوات الحملة تعمل بهمة ونشاط عظيمين فى أعمال الحفر والبناء. وقد استخدم فى بنائه كتل من الاخشاب القوية طول الواحدة تسعة أقدام . وبداخل الحصن ثلاث حجرات واقية من الحريق لحفظ المؤن والذخائر . وكل حجرة من هذه الحجرات مبنية من أقوى الأوتاد ، وفوقها سقف من الكتل السميكة المغطاة بطبقة من الطين الرطب والقش بلغ سمكها قدما واحدا. وتم هذا العمل فى أربعة أيام قضاها الجنود فى عمل مستمر . (شكل ٢)

---

(1) Baker ' Ismailia p.292

(٢) المصدران السابقان .

(٣) المصدر الأخير.

وفى أواخر مدة خدمة السير صمويل بيكر أراد الخديو اسماعيل أن يستميل إنجلترا إلى جانبه حتى لا تقف فى طريق توسعه فى أواسط أفريقيا فعقد معها فى ١٨ مايو ١٨٧٣ إتفاقيـة لتسهيل مراسلات البريد ما بين البلاد المصرية والانجليزية ومستعمراتها (١) . وقد اشتملت الاتفاقية على ٢٨ بندا تتعلق جميعها بالشئون الخاصة بالبريد .

وعاد السير صمويل بيكر إلى القاهرة فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٢ بعد أن إنتهى من مهمته ، فمنحه الخديو اسماعيل النيشان المجيدى من الدرجة الثانية مكافأة له على خدماته (٢) ، وقد بلغت نفقات الحملة ٨٠٠,٠٠٠ جنيها مصريا (٣) . وقد أثقل هذا المبلغ كاهل الميزانية المصرية فى نفس الوقت الذى كانت تعانى فيه مصر ضيقا ماليا شديدا .

نتائج الحملة

لحملة بيكر نتائج عديدة ، فمن حيث الغرض الذى أرسلت من أجله ، نلاحظ أنه فيما عدا إنشاء المحطات العسكرية فى غندكرو ، وفاتيكو، ومحطة فويرا ، والتوفيقية، فالحملة فشلت فى تحقيق غرضها الرئيسى وهو منع تجارة الرقيق وفتح الاقليم للتجارة ، ووضع سفينة فى بحيرة البرت نيانزا (٤) .

---

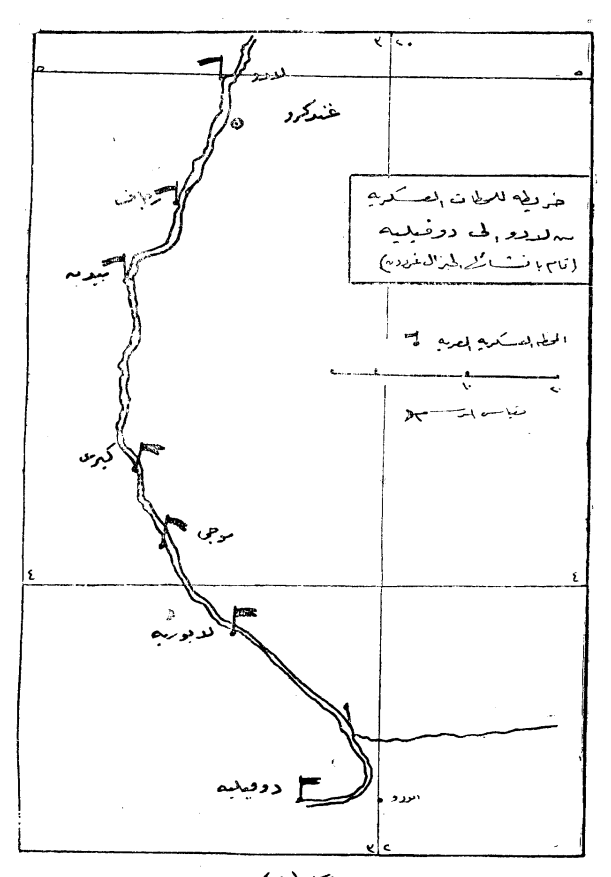
(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٠٤

(٣) تاريخ الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٢١ .

(4) Shukry ; The Khedive p.174

والحكم المصرى فى السودان ص ١٧٦



شكل (٤)

نقلا عن الأصل الذى وضعة غردون سنة ١٨٧٨

أما فيما يتعلق بنتائجها بالنسبة لأهل السودان أنفسهم فقد اعتقدوا أن فى تعيين الخديو اسماعيل لنصرانى لإدارة شئون المسلمين وإبطال الرق ، قد أصاب الدين فى الصميم وزلزل قواعده (١) ، . هذا فضلا عن أن سياسة إحتكار تجارة الأبنوس والعاج قد أضاعت تجارة السودانيين وثرواتهم وجرت عليهم الخراب (٢) . فأصبح الأهالى ينقمون على الحكم المصرى نقمة شديدة . وهذا العداء دفعهم الى التحالف مع تجار الرقيق (٣) . ، وهكذا فلم يمض سوى عام واحد على عودة السير صمويل بيكر من مأمورية خط الاستواء حتى كان قد ضاع كل نفوذ للحكومة فى تلك الجهات ، وبات لا يجرؤ انسان على مغادرة غندكرو دون التعرض لموت محقق ، بسبب عداء قبائل السود المنتشرة حول عاصمة المأمورية (٤) ، .

ومن جهة مصر فتعيينها للسير صمويل بيكر الانجليزى حاكما عاما على منطقة خط الاستواء يعتبر بمثابة فتح ثغرة أمام النفوذ الانجليزى للتدخل فى شئون السودان ، وشئون مصر فى نفس الوقت. كما كان للخطة التى سار عليها أثناء خدمته أثرها الفعال فى تدخل انجلترا وضغطها على الخديو لترشيح غردون خلفا له لتنفيذ أغراضها الاستعمارية البعيدة . فكانت مصر فى هذه الصفقة الخاسرة رغم نبل مقصدها .

---

(١) محمد أحمد الجابرى . فى شأن الله ص ٤٦

(2) Sabry ; L' Empire Egyptienne sous Ismail p.459

(3) Shukry ; The Khedive Ismail and , ... p.174

(٤) المصدر السابق . والحكم المصرى فى السودان ص ١٧٦

حملة البلالى

فى سنة ١٨٦٩ قام من الخرطوم شخص يدعى محمد البلالى على رأس قوة صغيرة تتألف من « مائتين من الجنود السودانيين بقيادة محمد (افندى) منيب وأربعمائة من الباشبوزق وستمائة من الخطرية (١) » . ووضعت القوات غير النظامية تحت إمرة أحد تجار الرقيق ويدعى كوتشوك على بأمر من جعفر مظهر باشا حكمدار السودان العام بعد منحه رتبة اليوزباشى (نقيب) (٢) ، وذلك لمطاردة تجارة الرقيق فى مديرية بحر الغزال . ولم يكتب لهذه الحملة النجاح لإنعدام التعاون بين البلالى ومعاونيه ، وقلة عدد الحملة بالنسبة لما يملكه الجلابون من قوة حربية . هذا فضلا عن سلوكه مسلك التعسف مع تجار الرقيق ،وتوغله داخل منطقة بحر الغزال بعيدا عن مراكز الإمدادات . وانتهت الحملة بهزيمته أمام الزبير والقضاء عليه (٣) . وقد ساعدت هزيمة البلالى على زيادة نفور الجلابين وانتشار تجارتهم . ولكن الزبير خشى مغبة عمله هذا فبادر بتقديم كل البلاد التى فتحها فى بحر الغزال وشكا الى الحكومة المصرية التى كافأته على ذلك بمنحه رتبة البكوية وتعيينه حاكما على بحر الغزال .

غردون ومكافحة الرق

أشار ولى عهد انجلترا على الخديو اسماعيل أثناء مروره بمصر فى طريقه الى

---

(١) محمد أحمد الجابرى . فى شأن الله ص ١١٣

(2) Shukry ; The Khedive Ismail & .... P. 153 .

(٣) المصدر السابق .

الهند بتعيين غردون خلفا لصمويل بيكر (١) ، فأصدر الخديو اسماعيل أمرا(٢) فى ٢ محرم سنة ١٢٩١ (١٩ فبراير سنه ١٨٧٤) بتعيين الأميرالاى (العميد) غردون حكمدارا لمديرية خط الاستواء على أن يكون مستقلا فى حكمها ، وغير خاضع لحكمدارية عموم السودان . ولم يكن مع ذلك مرتاحا لتعيين غردون فى مأمورية بالسودان خيفه أن يكون من ورائه تنفيذ مقاصد إنجلترا التى لاتخفى عليه فعينهوهو كاره (٣) . والواقع أن بيكر وغردون وملكولم (الذى دخل فى خدمة الحكومة المصرية لإلغاء تجارة الرقيق فى البحر الأحمر) قد فرضتهم إنجلترا على اسماعيل فى السودان (٤) . ومديرية خط الاستواء التى عين حكمدارا عليها تشمل الأراضى الخاضعة للحكومة المصرية جنوب فاشودة وما يلحق بها من أقاليم منابع النيل . أما شمال فاشودة فخاضع لحكمدارية عموم السودان .

وفى ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤ أرسل الخديو اسماعيل خطابا بالفرنسية (٥) الى الأميرالاى (العميد) غردون يتضمن تعلماته فيما يتعلق بمهمته فى مديرية خط الاستواء . وتتلخص فى العمل على تنظيم الادارة فى هذه البقعة النائية ، ومراقبة نشاط تجار العاج والرقيق ، وعدم التعرض لحاصلات الأهالى ، إذ أن مثل هذا العمل يدعو تلك القبائل الى سوء الظن بالحكومة فضلا عن أنه مناف لإرادة الخديو الذى يود كسب ثقة الأهال وحسن ظنهم (٦) . كذلك لفت اسماعيل

(١) حقائق الاخبار ج ٣ ص ٣١٧
(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٠٨ .
(٣) إبراهيم فوزى باشا . السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٢
(٤) محمد صبرى . الامبراطورية السودانية فى القرن ١٩ ص ٣٦
(٥) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١١٠
(٦) المصدر السابق . ص ١١٢

نظر غردون إلى ضرورة الاهتمام بتأمين المواصلات بين جنوب السودان وشماله ، وأن يجعل نصب عينيه إقامة خط للنقط العسكرية خلال المديريات التابعة له ، يربطها مع بعضها من طرف الى آخر ، بحيث تستطيع جميعها أن تراسل الخرطوم مباشرة . ويجب أن يتتبع هذا الخط ضفة النيل ويتمشى معهـــا الى أقصى حد ممكن (١) .

والى جانب غردون عين (٢) الخديو اسماعيل الأميرالاى (العميد) محمد رؤوف (بك) قومندانا عامـــا لعساكر مديرية خط الاستواء . واصطحب الأميرالاى (العميد) غردون معه القائمقام (العقيد) شاييه لونج بصفـة رئيس أركان حرب الحملة ، والملازم حسن واصف (افندى)من ضباط أركان حرب الجيش المصرى بصفة ياور لغردون . وغادر غردون ورفاقه القـــاهرة فى ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ (٣) فى طريقه الى مقر عمله الجديد . وأبحروا من السويس الى سواكن ، ومنها بالطريق البرى الى الخرطوم. ثم انحدروا مع النيل جنوبا الى أن وصلوا الى غندكرو عاصمة مديرية خط الاستواء فى ١٧ ابريل سنة ١٨٧٤ . وبوصول غردون اليها أرسل خطابا الى نوبار ناظر الخارجيـة يصف المديرية وحالتها فى ذلك الوقت . فيذكر بأنه وجد فى غندكرو حامية تتألف من ٣٠٠ جندى سودانى و ١٦٠ جنديا مصريا . وفى فاتيكو ٢٠٠ جندى سودانى (٤) وفى فويرا قوة مكونة من ٢٠٠ جندى سودانى من الجيش النظامى (٥) . وقد

---

(١) المصدر السابق ص ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٧

(٣) المصدر السابق ص ١٢٥

(٤) المصدر السابق ص ١٢٦

(5) Abdin. Amr. Vol. No. 10 despt . No. 305 Beardsley to Fish. in Nay 3,1875 .

ذكر أيضا المستر بيردزلى - قنصل أمريكا الجنرال بمصر فى سنة ١٨٧٥ - بأنه حال وصول غردون إلى مديرية خط الاستواء لم يكن بها وقتذاك سوى ٧٠٠ جندى لايجرأون على الإبتعاد عن تحصيناتهم أكثر من مئة ياردة إلا فى جماعات مسلحة تسليحا قويا ، وذلك نتيجة لعداء قبائل البارين للحكومة منذ أيام السير صمويل بيكر (١) .

المحطات العسكرية التى أنشأها غردون

أسس غردون محطة سوباط عند التقاء نهر سوباط بالنيل الأبيض ، ووضع بها بلوكا من الجنود تحت قيادة اليوزباشى (نقيب) محمد (أفندى) أحمد (٢) . ولهذه المحطة أهمية خاصة إذ أنها تشرف على خطوط المواصلات بين الشمال والجنوب ، وتهدد تجارة الرقيق تهديدا مباشرا .

ثم أسس محطة شمبى Shambé على الضفة الشرقية لبحر الجبل حيث توجد زرائب كبار تجار الرقيق مثل أبو عمورى ، وكشك على ، وغطاس وغيرهم . وعين لها بلوكا من الجنود تحت قيادة اليوزباشى (النقيب) مصطفى فتحى (افندى) (٣) .

وفى أثناء رجوع غردون إلى غندكرو فى أواخر أغسطس سنة ١٨٧٤ وجد بمحطة بور ٤٠٠ جندى من الجنود غير النظاميين التابعين لتجار الرقيق فأدخلهم

---

(١) المصدر السابق

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٣١ .

(٣) المصدر السابق .

فى خدمة الحكومة ، وعين على قيادتهم ضابطا سودانيا يدعى آدم (افندى) عامر.

وقد استعان غردون بخدمات بعض الرؤساء المحليين من أمثال ابى سعود ورجاله الذين كانوا يعملون فى خدمة تجار الرقيق وكانت لهم دراية وخبرة بهذا الموضوع . ولكنه خشى أن يسىء هؤلاء الرؤساء إستخدام الجنود النظامية وغير النظامية التى تحت قيادتهم . ولهذا فقد جعل الجنود النظاميين غير خاضعين لهؤلاء الرؤساء غير النظاميين ، بل وضعهم تحت سلطة الضابط النظامى الأقدم رتبة الذى كان عليه أن يرجع فى كل الأمور إلى الحكمدار العام (١) .

ونتيجة للسياسة التى سار عليها غردون فى محاربة الرق ربط أجزاء السودان المختلفة بسلسلة من المحطات التى سنوردها فيما يلى :

غندكرو : عند ولاية غردون لمديرية خط الاستواء سنة ١٨٧٤ كانت حامية غندكرو تتكون من عدد من الجنود السودانيين و ١٥٠ من الجنود المصريين(٢). وقد اختيرت غندكرو منذ حكمدارية بيكر لتكون مركزا للعمليات الحربية فى منطقة خط الاستواء . ولكن هذا الاختيار لم يكن موفقا ، فموقع المحطة الطبوغرافى غير مناسب فمن شهر ابريل إلى منتصف شهر سبتمبر تندفع مياه الامطار من قمم الجبال المحيطة بها وتكون مستنقعات راكدة حول المدينة، فينتشر البعوض ويحمل معه مرض الحمى الذى قاست منه الجنود المصرية الشىء

(١) المصدر السابق ص ١٣٧

(2) Publications of the Egyptian Gen. Staff. Province of the Equator. Summary of letters & reports of H. E. The Governor General P.3.

الكثير ، والذى كان سببا (١) فى موت العديد منهم . ولاتجف هذه المستنقعات إلا ببطء شديد. وفى فصل الصيف يصبح الماء ضحلا فلا تستطيع البواخر والصنادل الاقتراب من الشاطىء إلا بصعوبة . هذا بالإضافة إلى أن الأخشاب اللازمة للطبخ ولوقود البواخر كانت تستجلب من غابة تبعد عن المحطة مسيرة ساعتين . كما أن جوها غير صحى وأرضها رملية غير صالحة للزراعة (٢) . وقد وصفها يونكر Junker أثناء إقامته بها فى نوفمبر سنة ١٨٧٦ بقوله (٣) « كان للمحطة رصيفا عظيما على ضفة النهر ، وبها أكواخ عديدة يأوى اليها الموظفين المدنيون وكذلك الجنود واستعمل بعض هذه الأكواخ كمخازن للمؤن والذخيرة . وخططت شوارعها فى زوايا ضيقة ،وأحيطت بسور من الأشجار ذوات الأشواك تدعمها أوتاد قوية . وقد درأ عنها هذا السور هجمات الوطنيين . وتمتد الأراضى الزراعية التى تنتج الخضروات ، وكذلك أشجار الموز خارج السور » . وتقدر عدد الأكواخ بها مابين ٣٠٠ و ٤٠٠ كوخ . وقد بذل رؤوف بك أثناء إقامته بالسودان كل مافى وسعه ليكفل الراحة التامة لحاميتها (٤) . ونظرا لرداءتها من الناحية الصحية ، ولعدم صلاحيتها من الناحية الاستراتيجية ، نقل غردون مركز عملياته إلى اللادو لجودة مناخها وقربها من الغابات حيث توجد الأشجار اللازمة للوقود .

---

(1) **Gessi** ; Seven Years in the Sudan. **P.**78

(٢) المصدر السابق .

3 - **Histoire de la Nation Egyptienne. Le Soudan Egyptien de Moh. Aly à Ismail Pacha par Henri Dehérain Vol. VI P.497 .**

4 - **Gessi** ; Seven Years in the Soudan **P.** 78

محطة سوباط : أنشأها غردون فى يونيه سنة ١٨٧٤ على نهر سوباط على مسيرة ١٨ ساعة من فاشودة . وهى محطة قوية أقيمت للقضاء على الزرائب الموجودة فى هذه المنطقة وقد أغلقت المحطة النيل الأبيض فى وجه السفن التى تعمل فى نقل التجارة غير المشروعة لتحكمها فى مدخل النهر . ولا يسمح لأية سفينة بالمرور إلا بعد إجراء تفتيش دقيق عليها (١) . والمحطة تتكون من أربعين كوخا أقيمت فى مكان غير مأهول بالسكان ، والأرض التى تقع فيها المحطة منخفضه نسبيا وعرضه للفيضانات (٢) .

ويذكر الضابط المصرى ابراهيم فوزى ـ أحد ضباط غردون هذه المحطة بقوله « لقد أمر غردون بلوكات العساكر وجماعات الأهالى بحفر خندق لمحطة (سوباط) ، وقرر للعمل أجرة فوق مرتبات العساكر لهم وللأهالى مثل ذلك . فلم يمض أسبوعان حتى تم ما أراد ، وشيدت عليه الطوابى كما رسمها . ثم أنشأ مركزا للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا هو اليوزباشى (النقيب) محمد أحمد (افندى) وأمره بحسن المعاملة والرفق بالأهالى ، وشدد عليه فى منع تجارة الرقيق وعدم مرورها عليه (٣) » .

وفى أواخر سنة ١٨٧٤ بلغت عدد حامية نهر سوباط ٥٠ جنديا سودانيا نظاميا(٤) وبإنشاء هذه المحطة حاول تجار الرقيق فى أعالى بحر الزراف فى المحطات أ، ب،

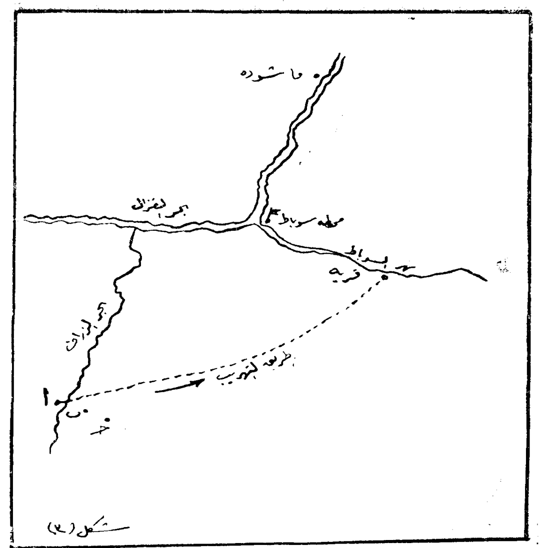
---

1 - Shukry ; The Khedive Ismai & .... P. 194 & 195.

2 - Gessi , Seven Yerrs in the Souean P.26

(٣) الأميرالاى ابراهيم فوزى باشا . السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٦ .

4 - Publications of .. Province of the Epuator· Summary of Letters & Reports of the Epuator P. 32 .



مقدمة كتاب

Provinces of the Equator

By

H. E. Gordon

جـ تفادى إرسال شحنات العبيد عن طريق بحر الزراف وبحر الغزال حتى لا تمر على محطة سوباط العسكرية . فسلكوا طريق الغابات إلى موضع القرية المبينة على نهر السوباط شكل (٣) . وبهذه الحيلة استطاعوا الهروب بتجارتهم الشائنة وتفادى محطة سوباط . فلما علم غردون بخطتهم هذه دهمهم فى المحطات السالفة الذكر أ ، ب ، جـ وقبض عليهم وأطلق سراح العبيد الموجودين بالزرائب (١)

محطة نصر : تقع هذه المحطة على نهر سوباط وكان الغرض من إقامتهـــا الاشتراك مع محطة سوباط فى مراقبة التجارة فى النيل الأبيض وبحر الغزال وبحر الزراف . وعدد حاميتها ١٠٠ جندى من الدناقلة غير النظاميين (٢) .

محطة شمبى : أنشأها جيسى سنة ١٨٧٥ بأمر من الجنرال غردون فى مكان غير مأهول بالسكان ، وبذل جهوداً كبيرة فى استجلاب الأهالى ليقيموا بجوارها وليساعدوه فى بناء الأكواخ والمخازن وإمـــداد الجنود بالذرة واللحوم من غندكرو . وقد انتعشت هذه المحطة بعد مدة وجيزة من إنشائها (٣) . وتم حفر الخندق المحيط بها فى مدة ٢٠ يوما وأنشأ هناك مركزا ترك بـــه اليوزباشى (النقيب) مصطفى (افندى) فتحى بيلوكه وسماه مأمور جهات شانبيه (٤) وأمره بمنـع تجـارة الرقيق ، وإبلاغ الأهـــالى بأنهم أصبحوا تـابعـين لسلطـة الحكومة المصرية (٥) .

---

1 - Summary of Letters .... P.10 .

(٢) المصدر السابق ص٣٢ وتاريخ مديرية خط الاستواء ص١٥٢

3 - Gessi ; Seven years P.203

(٤) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٨

(٥) المصدر السابق

محطة مكراكا : تقع فى بلاد المكراكا (نيام نيام) وتمتاز هذه المنطقة بكثرة الجبال وغزارة الماء ووفرته . وسكانها « من آكلى لحوم الإنسان (١) » ، وقد جندتهم الحكومة . وبدخولهم فى سلك الجندية أصبح « إقبالهم عـــلى التغذية بلحوم البشر يقل بسبب وفرة اللحوم من جهـــة ، وصعوبة الحصول على اللحم البشرى فى محطة من محطات الحكومة من جهة أخرى (٢) » .

وفى أواخر سنة ١٨٧٤ كان بها حامية تتكون من ٢٠ جنديا سودانيا نظاميا و ٢٠٠ من الدناقلة (٣) . ثم أصبحت هذه المحطة تكون المركز (المديرية) التاسع ويتبعه عدة محطات عسكرية أخرى هى : كابانيدى وهى عاصمة المركز ، وواندى ، وكودورما Kudurma ، ومديرفى Mdirfi ، وريمـــو Rimo ، ومكراكا الصغيرة ، وجوزا Gosa ، وكاليكا Kalika ، وواتاكو Watako وكوروبيك Korobek ، وجاندا Ganda ، واومبمبا Ombimba ، ونونجوما Nuguma ، ودانجو Dango ، ودانجو الكبيرة (٤) .

وكان بكل نقطة من هذه النقط العسكرية ٣٠ جنديا نظاميا مسلحين ببنـادق رومنتجون ، وحوالى ٥٠ جندى غير نظامى من المحاربين الذين خدموا تجـــار الرقيق والعاج . وبعض الجنود المسمون بالبازنجر وهم من الأهـــالى السود

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ س ٦٤ .

(٢) المصدر السابق س ٦٥

3 Summary of letteas and Reports P.32

(٢) تاريخ مديرية خط الأستواء ج ٢ س ٦٥

المجندين محليا (١) . كذلك عينت الحكومة بعض المترجمين فى نقط معينة كجنود اتصال بين قائد النقطة ورؤساء القبائل (٢) .

محطة بور : تقع هذه المحطة فى قرية بور شرق النيل الأبيض شمال غندكرو وأرض هذا المركز تكثوها الغابات الكثيفة بالأشجار ، وفيها عدا بور لا توجد أى محطة عسكرية أخرى فى مركز جور (٣) . وقد بناها الضابط الإيطالى جيسى فى ١٨ أغسطس ١٨٧٤ (٤) ، ووضعت بها حامية تتكون من ١٠ جنود سودانية نظامية ، و ١٥٠ جنديا من الدناقلة (٥) . ويذكر الأميرالاى (العميد) إبراهيم فوزى أنه كان بالقرية المذكورة قبل إنشاء المحطة ٤٠٠ من العساكر المسلحين الذين يعملون فى خدمة تجار الرقيق ، فأدخلهم غردون فى خدمة الحكومة ، وكون من بور والأراضى المحيطة بها مديرية بور ، وجعل آدم (افندى) عامر أحد الضباط السودانيين وكيلا لها (٦) . وقد أصبحت بور عاصمة المديرية الأولى من مديريات خط الاستواء .

1 - Hist. de la Nation Egyptienne. Le Soudan P.512

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٥٥

4 - Shukry, Khedive Ismail and P.194

5 - Provinces fo the Equator . Summary ....P. 153

(٦) السودان بين يدى غردون وكتشنر س ٩

محطة لاتوكا : أنشأها غردون فى سنة ١٨٧٤ ووضع بها حامية من ١٠ جنود سودانية و ١٥٠ من الدنا قلة (١) . ثم جعلت المركز السادس من مراكز (مديريات) اقليم خط الاستواء ، وتبعهـــا محطات عسكرية فرعية هى : أوكلو Okello ، ونرانجول ، وابوريه Oburé ، وعبو (٢) .

محطة لادو : اتخذها غردون فى سبتمبر سنة ١٨٧٤ مركز عموم حكومة خط الاستواء (٣)،وبها المعسكر العام لقوات مديريات خط الاستواء وذلك لأن موقع غندكرو ـ مركز العمليات السابق ـ كان غير ملائم من الناحيتين الصحية والاستراتيجية (٤) . وتوافرت فى محطة لادو ميزات هامة ، فوقعها ممتاز من الناحية الحربية ، ومياه النيل تجاهها عميقة تصلح لرسو السفن ، وتجاورها غابات تمتد إلى مسافات بعيدة يمكن الاعتماد عليها فى إستهلاك الوقود اللازم للحامية . كما أن أرضها خصبـة وجوها أحسن من غندكرو (٦) . وتبعـــد اللادو عن غندكرو مسافة عشرة أميال . والمسافة بين الخرطوم واللادو تبلغ نحو ١٠٠٠ ميل تقريبا. وكان بها من الجنود فى أواخر سنة ١٨٧٤ ١٨٠ جنديا سودانيـا

1 - Provinces of the Equator . Summary p.153

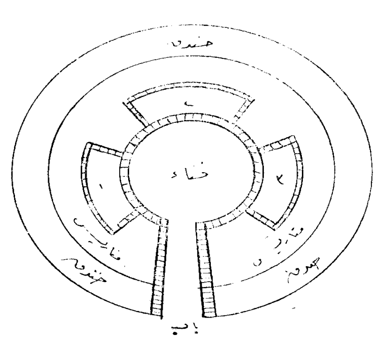
(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٠

(٣) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ١٧

4 - Dr. Abbate Pacha , Le Soudan sous le Régne du Kh. Ismail P. 16 .

5 Abdin Amr. Vol.10 despt. No.305 Deardslez to F sh cairo MaY 3 , 1875.

6 Gessi ; Seven years p.88



تحصينات ماسـدى

١ ، ٢ ، ٣ حجرات غير قابلة للاحتراق

مقياس الرسم ١ بوصة : ٣٤ قدما

شكل (٢)

نظاميا (١) . وتبع مركز اللادو محطات عسكرية أخرى هى غندكرو والرجاف وبيدن (٢) . (شكل ٤)

محطة الرجاف : أنشأها غردون فى سنة ١٨٧٤ ولم يكن متوفرا بهـــا كل الشروط اللازمة للمحطـة العسكرية ، ولـكنها أنشئت لموقعهـا الاستراتيجى (٣) فقط ووضع بها حامية تتـكون من ٨٠ جنديا سودانيا نظاميا (٤) . وتبعت هذه المحطة المركز الثانى فى لادو .

محطة الابراهيمية : (أفودو Affouddo) أول من وضع بها قوة عسكرية صغيرة السير صمويل بيكر . وكان ذلك فى مارس سنة ١٨٧٢ . فلما تولى غردون حكمداريه خط الاستواء أسس بها محطة عسكرية فى سنة ١٨٧٤ بناء عـلى تقرير قدمه شاييه لونج إلى غردون بهذا الخصوص . ووضعت بها حامية تتـكون من ٢٥٠ جنديا سودانيا نظاميا (٥) .

فاتيكو : أنشأها السير صمويل بيـكر وتقع فى أرض سهلة تكتنفها جبـال عديدة تحيط بالمنطقة وتندفع قممها إلى ارتفاع شاهق وتتوفر فيهـا المياه العذبه

---

1 - Provinces of the Equator . Summary p.32

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ٧٥

3 - **Gessi; Seven Years .. p. 88.**

4 - Provinces of the Equator. Summary .... p. 32

وتاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص

(٥) المصدارن السابقان .

التى تخرج بقوة وبصوت مسموع (١) ، وهى من بلاد (كبريكا واريونجا) وتقع على شاطىء بركة (٢) ، . وقد وجد بها غردون عند توليته حاكما عاما على مديرية خط الاستواء فى سنة ١٨٧٤ ٢٠٠ جنديا سودانيا (٣) . وحين وصل اليها شايبه لونج فى ٦ مايو سنة ١٨٧٤ فى طريقه إلى اقليم أوغنده قدمت له حاميتها التحية ، « وكانت هيئة ونظام أولئك الجنود على ماينبغى وبالغين حد الكمال (٤) » . وفى أواخر عام ١٨٧٤ وصلت حاميتها إلى ٢٥٠ جنديا سودانيا نظاميا و ١٠٠ من الدناقلة (٥) . ثم أصبحت هذه المحطة تابعة لمركز دوفيليه وهو المركز (المديرية) الرابع من مراكز خط الاستواء .

محطة فويرا : أنشأها السير صمويل بيكر فى أثناء حكمداريته وهى تبعد عن غندكرو مسافة ٤٠٠ كيلو مترا تقريبا (٦) ، وعلى مسير ساعتين من مساقط كاروما (٧) . وحال وصول غردون إلى مديرية خط الاستوء وجد بها ٢٠٠ جندى سودانى من الجيش النظامى (٨) . وقد شيدت المحطة على ضفاف نيل

---

1 provinces of the Equator , Summary p.32

(٢) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٢٠

3 - provinces of the Equator , Summary .... p 4

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٦١

5 - provinces of Eguator. Summary p.33

6 Chaillé - Long : L: Egypte et ses provinces perdues p.37

7 - provinces of the Equator. Summary p.45

(٨) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٢٦ .

فكتوريا الغربية المرتفعة ، ويتولى حمايتها ٦٠ من الدناقلة وقوة نظامية تقرب من ١٥٠ جنديا سودانيا (١) . ومعظم ضباطها وجنودها ممن خدموا فى حرب المكسيك . وقد وضعت الحامية داخل مربع من المتاريس والاستحكامات . وجنودها فى غاية النظافة كنظيرتها فاتيكو (٢) . وفى أواخر سنة ١٨٧٤ أصبحت حاميتها تتألف من ١٠٠ من الجنود السودانيين النظاميين و ١٠٠ من الدناقلة (٣) . وتبعت هذه المحطة محطة افودو العسكرية (٤) .

محطة دوفيليه : أمر بإنشائها غردون فى سنة ١٨٧٤ وتقع على ضفة بحر الجبل الغربيـــة . وترك بها غردون حامية تحت رئاسة قومندان وم أمور الجهة (٥) ، وتقدر الحامية بمائة جندى من السودانيين النظاميين (٦) . وكان بها ترسانة لتصليح السفن ثم أصبحت المركز الرابع من مراكز (مديريـات) خط الاستواء . وأهم النقط التابعة لها . فابو ، وفاتيكو ، ووادلاى . (٧) .

محطة لابوريه : أنشأها غردون بناء على تقرير من شاييه لونج فى أواخر سنة ١٨٧٤ على ربوة عالية. وقد رحب أهالى المنطقة بحامية غردون وساعدوا الجنود فى

---

1 - Provinces of the Equator . Summary p.45

2 - Provinces of the Equator . Summary p.32

(٣) المصدر السابق

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٠

(٥) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ١٦

6 - Provinces of the Equator . Summary d.32

(٧) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٥٩

حفر الخندق المحيط بالمعسكر وكذلك فى بناء الاستحكامات (١) . وقد تبعت هذه المحطة ، وكذا محطات خورايبو ، وموجى محطة كيرى الواقعة بين محطتى لادو ودوفيليه ، وهى المركز الثالث من مراكز خط الاستواء (٢) .

محطة ماجنجو : أنشأها الجنرال غردون على ضفاف بحيرة البرت وضمت إلى الأراضى المصرية فى ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ (٩ ابريل سنة ١٨٧٦) (٣).

محطة مرولى : أنشئت بعد مفاوضات دارت بين غردون والملك امتيزه ملك أوغنده أسفرت عن موافقة الأخير على إنشائها . وقد اعتبرت مرولى آخر حدود السلطة المصرية ، وكانت هذه المدينة مركزا للمديرية المسماه باسمها ، وأول من عين لهـا القائمقام محمد ابراهيم بك وأصله من مواليد السودان (٤) (شكل ٥) .

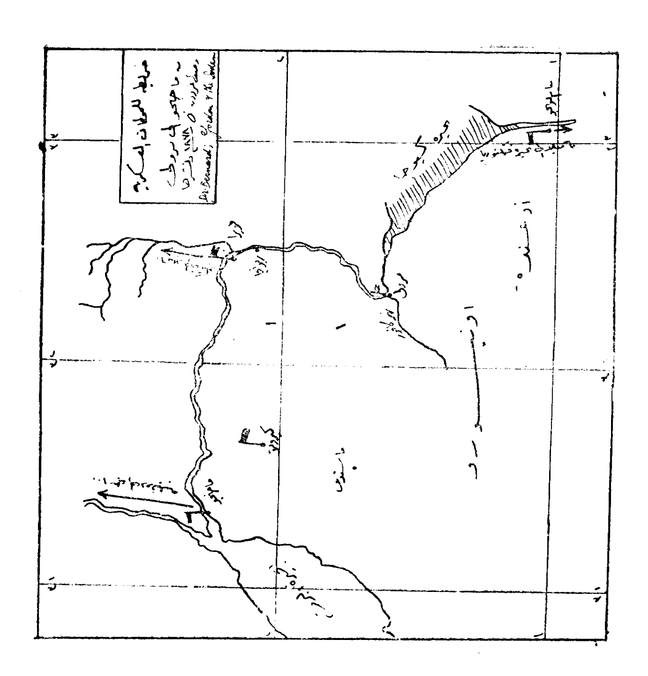
كذلك أنشئت محطات عسكرية أخرى فى فاديبك المركز السابع من مراكز خط الاستواء ، وتقع بين لاتوكا ، وفويرا وتتبعها محطتى لابور وجالى . ومحطة رول (حاضرة المركز الثامن) وتشتمل على الأراضى الواقعة غرب النيل الأبيض لغاية مديرية بحر الغزال . وهو أهم مركز بالمديرية ، وحافل بعدد كبير جدا

(١) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ١٤

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٥٧

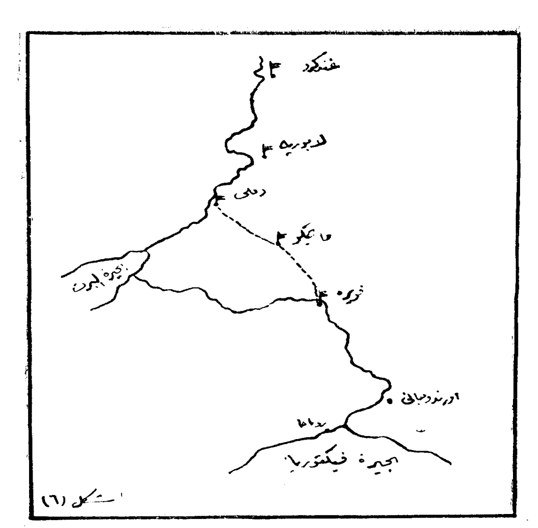
(٣) مجله الجيش ، المجلد الثامن . العدد ٣٨ (يناير ١٩٤٦) الحملة المصرية فى حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ — ١٨٧٦ للامير عمر طوسون ص ١٤٧ .

(٤) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٢٦ .



(شكل ٥)

خريطة للمحطات العسكرية من ماججو إلى مروك من وضع غردون سنة ١٨٧٨



خريطة للمحطات العسكرية من غندكرو إلى روباجا

نقلا عن كتاب

Provinces of the Equator

By

H E Gordon

من السكان (١). والمحطات العسكرية التابعة له هي : أجاك، وشمبي، وروميبك وبوفى ، وصيادين ، وليس ، وافارد ، والجوك مختار (٢).

والمركز العاشر مبسا أو جورجورو وهو آخر مركز من مراكز خط الاستواء وهو ممتد ويتصل ببلاد الكنغو . وأهم المحطات العسكرية التابعة له هي تنجازى ، وكوبى ، واونيبورون ، وميبريا ، وجانجا ، وريئسى، ومسوه (٣)

محطة روباجا : بناها غردون فى سنة ٧٨٦، فى روباجا عاصمة أوغنده ، ووضع بها حامية تبلغ ١٦٠ جنديا تحت قيادة نور (افندى)(٤) محمد، وذلك بناء على رغبة الملك امتيزه ملك أوغنده (٥) . ولكن غردون عند تركه الخدمة فى سنة ١٨٧٦ لانتهاء مدة عقده مع الحكومة المصرية ، أمر بسحب الحاميات المصرية المقيمة فى أونيورو وأوغنده . وعلى ذلك أخليت المحطات العسكرية الآتية وهى : فويرا ، وكيروتو ، ومازندى ، ومرولى، وفاكوفيا ، واوندوجانى ، وروباجا (٦) . ثم عادت اليها حاميتها فى عهد حكمدارية أمين (باشا) لمديرية خط الاستواء . (٧) . (شكل٦)

---

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٢
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٧٩
(٥) الامبراطورية السودانية فى القرن ١٩ ص ٦١
(٦) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٣ ص ٣٨٠
(٧) المصدر السابق

ومن العرض السابق نلاحظ أن عدد كل حامية كان يختلف عن الأخرى تبعاً لمركز المديرية وعدد سكانها وطبيعتهم . وإلى جانب مدير المديرية توجد الحامية العسكرية اللازمة له . وتتألف هـذه الحـــاميات فى مجموعها من ثلاث عناصر هى : (١)

١ ـ جنود نظامية من السودانيين وكانوا يجندون من الأهالى .

٢ ـ الخطرية وهم من العرب المتطوعين وأغلبهم من الدناقلة .

٣ ـ التراجمة وهم من متطوعى الزنوج .

وقد استعان غردون فى مقاومته للرق وإنشاء المحطات العسكرية بضبـاط آخرين أمثال شاييه لونج وجيسى وغيرهم .

فتح دارفور

باستيلاء الجيش المصرى على بحر الغزال وبحر الجبل انتقل تجار الرقيق من هـذه الجهات إلى اقليم دارفور حيث كان من الأسواق الهامة لهذه التجارة . فأصبحت دارفور إذاً منطقة تهدد الحكومة فى الخرطوم بما تضمه من تجار ، « ومن أجل ذلك كان إخضاع دارفور من شأنه أن يساعد على إلغاء تجـارة الرقيق الشائنة إلغاء سريعا (٢) » .

وقد طلب الزبير مدير بحر الغزال من اسماعيل أيوب حكمدار السودان أن يسمح له بغزو دارفور للقيام بهذه المهمة ، وللإنتقام من ملكها نظرا لما بينهم من عداء.

---

(١) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ٢ ص ٦٨

(٢) مصر والسيادة على السودان ص ٣٩ « نقلا عن الوقائع المصرية العدد ٥٥٨ » .

فشجعت الحكومة الزبير علـــى ذلك وأمدته ببعض الجنود النظامية وأمرته بالزحف على درافور من الجنوب على أن يقود اسماعيل أيوب فى نفس الوقت جيشا آخر مكونا من ٣٠٠٠ (١) من الجنود النظاميــــة السودانية والمصرية والباشبوزق والشايقية ، ويزحف على درافور من ناحية الشرق . فتقدم الزبير بسرعة فائقة وهزم جيشا قوامه ٢٠ ألف (٢) مقاتل يقوده الوزير أحمد شتا من قبل ملك دارفور (السلطان ابراهيم) . ثم هزم جيشا آخر تحت قيادة المقدوم سعد السنور (٣) كذلك .وبانهزام الجيش الأخير أرسل ملك دارفور عمه الأمير حسب الله على رأس جيش آخر يقرب من المائة ألف مقاتل بينما كان جيش الزبير لايتجاوز ١٢٫٠٠٠ (٤) مقاتل . فحاصر جيش العدو الزبير فى دارا ولكن الزبير إستطاع هزيمته وقتل عـــدد كبير من رجاله فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٤ . وبهزيمة الجيش الثالث جرد السلطان ابراهـــيم بنفسه جيشا كبيرا يقرب من ١٥٠٫٠٠٠ مقاتل (٥) ، بينهم ثلاثون ألف فارس ، وعدد من الرجال المسلحين بالبنادق ، وثمانية مدافع (٦) ، وهاجم أسوار مدينة دارا أربع مرات كان نصيبها الفشل ، وذلك بعد قتال عنيف . تراجع السلطان ابراهيم بعد هذه الهزيمة فلحق به الزبير فى بلدة منواشى ، وكان لدى السلطان قوة تقرب من ٣٠٫٠٠٠ مقاتل .

---

(١) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٣ ص ٧٤

(٢) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٢١

(٣) المصدر السابق

4 - Shukry ; The Khedivs Ismail and Slavery .. P. 229

(٥) المصدر السابق . وتاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٥٤

(٦) المصدر السابق ص ٥٤

فهاجمه الزبير وتمكن بعد معركة حامية الوطيس من التغلب عليه وقتله . وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامه لدخول مدينة الفاشر حاضرة دافور فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٧٤ .

وفى نفس الوقت كان جيش اسماعيل أيوب يتقدم ببطىء من ناحية الشرق . ولكن هذا البطء كان لإستمالة الأهالى وكسب ودهم وتأمينهم وقد حرر فى أثناء زحفه أكثر من ١٦٠٠ من العبيد (١) . وبدخول اسماعيل أيوب مدينة الفاشر شرع فى بناء حصن منيع على المرتفع الغربى منها . ثم أحاط المدينة بسور مربع بنى من الطوب سمكه ٣ أقدام وطول ضلعه ٢٠٠ قدم . وشيد فى كل ركن من أركانه الاربعة برجا مسلحا بالمدافع وحفر وراء السور خندقا بلغ عمقه ١٥ قدما وغرس حوله الأشواك . وبنى داخل السور دارا للحكومة ومنزلا للحاكم العام وثكنة للعساكر النظامية، وجعل مقر العساكر غير النظامية خارج أسوار المدينة(٢). وبعد أن استتب الأمر للحكومة المصرية فى البلاد قسمت دارفور إلى خمس مديريات هى : الفاشر ، وداره ، وكلكل ، وكبكبيه ، وأم شنجه ، وأقام فى كل من مركزى داره وكلكل حصنا كالذى أقامه فى الفاشر . ورتب فى كل مديرية أورطتين من العساكر المنظمة وستة سناجق من الباشبوزق والشايقية والاتراك والمغاربة ، وبطارية بستة مدافع. وأما إدارة أم شنجه فرتب فيها بلوكين من العساكر المنظمة وسنجقا واحدا من الباشبوزق لقربها من من الأبيض (٣) » .

1 - Shukry ; The Khedive Ismail and Slavery .... p. 230

(٢) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٥٩

(٣) المصدر السابق

ثم تبع هذا الغزو الحربي غز علمى قـام به ضباط أركان حرب سنذكره فى الفصل الخاص بحركة الكشوف الجغرافية .

التوسع فى السودان الشرقى

بعد أن قضى الجيش على تجار الرقيق فى مواطنهم الأصلية فى أعالى النيل وفى دارفور وجه إهتمامه إلى الاستيلاء على الموانى الواقعة عـلى ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندى مثل تاجوره ، وزيلع ، وبربره وهى التى كان يتخذها تجار الرقيق منافذ لهم لتصدير تجارتهم الشائنة إلى العالم الخارجى (١) . ولقد اقترح الجنرال غردون أثناء حكمداريته لمديرية خط الاستواء على الخديو اسماعيل إرسال ١٥٠ رجلا على ظهر سفينة بخارية إلى ممبسـا التى تبعد ٢٥٠ ميلا شمال زنزبار لإقامـة نقطـة عسكريه بهـا . ثم تتقدم صوب أوغنده على أن ينشىء فيما بينها نقطـــا عسكريه (٢) ، تستطيع القضاء على تجارة الرقيق وتصل وسط افريقيا بالعالم الخارجى .

ضمت مصر إلى أملاكها مينائى سواكن ومصوع فى سنة ١٨٦٦ نظير دفـع جزيه سنوية للباب العالى . وكانت مصوع حوالى سنة ١٨٦٤ أهم سوق لهذه التجـارة فى هذا الجزء من القارة الافريقية (٣) . وفى سنـة ١٨٧٠ عين الخديو اسماعيل رجلا سويسريا يدعى منزنجر **munzinger**

(١) مصر والسيادة على السودان ص ٣٩

2 - **Hist. de la Nation Egyptienne . Le Soudan Egyptien p. 489 .**

(٣) مصر والسيادة على السودان ص ٤٠

محـــافظا لمصوع وكان هـذا الرجل يشغـل وظيفـة قنصل فرنسا بهـذه المدينة من سنة ١٨٦٢ . فاتخذ منزنجر مصوعا كنقطة إرتكاز للتوسع فيما حولها من الجهات طبقا لرغبات الخديو ، فألحق بها بلاد البوغاسى وبركه ، والقضارف والوديان الشرقية التى نصب فيها مياه بلاد الحماسين (١) .

وقد سعى الخديو اسماعيل لدى الباب العالى لنقل ميناء زيلع التـابع للواء الحـديدة اليـه حتى يستطيع بذلك غلق جميـع الموانى الشرقية وفى وجـه تجار الرقيق فتنازل له الباب العالى عن زيلع وملحقاتها نظير مبلغ سنوى تدفعـه مصر وقدره ١٣ر٣٦٥ ليرة مصرية (١٥٠٠ جنيها تركيا) فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٢ (يوليه ١٨٧٥ (٢)) . ثم أرسل الخديو قوة حربية تحت قيـــادة اللواء البحرى رضوان (باشا) على قرويت الصاعقة إلى ميناء بربرة فاستولى عليـه وعين محافظا له (٣) . وقد كتب الضابط وود إلى السير اليوت سفـير إنجلترا فى الآستانة فى ٦ أغسطس سنة ١٨٧٥ يقول « إن التنازل عن ميناء زيلع والاستيلاء على بربره يجعلان ساحل البحر الأحمر الغربى كله فى قبضة مصر (٤) » . ووضعت الحكومة المصرية بهذا الميناء مركبا حربيا طوال فصل الشتاء لتولى حراستـه والمحافظة على الأمن فيه (٥) .

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٧
(٢) المصدر السابق ص ٣٢٣
(٣) المصدر السابق
(٤) الدكتور محمد صبرى . مصر فى افريقيا الشرقية ص ١٨
(٥) المصدر السابق

فتح هـرر :

بعد استيلاء مصر على ميناء زيلع سارت فرقة من الجنود فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٥ تحت قيادة رؤف (باشا) قاصدة الاستيلاء على هرر ، وكانت مؤلفـة من خمس أورط من المشاة ونحو ٢٣٦ من الباشبوزق ومدفعـــين جبليين (١) ، يرافقها ضبـــاط أركان حرب تحت رياسة البـكباشى محمد (افندى) مختـار . ولم تلق الحملة مقاومة تذكر إلا حين وصولها جروجورا على حدود النولى (٢) حيث قامت قبائل الجالا فقطعت عليها الطريق . ولـكن رؤوف (باشا) إستطاع التغلب عليهم ودخول بلدة هرر حاضرة إمارة هرر فى ١١ أكتوبر سنـة ١٨٧٥ (١٢ رمضان سنة ١٢٩٢) . وبلغ عدد سكان البلدة ٣٠٫٠٠٠ نسمـة ، ودخل طاعة الحـكومة ٦٢ قبيلة يقدر عددها بنحو مليون ونصف مليون نسمة (٣) . وقد فسر قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتذاك المستر بيردزلى استيلاء مصر عـلى هرر بأنه تحرش من جانبها بالحبشة (٤) .

ولإستقرار الأحوال فى تلك البلاد مهد رؤوف (باشا) ، الطريق الذى يصل ... ·الع وجعله صالحا للعربات ، وأنشأ عليـــه محطات عسكرية مزودة

(١) حقائق الاخبار ج٢ ص ٣٢٣

(٢) مصر فى أفريقيا الشرقية ص ٦١

(٣) الوقائـع المصرية العدد ٦٣١ فى يوم الأحد ١٦ شوال ١٢٩٢ الموافق ٢٤ نوفبر سنة ١٨٧٥

4 - American Doc . Vol.11 , despt . 378 Beardsley to Fish Cairo Nov 26 , 1875

بالماء (١) . ونتيجة لإنشاء تلك المحطة أن نشطت حركة التجارة ، وأغلقت هذه المناطق فى وجه تجار الرقيق .

التوسع فى افريقيا الشرقية

بوقوع هرر وموانى تاجوره ، وزيلع ، وبربره فى أيدى القوات المصرية ، اتجه تجار الرقيق إلى تصريف تجارتهم عن طريق نهر جوبا وميناء قسمايو (٢). ولهذا وجد الخديو اسماعيل أن من الواجب للقضاء على هذه التجارة الاستيلاء على تلك الجهات . وفى نفس الوقت فتح منطقة البحيرات للتجارة المشروعة . وكلف الخديو اسماعيل ميكلوب (باشا) القيام بهذه المهمة بمعاونة شاييه لونج الذى غادر ميناء السويس فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٥ على رأس قوة مكونة من أورطه تمثل الأسلحة الثلاثة (٣) . وقد تكتم الخديو أمر الحملة حتى أن شاييه لونج نفسه لم يكن يعلم بغرضها إلا بعد أن قطع مسافة ٥٠٠ ميلا جنوب ميناء السويس حيث رفض الخطاب الذى تسلمه من مندوب الخديو ، وذلك بناء على تعليمات الخديو نفسه . ووصل شاييه لونج إلى بربره وسلم ميكلوب (باشا) تعليمات الخديو فى ٢٥ سبتمبر ١٨٧٥ . وفى ٣٠ منه زودت الحملة ببلوكين من الجنود وبعض المدافع ، وأبحرت فى اتجاه رأس جوردافوى فى ٤ أكتوبر (٤).

---

(١) الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ٤٥

(٢) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٥ عاما على وفاته . مقالة الدكتور محمد فؤاد شكرى « صفحة من تاريخ مكافحة الرق . . . » ص ١٢٠

3 - Chaillé - Long : L ' Egpte et ses provinces perdues P. 112 .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦

ثم تسلق بعض رجال الحملة قمة المرتفع المطل على الرأس ، ورفعوا فوقه العلم المصرى إعلانا بوضع تلك الجهات تحت سلطة الحكومة المصرية (١) . واحتلت الحامية فى طريقها بلدة برافا Brava دون مقاومة فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٧٥ ، وكان يقوم على حمايتها حصن به بعض الجنود التابعين لسلطان زنجبار . ثم حاولت الحملة بعد ذلك التوغل فى مصب نهر جوبا ، ولكن الرياح حالت بينهم وبين هذا الهدف فارتدوا إلى الجنوب حيث توجد قسمايو ، وهذه البلدة تقع على بعد ١٥ ميلا ، وأرضها رملية ، وميناءها تكثر به الصخور ، وسكانها يبلغون نحو ١٥٠٠ رجل بالإضافة إلى الحامية المكونة من ٤٠٠ جندى تابعين للسلطان سعيد برغش . وكانوا يحتلون قلعة بها خمسة مدافع قديمه من عيار ١٢ بوصة (٢) وكان سكان قسمايو وقتئذ من ذوى السمعة السيئة فهم يتألفون من حثالة سكان البحر من تجار الرقيق . ولهذا كانت قسمايو مركزا مهما لهذه التجارة فى شرق افريقيا (٣) . ونزل رجال الحامية إلى البر ، واستولوا على البلدة دون إراقة دماء ، وكان بحظيرة حامية البلد وقتئذ ٤٠٠ من الأرقاء معدين للتصدير فأطلق ميكلوب سراحهم (٤) . ثم أنزل علم زنجبار ، ورفع العلم المصرى فى إحتفال مهيب .

ونقل ميكلوب مقر قيادته إلى نهر جوبا على بعد ١٦ ميلا من قسمايو حيث

---

1 - Chaille - Long L'Egypte et ses Provincss .... p. 117

(٢) المصدر السابق ص ١١٩ــ١٢٠

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق ص ١٢٢

أنشأ معسكرا بنى من الخشب المستخرج من شجر الدوم . وقد أرسلت اليه الحكومة المصرية مددا حربيا تحت قيادة فردريجو (باشا) فبلغت قوة الحامية ١٣٠٠ رجلا (١) . وكانت الحملة فى انتظار تعليمات الخديو للتقدم فى نهر جوبا والوصول إلى منطقة البحيرات . وفى نفس الوقت لم يقدم غردون أية معونة حربية أو مادية لهذه الحملة التى وضعت تحت إشرافه . ويعزو شاييه لونج هذا الاغضاء من جانب غردون إلى احتمال وصول تعليمات اليه من قبل بريطانيا بهذا الخصوص (٢) . ثم تقدب ميكلوب ١٥٠ ميلا فى نهر جوبا قام فى خلالها الضابط حسن واصف برسم خريطة لهذا النهر (٣) . وبوصول الحملة إلى هذا الحد وردت اليها رسالة من الخديو اسماعيل إلى قائد الحملة بالإنسحاب حيث يقول « إنسحب بقواتك وارجع إلى مصر (٤) » دون أن يذكر الأسباب وكان ذلك بطبيعة الحال راجع إلى تدخل الحكومة الانجليزية . فأنسحبت الحامية من جوبا فى ٥ يناير سنة ١٨٧٦ (٥) . وهكذا أخفقت الحملة فى تحقيق أغراضها رغم الجهود التى بذلتها الحومة المصرية ، ولم تنل مصر من ورائها سوى تدخل بريطانيا وعدواة الحبشة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق

3 - Abdatè ; Le Soudan sous le Régne du Khedive Ismail p. 18 .

4 - Chaillé - Long ; L'Egypie et ses provinces .... p. 150

5 - ,, ,, ,, ,, ,, ,, 151

غردون ومقاومة الرق :

سعت الحكومة الانجليزية لدى الخديو اسماعيل لتحقيق هدفين يكفلان لها السيطرة على شئون مصر ؛ الهدف الأول تعيين غردون حاكما عاما للسودان رغم إرادة اسماعيل إذ أن « ضغط السياسة الانجليزيه والتماس الخديو النجدة منها فى محنته المالية ، كل ذلك مال به الى التساهل والتسليم (١)» . فأصدر الخديو أمره فى ١٤ فبراير سنة ١٨٧٧ بتعيين غردون (باشا) حكمدارا عاما لعموم الاقاليم السودانية . بالاضافة الى دارفور ، وخط الاستواء ، وسواحل البحر الأحمر ، وهرر مع منحه حق الحكم بالقتل والعفو ، ومنع تجارة الرقيق، وتحديد التخوم بين مصر والحبشة (٢) .

أما الهدف الثانى فقد انتهزت انجلترا فرصة انشغال الدولة العثمانية فى حربها مع الروسيا وعقدت مع مصر معاهدة فى ٤ أغسطس سنه (٣) ١٨٧٧ بشأن تعاون انجلترا مع الحكومة المصرية فى إلغاء الرق . وتتضمن المعاهدة سبعة بنود تنص على إلغاء تجارة الرقيق . وألحق بها ذيل يوضح الطرق التى تتبع فى مدن القطر المصرى لعتق ما بها من أرقاء . وتبع ذلك إصدار ديكريتو(٤) من قبل الخديو اسماعيل يشتمل على أربعة بنود : ينص البند الأول على إلغاء الرق نهائيا فى جميع القطر المصرى فى مدة نهايتها سبعة أعوام ، وبملحقات مصر فى مدة اثنى عشرسنة

---

(١) تاريخ الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٦٢

(٢) الوقائع المصرية . العدد ٦٩٨ فى ١٢ صفر سنة ١٢٩٤ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٧

(٣) تقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٤٨٦ وما بعدها

(٤) المصدر السابق ص ١٤٨٧

من تاريخ المعاهدة وفى المواد الأخرى نص على العقوبة التى توقع على كل من من يخالف هذا الأمر .

ويذكر اسماعيل سرهنك هذه المعاهدة بقوله « ولم يكن الخديو اسماعيل مصيبا فى إرتباطه مع إنجلترا فى معاهدة لإلغاء الرق فى مدة معينة ومحدودة لأن ذلك من المستحيل إيقافه نهائيا فى ذلك الوقت (١) » . وقد أجبرت هذه المعاهدة الحكومة المصرية على إتخاذ إجراءات متطرفة «وبعيدة عن الحكمة حتى تتمكن من تنفيذ نصوصها (٢) » . هذا فضلا عن أنها « احتوت نصوصا تمكن الانجليز من الافتيات على سيادة مصر ومصالحها . إذ أباحت لهم الرقابة على السفن الحاملة للراية المصرية وتفتيشها بحجة تعاطيها تجارة الرقيق(٣) » . وأخيرا وليس آخرا فقد تكلف تنفيذ المعاهدة أموالا طائلة وأوقعت الحكومة « فى مشاكل كانت فى غنى عنها . هذا بصرف النظر عما فيها من المحاسن بإبطال هذا الاسترقاق المنافى لأصول الشرع الشريف (٤) » .

اعتراف انجلترا بسيادة مصر على سواحل الصومال

فى نفس الوقت الذى كانت تقوم فيه الحكومة الانجليزية بمشاوراتها بشأن عقد معاهدة إلغاء الرق كانت تدور مفاوضات بينها وبين مصر بخصوص إعتراف

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣١٧
(٢) مصر والسيادة على السودان ص ٥٣
(٣) الحركة القومية [عصر اسماعيل] ج ١ ص ١٣٦
(٤) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤٦

انجلترا بسيادة مصر على سواحل الصومال حتى رأس حافون ، إنتهت بتوقيع معاهدة فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ ، وتشتمل على ستة بنود أهمها (١) :

١ - أن يكون لبريطانيا مركز ممتاز فى سواحل الصومال ، وألا تعطى الحكومة الخديوية أية احتكار لأى دولة أجنبية أخرى ، وكذلك تحديد الرسوم الجمركية .

٢ - أن يتعهد الخديو عن نفسه وعن ذريته بألا يعطى قطعة أرض لدولة أجنبية .

٣ - يكون لبريطانيا حق تعيين مأمورى قنصليات فى جميع سواحل الصومال وأن يكون لهم مركز ممتاز .

٤ - أن يقوم الخديو بمنع تجارة الرقيق فى تلك البلاد وتقوم بمساعدته السفن الانجليزية .

٥ - تنفذ هذه الشروط بعد أن يتعهد السلطان بعدم إعطاء أية دولة قطعة من سواحل الصومال .

وقد أفادت انجلترا من هذه المعاهدة فائدة كبرى ، إذ اشترطت فى نظير الاعتراف بسيادة مصر على تلك البقاع أن تجعل مصر موانى زيلع ، وبلهار وبربره ، موانى حرة . وكان هذا الشرط - كما قال غردون - شرطا مجحفا بمصر ، إذ خسرت الحكومة المصرية الضرائب التى كانت تؤخذ على ١٠٠٠٠ رأس بقر و ٦٠٠٠٠ رأس من الغنم كانت تصدر كل عام عن طريق الموانى

(١) مصر والسيادة على السودان ص ١١٤

المذكورة (١) . هذا فضلا عن ٧٠،٠٠٠ جنيها أنفقت على إنشاء منارة وحوض للسفن وبعض المنشآت العامة ، و ٤٠،٠٠٠ جنيها مصريا لإقامـــة القوات الحربية وإنشاء سفن بالميناء . فى نفس الوقت الذى كان لايتعد دخل الحكومـة منها ١٧٠ جنيها فى السنة (٢) .

كذلك قيدت المعاهدة من حركة التوسع والفتح بافريقيـا ، إذ اعتبر رأس حافون نهاية حدود ممتلكات مصر الجنوبية .

وكان للسياسة التى سار عليها غردون فى تنفيذ نصوص هاتين المعاهدتـين ، والتشدد فى إبطال الرق بالقوة ، أن اشتغلت الثورات والفتن فى أنحاء السودان فشغلت معظم مدته التى استمرت مايزيد قليلا عن عامـــين . وأهم ماقام به فى تلك الفترة هو إخماد ثورة الأمير هارون الرشيد فى دارفور ، وحركة صباحى فى كردفان ، وسليمان بن الزبير فى بحر الغزال ومنع تجارة الرقيق ، والنظر فى مد السكك الحديدية ، وإصلاح البين بين الحبشة ومصر (٣) .

ثورة الأمير هارون الرشيد

وصل غردون إلى الخرطوم بعد تعيينه حكمدرا عاما للسودان فوجد نيران الفتنة مشتعلة بدارفور تحت قيادة رجل يدعى محمد هارون من قبيلة فيلاتا (٤) . وكان سبب قيام الثورة تضييق الحكومة على تجار الرقيق ، وكثرة الضرائب التى

1 - Sabry ; L'Empire Egyptienne sous Ismail p. 406

(٢) المصدر السابق

(٣) تاريخ السودان القديم والحديث ص ٩٣ — ١٠٤

(٤) حقائق الاخبار ج ٣ ص ٣٣٣

فرضت على الأهالى والاجراءات التعسفية التى اتبعهـا عساكر البـاشبوزق فى فى جبايتها . وكان حسن (باشا) حلمى مديرا على دارفور فى ذلك الوقت ، فعزله غردون وعين بدله ميسيداليا الإيطالى ، وعهد اليه بإخماد ثورة هارون الرشيـد . فاستعان هذا بسلاطين (بك) مدير داره ، ونور (بك) عنقره مدير كـلـكل على محاربته (١) فقضى ثلاثتهم على هارون بمهاجمتهم إياه بالتتابع . وتم قتـــله على يدى مدير كلـكل فى مارس سنة ١٨٧٨ (٢) . وبذلك انتهت الثورة .

ثورة صباحى بكردفان

كان صباحى هذا أحد قواد جيش الزبير ثم انفصل عنه بعد سفره إلى مصر . فلما حجز الزبير بمصر جمع هذا الرجل تحت إمرته ٤٠٠ رجلا وهاجم الأضيـة بـكردفان (٣) . فأرسل اليه غردون وهو فى طريقه إلى دارفور فى مارس سنـة ١٨٧٩ قوة من الجنود استطاعت القبض عليـــه وحوكم أمام محـكمة عسكرية قضت بإعدامه.

ثورة سليمان بن الزبير

بعد رحيل الزبير إلى مصر أقام ابنه سليمان بشكا ومعه جيش قوامه ٤٠٠٠ رجل ، وعزم على مناوأة الحكومة لمنعها إياه من الرجوع إلى السودان . فطلبـه غردون للشول بين يديه هو وجيشه فلـــبى سليمان الدعوة . فنصحه غردون بالإمتثال لأوامر الحكومة وعدم الخروج عليها . وفى نفس الوقت عزم غردون

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣٣
(٢) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٦٢
(٣) المصدر السابق

على تمزيق جيش سليمان وتشتيته ، فاتصل باثنين من كبار قواده هما : سعيد حسين ونور عنقره ، فأعطى الأول ألف جندى وعينه مديرا على شكا وكذلك فعل بنور عنقره وأرسله إلى كبكبيه . ثم أمر سليمان بالرجوع إلى شكا بعدد قليل من الجند (١) . ومع ذلك فقد استمر سليمان على طاعته للحكومة فعينه غردون مديرا على بحر الغزال ، فوجد بها ادريس أبتر الذى عينه الزبير وكيلا له قبل سفره إلى القاهرة قد أخل بادارة البلاد فعزم على محاكمته (٢). ففر ادريس إلى الخرطوم « ووشى بسليمان وقومه (٣) » ، فصدق غردون الوشاية وعينه مديرا لبحر الغزال بدلا من سليمان ، وأرسله على رأس قوة مكونة من ٢٠٠ جندى نظامى ومدفعين إلى ديم قنده ، حيث طلب من سليمان ومن أصحاب الزرائب الدخول فى طاعته . فجرد سليمان جيشا ، وهجم على إدريس فى خور غطاس ففر تاركا ما لديه من ذخائر وأسلحة (٤) . فأمر غردون الضابط الإيطالى جيسى بالذهاب على رأس قوة حربية لإخضاع سليمان . فسارت الحملة بطريق النهر ، وانضم اليه أحد تجار الرقيق ويدعى على ابو عامورى ، فأصبحت قوة جيسى تبلغ ١٤٠٠ (٥) جندى . ثم زادت هذه القوة إلى ٣٥٠٠٠ مقاتل (٦)

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٦

(٢) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٦٤

(٣) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٧

4 - Gessi ; Seven Years in the Sudan P. 191

(٥) المصدر السابق ص ٢٤٠

(٦) المصدر السابق ص ٢٥٥

فلما علم سليمان بمقدمه ، جمع ما يقرب من ١١٫٠٠٠ مقاتل ، منهم ٥٠٠٠ مقاتل من رجال سليمان ، والستة آلاف ممن انضموا اليه بعد ثورته من رجال الزرائب (١) . وقد حمل سليمان على جيسى عدة حملات لم تأت بنتيجة ما . وأخيرا اضطر إلى الإنسحاب وبصحبته ألف مقاتل (٢) . وفى تلك الأثناء علم الزبير بنبأ الثورة التى قام بها ابنه فارسل اليه خطابا يأمره بضرورة الرجوع إلى طاعة الحكومة . فلما وصله هذا الخطاب قبل أن يسلم نفسه لجيسى كما طلب منه (٣) . ونظرا لوجود عدد كبير من الدناقلة فى جيش جيسى — وكان هؤلاء يكرهون سليمان — فوشوا به فأمر جيسى بقتله هو ومن معه من أقاربه . وبذلك تنتهى هذه الثورة التى ذهب ضحيتها العدد الكبير من الأنفس .

وفى أواخر حكم غردون أخذ يضيق الادارة المصرية التى كان وسع نطاقها فى المرة الأولى ، فترك بلاد هرر وتخلى عن إقليم اورنيورو ، وترك محطات اورندو جانى ، وأم رولى ، وماسندى ، وكورنتته ، وفاويزه (٤) . فنتج عن هذه السياسة عودة تجار الرقيق مرة أخرى إلى هذه البلاد التى تخلت عنها الحكومة المصرية . وذهبت بذلك كل الجهود التى بذلها الجيش المصرى فى القضاء على هذه التجارة الشائنة ادراج الرياح . ولم تجن مصر من وراء كفاحها إلا سخط

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٦

(٣) تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ٢ ص ٩٧

(٤) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٥

الأهالى وغضبهم نتيجة للسياسة الصارمة التى سار عليها غردون تنفيذا لمعاهدة إلغـــاء الرق .

وترك غرودن السودان فى سنة ١٨٧٩ وهو على وشك الانفجار ولايحتاج إلا لليد التى تتقدم وتشعل الثقاب . وقد وجدت هذه اليد فى شخص المهدى ، فاشتعلت نيران الثورة فى السودان ، وضاعت جميع الجهود التى بذلت فى سبيل تأمين السودانيين وذلك للسياسة الخرقاء التى سارت عليهـا الحكومة المصرية بإيعاز من انجلترا لالغاء تجارة الرقيق .

الفصل الرابع عشر

الجيش وحركة الكشوف الجغرافية

حركة الكشوف الجغرافية بالسودان

كان ميدان الكشف الجغرافى هو أبرز الميادين التى أظهرت نشاط هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وقد أشرف على حركة الكشف هذه القسم الثالث من أقسام الهيئة السبعة (قسم الجغرافيا والاستحكامات) . وليس معنى ذلك أن أقسام الهيئة الستة الأخرى لم تؤد واجبها فى ميادينها الخاصة ، ولكن نظرا لأن اختصاص هذه الأقسام الستة كان يمس أمور الجيش الجوهرية فى الصميم ، ولما كانت سياسة الجيش ترمى إلى الفصل بين هؤلاء وبين التدخل الفعلى فى شئون الجيش ، فلذلك لم تتمكن من المضى فى طريقها ، ولم تستطع القيام بما اعتزمت تنفيذه من إصلاحات ، فاشتركت هى الأخرى فى حركة الكشف الجغرافى .

ولما كانت هذه الحركة ـ فى حقيقة الأمر ـ توجيه لنشاط الهيئة خارج نطاق الناحية العسكرية ، لهذ لم تجد الهيئة صعوبة ما فى القيام بها على أحسن وجه . خصوصا وأن الحركة قد لقيت تعضيدا كبيرا من قبل الخديو اسماعيل . وفيما يلى بيان بالرحلات العسكرية الكشفية فى شىء من الإيجاز :

رحلتا الكولونيل بيردى

الرحلة الاولى

أوفدت هيئة أركان حرب الأميرالاى (العميد) بيردى فى سنة ١٨٧٣ ليجوب الصحراء الشرقية بين القاهرة والسويس شمالا وقنـا والقصير جنوبا . وكانت البعثة تحت رئاسة الكولونيل (العميد) بيردى ، ويعاونه نفر من ضباط أركان حرب المصريين . والغرض من إرسالها مسح أراضى هـذا الجزء من القطر

المصرى والتحقق من إمكان مد خط حديدى بين بربر على النيل وبرنيس على البحر الأحمر (1) . وكذلك قامت بجمع المعلومات الوافية عن هذه المنطقة من الناحية الجغرافية والجيولوجية ، وبيان ما بها من ثروة معدنية ، وتحديد المناجم والمحاجر الموجودة بها . وفى نفس الوقت كانت هناك بعثة أخرى تحت إشراف الأميرالاى كولستون تقوم بأعمال الكشف والتنقيب فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين قنا وميناء برنيس . وقد تقابلت البعثتان فى هذا الميناء ، وتعاونتا معا فى كشف المنطقة بين برنيس وبربر (٢) . وقد أمضت بعثة بيردى عاما فى هذه المهمة وضعت فى خلاله تقارير عديدة عن مشاهداتها ، وأوضحت أن العقبة الوحيدة فى مد الخط الحديدى بين بربر وبرنيس هى عدم وجود الماء فى هذه المنطقة .

الرحلة الثانية

كانت وجهة هذه الرحلة إقليم دار فور وتكونت من (٣) :

الأميرالاى (العميد) بيردى رئيسا والقائمقام (العقيد) ماسون ، واليوزباشى (النقيب) محمود صبرى (٤) والملازمان الأول محمود سامى وسعيد

---

1 - Crabités : Amsricans in the Egyptian Army P.60

(٢) المصدر السابق ص ٦٠

(٣) تقويم النيل المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٢٩٥ . والوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر سنة ١٨٧٤] .

(٤) محفظة ١٠ [أوامر جهادية] وثيقة تركية رقم ٨ من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ محرم سنة ١٢٨٨ . ومحفظة ١٠ [أوامر جهادية] وثيقة تركية رقم ١٩٠ من =

نصر (١) . والملازمان الثانيان أحمد فوزى (٢) وخليل حلمى وأحمد أطباء العسكرية ويدعى محمد أمين ، واثنا عشر من أنفار وضباط وصفوف وأركان حرب لأعمال المساحة ، وأربعة من ضباط الصفوف ، وثلاثة وستون من أنفار العساكر الصناع .

الغرض من البعثة : وكان الغرض من هذه البعثة العلمية «إصلاح مافى الطريق من الآبار وحفر غيرها للإستحصال على مايكفى أهل قوافل دارفور من المياه العذبة مع كمال الراحة (٣) » .

خط سير البعثة : قامت البعثة فى ٥ ديسمبر (٤) سنة ١٨٧٤ من مصر متجهة إلى وادى حلفا ، ثم على الابل إلى (وادى الواميد) ، ثم إلى واحات السالمية

= الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ١٤ محرم سنة ١٢٩٠ . ويذكرة الأستاذ مصطفى عامر بك باسم محمد صبرى فى مقالة « مساهمة المصريين فى الكشف .. » بكتاب اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما .. ص ١٨٧ رغم ماذكرته الوثيقتان السالفتان باسم محمود صبرى .

(١) ذكره الأستاذ مصطفى عامر (بك) باسم سعيد نصر فى المصدر السابق ص ١٨٧ وهذا هو الاسم الصحيح . وقد ذكر خطأ فى عدد الوقائع المصرية رقم ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر سنة ١٨٧٤] .

(٢) ذكره الاستاذ مصطفى عامر (بك) فى المصدر السابق أيضا باسم أحمد فوزى، ولكنه ذكر فى عدد الوقائع السالف باسم أحمد رمزى .

(٣) الوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٤].

4 - Col. R E. Colston ; Report on Northern and Central Kordofan submitted to Gen. C Stone cheif of the Gén, Staff (Printing office of the General Staff) 1878

ومنها إلى دارفور من طريق القوافل (١) . وقد قسم الأميرالاى (العميد) بيردى العمل بين مرؤسيه من ضباط أركان حرب المصريين ، فحدد لكل مجموعة منهم منطقة لكشفها ووضع تقرير عنها . فكلف مثــلا اليوزباشي (النقيب) محمود صبرى بكشف حدود دارفور الشمالية ، فقام بمهمته خير قيام ، وكتب تقريرا عن (٢) أحوال أهلها ومايزاولونه من صناعات ، وبين أنواع المعادن والأحجار وطبيعة الاقليم بصفة عامة . وكان على كل ضابط من المكلفين بالكشف أن يقدم تقريرا عن أعماله أولا بأول إلى رئيس البعثة بيردى الذى يقوم بدوره بجمعها وكتابة ملخص عنها وإرساله إلى الجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب .

وقد نشرت البعثة تقريرا هاما يتضمن أبحاثها ودراساتها لتلك المنطقة ، ورسمت خريطة قيمة لدرافور تعتبر « أول خريطة صحيحة لتلك البلاد (٣) » وقام بهذه الأعمال الضباط المصريون محمود صبرى، ومحمد سامى، وسعيد نصر، وخليل حلمى وغيرهم . وفى سنة ١٨٧٦ نشر اليوزباشي (النقيب) صبرى تقريرا عن الجهات الشمالية الغربية لدرافور ، ونشر الملازمان سعيد نصر وأحمــد فوزى خريطة لبلدة الفاشر .

---

(١) المصدر السابق

(٢) الوقائع المصرية العــدد ٦٤٥ فى ٢٥ محرم سنة ١٢٩٣ [٢٠ فبراير ١٨٧٦] وتقويم النيل المجلد الثالث جـ ٣ ص ١٢٩٥ .

(٣) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته « مقالة الأستاذ مصطفى عامر (بك) عن مساهمة المصريين فى الكشف عن مجاهل افريقيا » ص ١٨٦ .

رحلتا الاميرالاى (العميد) كولستون

الرحلة الاولى

قام بها الأميرالاى (العميد) كولستون فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٣ بناء على أمر الجنرال استون . وكانت مهمتها القيام بأبحاث جيولوجية فى المنطقة الواقعة بين قنا على النيل وبرنيس على البحر الأحمر . ومن البحر الأحمر إلى بربر على النيل . وقد استغرقت هذه البعثة سبعة أشهر واثنين وعشرين يوما (١) . وقد وضع الأميرالاى (العميد) كولستون عدة تقارير عن هذه المنطقة ضمنها أبحاثه ومشاهداته .

الرحلة الثانية

قامت هذه البعثة فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ ، وصدرت الأوامر اليها بأن تصحب البعثة الأولى (بعثة بيردى الثانية) حتى وادى (الواميد) حيث تبتعد بعثة بيردى عن النيل فى إتجاه واحات السالمية . وتواصل بعثة كولستون سيرها ركوبا فى النيل فى إلى (الدبه) ومنها إلى دارفور . وتتكون البعثة من (٢) :

الأميرالاى (العميد) كولستون من ضباط هيئة أركان حرب رئيسا . ويعاونه

---

(1) Colston : Report on Northern & Central Kordofan .
Letter from Gen. Stone to Col. Colston in 3 Dec. 1874. P. XII .

وتاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٤٨ .

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٣]
وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٩٥

القائمقام (العقيد) ريد والصاغقول أغاسى (رائد) أحمد حمدى ، ويوسف حلمى ، ويوسف حلمى ، وعامر (عمر) رشدى [1] ، وخليل فوزى ، ومحمد ماهر ، وأحد أطباء العسكرية ويدعى محمد فريد والدكتور بفوند Pfund أحد مدرسى علم النبات والتاريخ الطبيعى ، واثنا عشر من أنفار وضباط صفوف أركان حرب .

الغرض من البعثة : هو كشف اقليم كردفان والبحث عن أقصر الطرق بينه وبين النيل ، مع حفر الآبار اللازمة لها . وكذلك رسم الخرائط اللازمة للإقليم مع بيان طبيعته من ناحية الثروة المعدنية والزراعية والحيوانية وأحوال سكانه . وقد قسم الجنرال استون أعمال البعثة الى ثلاثة أقسام [2] :

القسم الأول كشف الطريق الممتد من الدبة إلى الأبيض (عاصمة كردفان) كشفا دقيقا مع رسم خريطة للطريق أثناء السفر . وكذلك اصلاح الآبار ومنابع المياه تسهيلا للقوافل ، وعمل « مقايسة لطرق عربات تركب من (دبه) الى (عبيد) ذهابا وايابا [3] » ، مع رسم خريطة للمنطقة وما يجاورها .

---

(١) يذكره الأستاذ الصياد باسم [عمر رشدى] فى كتاب اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته مقالة « ما أفادته الجغرافيا فى عهد اسماعيل ص ١٩٥ . ولكنه ذكر فى المصدرين السابقين باسم عامر رشدى .

(2) Colston : Report on Northern & Centeral Kordofan . Letter ' from General Stone to Col. Colston in 3 Dec 1874 P. XII .

(٣) المصدر السابق . والوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٤] . وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٩٥ .

القسم الثانى تعاونت البعثتان ـ بعثة بردى وبعثة كولستون ـ فى اتمامه ، فكان عليهما كشف المنطقة بين عبيد ودارفور ، مع تحرير التقرير الكاشف عن منبع ثرواتها ومزاج اقليمها وهوائها وحال أهاليها وغير ذلك (١) ، ثم تفترق البعثتان بعد ذلك على أن يلتقيـــا فى فاشودة حيث يقومان بكتابة التقارير ، وعمل الخرائط اللازمة وارسالها إلى رئيس هيئة أركان حرب بالقاهرة (٢) .

القسم الثالث عبارة عن كشف المرتفعات الغربية التى تربط بحيرة البرت فى الغرب بجنوب خط الاستواء . وكلفت البعثتان القيام به متضامنتين ، فتتولى إحداهما ، كشف الممالك فى غرب الجبال الشاهقة التى على القرب من تلك السواحل ومملكة (نيام نيام) (٣) ، . وقد اصطحبت البعثة معهـا ، آلات للمساحة والرصد والمعادن والطلومبات (٤) ، .

ولم يستطيع الأميرالاى (العميد) كولستون من إتمام رحلته نظرا لمرضه فاضطر إلى تركها لزميله القائمقام ريد ، ولكنه لم يستمر فى الرياسة لمرضه كذلك ، فتنازل عنها لزميله البكباشى بروات (٥) Prout فى ٥ يونيه سنـة ١٨٧٥ ، وكان يشغل القسم الثالث من أقسام هيئة أركان حرب وقتئذ : وزودت البعثة بقوة عسكرية

---

(١) المصادر السابقة
(٢) المصادر السابقة
(٣) تقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١١٩٥
(٤) المصدر السابق
(٥) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٨

ولكن الجنرال استون شدد بضرورة إستعمالها للدفاع فقط لا للهجوم (١) . وقد اختص الدكتور بفوند بدراسة المنطقة من الناحية الجيولوجية والمناخية والطبوغرافية وكذلك من ناحية الثروة الطبيعية والصناعية والانتاجية (٢) .

وقد وضع الأميرالاى (العميد) كولستون تقريرا ضمنه نتيجة أبحاثه وتولت هيئة أركان حرب الجيش المصرى طبعه وإخراجه تحت عنوان .

Report on Northern & Centeral Kordofan

وتناول التقرير المظهر العام لكردفان من حيث تركيبها الجيولوجى - طبيعة الأرض - الزراعة والتجارة - الطرق وأهميتها للإقليم - التجارة وأهم المتاجر الموجودة به - الأمطار والآبار ومستودعات المياه - رسم قطاع أرضى للطريق بين الدبه والأبيض . وقد وضع هذا التقرير الصاغ (الرائد) حمدى وزملاؤه الذين صحبوه فى تلك الرحلة أمثال محمد ماهر ، وخليل فوزى ، ورشدى ، ويوسف حلمى . كما ساهموا أيضا فى رسم الخرائط التى وضعت لهذا الاقليم (٣) .

وقد استغرقت الرحلة ، مدة ثلاث سنوات فرسمت خريطة كردفان بالتفصيل ، وخريطة جبل مرة بدارفور والطرق الموصلة اليها ، وخريطة لجهات

---

(1) Colston : Report on Northern & Central Kordofan P. 47.

(٢) المصدر السابق

(٣) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الأستاذ مصطفى عامر (بك) مساهمة المصريين ...» ص ١٨٦ .

مديرية ونيام نيام وملحقاتها وجهات خط الاستواء (١) .

بعثة القائمقام شاييه لونج الى أوغنده من ٢٤ فبراير ١٨٧٤ – ١٦ أكتوبر ١٨٧٤

اختار غردون القائمقام (عقيد) شاييه لونج واسمه فى الأوراق الرسمية شارلز س. لونج Charles C.Long ليكون ضابطا لأركان حربه عندما عين مأمورا لمديريات خط الاستواء فى ٢ المحرم سنة ١٢٩١ (١٩ فبراير سنة ١٨٧٤) . وقد أمره الخديو اسماعيل بالذهاب فور تعيينه إلى ملك أوغنده لعقد محالفة عسكرية معه ، لأنه علم بأن الحكومة الانجليزية فى صدد إرسال شخص يدعى استانلى لرفع العلم الإنجليزى على أوغنده (٢) .

الغرض من البعثة : كان الغرض الأساسى من هذه البعثة هو ضم أوغنده إلى مصر بطريق المحالفة ، فهى إذاً مهمة سياسة أكثر منها عسكرية (٣) . وإلى جانب ذلك كلف القائمقام لونج بارتياد هذه المنطقة وكشف مجاهلها .

خط السير : غادر القائمقام (العقيد) شاييه لونج القاهرة فى ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ وبصحبته الملازم أول حسن واصف (افندى) ، ضابط أركان حرب ،

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٣٨

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١١٦ .

Chaillé - Long ; My life in Four Continents p.67

" - " : L'Egypte et Ses Provinces Perdues P. 12

Crabités : Americans in the Egpytian Army P.93 ;

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٥٧ .

وياور الأميرالاى (عميد) غردون. وأبحر المركب من ميناء السويس إلى سواكن فوصلها في ٢٦ فبراير سنه ١٨٧٤ ، ومنها إلى الخرطوم فى ١٣ مارس بطريق القوافل . وقد رافقه (١) غردون إلى غندكرو حيث زوده بالتعليمات والمؤن اللازمة . ولكى لاتثير البعثة شكوك ملك أوغنده رؤى أن يصحب القائمقام (العقيد) لونج جنديين سودانيين فقط هما : سعيد بقارة ، وعبد الرحمن الغوراوى بناء على تزكية (٢) رؤوف بك (قومندان عساكر مديرية خط الاستواء) وقتذاك. وألحق بهم ابراهيم (افندى) بصفة مترجم ، وفراش يدعى كلرمان Kellrman من بلاد الالزاس ، وطاهى يدعى آدم . ثم ضم لونج إلى البعثة شخصا آخر يدعى سليم لإلمامه بلغة أهل أوغنده (٣) .

واصطحب القائمقام (العقيد) لونج معه هدية للملك امتزه ملك أوغنده ردا على هديته التى أرسلها للخديو اسماعيل ، وتتكون من أقمشة قطنية ، وعقود ، وأساور ومرآة كبيرة مذهبة ، وصندوق بداخله آلة موسيقية ، وأنواع من الخرز وبعض الهدايا الأخرى (٤) . وقد رافق لونج فى ذهابه من غندكرو إلى

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٧

2 - Crabités ; Americans in the Egyptian Army P. L03

(٣) الوقائع المصرية العدد رقم ٥٩٢ فى غرة المحرم سنة ١٢٩٢ [٧ فبراير ١٨٧٥] ، وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٢٠٤
وتاريخ مديرية خطالاستوا ج ١ ص ١٥٧ .

4 - Crabités : Americans in the Egyptian Army p.103
(والأمير) عمر طوسون . تاريخ مديرية خط الاستواء ج ١ ص ١٦٩ .

فاتيكو قوة من الجنود مؤلفة من ٦٠ جنديا . وفى يوم ٦ مايو سنه ١٨٧٤ بلغت البعثة فاتيكو (المحطة العسكرية المصرية) ومنها إلى محطة فويرا العسكرية . وفى ٢١ يونيه قابل لونج ملك أوغندة وأبلغه تحيات خديو مصر ، ثم قدم له الهدايا التى استحضرها معه . وبعد أن مكث لونج فى ضيافة الملك مايقرب من ثلاثة أسابيع نجح خلالها فى إبرام معاهدة معه أقر فيها الملك بوضع مملكته تحت حماية مصر . وهذه المعاهدة التى أبلغت لسمو الخديو واتخذت أساسا لصدور تبليغ رسمى قررت بموجبه مصر ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرة فكتوريا والبرت نيانزا قد اختفت من دار المحفوظات بالقاهرة (١) . وقد أبلغ القائمقام (العميد) لونج الخديو اسماعيل بهذه المعاهدة فى تقرير رفعه اليه فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ (٢) . ومهما يكن من أمر هذه المعاهدة فكان من نتيجتها أن وضعت الحكومة المصرية قوة عسكرية قوامها ١٦٠ جنديا فى عاصمة مملكة روباجا ، ثم زيد هذا العدد بعد ذلك تسعين جنديا لتعزيزها .

وفى ١٤ يوليه سنة ١٨٧٤ اتجه شاييه لونج صوب البحيرة فبلغها بعد مسيرة ثلاث ساعات (٣) . ثم أبحر فوق سطح بحيرة فكتوريا ورجع بطريق النهر من أورندوجانى الى فويره . وقد هاجمه عند مرولى نحو أربعمائة مقاتل من ناحية

---

1 Chaillé - Long ; L:Egypte et Ses Provinces Perdues P.25 .

(٢) المصدران السابقان . ويضيف (الأمير) عمر طوسون إلى ذلك بأنه قد بحث فى أرشيف عابدين ودار المحفوظات وفى غيرهما فلم يعثر على أثر لهذه المعاهدة ولا على التقرير الذى رفع للخديو فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤

(٣) تاريخ مديرية خط الاستواء جـ١ ص ١٧١ .

كرازى ، فدافع هو ومساعداه عن أنفسهم دفاعا مجيدا . من وقت الظهر الى غروب ، الشمس ، وقتلوا اثنين وثمانين نفرا والباقون ولوا هاربين (١) . ثم واصل السير إلى غندكرو فى ١٦ اكتوبر سنة ١٨٧٤ . وقد رفع القائمقام (العقيد) لونج عدة تقارير عن رحلته هذه وأوضح فيها النتائج التى أمكنه الحصول عليها. ولهذه الرحلة جانبان : جانب سياسى . والآخر علمى جغرافى ، وقد نجحت فى كليهما نجاحا باهرا . فمن الناحية السياسة تمكنت مصر من عقد محالفة مع ملك أوغندة ، بمقتضاها استطاعت بسط حمايتها على تلك البلاد ووضع حامية عسكرية لها فى روباجا (عاصمة أوغنده) . أما من الناحية العلمية أو الجغرافية ففيما يلى بيان بنتائجها (٢) :

١ ـ استنتج القائمقام بأن بحيرة فكتوريا قليلة العرض جدا وتتكون من عدة برك لا تعرف مساحتها .

٢ ـ تمكن من إثبات صلاحية النهر للملاحة بين أروندوجانى وفويره .

٣ ـ الكشف عن بحيرة ابرهيم وتقع على مقربة من درجة ١ر٣٠° شمال خط الاستواء ودرجة ٣٠° و ٢٠° طولية شرق جرينتش .

---

(١) الوقائع المصرية العدد ٥٨٢ فى ١٣ شوال سنة ١٢٩١ [٢٢ نوفمبر ١٨٧٤] . وتقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١١٩١

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٩٢ فى غرة المحرم ١٢٩٢ [١٨٧٥] . وتقويم النيل المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٢٠٧ .

٤ • أقام الدليل على أن نهرسومرست تنصب فيه ميـاه نهر آخر خارج من تلك البحيرة .

وبنـــاء على ما أحرزه القائمقام (العقيد) لونج من نجاح أنعم عليه الخديو برتبة الأميرالاى (عميد) مع تقليده النيشان المجيدى من الدرجة الثالثة(١) .

بعثة ميتشل Mitchell

قامت هذه البعثـة بعد قيام بعثتى كولستون وبيردى فى ٥ ديسمبر ١٨٧٤ بأيام قلائل ، وكانت تتـكون من المستر Mitchell وهو مهندس مختص بأعمال التعدين والمناجم ، وكان يعمل فى جيش أمريكا الشمالى إبان الحرب الأهلية سنة ٦١ — ١٨٦٥ • وقد التحق بالجيش المصرى كمهندس مدنى، ولـكنه كان يتقاضى مرتب قائمقام (عقيد) (٢) ، واثنين من ضباط أركان حرب ، وبعض ضباط الصف والأنفار(٣) .وقد رافقه فى البعثة المسيو امليانو Emiliano الايطالى(٤) ويذكره سرهنك بإسم امليانى Emiliani (٥) •

---

1 - Publications of the Egypian Staff . Province of the Equator. Summery of Letters & Reports of His Excellency The Governor, Cairo Orinting Pffice of the General Staff 1877 P.28

وتاريخ مديرية خط الأستواء ج ١ ص ١٤٨

2 - Dye ; Moslem Egypt .... P. 500 .

(٣) الوقائع المصرية العدد ٥٨٠ . وتقويم النيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١١٩٥

4 - Edwine de Leon ; Khedivé!s Egypt p. 431

(٥) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٢٩

الغرض منهـا : كان الغرض من هذه البعثة ، استكشاف أصول الطبقات الأرضية والمعدنية بالمملكة التى بين نهر النيل والبحر الأحمر وبلاد النوبة وشرقى السودان إلى الجهات القريبة من نهر الصوبات (١) .

وبعد أن قامت البعثة بأعمال الكشف والتنقيب فى المنطقة بين قنا والقصير ، توجهت إلى ميناء زيلع (٢) . ثم عادت إلى مصوع لكتابة تقرير عن طبيعة الجهات الشرقية من الحبشة لتقديمه إلى قيادة الجيش المصرى ، لتستطيع القوات المصرية الإسترشاد به فى زحفها على الحبشة (٣) .

بعثة اقليم هرر

قام بكشف اقليم هرر فى سنة ١٨٧٥ البكباشى (المقدم) محمد مختار الذى كان يشغل منصب رئيس هيئـة أركان حرب (٤) محمد رؤوف (باشا) قائد حملة هرر . فبعد أن استتب الأمر لمصر فى هذا الإقليم أخذ البكباشى (المقدم) محمد مختار (وقد منح لقب باشا فيما بعد) يجوب الاقليم لجمع المعلومات الصحيحة عنه ، فرسم له بعض الخرائط الجغرافية . وكان لهذه الخرائط أهمية كبرى وقتذاك ، لأن الدول الأوربية فى ذلك الوقت لم تكن تعلم شيئاً عن هذا الاقليم سوى اسمه فقط . ثم كتب تقريرا مفصلا بنتائج كشوفه اشتمل على

(١) الوقائع المصرية العدد ٥٨٥ فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩١ [١٣ ديسمبر ١٨٧٤] وتقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١١٩٠

(٢) الوقائع المصرية العدد ٦٢٧ فى ١١ رمضان سنة ١٢٩٢ [١٠ أكتوبر ١٨٧٥] وتقويم النيل . المجلد الثالث . ج ٣ ص ١٢٧٦ .

3 - Crabités , Americans in the Egyptian Army P 201

(٤) حقائق الاخبار ج ٢ ص ٣٣٩

وصف لمدينة هرر ومساحتها وعدد سكانها وأهم أنواع المتاجر بها (١) .

بعثة الجاديبورسى

يقع إقليم الجاديبورسى جنوب غرب ميناء زيلع ، وكان هذا الاقليم مجهولا أيضا للعالم الغربى حينئذ ، فقام محمد مختار بالكشف عنه بمرافقة الملازم محمود خير الله . وقد وضع محمد مختار تقريرا هاما عن رحلته هذه ضمنه مشاهداته، فوصف الاقليم من الناحية الجغرافية .ومن ناحية الغلات ، وما يمارسه الأهالى من ضروب الحرف ، مع إبداء ملاحظاته الخاصة عنها (٢) .

بعثة الاميرالاى (العميد) جريفز Graves

كان من نتيجة إمتداد النفوذ المصرى على الساحل الغربى للبحر الأحمر واجتيازه لباب المندب أن أقدم الخديو اسماعيل على التقدم صوب الجنوب فى محـــاذات الساحل الصومالى . وكان الغرض من ذلك هو البحث عن أصلح الأماكن لإقامة فنار لهداية السفن الآتية من المحيط الهندى أو الخارجة اليه ، فأمر القائمقام جريفز فى سنة (٣) ١٨٧٨ بارتياد الشاطىء الصومالى لإختيار المكان المناسب لذلك ، ورافقه فى هذه المهمة القائمقام محمد مختار . وبعد معاينة

---

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . « مقالة الأستاذ الصياد » « ما افادته الجغرافيا . . » ص ١٩٦

(٢) المصدر السابق

(٣) وهو أمريكى من ولاية جورجيا بامريكا تخرج من اكاديميـــة آنابوليس البحرية Annapolis Naval Academy واشترك فى الحرب الأهلية الامريكية وخدم فى جيش القوات المتحالفة .

الساحل استقر الرأى على بناء (الفنار) على بعد ثمانية أميـــال جنوبى رأس جوردفوى Gaurdafui على أن يكون ارتفاعه ١٨٥ قدما عن مستوى سطح البحر (١) . وقد رسم محمد مختار خريطة لهذا الاقليم، إلا أن بناء (الفنار) لم يبدأ فيه لعزل الخديو اسماعيل عن ولاية مصر فى يونيه سنة ١٨٧٩ .

كذلك قام الضابط الإيطالى رومولو جيسى Romolo Gessi بالكشف عن بحيرة البرت نيانزا فى ٧٥ - ١٨٧٦ بأمر من غردون الحاكم العـــام لمديريات خط الاستواء ، وباشراف من هيئة أركان حرب الجيش المصرى (٢) . وقام غيره بكشوف أخرى سنذكرها بعد قليل.

وفى ١٦ اكتوبر سنة ١٨٧٦ رفع الجنرال استون إلى الخـــديو اسماعيل تقرير اضافيا (٣) عن أعمال الكشف التى قام بهـــا ضباط أركان حرب الجيش من مصريين وأجانب على السواء . ونظرا لما لهذا التقرير من أهمية رأينا نشره زيادة فى الايضاح :

نظارة الجهادية
مكتب رئيس هيئة أركان حرب
مصر فى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٦

---

1 - Grabités ; Americans in the Egyptian Army P.234

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء جـ ١ ص ١٦٩ و المصدر السابق ص ٢١٤

3 - Abdin. Corrs. Fran. Doss. No. 72/1 Ministère de la Guerre. Bureau du Chef d'Etat-Majer A Son Altesse le Khedive. Le Caire en 15 Ovtobre 1876 .

فيما يلى ملخص لحركة الكشوف الجغرافية والعلمية التى قام بها ضبـاط أركان حرب فى خلال السنوات الثلاث من ٧٤ - ١٨٧٦ :

١ - الكشف الدقيق للنيل الأبيض من غندكرو إلى بحيرة ألبرت ، وقام بـه غردون بمساعدة واطسون Watson وشيبندال chippendal وجيسى Gessi .

٢ - كشف النيل الأبيض من الخرطوم إلى غندكرو كشفا دقيقا يفوق كل ماتم من قبل ، مع تحديد خمسة مواقع تحـــديدا فلكيا . وقام به وطسن وشيبندال تحت إشراف الأمـيرالاى (العميـد) غردون .

٣ - فى ديسمبر سنة ١٨٧٤ قـام كل من وطسن وشيبندال ببعض الأرصاد الجوية فى الرجاف بالقرب من غندكرو بأمر من الأمــيرالاى (العميد) غردون .

٤ - الكشف عن بحيرة ألبرت سنة ١٨٧٦ ، وقـــام به جيسى Gessi تحت إشراف غردون .

٥ - إنشاء خط ملاحة تجارى فى بحيرة ألبرت قوامه بعض المراكب البخارية تحت إشراف غردون.

٦ - تحقيق مجرى النيل بين بحيرة فيكتوريا ومرولى Mrolli وكشف بحيرة ابراهيم قام به القائمقام (العقيد) لونج بأمر من الأميرالاى (العميد) غردون .

٧ - تحقيق مجرى النيل بين شلالات كاراما وبحيرة البرت قام بـه لينـان ، وجيسى ، وبياديجيا Piadiggia تحت إشراف الأميرالاى (العميد) غردون .

٨ ـ كشف الفرع الذى يخرج من النيل بالقرب من بحيرة ألبرت فى الاتجاه الشمالى الغربى ، قام به جيسى تحت إشراف غردون .

٩ ـ كشف الفرع الذى يخرج من بحيرة ابراهيم فى اتجاه شمالى ، وقام به بياديجيا تحت إشراف غردون كذلك.

١٠ ـ تحقيق لمجرى النيل بين فويره ومرولى قام به غردون نفسه .

١١ ـ كشف المنطقة بين النيل الأبيض بالقرب من غندكرو وبلاد المكراكا ونيام نيام قام به الأميرالاى (العميد) لونج بمساعدة مارنو Marno تحت إشراف غردون .

١٢ ـ كشف الطريق بين الدبه وماطول ، وبين الدبه وأربيال ، وعمل خريطة له قام به الأميرالاى (العميد) كولستن بمساعدة خمسة ضباط مصريين من هيئة أركان حرب ، ووضع تقريرا عن المنطقة الشمالية لإقليم كردفان.

١٣ ـ كشف عام لاقليم كردفان إلى خط عرض ١٢ شمالا مع رسم خريطة له قام به البكباشى (المقدم) بروت Prout بمساعدة خمسة ضباط مصريين من هيئة أركان حرب ، وبلغ مجموع ما كشف من طرق ٦٠٠٠ كيلو مترا ، وبلغ ما حدد من المواقع تحديدا فلكيا ١٧ موقعا .

١٤ ـ كشف أنواع النباتات المختلفة ـ مع تكوين مجموعة كبيرة منها ـ بمديريات كردفان ، قام به الدكتور Pfund تحت إشراف كولستن ، والبكباشى (المقدم) بروات Prout .

١٥ ـ الكشف عن أنواع النباتات مع تكوين مجموعة منها أيضا ، وذلك

بالمنطقة الوسطى لإقليم دارفور . قام به الدكتور Pfund تحت إشراف الأميرالاى (العميد) بيردى .

١٦ - كشف الطريق بين دنقلة على النيل والفاشر عاصمة دارفور . قـام بـه الأميرالاى (العميد) بيردى بمساعدة القائمقام (العقيـد) ماسون Mason وخمسة ضباط مصريين من هيئة أركان حرب .

١٧ - كشف عام لإقليم دارفور ومنطقـة دار فرتيت إلى حفرات النحاس وشكا فى الجنوب وجبل ميدوب فى الشمال وحدود «واداى» فى الغرب ، مع رسم خريطة لهذا الاقليم ، وكتابة تقرير عن المنطقة قام به الأميرالاى (العميد) بيردى بمساعدة القائمقام (العقيد) ماسون والبكباشى (المقـدم) بروات وتسعة ضباط مصريين آخرين من هيئـة أركان حرب . وبلـغ مجموع الطرق التى تم كشفها ٦٥٠٠ كيلو مترا ، والأماكن التى تم تحديدها ٢٢ موقعا تحديدا فلكيا .

١٨ - القيام بكشوف جيولوجية ومعدنية فى المنطقة بين الرودسية وقنا على النيل والبحر الأحمر بالقرب من القصير ، مع عمل خريطـة جيولوجيـة ورسم قطاع لها ، وكتابة تقرير عنها قام به المستر ميتشل Mitchell بمساعدة ضابط مصرى من أركان حرب ، واميليانو Emiliano مع مجموعة ضخمة من النماذج .

١٩ - القيام بكشوف طبوغرافية وجيولوجية للمنطقة التى تقع إلى الجنوب الغربى لميناء زيلع بالقرب من تاجور ، قـام به المستر ميتشل Mitchell

بمساعدة ضابط أركان حرب واميليانو ، ورسم خريطة للمنطقة وتكوين مجموعة من النماذج الجيولوجية .

٢٠ ـ كشف المنطقة بين زيلع وهرر ورسم خريطة لها ، وكذلك رسم خريطة لمدينة هرر وما يجاورها من البلدان . قام به البكباشى (المقدم) مختار من هيئة أركان حرب بمساعدة الصاغ (الرائد) فوزى من هيئة أركان حرب الملحقين بحملة رؤوف (باشا) .

٢١ ـ كشف المنطقة بين ساحل البحر الأحمر بالقرب من مصوع وهضبة الحبشة كشفا طبوغرافيا ، مع رسم خريطة لهـا . قام به البكباشيه (المقدمون) دليو Duliu ، وديني‌سون Dennison ، ودى أوهـولى Duiholy ، واليوزباشى (النقيب) ايرجنس Irgens وضابط آخر من المصريين من هيئة أركان حرب .

٢٢ ـ كشف المنطقة بين مصوع وهضبة الحبشة كشفا جيولوجيا مع تكوين مجموعة من النماذج ، قام به المستر ميتشل Mitchell بمساعدة اميليانو .

٢٣ ـ كشف ومسح المنطقة بين بربر وجبل دوبار مع عمل خريطة لها قام به اليوزباشى نظمى ، وبعض ضباط آخرين من هيئة أركان حرب .

٢٤ ـ كشف مينائى قسمايو ودمفورد Dumford على ساحل المحيط الهندى ، وعمل خريطة لها مع بيان عمق المياه بها ، قـام بـه

الأميرالاى (العميد) وارد Ward بمساعدة اليوزباشى (النقيب) صدقى وضباط آخرون من هيئة أركان حرب .

٢٥ ـ كشف الطريق الصحراوى بين أسيوط وعين الآجية قام به (البكباشى) (المقدم) Duiholy بمساعدة ضابط مصرى من هيئة أركان حرب .

٢٦ ـ كشف المنطقة بين تاجور وأوسه ، قام به الملازم محمد عزت تحت إشراف منزنجر (باشا) .

٢٧ ـ تسجيلات بارومترية قام بعملها ضباط مديريات خط الاستواء وكردفان ودارفور وضباط البعوث الكشفية المختلفة .

أرفع لسموكم هذا التقرير مع فائق إحترامى

الامضاء

استون

رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى

الدور الذى لعبه الضباط المصريون فى حركة الكشوف الجغرافية

يستطيع الدارس لحركة الكشوف الجغرافية فى عصر الخديو اسماعيل أن يلاحظ أهمية الدور الذى لعبه الضباط المصريون فيها ، فمع أن أغلب البعوث الكشفية كان يرأسها ضباط غير مصريين إلا أن العبء الأكبر كان يقع على عاتق هؤلاء الضباط المصريين . وكان لرؤساء البعوث فضل المعاونة والتوجيه الصحيح ، فامتدت الحركة من شمال الوادى الى جنوبه حتى جنوب خط الاستواء .

شمال الوادى : فنى شمال الوادى قام الضباط المصريون تحت إشراف بيردى بمسح الصحراء الشرقية بين القاهرة والسويس شمالا ، وجنوبا بين قنا والقصير. واشتركوا مع الأميرالاى (العميد) كولستن فى كشف الطريق بين قنـــا ورأس بناس على البحر الأحمر . وقام الضابط المصرى عبد الفتاح حلمى مـــع المستر ميتشل الجيولوجى بالكشف عن منـاجم الذهب فى شمال شرق قنـا وسواحل البحر الأحمر .

شرق الوادى (شرق افريقيا) : قامت بعثة فى سنة ١٨٧٥ تحت إشراف ميتشل والضابط عبد الفتاح حلمى للبحث فى الصحراء الشرقيـة عن مناجم الذهب بين النيل والبحر الأحمر : ثم مرت بثغور البحر الأحمر وخليج عـدن وزيلـع ومصوع وشرق الحبشة .

وفى إقليم هرر قام محمد مختار (باشا) بارتياد مجاهله ووضع تقرير مفصل تناول فيه جغرافيته ، وسكانه ، وتجارته ،ودرجات الحرارة اليومية المختلفة (١). وقد قام محمد مختار وعبد الله فوزى برسم خريطة للمنطقة الواقعة بـين خليج عدن وبلاد الحبشة نشرت سنة ١٨٧٦ بمجـلة أركان حرب الجيش المصرى » ، وهى أول خريطة صحيحة لحـكمدارية هرر وما جاورها (٢) » . كما رسم هـذان الضابطان خريطة تخطيطية لمدينة هرر طبعت سنة ١٨٧٧ . والخريطـة موضح

---

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٥ عاما على وفاته . مقالة الاستاذ الصياد عن « ما أفادته الجغرافية فى عهد اسماعيل » ص ١٩٦ .

(٢) المصدر السابق

بها حدود المدينة وطرقها وبساتينها . واشتهر غير هؤلاء من ضباط أركان حرب بأعمالهم فى هذه المنطقة ، أمثال رؤوف ، ومهدى ، وعبد الرازق نظمى .

كذلك قام القائمقام محمد مختار فى سنة ١٨٧٧ بارتياد اقليم الجاديبورسى ، ويمتد إلى الجنوب الغربى من زيلع ومعه الملازم محمود خير الله . وقد وضع محمد مختار تقريرا هاما عن سكان هذه المنطقة وطرقها وموارد المياه بها ...

قام الأميراى (العميد) جريفز Graves فى سنة ١٨٧٨ يرافقه القائمقام محمد مختار لإرتياد شواطىء الصومال على المحيط الهندى لتفقده ، وإختيار أحسن المواقع لإقامة منار لهداية السفن . وقد حدد محمد مختار موقع المنار على بعد ثمانية أميال جنوبى رأس جوردفوى . ثم رسم خريطة مفصلة لرأس جوردفوى بمقياس ١ : ٤٠٠٠٠ . وتمتاز بدقتها وتفاصيلها (١) وقد عمل فى هذه المنطقة غير هؤلاء صديق وحسن واصف .

غرب الوادى : قام ضباط أركان حرب الجيش المصرى بأعمال جليلة فى اقليمى دارفور وكردفان ، فلمعت أسماء محمود صبرى ، ومحمد سامى ، وسعيد نصر وخليل حلمى ، ومحمد ماهر ، وخليل فوزى ، وعامر رشدى ، ويوسف حلمى . وقد رسمت خرائط عديدة لهاتين المنطقتين ، فقام بروت والملازمان ماهر وفوزى برسم خريطة لمديرية كردفان بمقياس ١ : ١٠٠٠٠٠٠ ورسم الميجر بروت والملازم محمود ماهر خريطة للطريق من سواكن إلى بربر بمقياس ١ : ٨٠٠٠٠٠ . كذلك رسم الضابط خليل فوزى ، وعمر رشدى ، ويوسف حلمى خريطة لمدينة الأبيض بمقياس ١ : ١٠٠٠٠

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته « مقالة الاستاذ الصياد (ما أفادته الجغرافيا ص ١٩٨ »

كما وضع الميجر (مقدم) بروت خريطة لتوزيع الغابات بمديرية كردفان وخريطة لمنطقة جبل مره بمقياس ١ : ١٠٠٠٠٠٠ ووضع الضابط صبرى خريطة لشمال دارفور (١) .

جنوب الوادى : قام اليوزباشى (النقيب) أركان حرب مصطفى (افندى) صدقى برسم خريطة للطريق الذى سلكه الأميرالاى (العميد) شاييه لونج فيما بين غندكرو وأوغنده ، ذلك فى شهر مارس سنة ١٨٧٥ (٢) . وفى هذه الخريطة تبدو بحيرة ابراهيم وبحيرة البرت اللتين كان لمصر فخر الكشف عنها وعن «حل لغز» نيل فيكتوريا بهاتين البحيرتين (٣) » .

وقد وضع ضباط أركان حرب أيضا خريطة عامة لمصر والسودان فى عهد الخديو اسماعيل من سنة ١٨٦٨ - ١٨٧٨ مقياس ١ : ٨٠٠٠٠٠٠ (٤) (وقد وجه اليها الدكتور محمد صبرى عدة إنتقادات بالملحق الخاصة بكتابة «الامبراطورية المصرية فى القرن التاسع عشر ») . كما وضع ضباط أركان حرب سنة ١٨٧٧ خريطة مفصلة لافريقيا إشترك فى وضعها الأميرالاى (العميد) لوكت Lockett، والقائمقام (العقيد) محمد مختار ، والصاغ (الرائد) عبد الله فوزى ، وعبد الرازق نظمى ، والضابط محمد صبرى ، وابراهيم حلمى ، ومحمد جودت ، ومحمد خير الله ، ويوسف ضيا (باشا) ، وعلى حيدر (باشا) ، وأحمد رشيد ، «وتعتبر الخريطة أدق خريطة عرفت حتى ذلك الحين (٥) » .

---

1 - Publicàtions of the Epyptian Gen. Staff ; Major Prout . P.

(٢) تاريخ مديرية خط الاستواء جـ ١ آخر الكتاب

(٣) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة مصطفى عامر (بك) ص ١٦٨

(٤) تاريخ مديرية خط الاستواء جـ ١ نهاية الكتاب

(١) اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته . مقالة الاستاذ الصياد ص ١٩٩ ؛

الفصل الخامس عشر

الأزمة المالية وأثرها فى الجيش

الأزمة المالية وأثرها فى الجيش

كان لسياسة التبذير والإسراف التى سار عليها اسماعيل ، وما بذله من أموال للحصول على الفرمانات المتتالية أثره على الناحية المالية ، وبالتالى فى حالة الجيش المصرى فى تلك الفترة . فحالة المالية السيئة اضطرت الحكومة إلى تأخير صرف مرتبات الجيش والموظفين ، فساد التذمر جميع الطبقات ، وانزعج الباب العالى لما وصلت اليه الأزمة المالية بمصر ، وخشى عـــلى البلاد من عواقب التدخل الأجنبى فأصدر فرمان سنة ١٨٦٩ الذى حرم على الخديو الاستـدانة من الدول الأجنبية إلا بعد موافقته . فاضطر الخديو إلى التصرف فى أملاكه الخـــاصة فرهنها للحصول على المال اللازم له . ولـكن هذه الأموال لم تكن كافيـــة لسد العجز ، فلجأ إلى الاقتراض بعد ذلك مرات . غير أن هذه القروض لم تف بحاجته الملحة إلى المال فقرر فى سنة ١٨٧١ إصدار « قانون المقابلة » وهو ينص على أن كل من يدفع من الأهالى للحكومة ضرائب ستة أعوام يعفى بعد ذلك من نصف الضريبة المطلوبة بصفة دائمة . ولـكن هذه الضريبة أيضا رغم مـا سببته لمصر من خسائر لم تؤد الغرض المطلوب . فاضطر الخديو فى سنة ١٨٧٥ إلى بيع أسهم مصر فى قناة السويس بثمن بخس ويعتبر بيع تلك الأسهم « أكبر نصر أحرزه دزرائيلى ، وأعظم غلطـة سياسية ومالية ارتـكبها الخديو (١) » إذ كانت سببا فى خراب مصر المالى وإضعافها من الناحيتين السياسية والعسكرية .

وتبع ذلك تدخل الدول الدائنة فى الشئون المالية ، فوفدت إلى مصر فى

1 - Cromer ; Modern Egypt. Vol.1 P.11

سنة ١٨٧٥ بعثة كيف Cave لفحص مالية البلاد بنـــاء على طلب الخديو . ثم أنشئ فى سنة ١٨٧٦ صندوق لضمان تسديد الديون المصرية . ثم شكلت فى ٤ ابريل سنة ١٨٧٨ «لجنة التحقيق» لفحص ماليـــة البلاد وتقديم ماتراه من مقترحات . وكان أهمها اقتراح يرمى إلى تخفيض عدد الجيش المصرى لتخفيف العبء عن الميزانية . واقتراح بإنشاء وزارة مسؤولة شكلت فى ٢٩ شعبان ١٢٩٥ (٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨) برياسة نوبار لتتولى تحمل تبعة الحكم فى البلاد تقييدا لسلطة الخديو . ورغم ذلك لم تتحسن الحالة المالية فى عهد تلك النظارة بل إزدادت سوءا .

تاخر صرف مرتبات الجيش

ذكرنا من قبل أن الحالة المالية لم تتحسن بفرض الرقابة الثنائية عليها ، بل إزدادت سواء فلم تستطع الحكومة صرف مرتبات الموظفين بما فى ذلك رجال الجيش . وإذا ألقينا نظرة فاحصة على ميزانية نظارة الجهادية فى سنتى ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وجدنا أن ماربط لنظارة الجهادية فى سنة ١٨٧٧ هو مبلغ ٣٦٨ كيسة ٤ قرشا — ١٩٥ر٧٢٠ (أى ما يقرب من ٩٧٩ر٠٠٠ جنيها [1]) وهو مبلغ ضئيل إذا قيس بما تتطابه نظارة الجهادية من مال وفير للإنفاق على التحسينات العديدة التى أدخلت على الجيش . هذا فضلا عن تجهيز الحملات لمساعدة الباب العـــالى فى حروبه المستمرة . ولكن رغم قلته لم تكن نظارة الجهادية تستطيع الحصول عليه . وسبب ذلك يرجع إلى أنه فى تلك السنة كان الدخل العـام للدولة يقرب

---

1 - Farman ; Egypt and its Betrayal P. 197

من ٩٫٥٤٣٫٠٠٠ جنيها . وكان نصيب الدائنين منه مبلغ ٧٫٤٧٣٫٩٠٩ جنيها ونصيب انجلترا من أرباح القناة ، مضافا اليها الجزية السنوية للباب العالى يقرب من ١٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه . أما الباقى وهو يزيد قليلا عن مليون جنيه فقــد ترك لنفقات الحكومة بما فى ذلك مرتبات رجال الجيش والمرتبات الضخمة للموظفين الاوربيين . وتكرر هذا الاجراء أيضا فى سنة ١٨٧٨ (١) . فــلا غرابه إذا ما عجزت الحكومة عن صرف مرتبات الضباط والجنود حتى يتيسر لها دفــع أقساط الديون فى مواعيدها المحددة . ونتيجة لهذه السياسة المغرضة تأخر صرف رواتب الضباط والجنود ثلاث سنوات متتــالية من سنة ١٨٧٦ إلى ١٨٧٨ ، فعت الشكوى وزاد تذمر الجند ، وتوالت التلغرافات العديدة على نظارة الجهادية من مختلف وحدات الجيش طالبة إرسال المرتبات المتأخرة . ولنذكر بعضا من هذه البرقيات على سبيل المثال لا الحصر :

من قائمقام (عقيد) ٢ جى سوارى بجرجا (٢)

الاستحقاقات الباقية لغاية سنة ١٨٧٨ بعد المنصرف لغاية ابريل سنة ١٨٧٨

قرشا		
٥٨٢٧٨	علايق الضباط)	سنة ١٨٧٦
١٢١٣٠	الماهيــات)	
٨٥٨٩١	علايق الضباط)	سنة ١٨٧٧

1 - Farman , Egydt and its Betrayal . P.235 & 236

(٢) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التلغرافات لديوان الجهادية . برقية رقم ١٤ س ٥ ف ٥ جمادى الاخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

قرشا		
٦٥٨٩١	علايق الضباط	سنة ١٨٧٧
١١٥٦٠	العسكر	
١١٢٠٩	الماهيات	سنة ١٨٧٧
٤٨١١١	علايق الضباط	
٤٠٧٠٠	العسكر	سنة ١٨٧٧
٨٥٢١	الماهيات	
٢٥٦٤٠٠	الجملة	

من ٢ جى سواحل بدمياط (١)

		قرشا		قرشا	
باقى استحقاق من سنة	١٨٧٦	١٢٠٣١٤	علايق و	١٤٤٧٢	ماهيات
» » » »	١٨٧٧	٢٤٨٩٠١	» و	٥٦٦١٢	»
» » » »	١٨٧٨	١٦٢٢١٦	» و	٤٦١٧٢	»

من قومندان الايات (الوية) رشيد (٢)

باقى استحقاقات الآلايات (الألوية) برشيد بعد المنصرف لغاية ابريل سنة ١٨٧٨ .

	قرشا		قرشا		قرشا
سنة ١٨٧٦ ماهيات	٤٤٢٣٨	ضباط	٢٦٧٤٧٧	وعسكر	١٠٨٢٤٦

(١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورد التلغرافات لديوان الجهادية . برقية رقم ٣٤ ص ٥ فى ٥ جمادى الاخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

(٢) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التلغرافات لديو ن الجهادية . برقيـــة رقم ٨ ص ٥ فى ٦ جمادى الاخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

سنة ١٨٧٧ ماهيات ١٨٣٨٣٠ قرشا ضباط ٦٣٦١٧٧ قرشا وعسكر ٢٠٠٥٩١ قرشا

سنة ١٨٧٨ ماهيات ٧١٧٥٢ ضباط ٤٤٦٢١٥ وعسكر ١١٨٣٥٤

من قائمقام (عقيد) برنجى بيادة و ٢ جى فرقة بالقناطر (١)

سنة	ماهيات –	ماهيات قرشا	صف ضباط –	صف ضباط قرشا	ضباط –	ضباط قرشا	جملة –	جملة قرشا
١٨٧٦		١٠٥٦٤		١٤١٢٢	٣٠	١٥٢١٦٤	٣٠	١٧٦٨٥٠
١٨٧٧	٣٠	١٤٨٢١	٢٠	٩٢٨٨٨	٢٠	٢٢٧٠٠٤	٣٠	٣٣٤٧١٤
١٨٧٨	٣٥	٩٩٢٩	١٠	٧٢١٦٦	٢٥	١٣٦٢١٠	٣٠	٢١٨٣٠٦
	٢٥	٣٥٣١٥	٣٠	١٧٩١٨٦	٣٥	٥١٥٣٧٩	١٠	٧٢٩٨٧٢

من وكيل فابريقة الدكمخانة بطره (٢)

–	قرشا	
	١٠٣٩٤	استحقاق الضابطان (الضباط)
٣٣	٦١٢٣	استحقاق الكتاب
١٧	٣٩٠٩٧	استحقاق خدمة سايرة
٢٨	٣٢٢٤	« الصف ضباط والعساكر
	٧٩٠٣	أجرة شغالة سنة ١٨٧٦
٣٠	٣٢٤٨	أجرة شغالة سنة ١٨٧٧
١٧	٢٤٤	أجرة شغالة سنة ١٨٧٨
٥	٧٠٥٣٦	الجملة

(١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقم ٢١ ص ٢٧ فى ١٦ جمادى الأخرة سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨).

(٢) دفتر ٢٩٥٩ قيد ورود التلغرافات لديوان الجهادية برقيــة رقم ٧ ص ٧ فى ٧٢ يناير سنة ١٨٧٩.

هـذه هي بعض البرقيات التي وردت تستحث ديوان الجهادية عـلى سرعة صرف متأخرات الرواتب ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر . فـلا عجب إذا « اضطر ضعفـاء الحـال الى الاستدانه- وبيـع مايملكون (١) » . بـل لقد بلغت الحال إلى ماهو أسوأ من ذلك ، إذ لم يستطع هؤلاء الضبـاط أن يجدوا من يقرضهم ، « فمد الكثير منهم يده للسؤال حتى صار يضرب يومئـذ بعوزهم المثل (٢) » . وظهروا أمام الأهالى فى أسمال بالية (٣) ،فاستحقوا بذلك الرثاء . وليت الخطب كان مقصورا على الضباط أنفسهم ، بل شاركهم فيه أسرهم فبلغ حالها مبلغا كبيرا من البؤس والفاقة (٤) . فكان النساء والأطفـال يصرخون من ألم الجوع ويمدون أيديهم طلبا للعيش (٥) . وقد صور قنصل أمريكا الجنرال حينئذ المستر فارمان E E. Farmrn حـالة هذه الطبقة فى تقرير (٦) رفعه الى وزارة الخارجية الأمريكية أصدق تصوير . كما أن استدانة الضباط من الأهالى حالت دون نقلهم من مكان إلى آخر ما لم تصرف لهـم النظارة جزءا من مرتباتهم لسداد الأهالى قبل مغادرتهم البلد (٧) .

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٦٠

(٢) المصدر السابق

3- W.W.Loring , A Confederate soldier in Egypt. P.177

4 - Farman ; Egyqt and its Betrayal P.239

5 - Loring , A Confedsrate soldier in Egypi P. 177

6 - Abdin Amr. Vol. 15 Agency & Cons.-Gen' of U.SA. in 21 , Marah , 1879

(٧) دفتر ٩ ٢٩٥ قيد ورود التلغرافات لديوان الجهادية . برقيـة ص ١٢ من لواء آلايات البيادة والسواحل بإسكندرية فى ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ .

وقد صرفت هذه الحالة الضباط وسائر موظفى الدولة عن أعمالهم، وجعلتهم لايفكرون إلا فى الطرق المختلفة للخلاص من هذه الأزمة المستحكمة التى تعانيها البلاد . فنشأ من بين هؤلاء الحزب الوطنى ، « ولما انتشرت أفكار هـذا الحزب انخرط تحت لوائه من العلماء والضباط والموظفين العدد الكبير (١) » ومنذ ذلك الحين بدأ تدخل الجيش فى الأمور السياسية ، وحمل لواء الحركة القومية التى كانت ترمى إلى التخلص من كل نفوذ أجنبى .

اضراب تموين الجيش

لم يتطرق فساد الادارة إلى مرتبات الجيش فحسب ، بـل تناول تموين الجيش كذلك . فأصبحت أنواع الأطعمة التى تنفد لايشترى بدلها إلا بعد مدة طويـلة تتبادل فيها وحدات الجيش المختلفة وديوان الجهادية مئات البرقيات . وما ينتج عن هذا التأخير من اضطراب فى سير الأمور بمختلف وحدات الجيش . وفيـما يلى بعض هذه البرقيات على سبيل المثال .

من محافظ اسكندرية الى الجهادية

« من مدة لم تصرف للبرية ولا للبحرية رز لعدم وجوده بالمخـازن فنؤمـل إجراء مايمكن منه للحصول على سرعة وروده للصرف (٢) »(هـكذا فى النص)

(١) حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٢٦٠ و ٣٦١

(٢) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٢٩ ص ٢٦ فى ١١ مارس سنة ١٨٧٩ .

من قائمقام (عقيد) ٢ جى سوارى بجرجا

« أصناف العدس والفول انتهوا بأورط الآلاى خصوصاً ه جى أورطـة المقيمة بجرجا . الباقى يـكفى خمسة أيام وأيضا صنف القمح الجارى أعماله خبز قارب الانتهاء ولم موجود منه لاشىء بأشوان المديرية وليس معلوم ماذا يصير فى الطبخ نؤمل الافادة (١) » (هـكذا فى النص)

من ناظر مخبز القبارى

« الدقيق الموجود يـكفى التشغيلات لباكر (٢) » (هـكذا)

من مدير جرجا

البقسماط الموجود بأورطة البيادة انتهى ولم يفاد عنها كتب عنه للجهـادية رسميا بنمر ٣٣ (٣) » (هـكذا)

كذلك أضرب متعهدو توريد المواد الغذائية عن تنفيذ التزامـاتهم ، نظرا لعدم صرف قيمة ما قاموا بتوريده سابقا لديوان الجهـــادية . فاضطر رؤساء الوحدات الى رفع عقيرتهم بالشكوى طالبين من ديوان الجهادية سرعـة تدراك هذا الأمر . فنجد مثلا قومندان آلايات (ألوية) اسكندرية يبعث الى الجهادية بالبرقية التـالية :

---

(١) دفتر ١٩٥١ قيد وارد التلغرافات إلى ديوان الجهادية . برقية رقم ١٠ ص ١٢ فى ٧ رجب سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

(٢) دفتر ١٢٩٥ قيد وروود التلغرافات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٢٥ ص ١٢ فى ١٥ رجب سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

(٣) دفتر ١٩٥٩ قيد وارد التلغرافات إلى ديوان الجهادية ، برقية رقم ٣٥ ص ٢٦ فى ١٦ مارس سنة ١٨٧٩

« مخازن التعيينات خالية من صنفى الزيت والصابون والمتعهد متوقف فى التوريد متعللا بعدم وجود نقود بطرفه . ثم خالية أيضا من صنف المسلى نؤمل المداركة (١) » (هكذا)

كذلك أرسل ٢ **جى سواحل** بدمياط إلى ديوان الجهادية البرقية التالية :

« متعهد تشغيل المخبز أجرى قفل المخبز بالنسبة لإحتياجه وعـــدم مداومة الصرف اليه نؤمل مداومة إرسال ٥٠٠ خمسماية جراية يومى بالوابور أو بقسماط للصرف منه (٢) » .

كذلك اجتاحت المجاعة الوجه القبلى فى أوائل سنة ١٨٧٩ لشدة القحط نتيجة لانخفاض النيل ، ولزيادة الفقر ، وقـــلة المواد الغذائية ، وفداحة الضرائب المفروضة على الأهالى . وقد بلـغ عدد الموتى بسبب قلة الغذاء فى فبراير سنـة ١٨٧٩ مالا يقل عن عشرة آلاف نسمة . وبما لايقل عن هذا العدد أيضا نتيجة للمرض والتعب . وتقع مسئولية هؤلاء التعساء على عاتق كل من انجلترا وفرنسا لإمتصاصها دماء الفلاحين لمصلحة المرابين (٣) . كما تقع التبعة فى المقـام الأول على الخديو اسماعيل الذى تمادى فى الاستدانة من الدول الأجنبيـة فى وقت كان يدرك فيه نوايا تلك الدول الاستعمارية إزاء مصر .

---

(١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التلغرافات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٤٣٤ ص ١١ فى ٢٤ جمادى الاخرة سنة ١٢٩٥ [١٨٧٨] .

(٢) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التلغرافات إلى ديوان الجهادية برقية رقم ٤٤ ص ١٨ فى ١٩ رمضان سنة ١٢٩٥

3 - Farman , Egypt and its Betrayal P.240 .

ونتيجة لما وصلت اليه حال البلاد من الفوضى والاضطراب رأى الساخطون على النظارة الأوربية ، كما كانت تسمى ـ ومنهم رجال الجيش ـ فى ديسمبر سنة ١٨٧٨ ضرورة إعادة مجلس النواب القديم ، ومنحه السلطة الواسعة فى إدارة شئون البلاد ، على أن تكون الوزارة مسئولة أمامه . وقد شجع الخديو هذه الحركة الدستورية للتخلص من النفوذ الأجنبى . واضطرت النظارة أمام ضغط زعماء الحركة إلى إجابة مطالبهم فاجتمع المجلس بالقلعة فى ٢ يناير سنة ١٨٧٩ . ومنذ ذلك الوقت تزعم المجلس حركة المعارضة .

ومن القرارات التى أوصت بها لجنة التحقيق لتخفيف العبء عن كاهل الميزانية وقامت النظارة فعلا بتنفيذها ، طرد معظم الموظفين والاستغناء عن خدماتهم ، وفى مقدمة هؤلاء الضباط الأمريكيون بالجيش المصرى الذين أبلغوا ـ دون سابق إنذار ـ بانتهاء عقودهم ، وكان لكل منهم استحقاقات متأخرة (١) . فكانت هذه الأزمة المالية فرصة طيبة إنتهزتها إنجلترا للتخلص من هؤلاء الضباط الذين لم تنظر اليهم بعين الارتياح منذ دخولهم الخدمة بالجيش المصرى . بل لقد بلغ بها الأمر حد الاحتجاج لدى الخديو اسماعيل عند تعيينهم .

وليت الأمر اقتصر على الاستغناء عن الضباط الأمريكيين فحسب ، بل إن مجلس النظار قد وافق على تقرير لجنة التحقيق ، فيما يتعلق بتخفيض عدد قوات الجيش المصرى إقتصادا فى المصروفات ، ولسير المالية على نظام ثابت يكفل أداء الديون وسير مصالح البلاد (٢) . وقد جرى هذا التخفيض على النحو الآتى :

---

(١) المصدر السابق
(٢) تقويم النيل المجلد . الثالث جـ ٣ ص ١٠١٩

من ضابط	من جنـــدى		إلى ضابط	إلى جنـــدى
١٦٣٤	٦٤٦٢٨	مشـاة	٥٧٠	٢١٣٦٠
٤٢٤	٦٨٤٤	خيالة	١٠٦	١٧٣٨
٤٥٩	١٥٥٧٣	مدفعية	٢٢٥	٩٧١٥
٩٢	٣٤٣٤	بحـارة	٩٢	٣٤٣٤
٢٦٠٩	٩٠٤٧٩	المجموع	٩٩٣	٣٦٢٤٧

وقد وضع فى الاعتبار ألا يقف الخفض عند هذا الحد ، بـــل عليه أن يستمر حتى لايكون فى القطر سوى نصف هذا العدد من الضباط والجنود أى ١٨ ألف جندى فقط . وترتب على ذلك أيضا إلغاء المدارس الحربية الآتيـــة : المدفعية ، والمشاة ، وأركان حرب ، والطب البيطرى بالعباسية ، والخيالة .

وقد برر السير ريفرز ولسن هذا الاجراء بقوله « إن من ينعم النظر فى حال مصر السياسية يتبين أن الجيش أكثر مما يلزم ، وأقل مما يلزم . أما كونه أقل مما يلزم فلأن حدود مصر واسعة ولا يمكن بهذا العدد أن يرد العدو عنها . وأما كونه أكثر مما يلزم فلأنها فى الواقع تحت الحماية الأوربية للدول ، وليس من المقصود أنهم يكلفونها للدفاع عن نفسها إذا بدأها أحد بالعدوان . من أجل ذلك إستقر الرأى على إلغاء البحرية تماما ، وإنقاص الجيش إلى سبعة آلاف(١) » . أى أن الهدف المقصود من تلك السياسة ليس الاقتصاد فى النفقات كما تدعى الوزارة الأوربية ، بـــل المقصود

(١) المصدر السابق

إضعاف مصر حربيا تحت حمـــاية الدول الأوربية .

فدعوى الاقتصاد فى النفقات كانت إذاً دعوى باطـلة إذ ، أن الموظفـين الأجانب الذين فى خدمة مصر كانوا يجلبون أقاربهم وأصحابهم من بلادهم ، ويخلقون لهم الوظائف بالراتب الكثير ، ولو أدى ذلك لإخلاء سبيل عدة من أبناء البلاد الذين لايعرفون وطنا سواها [1] ، .

وقد بلـغ عدد الضباط المحالين إلى الاستيداع ٢٥٠٠ ضابط دون أن يصرف لهم متأخراتهم من المرتبات . وكان لقرار طرد هؤلاء الضباط وتخفيض عـدد الجنود دوى كبير فى جميع أنحـاء البلاد ، إذ شمل قـرار الخفض هـــذا جميع وحدات الجيش المقيمة فى مختلف الأماكن مثل : لواء السواحل والبيـــادة بالمنشية باسكندرية [2] ، ، وبحرية [3] اسكندرية ، وآلاى سواحل دمياط [4] ، ومدرسة البحرية باسكندرية [5] ، وقوات الجيش المصرى الموجودة بالقـاهرة ومختلف المديريات ؛ بل إن سياسة تخفيض قوات الجيش المصرى قد طبقت على السودان كذلك ، ففى سنة ١٨٧٦ عندما أحس الخديو بوطأة الدين اضطر إلى تخفيض الاعتمادات

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٦٠

(٢) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقـــم ٦ ص ٣١ ف ٢ ابريل سنة ١٨٧٩

(٣) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقـم ٥٥ ص ٣٣ ف ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ .

(٤) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية بدون رقم ص ٣١ ف ٣ ابريل سنة ١٨٧٩

(٥) دفتر ٢٩٥٩ قيد وارد التلغرافات لديوان الجهادية برقية رقم ٦٠ ص ٣٣ ف ١٣ ابريل سنة ١٨٧٩

المخصصة للقوات المصرية (١) بالسودان . وترتب على ذلك إنقاص عدد عساكر الشايقية والباشبوزق إلى النصف . وقد سار على هذه السياسية محمد رؤوف (باشا) الذى خلف غردون على مديريات خط الاستواء فى اكتوبر سنة ١٨٧٦ ، إذ جعل « إدارته قاصرة على إلغاء الحاميات اقتصادا للنفقات ، وأنزل مرتبات الموظفين إلى النصف (٢) » . فكانت هـــذه السياسة سببا فى إتساع حركة المهدى بالسودان .

المظاهرة العسكرية

لهذه المظاهرة العسكرية عدة أسباب بعضها مباشر والآخر غير مبــاشر . أما الأسباب المباشرة فتتلخص فى إحالة ٥٠٠ ضابط على الاستيـداع دون أن يصرف لهم متأخر إستحاقهم ، « ولم يكن لهم طريق آخر للمعيشة غير العسكرية التى تربوا فى أحضانها (٣) » . أما الأسباب غير المباشرة فترجع الى حالة البوس التى وصل اليهـــا ضباط الجيش وأولادهم وزوجاتهم نتيجة لعـدم صرف مرتباتهم ، ولكثرة الضرائب (٤) الملقاة على عاتق طبقة الفلاحين ، فى نفس الوقت الذى يعانى فيه الوجه القبلى القحط والمجاعة (٥) .

---

(١) محفظة ٤٠ [معية تركى] وثيقة رقم ٢٠٢ من نور أظهر عبده جعفر حكمدار السودان إلى مهردار الجناب الخديو فى ٧ رمضان سنة ١٢٨٣ .

(٢) السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٤٩

(٣) حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٣٦٠

Farman , Egypt and its Betrayal P.236 .

(٤) المصدر الاخير .

(٥) المصدر السابق ص ٤٢٠

فكل هذه النكبات التى حلت بمصر كانت نتيجة «لتدخل الأجانب فى أمور البلاد وإستئثارهم بها على عهد الوزارة الولسونية ، واشتداد وطأتهم على العسكرية ، وطموح أبصارهم إلى ما أوجب يومئذ استحكام الضغائن فى صدور الجهادية عموما ، واستياؤهم من الأجانب أوربيين كانوا أو سوريين أو أتراكا أو جراكسة أو أرمن أو غيرهم (١) » . فثورة رجال الجيش فى ذلك الوقت كانت تعبر عن « ثورة الخواطر الخفية التى كانت ضاربة أطنابها فى أواسط عهد اسماعيل (٢) » . واتجهت هذه الثورة إلى القضاء على التدخل الأجنبى بصوره المختلفة . ومما أزكى فى نفوسهم هذه الروح العدائية شعورهم المكبوت ضد كبار رجال الجيش من الأتراك والجراكسة الذين كانوا يتمتعون بالمراكز الرئيسية فى الجيش ، ويقفون فى سبيل ترقية المصريين اليها مع أن الكثير من الضباط المصريين قد وصل إلى تلك المراكز أيام سعيد . هذا بالإضافة إلى تعصب الأتراك والجراكسة لبنى جلدتهم وسوء معاملتهم للضباط المصريين .

وقد لقى تذمر الضباط المصريين من التدخل الأجنبى فى شئون البلاد تشجيع الخديو اسماعيل الذى وجد فى حركة هؤلاء الضباط ستارا يحتمى خلفه فى مواجهة الضغط الأوربى لاستعادة نفوذه المسلوب . وقد وصف أحمد عرابى ذلك بقوله « لقد اضطرب (الخديو) وقلق قلقا شديدا من ضغط الوزارة المختلطة التى كانت برياسة نوبار (باشا) وعضوية رياض وعلى مبارك ... وأراد أن يتخلص منها ويسقطها . فأوعز إلى جاهين (باشا) كنج (صنيعته المشهور) بخلق تلك الحركة

---

(١) سليم نقاش . مصر للمصريين ج ٤ ص ٥

(٢) المصدر السابق

الصيدلانية ، وهذا حمل صهره لطيف بك سليم الضابط بالمدرسة الحربية على أخذ التلاميذ والذهاب إلى المالية بمن ينضم اليهم من الغوغاء (١) » .

ومع إعترافنا بتشجيع الخديو لهذه الحركة إلا أنها كانت فى الواقع تعبر عن السخط المكبوت فى صدور رجال الجيش ومظهرا من مظاهره . فاجتمعت كل هذه الدوافع التى ذكرناها ثم تبلورت واتخذت شكل مظاهرة عسكرية فى يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ . إذ اجتمع من هؤلاء الضباط نحو ٤٠٠ ضابط ، وقدموا إلى الخديو عرائض ملتمسين فيها صرف مرتباتهم المتأخرة فأحالهم على نظارة المالية . فسار هذا الجمع من الضباط تحت رئاسة البكباشى (المقدم) لطيف (بك) المشار اليه ، وتبعهم نحو ألفى جندى وتقاطر الناس من كل صوب لينظروا ماذا يكون من أمرهم . فقبضوا على نوبار (باشا) وأهانوه هو والمستر ريفرس ويلسون ناظر المالية وألزموهما بصرف مرتباتهم . ووقع الهرج واللغط والتزاحم حتى خيف من حدوث فتنة كبيرة (٢) » . ولم تهدأ هذه العاصفة إلا بعد حضور الخديو بنفسه إلى نظارة المالية ، وأخذ يعد المتظاهرين بإجابة مطالبهم .

ويذكر عرابى بأن المتظاهرين قد انصرفوا حانقين ، « وهاج الضباط فى جميع الآلايات (الألوية) واتفقوا على وجوب عزل هذا الخديو واعتلاء ولى عهده توفيق مسند الخديوية المصرية . فلما علم الخديو بذلك ذهب الى مركز

---

(١) أحمد عرابى باشا : كشف الستار عن سر الأسرار ص ٤٣ و ٤٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٥

كل آلاى على حده وطيب خواطر الضباط ، ووعدهم بصرف حقوقهم المتأخرة وعزل الوزارة المذكورة (١) » .

واتهم أحمد عرابى بتدبير الحادث بتحريض جنوده على الاشتراك فى الحركة ، وقدم للمحاكمة أمام مجلس عسكرى ، وعند استجوابه عن السبب فى اشتراك جنود الآلاى التابع له فى هذه المظاهر أجاب بقوله ، « انه لو فرض وجود أحد منهم (يقصد ضباط الآلاى التابع له) فيها ،فهو غير ملوم لأن نساء الضباط وأولادهم فى العباسية بلا مأوى ولا دراهم فى أيديهم ينفقون منها على عائلاتهم ، ولا خبز ولاتعيين يصرف لهم (٢) » . وأغلب الظن أن هذه المحاكمة كانت ذرا للرماد فى العيون وذلك لتغطية موقف الخديو اسماعيل ازاء الحركة .

استغل الخديو اسماعيل هذه المظاهرة العسكريه لاسقاط نظارة نوبار وتم له ما أراد ، وعين مكانه نجله الأكبر محمد توفيق ، ثم أوعز الى المجلس الذى جمعه من الأعيان وأعضاء الشورى بوضع قانون مالى عام يتمكن به من إلغاء القرارات السابقة التى أقر الخديو عليها مضطرا (٣) ، فاجتمع المجلس فى ١٠ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ (ابريل ١٨٧٩) وأقر الجميع لائحة عرفت باسم اللائحة الوطنية ، واشتملت على ثلاثة أقسام : الأول فى تسوية الايرادات، والثانى فى تسوية الديون والثالث فى تسوية مصروفات الحكومة .فأقرها الخديو وكلف شريف بتنفيذها

(١) المصدر السابق ص ٤٦
(٢) المصدر السابق
(٣) حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣٦١

لم تستقر الأمور بتولية شريف رياسة النظارة رغم ماكان متمتعا به من ثقة الأمة وزعماء البلاد ، وذلك لإبعاد العنصر الأوربى منها . بالاضافة إلى الأوامر التى أصدرها الخديو بزيادة عدد الجيش إلى ستين ألف جندى والتى أثارت ثائرة الدول الأوربية ، خصوصا انجلترا وفرنسا ، لأنهما اعتبرتا أعمال الخديو هذه عدوانية فسعيا إلى الانتقام منه بكل مالديهما من الوسائل (١) ، فطلبتا اليه فى أول الأمر إعادة الوزيرين الأجنبيين فرفض. ثم ألحتا عليه بالتنازل عن العرش لإبنه توفيق ، فرفض أيضا بحجة أن هذا ليس من سلطته ، بل من سلطة الباب العالى وحده . فسعت الدولتان لدى الباب العالى وساعدتهما بروسيا ، فاضطر السلطان تحت ضغط هذه الدول الى الرضوخ لمطالبهما . فأرسل فى ٦ رجب سنة ١٢٩٦ (٢٤ يونيه سنة ١٨٧٩) برقية إلى الخديو اسماعيل بعزله عن ولاية مصر ، وإسنادها إلى أكبر أبنائه محمد توفيق. وبذلك استطاعت الدول الأوربية التخلص من الخديو اسماعيل للقضاء على آخر معارضة تقف فى طريقها .

وبعزل الخديو اسماعيل أراد السلطان أن يتخلص من الامتيازات التى منحها له بمقتضى الفرمان الشامل فى سنة ١٨٧٣ والرجوع الى نصوص فرمان سنة ١٨٤١ . ولكن انجلترا وفرنسا عارضتا فى ذلك ، لأنه لم يكن من مصلحتهما خضوع مصر خضوعا تاما للباب العالى . فاضطر السلطان مرغما الى اصدار فرمان فى ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ (أغسطس ١٨٧٨) بتولية الخديو توفيق مع احتفاظه بشرطين هامين وهما : ألا يقوم الخديو بعقد قروض مالية إلا بعد موافقة السلطان . والشرط الثانى ، ألا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألفا لأن هذا المقدار كاف

---

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣٦٤

لمحافظة أمنية ايالة مصر الداخلية فى وقت الصلح . وانمـــا حيث أن قوة مصر البرية والبحرية هى مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز أن يزداد مقدار العساكر بالصورة التى تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة . وتكون رايات العساكر البحريه والبريه والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم، ويباح لخديو مصر أن يعطى الضباط البريه والبحريه الى غايه رتبة ميرالاى والملكية الى الرتبة الثانية. ولا يرخص لخديو مصر أن ينشىء سفنامدرعة إلا بعد الاذن وحصول رخصة قطعية اليـــه من دولتنا العلية (١) . وبذلك رجعت مصر الى نصوص فرمان سنة ١٨٤١ فيما يتعلق بعدد قوات الجيش .

---

(١) قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٦٨٩ و ٦٩٠

الفصل السادس عشر

الجيش المصري في مواجهة التدخل الأوربي

الثورة العرابيـــة

الجيش المصرى فى مواجهة التدخل الأوربى

الثورة العرابية

أوضحنا فى الفصل السابق كيف أدى خضوع البلاد للإشراف المالى الأجنبى إلى إحالة عدد كبير من ضباطه الى الاستيداع ، وتسريح عدد كبير من أفراده بحجة ضغط المصروفات توفيرا لأقساط الديون. كما خفضت أو ألغيت بمعنى أصح الاعتمادات الخاصة بتسليحه .

ثم تأتى الضربة الثانية من جانب السلطان العثمانى فى فرمان تولية الخديو توفيق (أغسطس ١٨٧٩) بتحديد عدد جنود الجيش المصرى بثمانية عشر ألف جندى فى وقت السلم. على أن تكون «رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم » . وبذلك يسقط الامتياز الذى منحته مصر بمقتضى فرمان ١٨٧٣ والذى كان يخول لها الحق « بتكثير أو تقليل عدد العساكر المصرية الشاهانية على حسب اللزوم بغير قيد ولا تحديد » .

وبداية حكم توفيق يوجه إلى الجيش المصرى الضربة الثالثة ، وذلك بتخفيض عدده الى ١٢ ألف جندى فحسب زيادة فى ضغط النفقات . هذا فضلا عما وصلت اليه الروح المعنوية فى الجيش من سوء ، نتيجة تأخر صرف المرتبات ، وما صحب ذلك من فوضى واضطراب .

تكاتفت عوامل الهدم على النيل من قوة مصر الحربية فى وقت وصل فيه

التدخل الأجنبي مداه ، ووصلت فيه الدعوة إلى حركة الجامعة الإسلامية إلى ذورتها وزاد التذمر من ضعف الحكومة وسوء إدارتها وتهاونها في حقوق المصريين ، وتخاذلها أمام التدخل الأجنبي.

كان لهذا كله أكبر الأثر في قيام الثورة العرابية ، وفي أن يكون الجيش المصرى طليعة الحركة الثوريه في مصر وقوتها الدافعة .

ونظرا لأهمية الثورة العرابيـــة في تاريخ النضال الثورى في مصر ، ونظرا لخطورة الدور الذى قام به الجيش المصرى في الإعداد لهذه الثورة وقيادة الأمة في نضالها ضد الظلم الاجتماعى والتدخل الأجنبي والحــكم الاستبدادى ، ونظرا لأن هذه الثورة هي ثمرة تفاعلات هامة تمت في المجتمع المصرى في النصف الثانى للقرن التاسع عشر على وجه الخصوص ، فإن دراستها دراسة حقة تتطلب منا أن نتتبع أصولها التاريخية في النصف الأول من ذلك القرن حيث بدأت عملية تحول المجتمع المصرى نتيجة دخول مؤثرات حضارية غريبـة على الحضارة المصريه الأصلية في صورة بعثات علمية إلى الخارج ،وفي شكل خبرات أجنبية استقدمت من أوربا لتنفيذ المشروعات الإنتاجية الكبرى في البلاد .

هذا بالإضافة إلى العديد من المدارس التى فتحت لتعليم المصريين طبقـــا للنظام الغربى . وقد آتت تلك المؤثرات أكلها في النصف الثانى من القرن التاسع عشر . فبدأ المجتمع المصرى يموج بتيارات فكريه اتجـه بعضها نحو الاصلاح الدينى ، وبعضهـا نحو الاصـلاح الدستورى ، والبعض الثـــالث نحو الاصلاح السياسى .

وفي نفس تلك الفترة بدأ المجتمع المصرى يتحول في عصر محمـد على من

مجتمع إقطاعى إلى مجتمع رأسمالى ، وجاء هذا التحول نتيجة لعدة عوامل : منها سياسة محمد على الاقتصادية التى سار عليها والتى أدت إلى القضاء على الطبقة الوسطى التى كان من الممكن لو أتيحت لها الفرصة فى أن تنموا نموا طبيعيا لأمكنها إحداث هذا التحول على أساس الاقتصاد الرأسمالى الحر . كما أن جزءا كبيرا من هذا التحول كانت الدوافع اليه إعتبارات تتعلق بإمبراطورية محمد على وبالنظام الاحتكارى الذى كان أساس سياسة الاقتصادية .

زد على ذلك أن انهيار النظام الاحتكارى الذى وضعه محمد على قد فتح الباب على مصراعيه أمام تدفق رؤوس الأموال الأجنبية لاستغلال موارد البلاد ، وخصوصا فى شكل قروض أجنبية .

ومن سوء حظ مصر أن تتوالى عليها الكوارث والنكبات بشكل لم تعهده البلاد من قبل، فبقاء أسرة محمد على فى الحكم قد مكن للمصالح الأجنبية بأن تتدعم وأن تزدهر . كما هيأ لرأس المال الأجنبى الفرصة ليسيطر ويتحكم فى مصير البلاد من النواحى الاقتصادية .

وكانت الرأسمالية الأجنبية والنفوذ السياسى الأجنبى يتعاونان على تحويل مصر إلى جزء من النظام الاستعمارى العالمى . وما معاهدة لندن ١٨٤٠ الا بداية لهذا الاتجاه الجديد الذى أخذ ينمو بشكل واضح فى السنوات التى أعقبت المعاهدة بشكل أضر بمصالح البلاد وفرض عليها شبه وصاية دولية .

لم تصبح العلاقة بين مصر والدولة العثمانية تهمها وحدهما ، وإنما أصبح كل كل من والى مصر والسلطان العثمانى حريصا على إرضاء الدول الكبرى وخصوصا انجلترا وفرنسا حفاظا على مصلحته .

وفى نفس الوقت وقفت الدولة العثمانية عاجزة عن صد تيار التدخل الأجنبى فى مصر . ولم يكن فى استطاعتها أن تفعل شيئا ،لاسيما بعد هزيمتها فى الحرب التركية الروسية عام ٧٧ - ١٨٧٨ وفرض معاهدة برلين عليها وانتزاع ممتلكاتها الاوربية ، فخرجت من الحرب ضعيفة منهوكة القوى ، ولذا لم يكن لوجودها أثر فى مدافعة التدخل الأجنبى .

ويقابل التدخل الأجنبى المالى والسياسى فى الجانب المصرى نضوج سياسى واقتصادى وفكرى بصورة أدت إلى أن تستجمع تلك القوى طاقاتها للوقوف أمام التدخل الأجنبى .

وقد انقسمت القوى المناهضة للتغلغل الأجنبى إلى جناحين : جناح اقتصادى ويمثله كبار الملاك الزراعيين الذين أصبحوا يمثلون طبقة واضحة المعالم لها مصالح أساسية تتركز حول نقطتين هامتين هما : تثبيت الملكية الفردية ، والمشاركة فى الحكم .

أما الجناح الآخر فهو الجناح الفكرى أو فريق المثقفين الجدد الذين تحالفوا مع طبقة كبار الملاك الزراعية والذين أصبحوا المعبرين عن الفكر الحر فى ذلك الوقت . وقد عمل التحالف بين الجناحين الاقتصادى والفكرى إلى قيام الثورة العرابية .

ولن نستطيع الإلمام بالتيارات الفكرية والسياسية التى قامت عليها الثورة مالم نرجع الى الأصول التاريخية التى استمد منها كل من الجناحين الاقتصادى والفكرى وجوده .

الجناح الاقتصادى

ولبيان السياسة التى سار عليها الجناح الاقتصادى لتحقيق هدفيه فى تثبيت الملكية الفردية والمشاركة فى الحكم يجب أن نتتبع تطور النظام الاقتصادى فى مصر من النظام الاقطاعى إلى النظام الرأسمالى . وهنا نجد إختلافا واضحا بين ظهور الرأسمالية فى أوربا وبين ظهورها فى مصر : فنى مصر بدأت الرأسمالية فى مجال الزراعة أولا بعكس ماحدث فى أوربا من ظهور هذا النظام فى مجال النشاط التجارى أولا ثم الصناعى فالمالى بعد ذلك فى مواجهة الاقطاع الزراعى .

وقد ساعد على تركيز رؤوس الأموال فى الزراعة فى مصر على نمو الانتاج السلعى فى الزراعة كالقطن ، ونشوء الملكية الفردية وما صاحب ذلك من تطورات . وسيعمل محمد على من جانبه على إلغاء نظام الالتزام أو ما يمكن أن نسميه بالإقطاع التركى المملوكى وذلك فى عام ١٨١٣ ، فيقوم بانتزاع الأرض من أيدى الملتزمين ثم يعيد توزيعها فى شكل قطع صغيرة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أفدنة على صغار الفلاحين لاستغلالها فى الزراعة . وتظل تلك القطع فى أيديهم طالما كانوا قادرين على دفع التزاماتها . أى أن محمد على قد حرم عليهم التصرف فى الأرض بالبيع أو الشراء أو التوريث . وكل ماكان يمتلكه المنتفع بالأرض هو حق الانتفاع فحسب، وذلك باعتبار أن الدولة هى المالكة الوحيدة للأرض.

فهذه المحاولة من جانب محمد على تعتبر تحولا من الاقطاع المبعثر التقليدى إلى الاقطاع الموحد، وهو على أى حال خطوة فى سبيل ملكية الأرض الزراعية.

خطت بعد ذلك الملكية الفردية خطوة أخرى نحو الأمام عندما عقدت بريطانيا مع الدولة العثمانية معاهدة عام ١٨٣٨ التى خولت لها حق التعامل الاقتصادى الحر المباشر مع رعايا الدولة العثمانية بما فيهم أهل مصر . ومعنى هذا

القضاء على نظام الاحتكار الذى سار عليه محمد على . وكان عقد تلك المعاهدة بمثابة المعول التى انقض على هذا النظام فهدمه ، مما حدا بمحمد على أن يصدر لائحة ١٨٤٢ التى منح بمقتضاها أصحاب الجفالك والأبعديات حق ملكيتها والتصرف فيها كيفما شاءوا بالبيع أو الهبة ولم يكن لها من قبل سوى حق الانتفاع فقط .

وفى سنة ١٨٤٦ أصدر محمد على لائحة جديدة توسعت فى حقوق الملكية بعض الشىء فأجازت لمستغلى الأرض أن يتصرفوا فيها بالرهن أو التنازل للغير عن حق الانتفاع . وإذا ما هجر الزارع أرضه أو أهمل زراعتها سحبت منه ، ويكون له حق العودة اليها واستردادها إذا ما عاد اليها ثانية . وكذلك حرم على الزراع حق الإنتفاع بالأرض إذا ما توقف عن الضرائب المفروضة عليها .

ثم تطورت القوانين بعض الشىء فى صالح المزارعين فأضافت لائحة ١٨٥٤ حقوقا جديدة تتعلق بحق الورثة فى وضع أيديهم على الأرض التى تركها مورثهم .

على أن أهم خطوة فى تطور نظام ملكية الأرض قد تم بصدور اللائحة السعيدية عام ١٨٥٨ ، إذ منحت لمستغلى الأرض حق تأجيرها لمدة لاتزيد عن ثلاث سنوات وكذلك حق رهنها أو بيع حق استغلالها للغير . وأكدت حق المستغل فى توريث الأرض لورثته ، وكذلك المنشآت المقامة عليها . كما أطلقت يد الزارع فى زراعة ما يشاء من المحاصيل دون تدخل من قبل الحكومة .

كذلك كان رواج القطن كسلعة رائجة ، لاسيما عندما ارتفعت أسعاره نتيجة قيام الحرب الأهلية الأمريكية . (١٨٦١ - ١٨٦٥) حافزا على تهافت الزراع على اقتناء الارض . كما كان للإستثمارات المالية الاجنبية فى صورة رهونات أو قروض مصرفية أثره فى ذلك .

وكان لصدور قانون المقـــابلة ١٨٧١ أثره فى تطور الملكيـة الزراعية ، وخصوصا الملكيات الزراعية الكبيرة . فهذا القانون الذى أجاز لكل من يدفع مرة واحدة ستة أمثال الضريبة السنوية على الارض التى فى حيـازته تصبح تلك الارض ملكا له مع إعفائه من نصف الضريبة المربوطة عليها . ولم يستفيد من هذا القانون بطبيعة الحال سوى كبار الملاك الزراعيين القادرين عـــلى دفع تلك الضريبـة .

كل تلك العوامل قد أدت إلى ظهور طبقة من الملاك الزراعيين الكبار الذين أخذوا يتجهون بالنظام الزراعى نحو الرأسمالية ويستهدفون تثبيت الملكية الزراعية من ناحية والمشاركة فى الحـكم من ناحية أخرى، والعمل من ناحية ثالثة عـــلى تخفيف عبء الضرائب عليهم . ولكنها لم تحاول تغيير علاقاتهم بالفلاح ، فظل مدين لها بالتبعية كما كان من قبل .

كان من الطبيعى أن يتجه نشاط طبقـــة ملاك الأراضى الزراعية الى مجلس شورى النواب حيث بدأت المعارضة ضد التدخل الأجنبى تظهر بشكل واضح فى أواخر حـكم اسماعيل كنتيجـــة للضغط الأوربى المتزايد من النواحى السياسية والمالية ، ممثلا فى صندوق الدين والمراقبة الثنائية ، وفرض وزيرين أوربيين على الوزارة المصرية .

وقد عبر هؤلاء النواب عن نشاطهم فى موضوعين:

الأول : عندما أصروا على عرض ميزانيه- الدولة على مجلس النواب، وكذلك كل ما يتعلق بالشئون الماليه- .

والثانى : إقدام هؤلاء الملاك على تنظيم حزب سيـاسى أطلق عليه اسم « جمعية حلوان » ضم كبار الملاك الزراعيين وبعض العناصر من الرأسمالية

التجارية الوطنية ، سمى باسم « الحزب الوطنى » ، و « الحزب الأهلى » واتخذ من بلدة حلوان مركزا له . وكان يضم أعضاء عديدين من أشهرهم محمد شريف (باشا) ومحمد سلطان (باشا) وشاهين (باشا) وعمر لطفى (باشا) وراغب (باشا) . وكان من الناقمين على محمد رياض (باشا) رئيس وزارة الخديو توفيق .

وفى ٤ نوفمبر عام ١٨٧٩ أعلن قيام هذا الحزب وأصدر الأعضاء منشورا يحددون أهدافه وهى : إنقاذ البلاد من التدخل الأجنبى والاستغلال الأوربى . كما ندد بسياسة الحكومة الإستبدادية، وأوضحوا بأن برنامجه ينطوى على النهوض بالأمة المصرية عن طريق التعليم .

وقد أدرك زعماء هذا الحزب أن تلك الأهداف لن تتحق إلا إذا حدث التحام بينهم وبين قطاع المثقفين . ولذا ما أن بدأ نجم عرابى يبذغ بعد حادثة قصر النيل ومظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١ العسكرية الشعبية ضد الخديو توفيق إلا وبدأ أعضاء الحزب الوطنى يلتقون بعرابى وبزميليه عبد العال حلمى وعلى فهمى .

الجناح الفكرى

ينقسم هذا الجناح إلى قسمين : قسم مدنى . وقسم عسكرى ، فإذا تناولنا القسم الأول نجد أنه كان أكثر تجاوبا مع الحركة الجديدة ، وكان أسرع من القسم الثانى فى الالتحام بطبقة كبار ملاك الأرض .

نشأ أنصار هذا القسم نتيجة حركة البعوث العلمية التى أوفدت إلى أوربا خلال القرن التاسع عشر ، وكذلك نتيجة حركة التعليم والترجمة . وقد وضع هؤلاء المثقفون أنفسهم فى خدمة طبقة كبار الملاك الزراعيين فاشتغلوا فى صحافة الحزب الوطنى التى تمثلت فى جرائد مصر والتجارة والوطنى . وحملوا حملة شعواء

على التدخل الأجنبى . وكان لكتاباتهم أكبر الأثر فى خلق الرأى العام الواعى فى مصر .

ومع إيماننا بالدور الذى قامت به الطبقة المثقفة يجب ألا ننسى أثر حركة الجامعة الاسلامية على الحزب الوطنى . ولما كانت حركة الجامعة الاسلامية حركة شعبية فقد استطاعت بذلك أن تربط الحزب الوطنى بالقاعدة الشعبية . ويدل على ذلك ما كتبه الشيخ محمد عبده فى هذا الصدد قوله :

« ... وكان طلبة العلم وطلبة جمال الدين ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة ، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم فاستيقظت وانتبهت عقول ، وخف أصحاب الغفلة فى أطراف متعددة من البلاد وبخاصة فى القاهرة ... »

ولقد تصادف ظهور الحركة الإسلامية ضغط متزايد من قبل الدول الأجنبية صاحبة الديون ، وحكما استبداديا مطلقا من قبل الخديو . ومن ثمـــة وجدت مبادىء الدعوة الاسلامية التى استهدفت تكتيل العالم الاسلامى فى مواجهة الزحف الإستعمارى الغربى وإقامة حياة ديمقراطية سليمة آذانا صاغية من جانب المصريين .

واذا انتقلنا إلى القسم الآخر من طبقة المثقفين نجد جماعة العسكريين المصريين الساخطين على الأوضاع القائمة بالبلاد ، بالإضافة الى ما كانوا يعانونه من أوضاع غير طبيعية فى الجيش ، فاستئثار الأتراك والشراكسة بالمراكز الرئيسيـة فيـه قد حالت بينهم وبين السيطرة على هذا الجيش وتوجيهه وفق مصالح البلاد ، كما أن معاملتهم من قبل هؤلاء الشراكسة لم تكن فوق مستوى الشبهات ، ولم يكن

تمتع هؤلاء الشراكسة بالمناصب الرئيسية قائم على أساس تفوق حربى ، وانما على أساس عنصرى تعصبى . وأقرب مثل على ما نقول الحملة المصرية على الحبشة(١) ١٨٧٥ - ١٨٧٦ وما منيت به من فشل على أيدى هؤلاء الشراكسة .

وكان عرابى ممن اشتركوا فى تلك الحملة ، وممن نددوا بالحكومة القائمـــة لتقصيرها فى توفير الأسلحة والذخائر مما كان له أعمق الاثر فى فشلها .

أضف الى ذلك الأخطاء العسكرية الجسيمـة التى تردى فيها هؤلاء والتى أودت بحياة الآلاف من أبناء مصر . وكانت النتيجة النهائية لتلك الحملة أو إن شئت فقل الهزلة الاحتفال بهؤلاء القادة عند عودتهم الى مصر والإنعام عليهم بالأوسمة والنياشين .

ظهرت آثار تلك الحملة فى نفس عرابى وفى كتاباته(٢) التى سجل فيها أخبار تلك الحملة فما أن عاد عرابى وزملاؤه من تلك الحرب إلا وقاموا بتأسيس جمعية سرية فى ١٨٦٧ سميت « جمعية مصر الفتاة »، وكان من بين أعضائها عدد من المفكرين والأدباء. وكان على الروبى زميل عرابى وصديقه المؤسس الأول لها، كما ضمت الجمعية أيضا على فهمى . وبمرور الوقت أصبح أحمد عرابى أبرز عضو فيها .

واتخذ الأعضاء من جريدة أبو نظارة التى كان يصدرها يعقوب صنوع لسان حالهم والمعبرة عن آرائهم. وكانت تصدر باللغة العامية وفى أسلوب ساخر مرير

---

(١) راجع كتاب د. محمد محمود السروجى . العلاقات بين مصر وأثيوبيـــا فى القرن التاسع عشر.

(٢) أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ص ٣٣ - ٤٥

مما اضطر السلطات الحاكمة الى غلقها ونفى صاحبها إلى باريس . ومع ذلك ظلت تصدر فى المنفى وتهرب إلى مصر .

وكانت الجريدة تحمل على التدخل الأجنبى والامتيازات الأجنبية ، وتحكم الأتراك والشراكسة فى الجيش ، وتطالب بفتح باب الترقى أمام الضباط المصريين . ولقد فكر الأعضاء بصفة جدية فى عزل اسماعيل بصفة أس الفساد ، ولاعتقادهم بأن أى إصلاح لن يؤتى ثماره طالما كان الخديو متربعا فى الحكم .

ومما ضاعف من غضب الضباط المصريين التجاء وزارة نوبار فى فبراير ٨٧٩ إلى إحالة ألفين وخمسمائة ضابط الى المعاش بنصف مرتباتهم بحجة الاقتصاد فى ميزانية الدولة ، مما اضطر أربعمائة من هؤلاء الضباط الى مهاجمة نوبار (باشا) ومستر ولسون الوزير الانجليزى فى الوزارة المصرية والاعتداء عليهما وحبسهما لولا تدخل الخديو اسماعيل لاطلاق سراحهما . ويقال أن الخديو أوعز الى هؤلاء الضباط بالقيام بهذا العمل انتقاما من نوبار لممالأته النفوذ الانجليزى ولكى يثبت لبريطانيا أنه مازال صاحب النفوذ والسلطان ، وأنه لولا تدخله لما استطاع كليهما الإفلات من قبضة الثائرين .

ويمكننا أن نقسم المراحل التى مرت بها الثورة الى أربع :

المرحلة الاولى

وفيها حدث تقارب والتحام بين جمعية مصر الفتاة التى تمثل جناح العسكريين بالحزب الوطنى الذى يتركز فيه كبار ملاك الأرض . وقد حاول عرابى فى ذلك الوقت أن يقنع أعضاء الحزب الوطنى بخلع اسماعيل واعلان النظام الجمهورى وقد عبر عن هذا المعنى بقوله :

«أن تتحد وتخلع اسماعيل ... ولكنه لم يوجد يومئذ من يقود الحركة، ولذلك فان اقتراحى لم ينفذ وإن حاز القبول ـ وقد ألقى عزل اسماعيل بعد ذلك عبئا ثقيلا عن كواهلها وعم الفرح ، ولكن لو فعلنا ذلك بأنفسنا لكان أفضل إذ أننا كنا نتخلص من أسرة محمد على كلها وكنا نستطيع إقامة جمهورية».

ففكرة عزل اسماعيل كانت موجودة لدى الفريق العسكرى ، وكان عدم إخراجها الى حيز التنفيذ فى ذلك الوقت أن الزعامة لم تكن قد عقدت لواءها لعرابى بعد . ويدل هذا بمعنى آخر على أن حزب مصر الفتاة أو حزب العسكريين كان أكثر ثورية من الحزب الوطنى . ومع ذلك فقد استمر الحزبان يسيران جنبا الى جنب فى هذه المرحلة .

المرحلة الثانية

فى هذه المرحلة تتضح الرؤية أمام الباحث بشكل أكبر فيعلن الحزبان السريان عن نفسيهما ويدعوان الى عقد اجتماعات عامة على كافة المستويات لدراسة الأوضاع القائمة وإعداد الرأى العام للكفاح من أجل المطالب الوطنية. وقد أدت تلك الاجتماعات الى عقد مؤتمر فى أبريل سنة ١٨٧٩ حضره اثنان وستون من رجال الدين وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر ، وقاضى القضاة ، وبطريارك الأقباط ، وحاخام اليهود ، وسبعة وثلاثون من ضباط الجيش، وواحد وأربعون من كبار الملاك الزراعيون والتجار، وستون من أعضاء مجلس شورى النواب، أسفر عن تدوين محضر بما دار بهذا الاجتماع سمى بـ «المحضر الأهلى» تقدموا به الى الخديو اسماعيل طالبين فيه منح مجلس شورى النواب من الحقوق ما للمجالس النيابية فى دول أوربا . وكذلك تعديل قاعدة الانتخاب وتشكيل وزارة مصرية صرفة ، والإبقاء على قانون المقابلة . وكان هذا الطلب الأخير بناء على إلحاح أعضاء الحزب الوطنى من كبار المزارعين .

وقد ظنت انجلترا وفرنسا خطأ أن الخديو اسماعيل وراء تلك الحركة - وإن كنا لاننفى بأن الخديو اسماعيل قد حاول الاستفادة منها لأنه وجـــد فيها جبهة أخرى معارضة للتدخل الأجنبى - فأوعزت الى الباب العالى بخلعه . ولما كان هذا العمل يتفق مع هوى السلطان العثمانى ، لما قد يتيح له من الظروف ما تمكنه من سحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر بمقتضى الفرمانات ، ولاسيما الفرمان الشامل (١٨٧٣)، باعتبارأن تلك الامتيازات إنما منحت للخديو بصفته الشخصية، فقد رحب بهذا الطلب فأصدر فرمانا بعزل اسماعيل وتعيين ابنه توفيق بدلا منه. ولكنه لم يستطع أن يمس الامتيازات السابق منحها لمصر إلا فيما يتعلق بتحديد عدد قوات الجيش المصرى بثمانية عشر آلاف جندى .

حاول توفيق فى أول الأمر أن يظهر عطفه على الأمانى الوطنيه لتهدئة الحركة ريثما تتهيأ له الظروف المناسبة لإعـــلان نواياه الحقيقية . وسرعان ما عصف بالمكاسب الوطنية فألغى مشروع اللائحة الاساسية لمجلس النواب وأعاد المراقبة الثنائية على مالية البلاد ، وأعلن الحكم المطلق ، وأصدر قانون التصفية الذى ألغى قانون المقابلة . كما أغلق الصحف الوطنية لإســـكات الأصوات الحرة ، ونفى السيد جمال الدين الافغانى خارج البلاد . وبهذه الوسائل والاجراءات التعسفية تبدأ المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة

تتسم تلك المرحلة بالزعامة المطلقة للحزب العسكرى وتردد طبقة كبار الملاك الزراعيين فى مواصلة الشوط الى نهايته وتقاعسهم فى نهاية الأمر . وفى هـــذه المرحلة . ظهر عرابى كزعيم وطنى لامنازع له للحزب العسكرى بإجماع الآراء. حدث ذلك عندما اجتمع بمنزل أحمد عرابى فى مساء ١٦ يناير سنة ١٨٨١ عدد

من الضباط الوطنيين فى الجيش وهم : الميرالاى (عميد) عبد العال حلمى قائد آلاى طره ، والبكباشى (مقدم) خضر خضر ، والميرالاى (عميد) على فهمى الديب قائد الآلاى الأول ، والبكباشى (مقدم) محمد عبيد من ضباط نفس الآلاى ، والبكباشى (مقدم) ألفى يوسف من ضباط الآلاى الرابع ، والقائمقام (عقيد) احمد عبد الغفار بآلاى الفرسان . وتناقشوا فى أمر سياســـة عثمان رفقى ناظر الجهادية التعسفية ، ونواياه العدوانية تجاه الضباط الوطنيين . وبعد أن استمع عرابى الى شكاياتهم قال لهم: « ماذا تريدون إذاً ؟ فقالوا انما جئنا لنرى رأيك ، فقلت : رأيى أن تطيبوا نفوسكم ، وتهدئوا روعكم ، وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا اليهم النظر فى مصالحكم ، وهم يتخذون من بينهم رئيسا يثقون به كل الوثوق ، ويسمعون قوله ويطيعون أمره ، ويحفظون بمعاضدتكم اذا أرادت الحكومة به شرا ؛ فقالوا كلهم : إنا فوضنا اليك هذا الأمر ، فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك ، فقلت كلا ، بل انظروا غيرى وأنا اسمع له وأطيع ، وأنصح له جهدى ، فقالوا : إنا لا نبغى غيرك ، ولا نثق إلا بك ، فأبنت لهم أن الأمر عصيب ، ولا يسع الحكومة إلا قتل من يتصدى له ، فقالوا نحن نفديك ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا ، فقلت لهم أقسموا لى على ذلك ، فأقسموا على السيف والمصحف (١) » .

وباتضاح تلك الحقيقة وبانتقال زمام المبادرة من أيدى حزب كبار ملاك الى أيدى حزب العسكريين ينسحب كبار الملاك من معسكر الثورة رغم حرص عرابى على توكيد الرابطة بين الحزب الوطنى والفريق العسكرى حتى ذلك الوقت .

---

(١) أحمد عرابى كشف الستار عن سر الأسرار ص ١٥٢

وبانعقاد لواء الزعامة لاحمد عرابي بدأ الصدام بين الحزب العسكرى والخديو يأخذ مظهرا خطيرا تمثل فى أول الامر فى حادثين هامين : الأول : حادث قصر النيل . وحادث قصر عابدين .

حادث قصر النيل

أما عن الحادث الأول فيرجع السبب فيه الى سوء سياسة عثمان رفقى وتعصبه لبنى جنسه ، ففى ٣٠ يوليو ١٨٨٠ صدر مرسوم خديوى ينص على بقاء الجندى فى العسكرية العاملة أربع سنوات ، ثم يبقى رديفا مدة خمس سنوات ، على أن يتردد خلال تلك الفترة على مديريته شهرين من كل عام لممارسة التمرينات العسكرية. وبعد انقضاء تلك المدة يصبح المجند جنديا احتياطيا تحت الطلب لمـــدة ست سنوات أخر .

ولما كان عرابى وزملاؤه رقوا من تحت السلاح فقد وجدوا فى هذا القانون إجحافا بحقوق المصريين . وفى هذا الصدد يقول عرابى : «تخيلت له نفسه (يقصد عثمان رفقى) أن يمنع ترقى المصريين العاملين فى الآلايات تحت السلاح . ثم شرع فعلا فى سن قانون لحواه الحكم بعدم الترقى من تحت السلاح . وصدرت أوامره بذلك ليتمكن من النكاية بأبناء الوطن وحرمانهم من الرتب،وجعلهم أنفارا تحت تسلط الترك والجركس . ويكون لهؤلاء الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من الارتقاء الى الدرجات السامية والرتب الشريفة .»[1]

---

(١) كشف الستار عن سر الأسرار ١٥١

هذا فضلا عن اضطهاد عثمان رفقى للضباط الوطنيين مثل الاميرالاى (العميد) عبد العال حلمى والقائمقام (العقيد) أحمد عبد الغفار .

وفى منتصف يناير ١٨٨١ تقدم أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى نيابة عن ضباط الجيش بعريضة الى رئيس النظار يطلبون فيها مايلى :(١)

أولا — عزل ناظر الجهادية المذكور . وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا بالقوانين التى بأيدينا .

ثانيا — تشكيل مجلس نواب من نبهاء الأمة تنفيذا للأمر الخديوى الصادر عقيب ارتقائه مسند الخديوية .

ثالثا — إبلاغ الجيش العامل الى ١٨٠٠٠ تطبيقا للفرمان السلطانى .

رابعاً — تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب » .

وبدلا من أن تؤخذ الأمور بشىء من اللين وبعد النظر تسرع الخديو فى القبض على هؤلاء الزعماء الثلاثة واعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة أمام مجلس عسكرى .

وعندما علم رجال الجيش بهذا النبأ زحف الضابط محمد عبيد بجنوده على قصر النيل وهاجم السجن وأخرج عرابى وزميله عنوة . ثم توجه الجميع الى قصر عابدين مجددين مطالبهم السابقة . ولم يكن أمام الخديو توفيق بعد أن وصلت

---

(٢) المصدر السابق ص ١٥٤

الأمور الى هذا الحد ، إلا الاستجابة الى رغباتهم فعزل عثمان رفقى وعين محمود سامى البارودى بدلا منه .

الخديو يسترضى الضباط

كان الخديو توفيق حريصا على استرضاء الضباط حتى لايبقى فى نفوسهم شيء من أثر الحادثة ،فدعا فى ١٢ فبراير ١٨٨١ الى قصر عابدين ضباط الآلايات بالعاصمة من رتبة البكباشى (المقدم) فما فوقها . ثم ألقى فيهم خطبة نقتطف منها بعض العبارات التى تؤكد المعنى الذى ذهب اليه الخديو ،[1] فيقول : « انكم تعلمون حق العلم ما عندى من الميل والمحبة للعساكر والالتفات الى شئونهم من يوم استلامى لزمام الحكومة ... فلذلك لا أخفى عنكم ما حصل لى من الأسف بأسباب الحركة التى حدثت وانقضت ، ومع هذا فانى قد عفوت ولم يبق فى قلبى من أثرها شيء بالكلية » .

ورغم ذلك فلم يكن الضباط الوطنيون يأمنون على أنفسهم من غدر الحكومة وبطش الخديو . ولذا كانوا يتنقلون تحت حراسة دائمة . وأخذوا يكثرون من الاجتماعات السرية التى كانت تعتقد ليــــلا فى منزل عرابى . ولكن بعد عزل البارودى وتولية داوود (باشا) أصدر أمرا بمنع اجتماع الضباط فى المنازل والتفرغ لأعمالهم . « وأن كل من تكلم منهم مع آخر فى الأمور السياسية سجن بالقلعة ، وكان داوود باشا يتفقد إنفاذ هذه الأوامر بنفسه لحرج الحالة وبث عبد ، القادر باشا مأمور ضبطية القاهرة العيون على منازل رؤســـاء الحزب العسكرى لمنع اجتماعاتهم »[2].

---

(١) الوقائع المصرية عدد ١٢ فبراير ١٨٨١

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار حـ٢ ص٣٧٨

وقد ترتب على هذا الحادث نتائج خطيرة، فانتصار العسكريين قد منحهم الثقة بأنفسهم وبمقدرتهم على تغيير الاوضاع القائمة وفق ما يشاءون . كذلك كان لهذا الانتصار صدى قويا فى الاوساط الشعبية فبدأ تعلق الجماهير بعرابى وأخذوا يلتفون حوله ، فثورته ضد الخديوية المستبدة ، ونجاحه فى الوصول الى أهدافه قد رفعه فى أعين هؤلاء الى منزلة الأبطال. كما أن هذا النجاح الذى أحرزه العسكريون قد أزعج الحزب الوطنى وأفزع الرأسماليون المصريون .

كان النجاح الذى لقيه العسكريون فى الجولة الأولى دافعا لهم ليخطوا الخطوة التالية وأن ينتقلوا من مرحلة المطالب الخاصة بالجيش الى مرحلة المطالب العامة المتعلقة بالامة بأسرها والتى يمكن بلورتها فى المطالبة بحياة نيابية سليمة ومناهضة التغلغل الأجنبى فى البلاد . وقد وجدت هـذه الخطوة تأييدا من جانب طبقة كبار الملاك الزراعيين باعتبار أن تلك المطالب تتفق مع أهدافهم الرئيسية .

وكان وجود البارودى على رأس نظارة الجهادية مشجعا لجميع الآلايات على التقدم بعريضة [1] تطلب فيها ادخال اصلاحات معينة على الجيش . وقد أجابت الوزارة على معظمها. وبناء على التقرير الذى تقدم به رياض (باشا) رئيس النظار أصدر الخديو مرسوما بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ يقضى الأول بزيادة رواتب الضباط والجنود ، ويقضى المرسوم الثانى بتأليف لجنة (قومسيون) برياسة ناظر الجهادية والبحرية للاطلاع على القوانين والنظم العسكرية الحالية ، ومحاولة ادخال ما يرونه من اصلاحات عليها ، وكان عرابى أحد أعضاء هذه اللجنة .

---

(١) كشف الستار ص١٦٦

أما عن زيادة المرتبات فكانت على النحو التالى :

الماهيات الحالية		الماهيات القديمة
قرشا		قرشا
٨٠٠٠	فريق	٧٥٠٠
٦٥٠٠	لواء	٦٠٠٠
٥٠٠٠	أميرالاى (عميد)	٤٠٠٠
٣٥٠٠	قائمقام (عقيد)	٢٥٠٠
٢٥٠٠	بكباشى (مقدم)	٢٠٠٠
١٥ ٠	صاغ قول أغاسى (رائد)	١٢٠٠
٩٥٠	يوزباشى (نقيب)	٥٠٠
٧٥٠	ملازم أول	٤٠٠
٦٠٠	ملازم ثانى	٣٥٠
٢٥٠	صواقول أغاسى (مساعد)	١٣٠
٨٠	باشجاويش (رقيب أول)	٥٠
٧٠	بلوك أمين (رقيب)	٤٠
٤٠	أونباشى (عريف)	٣٠
٣٠	نفــــر	١٩

حادث عابدين

أما عن الحادث الثانى فقد صاحب عرابى فرقته العسكرية فى ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وذهب إلى قصر عابدين وسط الآلاف من سكان القاهرة حيث توسط ساحـــة القصر ورابط هناك . وعندما شعر الخديو بذلك نظر لإستجـلاء حقيقة الأمر

وكان برفقته تشارلز كوكسن القنصل الانجليزى وسير أوكلاند كولفن المراقب المالى البريطانى والجنرال جولد سميث مراقب الدائرة السنية والجنرال استون رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى وبعض الضباط الأوربيين .

وفى هذا اللقاء اجتمع النقيضان ، يقف عرابى ومن ورائه الجيش المصرى والشعب ممثلا للاتجاه القومى التحررى ويقابله فى الاتجاه الآخر الإستبدادية ممثلة فى الخديو والنفوذ الأجنبى (والقنصل الانجليزى و الموظفين والضباط الأوربيين) تساندهم الرجعية المصرية .

ويصف لنا عرابى فى مذكراته تفاصيل تلك المقابلة بشئ من التفصيل فيقول أنه عندما سئل عن أسباب حضوره قال : « جئنا يامولانا لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة . » فقال الخديو « وما هى هذه الطلبات ؟ » فرد عرابى : « هى اسقاط الحكومة المستبدة وتشكيل مجلس نواب على النسق الاوربى » فقال الخديو : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا » فقال عرابى : « لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا أو عقارا فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لانورث ولانستعبد بعد اليوم . »

بلغ الحوار مداه وبلغ التحدى مـــداه ، فعرابى يسانده الجيش وتقف من ورائه الأمة يرفع الصوت عاليا بالمطالب العادلة ، ويأبى الخديو الذى يستند على التأييد الاجنبى ممثلا فيمن حوله من الاجانب أن يستجيب لنداء العقـــل إلا مضطرا . فخوفا من عواقب معارضته أحنى رأسه للعاصفة مكرها ووافق على مطالب الامة والجيش .

المرحلة الرابعة

لم يـكن توفيق مخلصا فيها أعلن ، فاستغل التباعد والنفور اللذين خيما عـلى العلاقة بين الحزب العسكرى وحزب كبار الملاك الزراعيين ، فى إذكاء الخلاف بينهما . فأسند إلى شريف (باشا) وهو من كبار أقطاب الحزب الوطنى ـ تشكيل الوزارة. وعاق شريف قبوله هذه المهمة بانسحاب عرابى وعبد العال حلمى بفرقتيهما إلى مديرية الشرقية ليتيح للوزارة فرصة العمل بعيدا عن ضغط الجيش .

وكان هدف الخديو من ذلك إيقاع الفرقة بين الحزبين كى يضرب أحدهما بالآخر ، ويقضى بذلك على الحركة القومية .

ولـكى يفوت عرابى على الخديو فرصة إحداث هذا الصدع فى العلاقات بين قادة الحركة الوطنية من الحزب قبل ترك القاهرة إلى رأس الوادى بمديرية الشرقيـة .

كان شريف حريصا فى وزارته الثالثة على استرضاء ضباط الجيش عن طريق إدخال الاصلاحات العسكرية المطلوبة ، لتستقر أمورهم وليخلدوا الى الهدوء والسكينة ، حتى يتيحون له فرصة التفرغ لإصلاح شئون البلاد فى تلك الظروف الدقيقة . فتقدم الى الخديو توفيق بتقرير القومسيون العسكرى السابق تشكيله بمقتضى الأمر العالى الصادر بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٨١ لتنظيم القوانين العسكرية . ويتضمن التقرير المشروعات الآتية : (١)

---

(١) كشف الستار عن سر الأسرار ص ٢٥٠ .

أولا : قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية .

ثانيا : « تسوية حالة الضباط المستودعين .

ثالثا : « معاشات الجهادية البرية والبحرية .

رابعا : « القواعد الأساسية الذى يليه قانون الترق .

خامسا « الضمائم والامتيازات والاعانات العسكرية .

ووافق الخديو عليها فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ . كما أصدر مرسوما آخر فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨١ بتنظيم التعليم فى المدارس الحربية ، ويشتمل على برامج التعليم فيها ، وشروط الإلتحـــاق بها ، وبيـان التعليمات العسكرية فيها ، وما إلى ذلك .

بدأ شريف فى إجراء الانتخابات لمجلس النواب الجديد وحاز الحزب الوطنى بحكم سيطرته على الحكم أغلبية المقاعد فى المجلس ، وبذلك سيطر على السلطتين التشريعيـة والتنفيذية . وافتتح المجلس الجديد فى ديسمبر ١٨٨١ حيث عرض عليه شريف اللائحة الأساسية (الدستور) .

وأهم ما تضمنته تلك اللائحة من مبادىء أثارت جزءا كبيرا من أعضاء المجلس هو عدم اعترافها بسلطة المجلس فى نظر الميزانية . وكان شريف يستهدف من وراء ذلك تحاشى الاصطدام بالدول الأوربية صاحبة المصالح وعلى رأسها انجلترا وفرنسا، حتى لايؤدى هذا الصدام إلى عودة العسكريين إلى مركز الزعامة

(١) اسماعيل سرهنك . حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٨٦ .

مرة أخرى ، وفقدان الحزب الوطنى سيطرته على مجريات الامور فى البلاد . ونظرا لمعارضة عدد كبير من أعضاء المجلس لهذا المبدأ فقد حدث صدام بينهم وبين شريف حول هذا الموضوع .

وعندما شعرت انجلترا وفرنسا بحرج مركز الوزارة وبالتالى حرج مركز الخديو أرسلتا المذكرة المشتركة الأولى فى ٧ يناير ١٨٨٢ تعربان فيها عن تأييدهما التام لموقف الخديو فى معارضته للحركة الوطنية، كما أبديتا رغبتهما الصريحة فى حل مجلس النواب .

وإزاء توتر الموقف أسرع العسكريون إلى إمتلاك زمام المبادرة بعد أن أجبر شريف على الاستقالة ، بأن تولى محمود سامى البارودى رئاسة الوزارة مع إسناد نظارة الجهادية إلى احمد عرابى .

وعقب تولية عرابى نظارة الجهادية قام بحركة ترقيات واسعة فى صفوف الجيش شملت الضباط والجنود ، ولاسيما الضباط الذين أيدوا حركته وناصروه. وبذلك استطاع عرابى أن يدعم حركته بوضع الموالين له فى المناصب الرئيسية . وفى هذا الصدد (١) يقول اسماعيل سرهنك ، « لايخفى ان الترقيات التى أجراها عرابى فى الجيش كانت على غير قانون ولم يتبع فيها العدل لانه فضلا عن كونه أحرم الضباط الجراكسة من الترقى فإنه أمر بإلحاق الكثير منهم فى الآلاى السودانى الذى تشكل لتقوية جيش السودان» . وهذا القول يدل على ميل سرهنك الى الضباط الجراكسة وكرهه المعرابيين .

وما أن وليت تلك الوزارة الحكم حتى أسرعت بإصدار اللائحة الأساسية التى نصت على مبدأ مسئولية الوزراء أمام مجلس النواب . وكذلك نصت على حق

---

(١) اسماعيل سرهنك . حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٣٨٦

هذا المجلس فى مناقشة الميزانية وإقرارها . وفى ذلك الوقت بدأت أصابع الخديو تلعب فى الخفاء وتحيك مؤامرة دبرها الضباط الشراكسة للاطاحة بالوزارة الجديدة وقد أحبطت يقظة الوزارة تلك المؤامرة فساعدها ذلك على تطهير الجيش من الخونة . فكان ذلك تمهيداً ضروريا اقتضته طبيعة المعركة القادمة .

رفض الخديو التصديق على الأحكام التى صدرت بإدانة ضباط المؤامرة بإيعاز من إنجلترا وفرنسا ، فأدى ذلك إلى توتر العلاقة بين الوزارة والخديو وبدأ العسكريون فى ذلك الوقت يفكرون جديا فى عزل الخديو والتخلص نهائيا من حكم أسرة محمد على . ولكن الحزب الوطنى متعاونا مع مجلس النواب رفض الأخذ بهذا الرأى . ومن ثمة بدأ الانشقاق واضحاً بين معسكر الجيش ومعسكر الخديو بمن يلوذ به من أعضاء الحزب الوطنى وأعضاء مجلس النواب .

وفى مواجهة هذا الموقف المضطرب الملىء بالاحتمالات أسرعت بريطانيا وفرنسا بارسال بعض قطع من أسطوليهما إلى مياه الاسكندرية . وكذلك إرسال المذكرة المشتركة الثانية فى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ تطالبان فيها بإقالة وزارة البارودى ونفى عرابى خارج البلاد وإبعاد زملائه عن مدينة القاهرة .

بدأ كل معسكر من المعسكرين يستجمع قواه لمعركة لا مفر منها ، وأخذ الفريقان يستقطبان فوقفت الرأسمالية المصرية والتدخل الأجنبى وعلى رأسها الخديو فى جانب ، والوزارة الوطنية ومن ورائها الشعب فى جانب آخر .

رفضت الوزارة قبول المذكرة ، ولكن الخديو قبلها إحراجاً لمركزها مما حدا بالبارودى إلى تقديم إستقالته . ونظراً لاضطراب الموقف ولضغط الرأى العام المصرى على الخديو قبل مكرها إسناد وزارة الحربية إلى عرابى للمحافظة على الأمن والنظام فى البلاد .

وفى ذلك الوقت بدأ الخديو يتحرك لضرب الثورة فأصدر منشورا إلى مديرى المديريات هذا نصه :

« بما أن هيئة النظار الحاضرة استعفت صار قبول استعفائها . فليكن معلوما ذلك لديكم لتصرفوا جهدكم واقتداركم فى المحافظة التامة منكم ومن مأمورى المديرية الموكلة لإدارتهم ، والدقة والإنتباه لحسن سير الأشغال والمصالح المتعلقة بكم ، كما أنه من حيث أن المراكب الحربية الأجنبية التى حضرت إلى الاسكندرية لم يكن حضورها إلا بوجه سلمى فقط ، ولم يكن هناك شىء آخر خلاف ذلك ، فليس هناك لزوم لأرسال أحد من عساكر الإمدادية الذين صار طلبهم أخيرا بمعرفة الجهادية ، بل إن الموجود منهم تحت الحضور لهذا الطرف يصير إعادته لبلده ، والذى تحت الحضور من البلاد يتنبه بصرف النظر عن حضوره ، واعلان المراكز والأقسام بالتنبيه على مشايخ وعمد البلاد بهذا المضمون للعلم بعدم الأقتضاء لجمع عساكر ، وأنتباه كل لأشغاله وزراعته بدون أشتغال فى غير ذلك ... »

ففى هذا المنشور تعرض الخديو لنقطتين جوهريتين الأولى إيهام المصريين بأن المراكب الأنجليزية والفرنسية الرأسية فى ميناء الأسكندرية ليست لها نوايا عدوانية حتى لا يحتاط المصريون للخطر المحدق بهم ، ولما فى ذلك من تسهيل لمهمة الدولتين المعتديتين . والنقطة الثانية أن وزارة البارودى ـ إدراكا منها لخطورة الموقف ـ طلبت من مديرى المديريات جمع العساكر الرديف لتعزيز القوات المصرية . ولما كان فى ذلك خطر على الخديو ، وعلى الدولتين المرسلتين للمذكرة ، فقد حظر على المديرين جمع هؤلاء الجنود لتظل قوة مصر العسكرية محدودة .

ولكى تثبت بريطانيا عجز عرابى عن حفظ الأمن ولتتيح لنفسها فرصة التدخل ، دبرت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيه عام ١٨٨٢ .

أصبح التدخل الاجنبى أمرا لا مفر منه بعد حدوث المذبحة ، دل على ذلك تدفق جموع المهاجرين الاجانب على الاسكندرية للنزوح عن البلاد ، وسفر الخديو الى الاسكندرية ليكون على مقربة من الاسطولين الانجليزى والفرنسى ، وليفر من قبضة العرابيين فى القاهرة ، ومغادرة السير ادوار مالت قنصل انجلترا الجنرال بالاسكندرية ، وكذلك المستر كولسن القنصل الانجليزى .

وفى ٦ يوليو ١٨٨٢ أرسل الأميرال سيمور قائد الأسطول الإنجليزى بمياه الاسكندرية انذارا إلى طلبه عصمت قومندان موقع الاسكندرية يأمره بالكف عن إجراء ترميمات الحصون ، فرد عليه طلبه بأنه لم يتم أى عمل جديد فيها . ولم يكن هذا الانذار بطبيعة الحال سوى الوسيلة أو المبرر للتدخل العسكرى .

وفى ١٠ يوليو بعث الاميرال سيمور بأنذاره النهائى الى طلبه عصمت يطلب فيه تسليم البطاريات الموجودة بحصون شبه جزيرة رأس التين ، وكذلك الكائنة بميناء الاسكندرية الجنوبى ، وإلاضربت تلك الحصون فى صبيحة اليوم التالى . وقد عرض الانذار على مجلس النظار ، وبعد مناقشات طويلة أستقر رأى الاغلبية على رفض مطالب الاميرال .

وان ندخل فى تفاصيل المعارك التى دارت بين الطرفين ، ولكننا سنتعرض بشىء من الاجمال لقوة دفاع المدينة عند قصفها بمدافع الاسطول الانجليزى . كانت بسواحل المدينة سلسلة من الحصون ترجع إلى عهد محمد على ، وإن كان الخديو اسماعيل قد أجرى بها بعض الترميمات وزودها بقطع من المدفعية الحديثة طراز ارمسترنج ، إلا أنها كانت قليلة العدد فلم يتجاوز عددها ٤٩ مدفعا من

مجموع المدافع البالغ عددها ٢٢٩ مدفعا معظمها من طراز قديم ، قصير المدى . وهذه الطوابى أو الحصون تتناثر على الساحل من الغرب إلى الشرق ، تبدأ بطابية العجمى البحرية ، فطابية الدخيلة ، فطابية المكس . ثم يليها البرج نمرة ١٥ ، فطابية القمرية ، فطابية أم قبيبة ، فطابية صالح ، فطابية باب العرب ، فطابية الفنار ، فطابية رأس التين ، فطابية الأطه ، فطابية الهلالية ، فطابية قايتباى ، فطابية السلسلة .

وفى داخل المدينة توجد طابية كوم الناضورة ، وطابية كوم الدكة . أما عن حامية تلك الحصون فكانت لاتزيد عن ٧٠٠ جندى كما ذكر عرابى (١) . أما قوات البيادة (المشاة) فكانت تتكون من أربعة آلايات يبلغ عددها ١٢٫٠٠٠ جندى ، وهى لم تشترك فى القتال .

القوة المهاجمة

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر نجد قوة الأسطول البريطانى تتكون من خمس عشرة سفينة : منها ثمانى مدرعات ، وخمس سفن مدفعية ، وسفينة للطوربيد وأخرى كشافة .

أما عن مدفعية الاسطول فجميعها من طراز ارمسترنج ويبلغ مجموعها ٧٧ مدفعا . فهى من هذه الناحية تفوق فى قوتها مايمتلكه الجانب المصرى .

وفى الساعة السابعة من صباح ١١ يوليو ١٨٨٢ بدأت البوارج الإنجليزية تقصف المدينة وطوابيها بوابل من قنابلها ، وأستمر الضرب عشرساعات ونصف

---

(١) كشف الستار ص ٣١٤

الساعة على التوالى إلا من فترات انقطاع قليلة . ونظرا لبعد مدى المدفعية الإنجليزية وأحكام ضربها ، فقد نالت من الطوابى الساحلية أى منال . بينما كانت السفن الانجليزية تقف بمأمن من مدفعية الطوابى التى كانت لاتصل اليها . ويصف لنا عرابى أحداث يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ بقوله : « لا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخابرات ، فإن نار المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين . بالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢ ، ولم تجاوبها مدافع القلاع إلا من بعد إطلاق مدافع الأسطول نحو ٢٠ طلقة . ثم استمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الإسكندرية بعد ذلك إلى منتصف النهار ، ثم أخذت نيران الأستحكامات فى التناقص حتى تم تدميرها قبل الغروب ، وقد باغتنا الانجليز بالعدوان على غير استعداد منا ، وكان ضرر شظايا الأحجار المتناثرة من تأثير مقذوفات العدو عظيما أكثر من تأثير المقذوفات نفسها ، ومن المعلوم أن للاسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ، ولكن أكثرها مسلح بالأسلحة القديمة التى لاتصلح لمقاومة الدوارع الانجليزية ، غير أن فى بعضها مدافع ارمسترنج وهى وحدها الأسلحة النارية التى تصلح لخرق دروع السفن الانجليزية . . أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لاتصل إلى السفن الانجليزية ، ومدافع أرمسترنج لم يكن لها من المساطر التى تضبط المسافات وتحكم الإصابة بواسطتها إلا مسطرة واحدة كانت فى ميدان الرماية والتعليم بالعباسية واستحضرت ليلا وتسلمها سيف النصر بك قومندان طابية الفنار ، فكان يطلق المدافع بنفسه ، وينتقل من مكان إلى آخر ويحكم الإصابة بواسطة المسطرة المذكورة ، قال ولو كانت مدافع ارمسترنج ذات مساطر لأمكنها تعطيل كافة الدوارع الانجليزية بما تقذفه عليها من المقذوفات الصائبة » .

يبدو من وصف عرابى للمعركة أن استعداداتنا العسكرية كانت غير تامة ، بل

ناقصة إلى حد كبير . ولكن رغم عدم التكافؤ الواضح بين القوتين ، فقد بذل المصريون جهودا كبيرة للدفاع عن المدينة بكل ما أوتوا من قوة فى حدود إمكانياتهم الضئيلة . ونستطيع أن نلمس بوضوح ماقدمه المصريون من تضحيات وماقاموا به من ضروب البطولة فيما كتبه جون نينه (عميد الجالية السويسرية فى مصر وقتئذ) حيث يقول : « وقد أدى رماة مدافع ارمسترنج عملهم على خير مايرجى ، وذلك على الرغم من أن مدافعهم كانت أقل عيارا من مثيلاتها من المدافع الانجليزية ، وقد أصابوا سبع مدرعات إصابات بعضها خطير ، وبعضها ضئيل .... ومع هذا فما كان أروع منظر الرماة المصريين الذين كانوا خلف مدافعهم المكومة كأنما هم فى استعراض حربى لا يخافون الموت الذى يحيط بهم ، وكانت معظم الحصون بلا حواجز تقيها ولا متاريس ، ومع هذا فقد كنا نلمح هؤلاء البواسل من أبناء النيل خلال الدخان الكثيف كأنهم أرواح الابطال الذين سقطوا فى حومة الموت قد بعثوا ليناضلوا العدو ويواجهوا نيران مدافعه . وكان القادة يزورون الحصون ويستحثون الرجال . ولقد أدى الجميع واجبهم رجالا ونساء كبارا وصغارا ، ولم تكن ثمة أوسمة أو مكافآت تستحث أولئك الفلاحين على أداء واجبهم ، وإنما كانت تثير الحماسة فى نفوسهم عاطفة الوطنية والثورة على ما استهدفوا له من فظائع وهم فى مواقفهم البواسل المجهولون الذين لم يفكر أحد فيما تحملوا من آلام . »

وفى هذه المحنة جاد كل فرد فى الامة بما يملك لمؤازرة الثورة ومواصلة القتال. وفى هذا الصدد يقول الشيخ محمد عبده : « وهل يقدر أحد أن يشك فى كون جهادنا وطنيا صرفا بعد أن آزره رجال من جميع الاجناس والاديان ، فكان يتألب المسلمون والاقباط لنجدته بحماس غريب وبكل ما أوتوه من حول وقوة لإعتقادهم أنها حرب بين المصريين والانجليز . وقد تبرع الأحرار والأعيان

والعلماء ... حتى النساء بالخيل والحبوب والنقود والميرة اللازمة للجيش ، وأظهر المديرون والموظفون على اختلاف مراتبهم والكتبة غيرة وحمية فى جمع الميرة المطلوبة وحشد المتطوعة للجيش وسائر الأشغال العسكرية .

وقد رأيت الناس من فلاحين وبدو ذاهبين إلى الحرب برضاهم واختيارهم متشوقين لمقاتلة الانجليز ، وقد شمل هذا الحماس الاقباط ، وكان يشجعهم على ذلك رؤساؤهم . وكان شباب القاهرة يمرحون فى المدينة ليلا يتغنون بمديح عرابى ، وفى أى اجتماع ذكرت فيه الحرب كان الناس يدعون الله طالبين النصر لجيوشنا . »

استقر رأى عرابى على اخلاء الإسكندرية والانسحاب إلى كفر الدوار حيث قاموا بعمل استحكامات منيعة لصد القوات الانجليزية ومنعها من التوغل داخل البلاد . واستطاعت هذه الاستحكامات أن تصمد أمام قوات العدو نحو خمسة أسابيع . وكان بها ٨٠٠٠ جندى من خيرة القوات المصرية ، ومن مجموع القوات المصرية البالغ عددها ١٩٫٠٠٠ جندى حسب إحصاء جون نينيه ، و ١٣٫٠٠٠ جندى كما يذكر المستر بلنت .

شجع احتلال الانجليز لمدينة الاسكندرية الخديو توفيق على إصدار منشور فى ٧ أغسطس سنة ١٨٨٢ يحذر فيه المصريين من الانضمام إلى عرابى الثائر الخارج عن طاعته ويتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الامور ، ويحمل عرابى تبعة ما حدث بالاسكندرية .

وفى ذلك الوقت أحس عرابى بحاجته إلى مزيد من القوات العسكرية فأصدر منشورا إلى المديرين فى ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٢ يأمرهم بتجنيد ٢٥٫٠٠٠ من الخفراء ، على أن يتم ذلك فى أسرع فترة ممكنة .

نجح الإنجليز فى خداع العرابيين وإيهامهم بأن الميدان الغربى سيكون نقطة ارتكاز لهجومهم ، ولذا ركز عرابى خيرة قواته الضاربة عند استحكامات كفر الدوار . وترك الميدان الشرقى فى منطقة القناة دون أن يوليه من العناية ما يستحقه، إعتقادا منه أن انجلترا لن تخرق حيدة القناة ، وتصديقا للوعد الذى قطعة دلسبس على نفسه بأن القناة لن تكون ميدانا للعمليات الحربية بأى حال من الأحوال . وذلك بالرغم من نصح المهندس محمود فهمى وإلحاحه بضرورة ردم القناة ، ليحول بين الأسطول الانجليزى والتدخل داخل البلاد .

وفجأة تحول الانجليز ناحية القناة ، ودخلت قواتهم البحرية مياه بور سعيد، ونزلت بالقناة متجهة صوب الإسماعيلية ، لاتخاذها نقطة ارتكاز لعملياتها الحربية. وعندما وصلت تلك الأنباء إلى عرابى أسرع بنقل مركز قيادته إلى الجبهة الشرقية . وخاض عرابى معركتى القصاصين والتل الكبير فى ظروف غاية فى السوء . فبالاضافة إلى قوات إنجلترا التى تفوق قواته عددا وعدة ، واجه عدوا آخر أشد ضراوة وأعظم بأسا من الانجليز ، سلاحه الغدر والخيانة والرشوة .

وفى هذه الظروف العصيبة تجىء طعنة أخرى لعرابى من الخلف ، وممن لم يكن يتوقع أن تصدر منه ، من السلطان العثمانى عبد الحميد الذى استطاعت انجلترا أن تضغط عليه لتنتزع منه تصريحا بخروج عرابى عن طاعته ، وهو الذى كان مؤيدا للثورة بالأمس ، نظرا لأنها قامت متأثرة بحركة الجامعة الإسلامية، وكان عبد الحميد من مؤيدى مبادئها ، وممن يتخذون من تعاليمها سندا لمواجهة الغرب المسيحى ، وتكتيل العالم الإسلامى خلفه . إلا أن انجلترا أوضحت له بأنه ليس من الحكمة مساندة عرابى فى ثورته ، فمعنى هذا تشجيع الثورات الأخرى التى قد تنشأ فى ممتلكاته . ولذا يصدر السلطان عبد الحميد منشورا رسميا

يعلن فيه عصيان عرابى وخروجه عن طاعته ، وان الحركات التى تجاسر عرابى (باشا) على إجرائها معه هى مغايرة بالكلية لرضا الدولة العلية . »

ورغم تكاتف عوامل الشر على عرابى من كل جانب، فقد ظل قوى الايمان لا تلين له قناة ، وخاضت قواته الحرب ببسالة وشجاعة ، ووقفت فى فترات عديدة على قدم المساواة مع القوات الانجليزية المهاجمة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الأمة بمختلف طوائفها قد وقفت خلف عرابى ، تؤيده بالمال والرجال ، فلم تضن على الثورة بشىء . وجاد كل فرد حسب مقدرته فمن الناس من تبرع بمعظم مايملك ، ومن لا يملك نقودا ، تبرع بحبوب أو ماشية أوخيول أوسمن ومن لايمتلك شيئا جاد بجهده ، فتطوع بين صفوف الجيش للقيام بأى عمل يسند اليه . ومن لايمتلك مالا ولا جهدا تطوع بالكلمة ، فكان يحث الشباب على الجهاد وعلى الموت دفاعا عن أرض الوطن .

وعندما هزم عرابى فى موقعتى القصاصين والتل الكبير ، أسرع بالعودة إلى القاهرة لجمع بقايا قواته وتشكيل الشعب للدفاع عن المدينة، ولكنه وجد أعراضا من قبل الأعيان ، فسلم سلاحه بعد أن أدى ما عليه من واجب .

محاكمة زعماء الثورة العرابية

ما أن احتلت القوات الانجليزية العاصمة إلا وصدر الأمر بالقبض على زعماء الثورة العرابية وكل من شايعهم أو حامت حوله الشبهات حتى غصت السجون بما يزيد عن ٢٩٫٠٠٠ نسمة. نذكر منهم الزعماء السبعة أحمد عرابى ، ومحمود سامى البارودى ، ومحمود فهمى ، ويعقوب سامى ، عبد العال حلمى ، وعلى فهمى ، وطلبه عصمت .

وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصدر الخديو أمرا بتشكيل قومسيون مخصوص

فى القاهرة لمحاكمة كل من ارتكب خطأ فى حق الخديو . وكذلك تأليف محكمة عسكرية من أنصار الخديو لمحاكمة العرابيين .

كما شكلت لجان للتحقيق فى الاقاليم وفى مدينتى الاسكندرية وطنطا على وجه الخصوص . قضت المحكمة العسكرية بالحكم باعدام عرابى وزملائه الستة ،وتعديله الى النفى المؤبد بتدخل من السلطات البريطانية .

وفى ١٤ ديسمبر أصدر الخديو أمرا بمصادرة أملاك زعماء الثورة السبعة وحرمانهم من أموالهم وممتلكاتهم ، على أن تباع ويخصص ثمنها لدفع تعويضات حوادث الثورة . على أن يصرف لهم معاش شهرى ضئيل للصرف منه فى منفاهم. ثم أعقب ذلك بقرار آخر بتجريدهم من جميع رتبهم وألقابهم وشطب أسمائهم من سجلات الجيش المصرى .

قضت عدالة الانجليز اذن بنفى عرابى وزملائه مدى الحياة . وبعد أن تخلصت منهم قبضت على زمام الأمور فى البلاد بيد من حديد ، دون ما شفقة أو رحمة . وجاء ايفلن بيرنج (اللورد كرومر) الى مصر كحاكم بأمره ، وملك غير متوج لاراد لكلمته ، وليس لسلطانه حدود . كان هدفه تنفيذ سياسة انجلترا بمختلف السبل ، ولم يعمل أى حساب للمصريين أو للخديو الذى قبل أن يكون فى حمى الانجليز ، طالما كان فى ذلك الضمان لعرشه .

تصفية الثورة العرابية

واذا أردنا أن نفسر الأسباب التى أدت الى سرعة تصفية الثورة العرابية يمكن إجمالها فى النقاط الآتية :

اولا : أن الموقف الدولى فى ذلك الوقت لم يكن بأى حال فى صالح الحركات

الوطنية فى العالم بأسره ، فتفوق الدول الاستعمارية الساحق وتسابقها الى تقسيم آسيا وأفريقيا الى مناطق نفوذ جعل امكانية بخارج الثورة العرابية أو أية ثورة أخرى قامت وقتئذ مثل ثورة الهند وثورة إيران أمرا مستحيلا، مهما كانت تلك الثورات على درجة من التنظيم والكفاية .

ثانيا : انقسام الجبهة الوطنية الداخلية على نفسها ، فالخلاف بين أعضاء الحزب الوطنى الممثلين للرأسمالية المصرية والحزب العسكرى قد لعب دورا هاما فى تفتيت الجبهة الوطنية استغلته بريطانيا على خير وجه . هـــذا بالإضافة الى أن أعضاء الحزب الوطنى لم يكونوا على استعداد لأن يذهبوا فى معارضتهم للخديو الى أكثر من المدى الذى يستطيعون فيه الحصول على نوع من المشاركة فى الحكم . كما أنهم لم يستهدفوا من تلك الحركة تغييرا أساسيا فى نظام المجتمع المصرى .

ثالثا : إن عرابى قد تلقى طعنة من الخلف عندما أصـــدر السلطان العثمانى إعلانا بعصيانه فتحولت بذلك الحركة العرابية فى نظر البعض من ثورة وطنية الى مجرد تمرد عسكرى ، وربما عزا بعض الناس هذا الموقف من جانب السلطان الى غضبه على عرابى لتفكيره فى إقامة نظام جمهورى فى مصر .

رابعا : إن عرابى لم يفطن الى أهمية تعبئة القوى الشعبية وتسليحها لتكون قوة له ولجيشه فى مواجهة الاحتلال . فبالرغم من ارتفاع الروح المعنوية لدى المصريين وتفانيهم فى مساعدة الجيش بالمؤن والمقاتلين والأموال بصورة لم تعرفها البلاد من قبل، إلا أن اهمال استخدام هذه القوة الهائلة فى مساندته جنبا الى جنب مع قواته العسكرية قد أفقده الشىء الكثير . ولقد فطن الى هذا العمل من قبل الزعيم عمر مكرم حينما تعرضت مصر للغزو البريطانى فى ١٨٠٧ فأخذ يثير

حمية الأهالى كى يتطوعوا للقتال ولإقامة المتاريس والاستحكامات حول القاهرة تحت إشرافه . كما استطاع الرئيس جمال عبد الناصر فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ أن يستغل تلك الطاقة البشرية الهائلة فزودها بالأسلحة وتعهدها بالتنظيم والتدريب لتكون القاعدة العسكرية للقوات المحاربة . وبذلك استطعنا أن ننجح فيما فشل فيه أحمد عرابى .

خامسا : إن عدم قيام عرابى بتطهير الجيش تطهيرا كاملا من عناصر الخيانة والضعف قد أتاح للخديو والانجليز الاتصال ببعض ضعاف النفوس من الضباط المصريين لشراء ذممهم عن طريق الرشوة .

سادسا : إن عرابى لم يحاول استغلال التناقض بين الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا والإفادة منه . لاسيما وأن فرنسا بحكم ظروفها الداخلية كانت عازفة عن التدخل الحربى فى مصر ، نظرا لرفض البرلمان الفرنسى ذلك . كما أنه اطمأن الى اعتقاده الخاطىء بأن فرنسا لن تسمح لبريطانيا بغزو مصر .

سابعا : لم يقدر عرابى قوة بريطانيا العسكرية حق قدرها ، وكان يظن بأنها دولة بحرية لا تقو على القتـــال فى البر . ومهما يكن من شىء فإن الاحتلال العسكرى البريطانى لمصر لم يكن سوى نقطة النهاية لسلسلة متصلة الحلقات من الاشكال المتعددة للاستعمار الأوربى ، بدأت فى أعقاب إنهيار امبراطوريه محمد على فى صورة تدخل اقتصادى ، ثم تدخل مالى فى عهد اسماعيل عن طريق فرض صندوق الدين والمراقبة الثنائية ، ثم تدخل سياسى عن طريق وزيرين أجنبية فى الوزارة المصرية . واختتمتها بريطانيا بالإحتلال العسكرى .

موازنة بين ثورتين

وإذا أردنا أن نوجد شيئا من الموازنة أو المقارنه بين الثورة العرابية وثورة ٢٣

يوليو سنة ١٩٥٢ نجد أن بينهما أكثر من نقطة التقاء ونقطة خلاف :

أما بالنسبة لنقط الالتقاء نجد .

أولا أن كلا الثورتين قد قامتا لتحقيق نفس الأهداف من القضاء على التدخل الأجنبي والاقطاع وإقامة حياة ديمقراطية سليمة وتكوين جيش وطني قوى .

ثانيا : تشابه الظروف التي قامت فيها الثورتان إلى حد كبير . فمثلا نجد أن الثورة العرابية قد سبقتها قيام حرب بين مصر والحبشة في سنة ١٨٧٥ اشترك فيها أحمد عرابي وبعض أصدقائه من زعماء الثورة . العرابية . وفي تلك الحرب وضحت نقاط الضعف في الجيش المصري وما عليه قيادته التركية والجركسية من تخاذل وانحلال أودى بحياة الآلاف من المصريين . وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لحرب فلسطين مع إختلاف في التوقيت وفي ابطال القصة .

ثالثا : في خلال تلك الحرب الحبشية اجتمع عرابي برفاقه وتشاوروا فيما بينهم فيما يجب عمله للتخلص من هذا الحكم الفاسد صيانة لمصالح البلاد ، وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لجمال عبد الناصر ورفاقه عندما اجتمعوا وهم في القتال على أرض فلسطين للتشاور في القضاء على الأوضاع الفاسدة في مصر .

رابعا : عقب عودة عرابي وزملائه إلى مصر اتفقو فيما بينهم على تكوين حزب مصر الفتاة بصفة سرية لتنظيم صفوف الوطنيين في الجيش . وقد حدث نفس الشيء بعد عودة الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه من حرب فلسطين فبدأت تشكيلاتهم السياسية تزداد عددا وتنظيما .

خامسا : ضمن عرابى آراءه السياسية وتجـــاربه التى مرت به فى كتاب (كشف الستار سر الأسرار) وهو يشابه إلى حد كبير ما دونه الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب (فلسفة الثورة) .

سادسا : أن كلا الثورتين قد قامت على اكتاف زعيمين مصريين من عامة الشعب ومن لمسوا عيوب المجتمع فى تلك الفـــترة . فمن هذه الناحية تتفق الثورتان فى أنهما مصريتان صميمتان تعبران تعبيرا صادقا عن مطـــالب الطبقة الكادحة .

سابعا: أن كلا الثورتين قد قامت فى بادىء الأمر للمطالبة باصلاحات خاصة تتعلق بالجيش، ثم تطورت تلك المطالب الى مطالب قومية عامة .

ثامنا : أن كلا الثورتين كانت لها الصفة العسكرية وإن كانتا قد تمتعتا بتأييد شعبى كبير أضفى عليها شعبية أصيلة .

تاسعا : أن كلا الثورتين قد قامتا ولم يكن الجيش المصرى على درجة من القوة العسكرية تسمح له بخوض معارك كبيرة . ولكنهما قد اعتمدتا إلى حد كبير على التأييد الشعبى الشامل فى مواجهة قوى الاستعمار .

عاشرا : أن كلا الزعيمين كانا يتصفا بالجرأة والشجاعة والاخلاص التـام والتفانى فى خدمة الوطن . وقد بذل كلا منهما مافى طاقته وفى حدود امكانياته ليقوم بواجبه على الوجه الأكمل .

أما عن وجوه الاختلاف بين الثورتين ، فيمكن إجمالها فى النقاط التالية :

أولا : من حيث الظروف الدولية ، نلاحظ أن الثورة العرابية نشبت فى ظروف غير مواتية للثورات الوطنية ـ لا فى مصر فحسب ـ وإنما فى كل أجزاء

العالم . بينما نجد أن الوضع قد تغير بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ انقسم العالم الى معسكرين : المعسكر الشرقى المناهض لنفوذ الغربى الاستعمارى، والمعسكر الغربى المتداعى ـ فيما عدا الولايات المتحدة الأمريكيه ـ الذى يحاول الاحتفاظ ما أمكن بما تحت يده من مستعمرات ومناطق نفـــوذ ، فى وقت اشتدت فيه الحركات الوطنية التحررية نتيجة نمـــو الوعى القومى لدى الشعوب المحكومة . كل تلك الأسباب قد هيأت الجو المناسب لنجاح ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

ثانيا : إن الثورة العرابية قامت لتواجه بريطانيا فى أوج قوتها ، وفى ظروف دولية ملائمة للتوسع الاستعمارى . بينما نشأت ثورة ٢٣ يوليو لتواجه بريطانيا بعد أن نالت الحربين العالميتين منها كل منـال . وكانت قد توارت الى الصف الثانى ، تاركة للقوتين الجديدتين : الولايات المتحدة والاتحـــاد السوفييتى مركز الصدارة .

ثالثا : لايجب أن يغرب عن البال اختلاف الامكانيات البشرية والاقتصادية والثقافية فى مصر ، عند قيام كل من الثورتين ، مما كان له أبعد الأثر فيما ترتب عليها من نتائج .

رابعا : من ناحية الزعامة والقيـــادة ، نلاحظ أن اختلاف ثقافة كل من الزعيمين كما وكيفا ، قد انعكس على فهمه للأمور وتقديره لحقائق الموقف . فأحمد عرابى لم ينل قسطا كافيا من التعليم المدنى والعسكرى . بينما حظى الرئيس جمال عبد الناصر بنصيب كبير من الثقافة المدنية والعسكرية ، وكان أحد أعضاء هيئة التدريس بالكلية العسكرية . وكان لهذا أثره الواضح فى تصرفات كل من الزعيمين وفى تفكيرهما .

وخلاصة القول ، فالثورة العرابية تعتبر دون ريب مصدر إلهام لمن جاءوا بعدها من الثوار ، رغم ما بذله أعداؤها من جهـــود لتشويه الحقائق وقلب الأوضاع . وكانت ولاتزال ، تمثل الوجه الحقيقى لهذا الشعب الأبى الذى لايقبل الضيم وإن طال الأمد .

وفى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصدر الخديو توفيق - وهو مازال بالاسكندرية فى كنف الاحتلال وقبل أن ينتقل الى القاهرة - مرسوما بإلغاء الجيش المصرى لأنه وقف خلف عرابى وأيد ثورته . وبذلك تنطوى صفحة ناصعة من صفحات الجيش المصرى الحديث ، بعد أن ضرب جنوده أمثلة رائعة فى البطولة والفداء خلدت تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر .

خاتمة

لاشك أن تجربة إنشاء الجيش المصرى الحديث فى القرن التاسع عشر كانت تجربة ناجحة ، فلأول مرة منذ العصور القديمة تعتمد مصر فى حمايتها والدفاع عنها على جيش وطنى قومى ، وهو من أهم مقومات الدولة فى العصر الحديث . ولم يكن تكوين هذا الجيش بالأمر الهين فى أول الأمر ، بل إعترضته عقبات جسيمة ، بذل من أجل تذليلها الجهد والمال .

ومع أن هذا الجيش كان يعتبر من الناحية الرسمية جزءا من الجيش العثمانى ، مشابهاً له فى ملابسه وأعلامه وعلاماته ورتبه ، ولكن رغم ذلك كانت له شخصيته المميزة عن الجيش العثمانى . بل لقد سبقت مصر الدولة العثمانية فى إنشاء جيشها الحديث وفى التحرر من الجيش المملوكى الذى كان يمثل بقايا النظام الحربى فى العصور الوسطى .

قضى محمد على - فى سبيل توطيد مركزه فى مصر - على الزعامات الوطنية التى رفعته إلى منصب الولاية ، وأخذ يدعم وجوده بانشاء جيش وطنى قوى يحمى ملكه ويحقق أطماعه الواسعة. وما درى محمد على أنه بهذا العمل إنما كان يبنى الحركة القومية التى أراد لها الفناء دون قصد منه. فالجيش الوطنى القومى هو الأساس فى نشأة الدول القومية فى العصر الحديث . وما درى أيضا أن هذا الجيش الذى أقامه ليحمى ملكه ويثبت أسرته فى حكم مصر ، هو نفس الجيش الذى سينقض على هذه الأسرة الدخيلة فى الثورة العرابية ، وفى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد أثر إنشاء هذا الجيش القوى فى مصر تأثيرا كبيرا من الناحيتين الداخلية والخارجية . فمن الناحية الداخلية نجد أن نظام مصر الاقتصادى فى عهد محمد